سلسلة الأعمال المحكمّة (١٢٠)

أثر السُّود
في الحضارة الإسلامية

الدّكتور رشيد الخيُّون

مكتبة الملك عبدالعزيز العامة

الرياض

١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م

ⓒ مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٣٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخيون، رشيد

أثر السود في الحضارة الإسلامية . / رشيد الخيون . - الرياض، ١٤٣٦هـ
٤٣٨ ص؛ ١٧× ٢٤ سم .ـ (سلسلة الأعمال المحكمة؛ ١٢٠)
ردمك: ١- ٤٨- ٨١١٨- ٦٠٣- ٩٧٨

١ـ تجارة الرقيق ٢ـ الإسلام وحقوق الإنسان ٣ـ حقوق الإنسان
(قانون دولي) أ. العنوان

ديوي ١٤٤, ٣٨٠ ١٤٣٦/٥٢٠٣

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٥٢٠٣
ردمك: ١- ٤٨- ٨١١٨- ٦٠٣- ٩٧٨

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لمكتبة الملك عبدالعزيز العامة
١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م
ص.ب: ٨٦٤٨٦ الرياض ١١٦٢٢
هاتف: ٠٠٩٦٦-١١-٤٩١١٣٠٠ فاكس: ٠٠٩٦٦-١١-٤٩١١٩٤٩
www.kapl.org.sa

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الموضوع	صفحة
تصدير المكتبة	٧
تقديم	١٣
مقدمة المؤلف	٢٣
الباب الأول: في الرق وأحوال الرقيق	٣٥
الفصل الأول: تمهيد في المصادر	٣٩
الفصل الثَّاني: السُّود والرق قبل الإسلام	٧٩
الفصل الثَّالث: الرَّق والعتق في الإسلام	١٠٧
الفصل الرَّابع: ثورات السُّود وتمردهم	١٤٣
الباب الثاني: أعلام السود وتراجمهم	١٥٧
الفصل الأول: العهد النبوي والراشدي	١٦١
الفصل الثَّاني: العهد الأموي	٢٠٥
الفصل الثَّالث: العهد العباسي	٢٢٧
الفصل الرَّابع: النِّساء السَّوداوات	٢٦٥
الفصل الخامس: الشعراء السُّود	٢٨٣
الفصل السَّادس: أبناء الحبشيات	٣٨٧
الخاتمة:	٤٠٩
المصادر والمراجع:	٤١٣
الفهارس العامة:	٤٤١
فهرس الأعلام:	٤٤٣
فهرس الأماكن:	٤٩٥
فهرس الموضوعات:	٥٠٩
فهرس الكتب والمجلات والمقالات:	٥٣٣
فهرس الشعر:	٥٥٥

تصدير

تعتبر قضيةٌ اختلاف الألوان بين البشر، كما وصفها القرآنُ الكريمُ في قوله تعالى ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ** ﴾ فهذا الوصفُ هو أعمقُ حقيقة في طبيعة العلاقة بين اختلاف ألوان البشر؛ فالعلاقةُ فقط هي علاقةُ اختلاف، لا تفاضل، فليست هناك قيمةٌ مضافةٌ للون على آخر، كما أنَّ اختلافَ الألوان جاء في سياق واحد مع اختلاف اللغات. فهي ضمنُ هذا الإطار من آيات الله التي تقتضي من الناس التأمل فيها وقراءتها ومعرفتها في ضوء ذَلك الاختلاف.

لكنَّ ذاكرةَ البشر وتاريخَهم المكتوب جعلَ من هذا الاختلاف سبيلاً إلى مفاضلات متوهمة، ورتب عليها علاقات طبقية، لأسباب لا علاقة لها بسويَّة العلاقات المفترضة بين البشر من حيث كونهم بشراً، بصورة لا يكادُ يُستثنى منها مجتمعٌ ولهذا كانت النُّصوصُ الدينية فَي الإسلام، عبر الآيات والأحاديث النبوية صريحةً وواضحةً وقاطعةً في تأكيد تلك الطبيعة المكرمة للإنسان من حيثُ كونه إنساناً ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** ﴾.

لقد أسست البشرية نظامَ الرِّقِّ نتيجة لعلاقات السلطة والقوة، وكان هذا النظام ظاهرة إنسانية عامة لجميع المجتمعات البشرية: البيضاء والسُّوداء. وحين جاء الإسلامُ بشريعته السمحاء قدم معالجات تشريعية وإنسانية للقضاء على ظاهرة الرِّقَّ وكان العهدُ النبويُ وعهدُ الخلفاء الراشدين من أهم الفترات التي انعكست فيها تطبيقاتُ التشريع الإسلامي في قضايا الرَّقَّيق.

لقد كانت أهميةُ الدور الإسلامي في معالجة قضايا الرِّقَّ ليس في التشريعات المتدرجة والأحكام الحكيمة لهذه المشكلة فحسب، بل والأهمُّ من ذلك أن

الإسلامَ شكل نظاماً للقيم في الفضاء العام يسمحُ لكل مسلم أن يترقى بقيم الأخلاق والمعرفة والتقوى، ليأخذ مكانهُ في المجتمع من خلال منظومة القيم التي هي محلُّ تقدير رمزي لكل مَنْ يلتزمُ بها ويتخلق بمعانيها.

وتأتي أهميةُ كتاب (أثر السُّود في الحضارة الإسلامية) للدكتور رشيد الخيون كمحاولة توثيقية جامعة لأدوار إنسانية قدمها السُّود بوصفهم أعضاء فاعلين في الحضارة الإسلامية، من خلال تتبع لمسار العلاقة التي انطبعت بحساسية تربط بين لون البشرة، وبين العبودية، خصوصاً بعد عصر الخلفاء الراشدين. وترصُدُ أهميةَ تقدير الأدوار التي قدمها (السُّودُ) عبرَ مختلف ما قدموهُ في مجالات الحياة، في العلم، والشعر، والسُلطة، وغيرها من المجالات.

وفي تتبُّع المؤلف للإطار العام الذي ارتبط بظاهرة السُّود في المجتمعات البيضاء، نظام العبودية، حاول أن يرسُمَ مساراً تاريخياً لذلك النظام، سواءً في علاقته بالرِّقِّيق الأبيض أم الأسود، ليستخلص بعد ذلك الأهمية الكبرى للدور الإسلامي على مستوى التعاليم والتشريعات، وتقدُّمَهُ في ذلك على سائر النُّظُم التي حاولت توظيف علاقات الرِّقِّ، بعيداً عن التقييم الإنساني، باستثناء العصر الحديث.

خلال هذا الكتاب والإضافة المهمة التي قدمها، سنتعرف على أدوار وشخصيات ونماذج إنسانية ممتازة، ربما لم ينتبه الكثيرُ من القراء إلى أن أصحابها كانوا من ذوي البشرة السُّوداء، الذين يذكرُ الكاتبُ أهمية الاستعدادات التي بذلوها من قمع مشاعر العبودية، والاختلاف ليبلغوا تلك المقامات الرفيعة.

فمن خلال طبقات العلماء، والقادة، والشُّعراء، والشخصيات العامة التي لعبت دوراً كبيراً في أطوار مختلفة من التاريخ الإسلامي، لرجال ونساء سود يمكننا إدراكُ الحاجة إلى إبراز ذلك الدور، وتسليط الضوء عليه ـ كما فعل الدكتور رشيد الخيون ـ ومن ثم يمكننا التعرُّفُ بصورة أعمق على الكثير من ملامح

الاندماج الـتي جعلت مـن الفضاء العام للحياة الإسلامية مكاناً أكثرَ رحابة لتقبُّل الأفراد الممتازين والشخصيات المؤثرة على الناس ـ رغم اختلافها اللوني ـ بما لا يمكنُ أن نجده في أي مجتمع آخر من المجتمعات البشرية، حتى في بدايات العصر الحديث.

فشخصياتُ من أمثال (بلال ابن أبي رباح) و(عطاء بن ابي رباح) و(الجاحظ) و(ذو النون المصري) وغيرها من القادة والشعراء والزهاد والشخصيات المؤثرة في التاريخ الإسلامي، سنجد في التفاصيل التي يوردها عنها صاحبُ الكتاب ما يجعلُنا مدركين بأن هذا التاريخَ قد يجعلُنا اليوم أكثرَ ثقة لتفهم طبيعة الاختلاف اللوني، فقط في كونها علاقةَ اختلاف لا علاقةَ تفاضل، لاسيَّما في العصور الحديثة، حيث أثبتت خريطةُ (الجينوم البشري) للعلم الحديث أن اختلافَ البشر جميعاً ينحصرُ فقط في أقل من واحد بالمائة من خصائص الجينوم البشري، ما يؤكدُ بجلاء أن مقياس المفاضلة الذي بُني على اختلاف اللون؛ إنما هو خرافةٌ تأسست على أساطيَر عبرانية، وموروثات اجتماعية لاعقلانية لمجتمعات العالم القديم. والنّظُم التي أسست لمفهوم العبودية، فقط من خلال اختلاف اللون.

كذلك سنرى من خلال صفحات هذا الكتاب، ومناقشته لقضية الرِّقَّ من خلال قراءة مقارنة بين مختلف الأمم، أن العقلَ البشري في الأزمنة القديمة لم يكن مهيئا لمعرفة معنى المساواة البشرية، بصورة مستقلة، سواء من خلال آراء كل من أرسطو، وأفلاطون ـ وهم من كبار فلاسفة التاريخ البشري ـ أو حتى من خلال رؤية الأرقَّاء أنفسهم، عبر ثوراتهم التي خاضوها ضد السلطة ـ كثورة الزُّنج ـ في البصرة إبَّان العصر العباسي.

ولعلَّ الملاحظةَ المهمةَ التي توقف فيها المؤلفُ، وهي ملاحظةٌ تستحقُ التأمل، أن علاقات الرِّقَّ القائمة على سوية إنسانية عميقة، كما جسَّدَهَا العصرُ النبوي وعصرُ الراشدين، لم تشهد تطوراً إيجابياً في العصور التي تلتها، مع أن تلك

النماذج التي شهدها المجتمعُ الإسلامُي في العصر النبوي وعصر الراشدين ، كانت تعكسُ تمثلات واقعية ، وتطبيقات عملية قابلة للاحتذاء .

فذلك النموذجُ الإنسانيُ المتقدمُ الذي جسدته الحياة الاجتماعيةُ في العصر النبوي وعصر الراشدين ، كان إلى جانب نماذجه العملية الباهرة ، يشتغلُ على تذويب مشكلة الرِّقَّ عبر التشريعات المتصلة بالعبادات المتجددة .

وربما كان الانحدارُ عن ذلك الأفُق الذي شهد تطبيقات واقعية ، في صدر الإسلام لم يعرفها العالمُ القديمُ ، ولا حتى بداياتُ العالم الحديثُ ؛ هو في حقيقته انحدار توازى مع تداعيات أخرى أصابت المجتمعَ الإسلامي برمته ، وانعكست على علاقات الرِّقَّ كجزء من ذلك الانحدار .

مع ذلك بقي الفضاءُ العامُّ في المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية يسمح للسُّود باستحقاقات قد لا نجدُ لها نظيراً في بقية المجتمعات في العالم القديم .

ومكتبةُ الملك عبد العزيز العامة ، إذ تقومُ بنشر هذا الكتاب ، تحاولُ أن تساهمَ في رسم صورة مشرقة للدور الذي ينبغي أن يُذكرَ ، وأن يُسجَّلَ لتلك الطائفة من الأفراد الممتازين الذين ساهموا في الحضارة الإسلامية ، والذين أثبتوا بأن قيمَ تلك الحضارة هي بحق قيم إنسانية ، وذاتُ رصيد أخلاقي وأصول عظيمة تحترمُ إنسانيةَ الإنسان وكرامته في نصوصها الدينية ونظامها التشريعي .

لقد جمعَ هذا الكتابُ في دفتيه ما كان متفرقاً ، وبذل فيه الدكتور رشيد الخيون جُهداً مُقدراً ، وسَدَّ به حاجةً ضروريةً تعيدُ الاعتبار وتذكرنا بشخصيات طالما عرفنا قدرها وعظمتها ، ومساهماتها وأدوارها في التاريخ دون أن ننتبه لحيثياتها من ناحية اللون . وفي تذكيرنا بذلك ـ عبر هذا الكتاب ـ ما يجعلُنا ممتنين للقيم العظيمة التي عرفتْهَا الحضارةُ الإسلاميةُ . رغم ما في ذلك من جوانب القصور والنظرة الدونية التي كانت هي الوجهُ الآخرُ السلبيُّ للنظرة إلى السُّود فقط على اعتبار ألوانهم . لقد قدَّم الكتابُ رؤية متكاملة استصحبَتْ مقارنات بين واقع

قضية الرِّقّ قديماً وحديثاً؛ فكشف بذلك عن المكانة التي وصل إليها المجتمعُ البشريُّ اليوم من رد الاعتبار لتلك الطائفة من البشر عبر أقوى نموذج نراهُ اليوم في واقعنا ويعكسُ لنا الأشواطَ التي قطعتها البشرية من أجل التحرر من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان. فاليوم أقوى رجل في العالم ـ وهو رئيسُ الولايات المتحدة الأمريكية ـ الرئيس باراك أوباما من ذوي البشرة السُّوداء، ولم يمنع ذلك من تأهُله لأهم منصب في العالم اليوم.

هذا الكتابُ للدكتور رشيد الخيون؛ إضاءةٌ تنويريةٌ مهمة تردُّ الاعتبار للجهود الإنسانية في مختلف مجالات الإبداع التي قدَّمها السُّود في الحضارة الإسلامية. ونتمنى أن تُضاف إليه أبحاثٌ ودراساتٌ أخرى في هذا الصدد.

فيصل بن عبدالرحمن بن معمّر

المشرف العام على المكتبة

تقديم

بقلم: أ.د. زيد بن عبد الكريم الزيد

أستاذ الفقه المقارن

عميد المعهد العالي للقضاء سابقا

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، محمد بن عبد الله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فقد كان النبي في الأمم السابقة، يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعث محمد ¤ إلى الناس كافة، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [سورة الأعراف ١٥٨]. فالرسالة التي بُعث بها محمد ¤ ، رسالة عامة لجميع بني آدم في كل الأزمنة والأمكنة. كلنا مخاطبون فيها لا فرق فيها بين من كان يعيش في مكة وقت البعثة، ومن وجد في أقاصي الدنيا في أي عصر من العصور اللاحقة، سمت منزلته أو دنت، غنياً كان أو فقيراً، أسوداً كان أو أبيضاً.

وحينما تتقرر هذه الحقيقة في أذهاننا، ننتقل إلى التذكير بقضية أخرى، وهي أن الإسلام حفظ حقوق الإنسان، فصان كرامته بصفته الإنسانية المجردة من أي وصف آخر، هذه الكرامة الإنسانية المؤصلة في ذات ابن آدم بصفته ابنا لآدم فحسب. قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ [سورة الإسراء ٧٠] فالكرامة الممتدة من والد الجميع، آدم عليه السلام إلى ذريته، أصلها القرآن ورسخها في جميع

هذه الذرية، بمختلف عصورهم وأمكنتهم وأحوالهم وألوانهم، وبث في هذا الجنس الآدمي - بصفته الآدمية فحسب - روح العزة والكرامة.

وأتبع الإسلام هذا التكريم الإنساني بإقامة ميزان القسط والعدل بين الناس، الذي لا يتأثر بسبب دين أو لون أو عرق أو بلد، بل ولا يجوز أن يتأثر حتى بالعداوة، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [سورة المائدة: ٨]. وكرم الإسلام الإنسان معنوياً بأن منع السخرية به، أو الحط من منزلته لأي سبب من الأسباب، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [سورة الحجرات: ١١].

ولكن حينما نرى تفاوتا في الخلق، أو حينما نرى اختلافا في الألسن أو الألوان أو القبائل والشعوب، فما تفسير ذلك؟ القرآن الكريم يجيب على ذلك بوضوح مبينا أن الغاية من اختلاف الألوان، مثل الغاية من اختلاف الألسن، فكل منهما آية من آيات الله جل شأنه، ودليل على بديع صنعه قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ** ﴾ [سورة الروم: ٢٢] فعلينا أن نبقيها في حدودها الشرعية ,وأن تزيدنا إيمانا بالله، واستشعاراً لعظمة قدرته سبحانه وتعالى.

وحينما نرى واقع الناس الآن، وأنهم من شعوب وقبائل شتى، قد يدور في خلد شخص أن في هذا تأصيلاً شرعياً دينياً لمبدأ الطبقية بين الناس، ولكن هذا الشعور يتضاءل؛ بل يزول فوراً، حينما نعلم أن الغاية من وجود القبائل والشعوب هو التعارف الذي يؤدي إلى التآلف، لا أن يفتخر بعضنا على بعض، وإنما ليعرف بعضنا بعض، ويحترمه ويوقره ويحفظ حقه، أما ميزان التفاضل فله

ميدان آخر، ميدان كسبي، وليس وراثياً، وهو تقوى الله جل شأنه، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

ويؤكد هذا المعنى أن الله جل شأنه عندما قرر الخيريّة في هذه الأمة لم يعزوها إلى شرف قبيلة، أو علو منصب، أو كثرة المال، أو لون معين من الألوان، وإنما أسند ذلك لأمر آخر لا يستعصي على أحد، لمن أراده، قال تعالى: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [سورة آل عمران: ١١١]، فسبب الخيريّة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، والحرص على مصلحة المجتمع، وجلب الخير له ودفع الشر عنه، وهو أمر مكتسب، متاح للجميع على حد سواء، فمن كان له نصيب أوفر منه، كان مقامه في الخيرية أعلى، سواء كان فرداً من الأفراد، أو مجتمعاً من المجتمعات، أياً كان هذا الفرد، أو ذاك المجتمع.

جاء الإسلام بخطاب عام لا يفرق بين الناس في الدعوة إلى هذا الدين، ولا يعطي لأحد ميزة على آخر بسبب موروث، وإنما بأمر مكتسب، وجعل رأس ذلك وقمته، مدى الالتزام بتقوى الله، والتمسك بطاعته.

هذا هو المعيار الذي قرره الإسلام للتفاضل بين الناس، قد يبدو لبعضهم أن تقريره وتطبيقه في واقع المجتمع أمرٌ ميسورٌ، ولكن الواقع خلاف ذلك بكثير، لأن محمداً ¤ بُعث في مجتمع جاهلي قبلي طبقي، يفاخر بالأنساب ويحتقر الموالي والملونين، ويمايز بين الناس بسبب ألوانهم وعشائرهم وقبائلهم وثرواتهم. وينتفع بذلك رؤوس وكبار في القبائل، سواء في المجال التجاري والاقتصادي، أو في مجال الخدمة والجانب الاجتماعي.

فلا يمكن أن يقبل رؤوس القبائل أن يساووا بالعبيد والملونين، ولا يمكن أن يتنازلوا عن التجارة بهم وببيعهم وشرائهم وتحقيق الثروات عن طريق ذلك، ولا يمكن أن يستغنوا عن خدمتهم لهم في منازلهم وأنديتهم، وأمكنة بيعهم وشرائهم.

إن هذا الأمر رغم صعوبته، فقد اعتبره الإسلام أمراً جوهرياً في تعاليمه، ولذلك كانت النصوص تتعامل مع هذا الموضوع بوضوح وحسم، والخطاب القرآني، والنبوي لم يجامل أحداً؛ بل كان يخاطب الناس بخطاب واحد للناس جميعاً، وعلى مستوى واحد، لا فرق لعربي على عجمي إلا بالتقوى، يعلن بذلك من فوق المنابر، وفي المشاهد والمجامع العامة، ففي خطبة الحج في منى يعلن الرسول ¤ ذلك، فيقول وهو يخاطب الحجاج من مختلف القبائل العربية بزعمائها وكبرائها: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلاَّ بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ»، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّه)[1]. وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ¤: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّة، وَفَخْرَهَا بِالآبَاء، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابَ، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ فَخْرَهُمْ بِرِجَال، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ الله مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنَ الجِعْلاَنِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ"[2].

لقد قرر الإسلام أن الناس يولدون سواسية، وأن ميزان التفاضل كسبي لا نسبي ولا وراثي، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِر، أَنَّ رَسُولَ الله ¤ قَالَ: "إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِه لَيْسَتْ بِسِبَاب عَلَى أَحَد، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ وَلَدُ آدَمَ، طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَئُوهُ، لَيْسَ لأَحَد عَلَى أَحَد، فَضْلٌ إِلاَّ بِالدِّينِ أَوْ عَمَلٍ صَالِح)[3]. وعَنْ أَبي ذَرٍّ، أَنَّ النَّبِيَّ ¤ قَالَ لَهُ: (انْظُرْ، فَإِنَّكَ لَيْسَ بِخَيْرٍ مِنْ أَحْمَرَ وَلا أَسْوَدَ إِلاَّ أَنْ تَفْضُلَهُ بِتَقْوَى)[4]، وهذا هو الميزان

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢٨/ ٤٧٤ رقم الحديث ٢٣٤٨٩ تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، بإشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي. وقال محققه إسناده صحيح.

(٢) مسند الإمام أحمد ١٤/ ٣٤٩ رقم الحديث ٨٧٣٥ تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، بإشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، وقال محققه: إسناده حسن، هشام بن سعد -وإن كان من رجال مسلم- تنزل رتبته عن رتبة الصحيح، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٣) مسند الإمام أحمد ٢٨/ ٥٤٨ رقم ١٧٣١٣ وقال محققه إسناده حسن.

(٤) مسند الإمام أحمد ٣٥/ ٣٢١ رقم ٢١٤٠٧ وقال محققه صحيح لغيره.

الذي لا يظلم فيه الشخص لأمر لا صلة له به، إذ كيف يسوغ أن ينتقص الشخص بسبب لونه أو قبيلته أو أسرته أو غير ذلك مما لم يكن بيديه، لا ماضياً ولا مستقبلاً.

وفي ميدان التطبيق العملي لنزع الطبقية، وترسيخ المساواة بين الناس، نجد أن القرآن الكريم يوجه الرسول ¤ بالعناية في ذلك في تعامله مع المدعوين من قريش، وكلنا نستذكر قصة عبدالله بن أم مكتوم رضي الله عنه وكان أعمى، وأنه جاء إلى الرسول ¤ يستفهم عن مسألة أشكلت عليه، ولم يكن يعلم أنه كان منشغلاً بدعوة بعض زعماء قريش، فطفق يسأل الرسول ¤، لكن الرسول ¤ أعرض عنه اشتغالاً بالزعماء الكفار من قريش رجاء إسلامهم، فجاء الوحي الإلهي فوراً ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى، أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى، فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى، وَمَا عَلَيْكَ أَلا يَزَّكَّى، وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى، وَهُوَ يَخْشَى، فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى، كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ**﴾، إن في هذا تعليماً للأمة كافة، بأن رعاية هذا الأعمى الضعيف والعناية به والانشغال بحاجته، مقدمة على الآخرين وإن كانوا زعماء قبائل.

وفي شأن آخر أكثر دقة، وأشد وقعاً، نجد أن بلالاً الحبشي وهو عبد أسود، لما دخل في الإسلام أصبح مؤذن رسول الله ¤، وآخى بينه وبين عبيدة بن الحارث بن المطلب القرشي ابن عم رسول الله ¤ [1]. مع أنه كان في الجاهلية، محتقراً يُجر بالحبال في رقبته بين جبال مكة، ويعامل معاملة تنبو عنها معاملة الحيوان، ولما أسلم اشتراه أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأعتقه، ثم هذا الرجل الأسود الذي كان في الجاهلية لا مكانة له، ولا قيمة، نجد أن عمر ـ رضي الله عنه- كان يَقُولُ عنه: «أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا يَعْنِي بِلاَلاً»[2].

(١) انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/ ١٧٨.
(٢) صحيح البخاري ٥/ ٢٧ رقم ٣٧٥٤.

وإن كنا نعجب من هذا الدين الذي رفع بلالاً إلى هذا المقام، فالعجب أكبر في هذا الدين، الذي جعل عمر -وهو القرشي الذي كان من أعز قبائل قريش المفاخرة بأنسابها التي لا تقبل أن تأكل أو تجلس مع العبد الأسود، فإذا بأحد أفرادها بل سيّد عظيم من ساداتها -يقول عن عبد أسود أنه سيد له، هذه العبارة تنبئنا بوضوح عن عمق تهذيب الإسلام لأبنائه، وانتزاعه الطبقية والشعور بالاستعلاء الوراثي من نفوسهم، وتربيتهم على المساواة، وإزاحة النظرة الدونية الناتجة عن اللون من ذاكرتهم تماماً.

لقد جاء الإسلام بتعاليمه، فهذب القبائل العربية، وأحسن تربيتها على القيم والأخلاق، واستل من نفوسهم التعالي والتفاخر بالأنساب واحتقار الآخرين بسبب الألوان، وفي المقابل أنعش الإسلام بتعاليمه أرواح الملونين، وحطم إحساسهم بالرق الداخلي الذي عاشوه سنينا؛ بل دهورا طويلة قبل الإسلام، وبث في نفوسهم الكرامة، وزرع في قلوبهم العزة، وأعاد لهم مكانتهم الحقيقية، فصار منهم العلماء والأمراء، والقادة، والشعراء، والخطباء، والمفوهون، مما لم يخطر ببال أحد منهم يوماً من الدهر أن يبلغه. ويكفي أن نشير إلى أن الرسول ¤ زوج مولاه زيد بن حارثة -رضي الله عنه- بنت عمته زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها، وكان زيد -رضي الله عنه- آدم شديد الأدمة[1]، أي أسمر شديد السمرة، وكانت زينب -رضي الله عنها-، من بني أسد من أعرق قبائل العرب، وأمها أميمة بنت عبد المطلب القرشي جد رسول الله ¤، وهذا لا يمكن أن يحصل في القبائل العربية قبل الإسلام.

(١) قال ابن سعد في الطبقات ٣/ ٤٤ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أُسَامَةَ ابْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ¤ وَبَيْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ عَشْرُ سِنِينَ، رَسُولُ اللَّهِ ¤ أَكْبَرُ مِنْهُ، وَكَانَ زَيْدٌ رَجُلاً قَصِيرًا آدَمَ شَدِيدَ الْأُدْمَةِ، فِي أَنْفِهِ فَطَسٌ، وَكَانَ يُكْنَى أَبَا أُسَامَةَ» تحقيق إحسان عباس، طبعة دار صادر.

وأتبع ذلك بأن جعل أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - وهو أسود من الموالي، بل كان "شديد السواد"[1] -قائداً لجيش فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومات الرسول ¤ وأسامة - رضي الله عنه - قائداً لهذا لجيش. ولما تولى أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - الخلافة بعد رسول الله ¤ ، أنفذ هذا الجيش، وأبقى أسامة - رضي الله عنه - قائدا لهذا الجيش.

ولست في مقام تبيان ما قدمته الحضارة الإسلامية من إنصاف للملونين، وإعادة الكرامة لهم، ومساواتهم ببقية إخوانهم من بني آدم، ونفي أي نقيصة موروثة عنهم، وإعادتهم إلى مكانتهم ومنزلتهم الحقيقية، وإتاحة الفرصة لهم، مع غيرهم للمنافسة في هذه الحياة منافسة شريفة تقوم على المساواة في إتاحة الفرصة للجميع دون فرق، للقيام بالعمل الصالح، النافع في الدنيا والآخرة، وتمكينهم كغيرهم من الريادة العلمية أو السياسية أو العسكريّة متى أثبت جدارة واستحقاقا لذلك، وإنما ذلك إشارة ولمحة سريعة عابرة، ونظرة عاجلة على بعض النصوص، وشيء من التاريخ، تاركاً تفصيل ذلك لمشروع مكتبة الملك عبدالعزيز العامة المتمثل في ما أنجزه الباحث المتميز الدكتور/ رشيد الخيُّون في بحثه الذي بين يدينا الآن بعنوان (أثر السود في الحضارة الإسلامية)[2] فقد أعطى الموضوع حقه، واستوفى جوانبه، ودرسه دراسة منهجية، بدأه بالحديث عن الرق وأحوال الرقيق، وأن قلة من هؤلاء الرقيق نالوا الحرية لأي سبب من الأسباب، مشيراً إلى سوء المعاملة التي كانوا يعاملون بها وأنهم لا يعدون أن يكونوا كالدواب تستخدم للحمل أو الزراعة أو الخدمة. مستهدفاً تبيين حال السود قبل الإسلام ومعاملتهم معاملة من الدرجة الثانية، لا تليق بالكرامة الإنسانية.

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق ٨/ ٤٨ .

(٢) حدد الباحث في مقدمته، مدة زمنية لبحثه، تنتهي بسقوط الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ، ودعا الباحثين إلى استكمال البحث في المدة اللاحقة لذلك أي من سقوط الخلافة العباسية إلى العصر الحاضر.

كما أشار إلى أن الإسلام جاء بتحرير الأرقاء في أصول تشريعاته، وضيق جداً منافذ الاسترقاق، بل جعلها في أضيق نطاق ممكن، وفتح المنافذ الواسعة لتحريرهم مما يعنى أن متى طبقت الشريعة الإسلامية تطبيقاً صحيحاً، فلن يوجد رق في الإسلام، لكن الواقع في المجتمعات لم يكن على خير ما يرام، بعد انتهاء العهود المفضلة، مما قاد إلى ثورات وتجمعات وتمردات من السود حاولت استرداد الحقوق، لكنها لم تفلح في تحقيق مقاصدها.

وكان خير نموذج طبق تعاليم الإسلام المجتمع النبوي ثم العهد الراشدي، والذي برز فيهما أسماء لامعة من السود من أمثال أسامة بن زيد وعبادة بن الصامت[٢]، وسالم مولى أبي حذيفة - رضي الله عنهم -، وبلغ من منزلة سالم - رضي الله - عنه أن قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لما طعن، وأدرك أنه ميت، لو كان سالم حياً ما جعلتها شورى. يعني: لعينته خليفة على المسلمين، وكان سالم هذا أسود البشرة.

وقد عرض الباحث لنماذج عديدة في هذا الجانب، ثم انتقل إلى العهد الأموي ثم العهد العباسي، والذي لم يكن الأمر فيهما على ما كان عليه في العهد الراشدي، حيث ضعف التدين، وركن الناس إلى الدنيا وزخارفها، وأدى بهم ذلك إلى الحرص على الشرف الدنيوي، والتعالي والتفاخر، فأطلت عليهم النعرات الجاهلية، وظهرت تطبيقات في معاملة السود لا يقرها الإسلام، ومن المعلوم أن التقصير في تطبيق الشريعة في ذلك الوقت، لم يكن قاصراً على هذا الجانب، بل شمل جوانب عديدة، منها هذا الجانب، ومع ذلك فقد كان هناك أعلام من السود برزوا وكان لهم ذكر وشرف، عرض لهم الباحث وترجم لهم، ثم أتبع ذلك بتراجم أخرى عن النساء السوداوات منذ العهد النبوي وما بعده، فذكر في مقدمتهن أم أيمن رضي الله عنها، حاضنة رسول الله ¤، وكان لها منزلة خاصة عنده ¤، وهي أم أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهم.

ثم عرج الباحث أيضا على الشعراء السود، وذكر جملة من الشعراء السود المبرزين، ومن ذلك، أن أرثى بيت قالته العرب وسارت به الركبان قاله رجل أسود هو عبدة بن الطبيب :

وما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

وقد ذكر تراجم لهؤلاء الشعراء السود، ونماذج من أشعارهم وقصائدهم، ثم ذكر الباحث في الفصل الأخير من كتابه أبناء الحبشيات والسوداوات ممن نسب إلى أمه، وكانت سوداء، وكان له شأن في التاريخ الإسلامي.

وحقيقة نحن أمام موسوعة علمية قيمة، استطاع الباحث من خلالها أن يسيطر على مصادر ومراجع بحثه، وما فيها من معلومات كثيرة، وأن يلم شعث موضوع أحسبه من أهم الموضوعات في حضارتنا الإسلامية، يحمل قيمة علمية بالغة الأهمية، تكشف عن سمو لهذا الدين في تشريعاته، وعمق إصلاحاته، وصلابته في مواجهة انحرافات المجتمع الجاهلي، ورقي تعاليمه، وإنصافه وعدالته الاجتماعية، والمسلم؛ بل وغير المسلم، اليوم بحاجة إلى الاطلاع على هذا الكتاب، ليعرف عن كثب عمق المواجهة التي قام بها الإسلام في محاربة الطبقية، وإقامة العدالة، والمساواة الحقيقية، لينعكس ذلك على سلوكه هو شخصياً، وليؤثر ذلك في اعتزاز المسلم بدينه، كما أن غير المسلم بحاجة إلى هذا الكتاب؛ فهو كتاب دعوة إلى الله قبل كل شيء، يبين أن هذا الدين للناس كافة، وأنه لا فرق فيه بين أبيض أو أسود، وأنه دين أنصف المستضعفين والمحتقرين في المجتمعات، وأنه الدين الذي أقام البناء الحقيقي لحقوق الإنسان، ونص على ذلك صريحاً، في دستور المسلمين في الكتاب والسنة، وطبق ذلك عملياً في الفئات المستضعفه فيه فرفع من شأنها وأعطاها حقوقها كاملة، وحرر عقولها وقلوبها من الرق بسبب اللون، وقدم للعالم أجمع من تلك الفئات العلماء والقادة والنابغين

في شتى العلوم والمعارف، وفتح الباب على مصراعيه لكل بني آدم للمنافسة الشريفة، دون أن يثقل شخص أو يقيده أو يعوقه بأمر موروث، سواء كان لوناً أو نسباً أو غيره.

ومع جودة المضمون في هذا الكتاب، فإن مؤلفه أبدع أيما إبداع في أسلوب العرض، فكما بشرت القارئ الكريم بجودة المعلومة، وتوثيقها، فإني أيضا أزف إليه، أني قد وجدت أثناء قراءتي لهذا الكتاب متعة خاصة، صاحبتي طيلة قراءتي له، شدني لها سلاسة الأسلوب، وترابط المعلومات. أسأل المولى أن يثيب الباحث، ويجزيه خير الجزاء على هذا البحث القيم.

ولن يغيب عني إطلاقا، الشكر والثناء والدعاء للقائمين على مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، وفي مقدمتهم معالي الأستاذ الكريم فيصل بن عبدالرحمن بن معمّر، المشرف العام على المكتبة، وسعادة الأستاذ الكريم الدكتور عبدالكريم بن عبدالرحمن الزيد، نائب المشرف العام، والإخوة الزملاء فيها، على اهتمامهم بالبحث العلمي، وحسن اختيارهم للموضوعات وللباحثين المتميزين، وقيامهم بطباعة هذا الكتب وتبادلها مع دور المعرفة، وهذا شكر عام، ثم أشكرهم شكراً خاصاً على حسن اختيار هذا الموضوع، وحسن اختيار الباحث، فقد حالفهم الحظ في الاختيار، وحالف الباحث التوفيق أيضاً في هذا الجهد العلمي، وإني إذ أقدم هذا البحث للقراء، أنصح بقراءته، وأدعو إلى تعميم نشره، وتبادله مع دور المعرفة، وتوسيع دائرة الاستفادة منه.

وأختم بالشكر الجزيل، والامتنان العميق للقائمين على المكتبة، على حسن ظنهم بي، حينما شرفوني بقراءة هذا الكتاب، وتقديمه للقراء.

وفق الله الجميع للخير ، وسدد الخطى وبارك في الجهود.

مقدمة المؤلف

أدى السُّود في تاريخ الإسلام وحضارته أدواراً مهمة، في شتى المجالات، فقد عاصروا الدَّعوة الإسلامية منذ بدايتها، ومنهم مَن آمن مع أول المؤمنين، وقصص تحملهم للعذاب برمضاء مكة مشهورة. فأول صوت يعلن الأذان بالصَّلاة كان من بين السُّود صوتٌ حبشيٌ، هو المؤذن بلال بن رباح، منهم المقاتلون في الغزواتَ والحروب كافة، والفقهاء والرُّواة والشُّعراء، ولم يقتصر أداء هذا الدَّور على الرِّجال إنما كان للنِّساء السَّوداوات حضوراً معروفاً.

تعرضت هذه الفئة من البشر عالمياً، عبر التَّاريخ، إلى ما عُرف بعصر الرِّق أو العبوديَّة، كانوا يباعونَ في أسواق الرِّق إلَى زمن قريب حيث نشطت وراجت هذه التِّجارة عالمياً، أكثر من السَّابق، بعد اكتشاف أمريكا، وذلك لحاجة العالم الجديد والبلدان الأوروبية إلَى يد عاملة لزراعة الأرض وتشغيل المصانع، ولم ينته هذا الوضع رسمياً حتى زمن متأخرة، أي في غضون القرن التَّاسع عشر الميلادي، بفعل مساعٍ حثيثة استمرت نحو مئة عام.

كانت العبودية موجودة قبل الإسلام، ولم تتقيد بلون، فأغلب عبيد الرُّومان واليونان كانوا من البيض، من أسرى الحروب وأسواق الرَّقيق أيضاً، يوم كانت تجارتها رابحة ورائجة. فالعَبد يفقد حريته بمجرد أن يصبح أسيراً، ومقابل ألاَّ يُقتل يتحول إلى بضاعة وآلة بيد مالكه، يُسخره في العمل أين ما شاء ومتى ما شاء، ولا يُعاقب السَّيد لإيذاء و حتى لو قتل عبده لأنه ملكه الخاص، ومِن حقه التَّصرف به.

هذا ما لحظناه في مواد شريعة الملك حامورابي، بالعراق القديم، فليس بين مواد هذه الشَّريعة ما يُصنف لصالح العبد بأي حال مِن الأحوال. كذلك يلاحظ

ذلك في القوانين الرّومانية واليونانية القديمة، فلم يجد الباحثون في هذا الشَّان ما يُفسر لمصلحة العبد كإنسان، إلا لماماً، وما يُثقل العبودية على السُّود، عنه على البيض، إضافة عبء التَّمييز باللَّون.

فقد صار التَّمايز ضدهم على أساسين: حق التَّملك واختلاف اللَّون. دينياً أنصفت اليهودية العبيد، قياساً بتقاليد زمنها السَّائدة، لكنها لم تنصف إلا العبرانيين منهم، فقد حُددت عبوديتهم بانتهاء الأسباب، وفي كلِّ الأحوال يصبح العبراني العبد حراً بعد ست سنوات من عبوديته، إلا إذا أراد أن يبقى عبداً عند سيده بإرادته، وعند ذاك يُختم كعبد.

درسنا أمر السُّود في الإسلام، كعبيد وعتقاء، ووجدنا إمكانية التَّمييز بين زمنين: صدر الإسلام، والعهود التي تلته. ففي صدر الإسلام أصبح العبد واحداً من جماعة المسلمين بمجرد أن يشهر إسلامه، له ما لهم وعليه ما عليهم، حتى كُلف رجال عديدون من السُّود بقيادة الجيش، ووردت آيات قرآنية وأحاديث نبويَّة توصي بهم خيراً، تُرَغب بالعتق للمملوكين منهم، مقابل الكفارة عن الذَّنب، وليس أسهل من العتق في الفقه الإسلامي.

جاءت وصايا بواجب المؤاخاة بين المالكين أو الأسياد وعبيدهم، حتى فُهم من هذه المعاملة أنها بداية التَّحرير الكامل، أو مثلما عبر عنه الشَّيخ عبد الرَّحمن الكواكبي (ت ١٩٠٢م) بالإلغاء التَّدريجي للعبودية وعَصر الرِّق، مثلما سيأتي ذكره في محله من الكتاب. لكنَّ بعد هذا العصر، وبالتَّدريج، تغيرت المعاملة بَعض الشَّيء، وَالسَّبب أنه صارت حاجة للعبيد في زراعة الأرض والخدمة المنزلية الخاصة، وكان مصدرهم الرَّئيس من الحبشة وغرب إفريقية.

وجدنا بين السُّود شعراءَ كباراً، تركوا بصماتهم في الأدب العربي، واقتربوا من مجالس الخلفاء والأمراء وتقدموا فيها، حتى صار لا يُستغنى عنهم، بل إن بعضهم

قُدم على شعراء كبار سارت الرّكبان بقصائدهم كهمام بن غالب الفرزدق وجرير الخطفي (توفيا ١١٠ هـ). كان الفصل الخاص بالشُّعراء السُّود من أوسع فصول الكتاب، وذاك لكثرتهم ووفرة المصادر في ترجماتهم وسيرهم ورواية شعرهم، وما ارتبط منهم بالحوادث السِّياسية والاجتماعية، كبيعة أبي جعفر المنصور (ت١٥٨هـ) لابنه محمد المهدي (ت ١٦٩هـ)، وما حصل من انتقام ضد الأمويين بسبب قصائد أحدهم، وهو سُديف بن ميمون (قُتل ١٤٦هـ) مثلاً.

لكنَّ تلك المدة التي تلت صدر الإسلام، واختلفت فيها معاملة السُّود على ما كانت عليه، دفعت كُتاباً ومؤرخين مسلمين مشهورين إلى التَّذكير بفضائل هؤلاء البشر، كصحابة وفقهاء وشُعراء ومتصوفة. كان من أهم وأول ما صُنف فيهم الرِّسالة الموسومة بـ«فخر السُّودان على البيضان» لأديب عصره عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، ثم رسالة في «تفضيل السُّود على البيض» لأبي العباس عبد الله بن محمد النَّاشئ الأكبر (٢٩٣هـ)، وكتاب أبي بكر محمد بن خلف بن المرزبان (ت ٣٠٩هـ)، الموسوم بـ«السُّودان وفضلهم على البيضان». ثم تلتهما كتب ورسائل أُخر، والأبرز بينها كان كتاب أبي الفرج عبد الرَّحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) الموسوم بـ«تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش»، وما صنف من بعد الكتب والرَّسائل المذكورة في هذا الشَّأن.

اشتمل كتابنا هذا على ترجمات السُّود المسلمين، في مختلف عهود الإسلام، منذ فترة النَّبوة والخلافة الرَّاشدية، مروراً بالعهد الأموي فالعباسي، حتى سقوط الخلافة العباسية ببغداد (٦٥٦هـ ١٢٥٨م). فحسب تصورنا أن ما بعد هذا التَّاريخ يحتاج إلى رصد آخر، إضافة إلى صعوبة التَّمييز فيمَن هم من السُّود، فأن أبناء السُّود الأوائل قد اختلطوا مع بقية المسلمين، بسبب الزَّواج المختلط، الذي لم يكن يمنعه الإسلام في حال من الأحوال، بقدر ما ظلت تمنعه التَّقاليد والأعراف الاجتماعية القبلية، إضافة إلى كثرتهم بما قد يصعب رصدهم.

فما بعد المدة التي حصرنا البحث فيها أُتي بالسُّود من بلدانهم الأصلية عبر تجارة الرَّقيق؛ ونادراً ما يجدون الفرص السَّانحة التي تتيح لهم التقدم اجتماعياً، كالفرص التي منحها الإسلام للأوائل من السُّود كفقهاء وشعراء، مثل الفرصة التي سنحت لكافور الأخشيدي (ت ٣٥٧هـ) أن يكون حاكماً بأمره على مصر، بوراثة عرش سيده الأخشيدي، والفرصة التي اقتنصها آل نجاح الأحباش (القرن الخامس الهجري)، عبيد آل زياد ملوك صنعاء وزبيد، ليقيموا دولتهم بزبيد من بلاد اليمن، وسيدرك القارئ هذا الأمر من رصد حياتهم وسيرهم، وما أحاط بها من حوادث سياسية ومؤثرات اجتماعية.

احتوى الكتاب على بابين اشتملا عشرة فصول: الباب الأول، بُحث في فصله الأول المصادر التي تناولت السُّود، منها المختص بهم فقط، والمصادر العامة، ونفهم من شرح دواعي تصنيف تلك الكتب أنها جاءت دفاعاً عن السُّود، الذين ظُلموا اجتماعياً وميزوا بسبب اللَّون، وكيف أن حكاية سواد لون ذرية حام وعبوديتهم لذرية إخوانه كانت التبرير الأول لهذا التَّمييز، وقد أفضنا في آراء المؤلفين العرب والمسلمين الأوائل القاضية بتكذيبها وتأكيد اختلاقها، كجماعة إخوان الصَّفا وخلان الوفا (القرن الرابع الهجري) في رسائلهم، وابن الجوزي (ت ٥٢٧ هـ) في كتابه «تنوير الغبش في فضل السُّودان والغبش»، وما جاء بعده من كتب ليست قليلة ككتاب «رفع شأن الحبشان»، للمؤرخ والمفسر جلال الدِّين السَّيوطي (ت ٩١١هـ).

جاء الفصل الثَّاني، من الباب الأول، في دراسة وضع السُّود والعبودية قبل الإسلام، بداية من عهد بابل (قبل الميلاد) مروراً بالرُّومان واليونان الأقدمين، ثم تسليط الضَّوء على ما جاء به النَّص التَّوراتي من معاملة العبيد، وما كان يحصل من عتق وتوضيح أسبابه آنذاك، إلى العهود الأوروبية المتأخرة، مروراً بالدَّعوات لإلغاء العبودية وتجارة الرَّقيق، وما تأثير ذلك على إلغاء العبودية وهذا النّوع من التِّجارة ببلاد مصر وعُمان وتونس والمملكة العربية السُّعودية. ندرك جيداً من خلال هذه

الدِّراسة أن العبودية كانت عالمية وتاريخية، ومن الصَّعب بمكان أن تلغى في نطاق دولة أو حضارة دون أخرى، فقد كانت تجارة وممَارسة مترابطة عالمياً.

يأتي الفصل الثَّالث، من الباب الأول، مختصاً بالعبودية ومعاملة السُّود والعتق في الإسلام على وَجه التَّحديد، موضحين ذلك عبر النُّصوص القرآنية والأَحاديث النَّبوية، والتَّرغيب في الفقه على العتق أو الحرية.

وجدنا أن هناك ثورات، ولتكن تسميتها حراكاً اجتماعياً، فأفردنا له الفصل الرَّابع وهو الأخير من الباب الأول، تحت عنوان ثورات السُّود وتمردهم، في ما قاموا به بالبصرة ثلاث مرات، وفي فترات مختلفة، وذلك لكثرتهم هناك. حصل التَّمرد الأول والثَّاني خلال القرن الأول الهجري، بينما حصل التَّمرد الثَّالث في منتصف القرن الثَّالث الهجري، وكان الأخير عبارة عن ثورة خطيرة على الخلافة العباسية، فقد طالت معارك العبيد الزُّنوج مع الخلافة لخمس عشرة سنةً بين كرٍّ وفرٍّ، حتى كادت تعصف بها وتدخل سامراء وبغداد.

أما التَّمرد الرَّابع، وهو الثَّالث من حيث التَّسلسل الزَّمني فقد وقع بالمدينة، وقصته تختلف عن الثَّلاثة، وذلك لصِلته بطغيان الجُند وعبثهم في الأسواق، ولم يحصل لأنفسهم وإنما تضامناً مع التُّجار والباعة، مثلما سنرى الصُّورة الواضحة في رواية الحادثة.

تناولت فصول الباب الثَّاني السِّتة، وما نعتبره مادة الكتاب الأساسية، سير وترجمات أعلام السُّود المسلمين، ومن خلالها نتعرف على دور كلٍّ منهم، وفي مجاله بالتَّحديد، وآثرنا أن نوزع التَّراجم أو السِّير على الزَّمن. رصدنا في الفصل الأول شخصيات السُّود في العهد النَّبوي والرَّاشدي، الَّذين أدوا أدواراً لا تقل عن أدوار الآخرين، في نشر الدَّعوة الإسلامية والدِّفاع عنها في سنواتها الأُول، من المشاركة في الغزوات والفتوح إلى التَّعليم الدِّيني كرواة حديث أو فقهاء كبارَ، ومنهم مِن رجال ونساء مَن كان قريباً جداً مِن بيت النّبوة والخلفاء الرَّاشدين.

اختص الفصل الثَّاني، من الباب الثَّاني، بشخصيات أو أعلام السُّود في العهد الأموي، وظهر فيه الفقهاءَ والشُّعراء، ولم نترك أهل الفن الذين حضوا بحضور بائنٍ في الغناء والموسيقى، حتى عدَّ بعضهم من الملحنين الأوائل، أو من المؤسسين في هذا الفن. أما الفصل الثَّالث فتناول السُّود في العهد العباسي، وفي أكثر من بلاد، من العراق والشَّام ومصر والأندلس، بينهم مَن صار حاكماً ووزيراً، ومنهم مَن اشتهر بالتَّصوف، وكانت تلك المدة بداية هذا المجال، وبينهم المقاتلون وحتى الأطباء الحجامين، وأهم شخصية في ذلك العصر هو عمرو بن بحر الجاحظ، اعتمدنا في ضمه إلى السُّود على رواية قريبه، التي رواها عنه أكثر من مؤرخ. صحيح أن الجاحظ من أهل البصرة، حيث يكثر وجود السُّود، وصنفَ رسالة في فخر السُّودان، وهيَ الأولى بهذا الضَّرب من التَّصنيف، إلا أن ذلك لا يكفي أن يصنف من السُّود لولا الرّواية التي ذكرناها واعتمدها عدد من المؤرخين.

وجدنا للنِّساء السَّوداوات أدواراً مختلفة، ومنهنَّ صحابيات وشاعرات ومربيات، فأفردنا لهنَّ فصلاً خاصاً، وهو الفصل الرَّابع من الباب الثَّاني، وهذا لا لاعتبار سوى تقسيم الكتاب إلى فصول، وتسليط الضَّوء على شخصياتهنَّ على حدة، كلٍّ واحدة من موقعها وفي زمنها، وهو نهج نهجه المؤلفين القدماء في التَّراجم، كالكتب التي صُنفت في تاريخ الصَّحابة، وكتب التَّراجم العامة، وكان للنِّساء في تلك المؤلفات الأبواب الخاصة بهنَّ.

أفردنا للشُّعراء السُّود، على مختلف أزمانهم، الفصل الخامس من الباب الثَّاني، وجاء أوسع الفصول، وذلك لكثرة الشُّعراء، وهم الذين تبنوا مواجهة الدِّفاع عن أبناء جلدتهم بقصائد بنى مؤلفون عليها ما كتبوا عنهم، محاولين رد الدُّونية بسبب اللَّون، ومنهم مَن أدى دوراً في الحوادث السِّياسية والاجتماعية إيجاباً أو سلباً، مثلما تقدمت الإشارة.

أما آخر فصول الكتاب، وهو الفصل السَّادس من الباب الثَّاني، فكان مختصاً بأبناء الحبشيات أو السَّوداوات على العموم، من آباء من غير السُّود، وهنا يأتي الالتباس بسبب اللَّون، فكثيراً منهم عند الفخر بالسُّودانَ عُدوا منهم، ومعلوم أن لأبنائهنَّ، من الذين ذكرنا، حضوراً في تاريخ الإسلام، من صدره وحتى نهاية الدَّولة العباسية، فمنهم مَن تولى الخلافة مثل إبراهيم بن المهدي العباسي (ت٢٢٤هـ)، ولم يُعد من سلسة خلفاء بني العباس، ولا نعلم السَّبب هل لأن والدته كانت سوداء، أم بسبب وجود خليفة حي (عبد الله المأمون)، وكان قد أتى محله بانقلاب داخل بغداد؟ ويُرشح السَّبب الثَّاني.

قدم الكتاب بمجمله صورة واضحة عن وجود السُّود وحياتهم ومعاملاتهم في تاريخ الحضارة الإسلاميّة؛ والحريات الجزئية التي منحت لهم، بما عُرف بالعتق، ولم يمنع لون بشرتهم تقديم مواهبهم كفقهاء وشعراء وقادة جيش، ووصولهم إلى أعلى مراكز السُّلطة، مثلما تقدمت الإشارة. لكنَّ هذا لا يمنع من القسوة التي مورست ضدهم من قبل مُلاكهم، خارج الوصايا الدِّينية في الإحسان بهم والتي قادت إلى انتفاضات وتمرد مثلما حدث بالبصرة. فالأمر لم يكن يخص حضارة من الحضارات، أو دين من الأديان، إنما كان نظاماً عالمياً يصعب اختراقه بإعلان الحرية الكاملة.

بلا شك في أن الدِّراسة، بفصولها العشرة، تناولت قضية تاريخية، فلا وجود للعبوديَّة في عالمنا اليوم، وإن وجد مَن يتحدث عنها فيعنيها على المجاز لا الحقيقة، كاستغلال ظروف جماعات من البشر والاتجار بهم، مثلما نسمع عن الاتجار بالأطفال أو النِّساء، لكنَّ ذلك لا يعني أنها العبودية نفسها، التي ظل نظامها قائماً لعشرات القرون، وتوارثته الأجيال كأسياد وعبيد، وأن يتنازل ذلك الإنسان رغماً عنه كأسير أو بضاعة معروضة في سوق الرَّقيق، ليس له حقوق إلا ماندر، وكانت عالميَّة في تطبيقاتها، مع الاختلاف في التَّطبيق من حضارة إلى

أُخرى، ومن بلاد إلى بلاد، وكانت شاملة للسُّود والبيض على حدٍ سواء، مع الأخذ بالاعتبار الموقف من اللَّون وتأثيره.

ما يخص موضوعنا هم السُّود، لهذا يأتي الكشف عن تاريخ العبودية إضافة إلى الفائدة المعرفية، هناك ما تبقى من رواسب ذلك الموقف القديم تجاه السُّود، الذين ارتبط لونهم بالعبودية أو الرِّق.

فمثلما سيأتي ذكره أن العبودية انتهت بأمريكا العام (١٨٦٥م)، غير أن توابعها مثل التَّمييز العنصري وقوانينه وأعرافه ظلت سارية المفعول ضدهم، حتى ألغي رسمياً العام (١٩٦٢م)، أي أنه استمر ما يقرب القرن من الزَّمان، وأنه ظل قائماً بجنوب إفريقية، ومع أنها بلاد سُود في الأصل، سارياً المفعول لقرون عديدة، إلى بدء إلغائه في العقد الأخير من القرن العشرين.

إلا أن الأعراف الاجتماعيَّة تجاه السُّود، وبعد إلغاء نظام الرِّق بلا عودة، في العالم أجمع، ظلت تمارس، فالنَّظرة الاجتماعية مازالت غير سوية تجاه المواطنين من أُصول سُود، مع أنهم أسهموا على قَدم وساق إلى جانب الآخرين في بناء الأوطان والحضارات، وتدرجوا في الوظائف وحصلوا على التَّعليم أسوة بغيرهم، وربَّما انتهت كلِّ أشكال العنصرية إلا الاختلاط بالنَّسب، مع أن في صدر الإسلام هُدمت تلك الحدود معهم، وما كان يحصل، في هذا المجال، كأنه عودة إلى ماقبل الإسلام في شأنهم، والمسألة تخص التَّمايز باللَّون لا غير ذلك، فلو كان عبداً أبيضَ ومنح الحرية لما صار اختلاط النَّسب معه مشكلةً، لكنه التَّمييز بين إنسان وآخر على قاعدة اللَّون، مثلما تقدم.

يشعر الإنسان الأسود وحده بثقل تلك النَّظرة تجاهه بسبب اختلاف لونه؛ وما يتصل نسبه بماض غابر من الرِّق، فإذا تحررَ الرَّقيق البيض، من عبوديتهم، وسهل عليهم الاختلاط والامتزاج داخل المجتمع، فإن الرَّقيق السُّود ظل التَّعامل معهم مرتبطاً بحكاية حام، ألا وهو أن السَّواد عقوبة وقعت عليه وعلى ذريته.

لذا تحرك كُتاب ومؤرخون مسلمون لتجميل السَّواد كلون؛ ومع ذلك فبعضهم لم يتمكن من تجاوز تلك النَّظرة، فأخذ يركز على الخُلق والمروءة على أنهما يحولان السَّواد إلى بياض، ومعنى هذا على الإنسان الأسود الحرص على التَّمثل بالسُّلوك الحسن وبالجدارة في العمل، وكأن لسان حال أولئك الكُتاب يقول عندما يجدون منه اجتهاداً وتقدماً: «رغم سواده أنه كذا وكذا»، وإذا أخفق وأخطأ قالوا: «إنه أسود»! وهذا ما لا يواجهه البيض في حال من الأحوال، حتى ببلاد السُّود أنفسهم. لا تقتصر مثل هذه النَّظرة على السُّودِ حَسب، فكثيراً ما يستخدم ذلك في العنصرية بين قومية وأخرى أو بين دين وآخر أو على أساس الجنس، مثلما هو الحال بين النِّساء والرِّجال، لكنَّ ما يخص السُّود مبعثه آخر وقديم جداً، إنه اختلاف اللَّون.

قبل البدء في البحث حرصنا على مشاهدة فيلم «١٢ عاماً من العبودية»، وكانت سناريو الفيلم مأخوذة عن قصة حقيقة وقعت لأحد السُّودَ بأمريكا، قبل قانون العتق الجماعي بسنوات، ولم يكن هذا الإنسان عبداً حينها، لكنَّ بتحايل أحد النَّصَابين البيض عليه تمكن من تقييده وبيعه كعبدٍ.

ظل هكذا عبداً بين سنتي (١٨٤١ - ١٨٥٣م) تملكه أسياد قساة، حتى عثر على مكانه أحد السَّاعين لإلغاء العبودية ويكشف قصة النَّصب التي تعرض لها؛ واختطف بسببها من أسرته ليكون عبداً عند صاحب مزرعة، ويُباع لصاحب مزرعة أخرى، كان الثَّانيَ أكثر قسوةً عليه من الأول، مع وجود عبيد سُود من أبناء جلدته مهانين معه وكان يتألم لأجلهم، حصَلت تلك القصة قبل تغيير الدُّستَور الأمريكي وإقرار قانون إلغاء الرِّق بجهود الرَّئيس الأمريكي أبراهام لينكولن، الذي كانت مساندته للسُّود أحد أبرز الدَّوافع لاغتياله في السَّنة نفسها (١٨٦٥م).

بعدها عندما اطلعت على الوصايا التي جاءت، في صدر الإسلام والتَّرغيب على العِتق، واتخاذ العبد كأخ في حالة عدم عِتقه، وتيسير مسألة العِتق في الفقه،

إلى أبعد ما يكون من التَّسهيل، وما أوردناه من شعر ونثر في مدح السُّود، وجدتُ في هذا التَّاريخ تفوقاً إنسانياً وحضارياً في هذه القضية بالذات، لكنَّ الزَّمن يدور وتتجاوز العهود التي تلت صدر الإسلام لتصبح العبودية سوقاً مربحة، وأن يأتي التَّأثير لإلغاء العبودية وتجارة الرَّقيق من أوروبا، بفعل الدَّعوات الاجتماعية والسِّياسية المكثفة لوضع حد لهذه الظاهرة.

ربَّما فكر الكثيرون بتاريخ معاملة السُّود، بعد انتخاب الرّئيس براك أوباما (٢٠٠٨م) لرئاسة بلاد مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وهو المتحدر من أُصول إفريقية، ووقع على أجداده وأبناء جلدته الرِّق، في شكل من الأشكال، وها هو الرَّئيس الرَّابع والأربعون للولايات المتحدة الأمريكية وزوجته الإفريقية الأُصول أيضاً تصبح سيدة أمريكا الأُولى، ويفوز فوزاً كبيراً لولايتين (٢٠٠٨ و٢٠١٢م)، وقبل ذلك صار الأسود رئيساً لأركان القوات الأمريكية المشتركة، وأن يتبوأ السُّود وزارة الخارجية والأمن القومي، بعد أن كان الأسود، حتى ١٩٦٢م، معزولاً في الحياة العامة، ناهيك عن الحياة السِّياسية والوظائف الحكومية.

أقول: مَن يقرأ الكتاب عليه التَّفكير بحوادث وتفاصيل الماضي، البعيد والقريب، والتَّطورات البشرية، كي يبدأ بالنَّظر إلى أن الإنسان مهما كان لونه يبقى إنساناً. وأن اللَّون ليس بمميز بين البشر، فلا لون أفضل من لون. وفق الآية الكريمة: ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[1].

جاء الكتاب شاملاً لما قدرنا أن نصل إليهم من أسماء السُّود وأعلامهم، ونقصد أصحاب الأدوار، مهما كبرت أوصغرت، وما حصلنا في المصادر كي

(١) سورة الحجرات: ١٣.

نسجل ترجماتهم، وأن عدداً من الأسماء لم يحظوا بكتابة سيرة، لذا واجهنا صعوبة في جمع النزير من أخبارهم، أو ما جاء على هامش سير آخرين، في كتب التَّاريخ والأدب، بما يوجب تقديم الاعتذار مسبقاً عمَّا فاتنا ذكره في سير هؤلاء، بسبب حدود ما وصلت أيدينا إليه من المَظان.

في الختام نقول: لم يحفل مصدر من المصادر الحديثة، التي نظرنا فيها، بترجمات لسير أعلام السُّود، عدا ما قدمه الباحث المصري عبده بدوي من ترجمات وحصرها بالشُّعراء فقط، وهذا ما حاولنا سده في كتابنا هذا، أن أتينا على ما وصلنا من المصادر عن سير السُّود وأدوارهم في مختلف طبقاتهم وأزمانهم، حتى آخر يوم من أيام الدَّولة العباسية.

د. رشيد الخيُّون

سبتمبر (أيلول) ٢٠١٤

الباب الأول

في الرّق وأحوال الرَّقيق

الباب الأول

في الرّق وأحوال الرَّقيق

الفصل الأول : تمهيد في المصادر

الفصل الثاني : السُّود والرّق قبل الإسلام

الفصل الثالث : الرّق والعتق في الإسلام

الفصل الرابع : ثورات السُّود

الفَصلِ الأول

تمهيد في المصادر

ما اختص بالسُّود:

تعد المصادر الخاصة في طبقات السُّود على عدد الأصابع، واختلفت في زمن تصنيفها، لكنَّ المجمع عليه أن وراء تصنيف هذه الكتب ما عاناه السُّود بسبب اللَّون، وعلى وجه الخصوص الشُّعراء منهم بسبب التغايروالحسد بين الشعراء مثلما سيأتي ذكره. أما الصَّحابة والفقهاء فقد لاقوا التَّكريم والتَّقديم، في المجالات التي كانوا يحسنونها، سواء كان ذلك في الحروب أو الفقه أو الأدب. لكنَّ ما يلفت النَّظر أن هؤلاء احتاجوا إلى إثبات الذَّوات كي يدفعوا عنهم تلك المعاملة.

يعتبر كتاب، أو رسالة عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) الموسومة بعنوان «فخر السُّودان على البيضَان» من أول الكتب المصنفة في السُّود، وقد نُشرت مع رسائل الجاحظ مطبوعة بتحقيق عَبد السَّلام محمد هارون (ت ١٩٨٨م)، وحققت من قِبل غيره من المحققين، إلا أن الاعتماد جاء على تحقيق النِّسخة التي حققها هارون.

لا يبدو أن للَّون تأثيراً في الجاحظ في تصنيف هذه الرِّسالة الدِّفاعيَّة إن صحت العبارة؛ ذلك إذا اعتبرنا أن الجاحظ نُسل من أسرة كان جدها أسود اللَّون، حسب ما جاء برواية ابن أخته يموت بن مزرع، وهَذا ما ثبتناه في محله من الكتاب. جاء أكثر رسائل وكتب الجاحظ تلبية لطلب أحد الوجهاء، وزير أوَ قاضي قضاة أو صاحب وجاهة، فرسالة «مناقب التُّرك» مثلاً صُنفت بطلب من الوزير الفتح بن خاقان (قُتل ٢٤٧هـ)، وصنف رسالة «المعاش والمعاد» للقاضيَ أبي الوليد محمد

بن أحمد بن أبي دؤاد (ت ٢٣٩هـ)[١]، وكتاب «الحيوان» يبدو أنه كُتبه بطلب من الوزير محمد بن عبد الملك الزَّيات[٢] (قُتل ٢٣٣هـ).

ورد عنوان رسالة «فخر السُّودان على البيضان» عند أبي الحسن المسعودي (ت٣٤٦ هـ)، وهو يتحدث عن الزِّنج: «فخر السُّودان ومناظرتهم مع البيضان»[٣]. وورد عنوانها عند الحموي، في ذكره لكتب الجاحظ بـ «كتاب السُّودان والبيضان»[٤]. أما الجاحظ نفسه فذكر رسالته بعنوان «مفاخرة السُّودان والحمران»[٥]. هذا، وقد جاء تسلسل رسالة السُّودان بين رسائله الرَّابعة، التي صدرت بتحقيق عبد السَّلام هارون مثلما ذكر سلفاً.

صَنف الجاحظ هذه الرِّسالة لمحمد بن عبد الملك الزَّيات، يتضح ذلك مما جاء في خاتمتها «يتلوه إن شاء الله رسالة له أيضاً إلى محمد بن عبد الملك في الجد والهزل»[٦]. ونقرأ في مقدمتها الآتي: «في محاجَّة الصُّرحاء للهُجناء وردِّ الهجاء، وجواب الأخوال الهُجناء، وأني لم أذكر فيه شيئاً من مفاخرة السُّودان. فاعلم حفظك الله أني إنما أخَّرتُ ذلك متعمداً، وذكرتُ أنَّكَ أحببت أن أكتب لك مفاخر السُّودان، فقد كتبتُ لك ما حضرني من مفاخرهم»[٧]. على أن «الصُّرحاء والهُجناء» كان كتاباً يذكر الجاحظ أن الزَّيات (حسب الحموي كان الكلام معه) قد أعابه على مجموعة كتبه، فصنف له كتاب «الحيوان».

يطلق الجاحظ صفة الأسود على الأمم الزِّنجية والحبشية والنُّوبية، يقول: «وقد عَلمتُ أنه لا يُقال للزِّنج والحبشة والنُّوبة بيضٌ ولا حمرٌ، وليس لهم اسم إلا

(١) المسعودي، مروج الذَّهب ومعادن الجوهر ١ ص ٩٢.
(٢) الحموي، معجم الأدباء ٥ ص ٢١١٧.
(٣) المصدر نفسه ١ ص ٢٠٢.
(٤) المصدر نفسه ٥ ص ٢١١٩.
(٥) الجاحظ، كتاب الحيوان ١ ص ٤.
(٦) الجاحظ، الرسائل ١ ص ٢٢٦.
(٧) المصدر نفسه ١ ص ١٧٧.

السُّود»[١]. قبلها يستهل كتابه أو رسالته بإثبات مزايا السُّودان، وتأكيد فطنهم، ويستهله بكلام لأمة سوداء بالباديَّة، عندما سألها أحدهم ونادها بالسَّوداء، فأجابته بما يغيظه: «يا أصلع». فلما قال لها: «ألست سوداء»؟ أجابته: «أو لستَ أصلع»[٢]؟ ثم يبدأ بأعلام السُّود، ممن بثت أسماؤهم في الكتب وجرت على الألسن، مثل: لقمان الحكيم، وبلال الحبشي، وسعيد بن جُبير، وقد جاءت ترجمات هؤلاء في محله من الكتاب.

اعتمد الجاحظ، في إيراد العديد من الشَّخصيات السُّود، على ثلاث قصائد ردَّ بها شعراؤها على الشَّاعر الأمويَ جرير بن عطية (ت ١١٠هـ)، والحكيم بن عياش الكلبي، وهي: قصيدة الحيقطان عندما تعرض جرير لسواده، مثلما أوردنا في ترجمة الحيقطان، ومطلع القصيدة[٣]:

لئن كنتُ جعد الرَّأس والجلدُ فاحمُ
فإني لبسطُ الكفِّ والعرضُ أزهرُ

أما القصيدة الثَّانية، التي رُدَّ فيها على جرير، فهي للشاعر سُنيح بن رباح، وقد أوردنا ترجمته في محله من الكتاب، وذلك عندما هجا جرير قومَ الأخطل بني تغلب قائلاً[٤]:

لا تطلبنَّ خؤولةً في تغلب
فالزِّنج أكرمُ منهم أخوالا

فردَّ سنيح بن رباح قائلاً قصيدة مطلعها[٥]:

ما بال كلبٍ من كليبٍ سبَّنا
أن لم يُوازن حاجباً وعِقالا

(١) الجاحظ، الرسائل ١ ص ٢١٠.
(٢) المصدر نفسه ١ ص ١٧٨.
(٣) المصدر نفسه ١ ص ١٨٣- ١٨٥.
(٤) المصدر نفسه ١ ص ١٩٠- ١٩١.
(٥) المصدر نفسه ١ ص ١٩٠.

أما القصيدة الثَّالثة فهي لعُكيم الحبشي، ردَّ فيها على قول حكيم الكلبي عندما قال[١]:

لا تفخرنَّ بخال من بني أسد
فإن أكرمَ منها الزِّنج والنوبُ

فردَّ الحبشي بقصيدة مطلعها:

ويوم غُمدان كنَّا الأُسدَ قد علموا
ويومَ يثربَ كنَّا فحلةَ العرب

من مفاخر السُّودان، حسب ما ورد في رسالة الجاحظ، أنهم قوم يمتازون بالفنون كطبع من طباعهم، وهذا ما تمتاز به الشُّعوب في إفريقية السُّوداء على العموم حتى اليوم: «وهي أطبع الخلق على الرَّقص الموقَّع الموزون، والضَّرب بالطَّبل على الإيقاع الموزون، من غير تأديب ولا تعليم»[٢]. كذلك امتازوا، حسب الجاحظ، بطيب الأفواه وحدة الألسن: «وليس في الأرض أحسن حلوقاً منهم، وليس في الأرض لغةً أخف على لسانهم من لغتهم، ولا في الأرض قومٌ أذرب ألسنة، ولا أقل تمطيطاً منهم، وليس في الأرض قومٌ إلا وأنت تصيب فيهم الأرت (حبسة اللِّسان) والفأفاء والعَي، ومَن في لسانه حُبسة»[٣].

كذلك يذكر محاسنهم في السَّخاء، وقد حاجج مَن فسر ذلك بنقص في العقل وجهل في العواقب، ولعلَّ الجاحظ هو الذي افترض هذا الافتراض وردَّ عليهم، فردَّ الجاحظ قائلاً: «بُئس ما أثنيتم على السَّخاء والأثرة، وينبغي في هذا القياس أن يكون أوفر النَّاس عقلاً وأكثر النَّاس علماً أبخل النَّاس بخلاً وأقلهم خيراً»[٤].

(١) الجاحظ، الرسائل ١ ص ٨٧.
(٢) المصدر نفسه ١ ص ١٩٥.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه ١ ص ١٩٩.

كما تعرض الجاحظ إلى الموقف من أصحاب البشرة السَّوداء في المصاهرة معهم؛ أي تزويج البنات لهم، وهذا على ما يبدو من العبارة التَّالية كان مقبولاً بين العرب قبل الإسلام. ونجده يتحدث بحال لسانهم مع العرب: «من جهلكم أنكم رأيتمونا أكفاء في الجاهليَّة في نسائكم، فلما جاء عدل الإسلام رأيتم ذلك فاسداً، وما بنا من رغبة عنكم، مع أن الباديَّة منَّا ملأى ممَن تزوج ورأسَ وسادَ، ومنع الذِّمار، وكَنفهم العدو»[١].

ثم يأتي الجاحظ بمحاسن متعلقات اللَّون الأسود، واقترانه بالخضرة والجنات، كقوله: «أحسن الخضرة ما ضارع السَّواد»[٢]. وفضل الشَّعر الأسود، وسواد العين، ومادة الكحل للعين، وهي سوداء، والكبد على أنها سوداء أيضاً، وأن أجمل الشِّفاه ما ضارع السَّواد، وأطيب الظِّل وأبرده الأسود[٣].

لا أستبعد أن صاحب الرسالة الجاحظ قد تأثر أو أخذ بنظر الاعتبار جعل العباسيين اللوّن الأسود رايةً. كيف يكون اللّون الأسود منبوذاً وراية الدولة سوداء؟ ولدينا ما يشير إلى تأثر الفقه بهذه المسألة. على سبيل المثال: تأثر الفقه الحنفي في اتخاذ السواد راية للدولة، وهو أن الإمام أبا حنيفة (ت١٥٠هـ) كان يعتبر صباغة الثوب المغتصب بالسواد ينقصه، فكان «يعد السواد نقصاناً في زمنه»[٤].

بينما تلميذاه أبو يوسف (ت ١٨٢هـ)، ومحمد بن الحسن (ت ١٨٩ هـ) «اعتبرا السواد وسائر الألوان سواء، وهذا بناءً على أن السواد نقصان عند أبي حنيفة لأنه يحرق الثوب فينقصه»[٥].

---

(١) الجاحظ، الرسائل ١ ص ١٩٩.
(٢) المصدر نفسه ١ ص ٢٠٤.
(٣) المصدر نفسه ١ ص ٢٠٦.
(٤) الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ١٠ص١٦٢.
(٥) المصدر نفسه.

كانت بداية اتخاذ لون السَّواد حداداً على قتل إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المعروف بالإمام (قُتل ١٣١هـ)، فـ «لبس شيعته السَّواد فلزمهم وصار شعاراً لهم»[١]، وهنا يكون أبو جعفر المنصور هو أول مَن جعل اللَّون الأسود رسمياً للباس والرَّايات.

على أي حال، تُعد رسالة الجاحظ أول ما صُنف بشأن السُّودان، في الأدب العربي، ثم يأتي بعدها كتاب «السُّودان وفضلهم على البيضان» لمحمد بن خلف بن المرزبان (ت ٣٠٩ هـ)، صاحب كتابي «ذم الثُّقلاء» و«تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثِّياب»، وهما مطبوعان، ويُعلق السُّيوطي على عنوان كتاب ابن المرزبَان «السُّودان وفضلهم على البيضان» معترضاً على الكاتب والكتاب: «ولا أستكثر هذا عليه، فقد ألف كتاب: تفضيل الكلاب على كثير ممَن لبَس الثِّياب، فإذا فضل الكلاب على بني آدم، لم يُكثر عليه أن يُفضَّل السُّودان على البيضان»[٢].

كذلك يذكر السُّيوطي رسالة لأبي العباس عبد الله بن محمد النَّاشئ (ت٢٩٣هـ)، يلحظها في تاريخ الحافظ زكي الدِّين عبد العظيم المنذري (ت٦٥٦هـ)، جاء في خبرها: «وقال الحافظ المنذري في تاريخه: تنازع رجلان في فضائل البيض والسُّود، فألف أبو الفضل النَّاشئ[٣] رسالة في تفضيل السُّود على البيض». يُعلق السُّيوطي على ذلك بالقول: «وهذا عندي أيضاً يُشابه الذَّي عمل مفاخرة بين الذَّهب والزُّجاج»[٤].

---

(١) العسكري، الأوائل، ص٢٥٩)، كذلك انظر: تراجع المأمون عن لباس الأخضر العلوي والعودة إلى السَّواد العباسي (الطبري، تاريخ الأمم والملوك ٧ ص٤٧٤- ٤٧٥).

(٢) السيوطي، نزهة العمر في التَّفضيل بين البيض والسمر، ص ١٣.

(٣) أورد السُّيوطي (المصدر نفسه، ص١٤) كنية الناشيء بأبي الفضل، وهو المقصود وكان معتزلياً، بغدادي أنباري وخرج إلى مصر ومات هناك (ابن خلكان، وفيات الأعيان ٢ ص٢٧٧)، وأن وجود كتاب للمنذري تحت عنوان «تاريخ مَن دخل مَصر»، وهو الذي يعنيه السَّيوطي يؤكد أن المقصود هو أبو العباس النَّاشئ الأكبر، وتكاد الكنية تكون متقاربة بين أبي الفضل وأبي العباس، على أن أبا الفضل كنية للعباس.

(٤) المصدر نفسه، ص١٤.

لم تقع يدي على رسالة النَّاشئ المذكورة، ولا كتاب ابن المرزبان هذا في شأن السُّود، على الرَّغم مما بذلنا من الجهد في البحث عنهما، على أن كتاب ابن المرزبان، حسب معلَومة أحدَهم، نُشر في العام ١٣٤١هـ بالقاهرة، من قبل إبراهيم يوسف، ونشره الأب لويس شيخو (ت١٩٢٧) في مجلة «المَشرَق» البيروتية (١٩١٢م)[١]. غير أنه بعد البحث وجدنا محقق «نزهة العمر» لم يكن دقيقاً، فليس هناك نص منشور تحت هذا العنوان في المصدر المشار إليه (المشرق ١٩١٢م)، وأن ما نشره إبراهيم يوسف (١٣٤١هـ) هو كتاب ابن المرزبان «تفضيل الكلاب على كثير ممَن لبس الثَّياب»[٢]، وليس كتاب السُّودان المطلوب.

أشتهر من المصنفات الخاصة في موضوع السُّود كتاب «تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش» للحافظ والمؤرخ أبي الفرج عبد الرَّحمن المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، ويُعد من أهم المصادر في هذا الشَّان، بعد رسالة الجاحظ وكان الأخير متقدماً على عَصره بثلاثة قرون، وإن كان ابن الجوزي لم يجمع الأعلام السُّود البارزين كافة، مركزاً في كتابه على الصُّوفيين منهم، ممَن تندر سيرهم في كتب التَّراجم؛ بل إن العديد ممَن أورده كانوا بلا أسماء، واكتفى بالإشارة إليهم بالعابد أو العابدة، مثلما فعل ذَلك في كتابه «صفة الصَّفوة» تماماً. إلا أنه زاد على رسالة الجاحظ «فخر السُّودان . . . » بإدخال أسماء عديدة .

ورد اسم الكتاب في «مرآة الزَّمان» لسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ) بعنوان «تنوير الغبش في تفسير أحوال الأعيان من أهل الحبش»، وذكره ابن خلِّكان (ت٦٨١هـ) بعنوان «تنوير الغبش في فضلَ السُّود والحبش»، وورد عندَ آخر بـ«تنوير الغبش في فضائل الحبش»[٣].

(١) السيوطي، نزهة العمر في التَّفضيل بين البيض والسمر، ص ١٣ .
(٢) انظر: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٧ ص٣٣٢ . كذلك انظر: ابن المرزبان، ذم الثُّقلاء، ص٣١ .
(٣) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص ١٦ (مقدمة المحقق).

يوجز ابن الجوزي الغرض من تصنيف كتابه «تنوير الغبش . . . «بقوله في المقدمة: «أما بعد، فإني رأيتُ جَماعة من أخيار الحبشان تنكسر قلوبهم لأجل اسوداد الألوان، فأعلمتهم أن الاعتبار بالإحسان لا بالصُّور الحسان، ووضعتُ لهم هذا الكتاب في ذكر فضل خلق كثير من الحبش والسُّودان، وقد قسمته ثمانية وعشرين باباً، والله المستعان»[١].

يستهل كتابه بالحكاية المعروفة عن أبناء نوح: سام أبو العرب وفارس والرُّوم، ويافث أبناؤه: يأجوج ومأجوج والخزر، وأما حام فأبو السُّود قاطبة[٢]. وترى ابن الجوزي يرفض الرِّواية التي شاعت عن نوح وولده حام، في تفسير سبب سواده وسواد أبنائه بالعقاب أو السّخط الإلهي[٣]. على أنه مال إلى الرَّأي القائل بتأثير المناخ على لون البَشرة، قال: «نزل بنو سام سرة الأرض وكان فيهم الأدمة والبياض، ونزل بنو يافث مجرى الشِّمال والصَّبا، فكانت فيهم الحمرة والشّقرة، ونزل بنو حام الجنوب والدُّبور فتغيرت ألوانهم»[٤].

قسم ابن الجوزي كتابه إلى ثمانية وعشرين باباً، في الأبواب الأولى أتى على مزايا السُّود وفضائلهم: «قوة البدن، وقوة القلب، وذلك يثمر الشِّجاعة، ويذكر الحبشة بالكرم الوافر، وحسن الخلق، وقلة الأذى، وضحك السّن، وطيب الأفواه، وسهولة العبارة، وعذوبة الكلام»[٥]. هذا ما عدده الجاحظ في رسالته السابقة الذِّكر. ولا يتعداه في ذكر سواد العين والكبد وسواهما من الأعضاء التي تميل ألوانها إلى السَّواد على عظمة أهميتها في الحياة؛ إلى جمال الشَّفتين المائلتين للسواد، وكلُّ هذا قد جمعه الجاحظ في رسالته، ويضيف ابن الجوزي الحبة

(١) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص ٢٩ .
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٣ .
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٥ .
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه، ص ٤٠ .

السَّوداء أو ما كان يُعرف بالشّونيز، وقيمتها في الطِّب من قبل، على أن هناك حديث يقول: «إن في الحبة السّوداء شفاء من كلِّ داء إلا السَّام»[١].

بعد أن يُعدد الأشياء الثَّمينة ثم المقدسة، كالحجر الأسود، لتأكيد فضل السَّواد، يصل ابن الجوزي إلى القول الفصل في ما يرده من كتابه، وهو «لا فضل لأبيض على أسود باللَّون وإنما الفضل بالتَّقوى». ثم ينتقل إلى باب الهجرة إلى الحبشة، ويأتي بأسماء المهاجرين من المسلمين إليها، ويذكر مَن ولد فيها من أبناء المسلمين، ويفرد أكثر من باب لملَك الحبشة النَّجاشي، وقدوم الأحباش إلى المدينة، ثم ما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ الحبشة.

كان ابن الجوزي، في هذه الأبواب وغيرها، يهيئ القارئ إلى ما يبدأه في الباب السَّابع عشر وما بعده، وهو مادة كتابه، أي تراجم السُّود، على مختلف طبقاتهم وأزمنتهم، بانتقاء الأسماء لا الجميع، وكانت البداية بـ «أشراف السُّودان من الصَّحابة». أتى ابن الجوزي، إضافة إلى تراجم الرِّجال، على تراجم النِّساء السّوداوات، وهذا ما لم نجده عند الجاحظ، ويفرد باباً للشعراء السُّود، لكنه يأخذ نماذج منهم، وهم الثَّلاثة: عنترة بن شداد، وعبد بني حساس، ونصيب بن محجن، وأبو دلامة. وزاد في تراجم الزَّهاد والزَّاهدات مثلما تقدم.

يُعد كتاب ابن الجوزي «تنوير الغبش...» مصدراً لكتب أُخر حذت حذوه في هذا الضرب من التصنيف؛ فتأتي كتب جلال الدِّين السُّيوطي (ت٩١١ هـ): «رفع شأن الحَبشان»، و«أزاهر العروش في أخبار الحبوش»، وكتاب ثالث له موضوع آخر يتعلق إلى حد ما بموضوعنا، سيأتي ذكره.

كان كتابا السيوطي مختصين بالسُّود، ويبدوان متشابهان في متنهما: الأول: «رفع شأن الحبشان»، يقول المصنف في سبب تصنيفه لهذا الكتاب: «كتاب وضعته في فضل الحبَش، مرتب على مقدمة وسبعة فصول وخاتمة، ولم أخله من الفوائد

(١) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص ٤٨.

مهمة ونفائس يتشوف إليها على الهمة، وسميته: رفع شأن الحبشان. وقد وقفت على كتاب في هذا المعنى للحافظ أبي فرج ابن الجوزي سماه: تَنوير الغبش. فرأيته لم يستوف ولا قارب، حتى أن للزيادة مجالاً ولاستدراك ما فاته بهجة وجمالاً، فكان هذا الكتاب تلخيصاً له وإكمالاً، وأضحى لتمامه كالبدر وذاك هلالاً»[١].

اقتدى السُّيوطي بأسلوب ومعلومات ابن الجوزي، في «تنوير الغبش»، كذكر الأسانيد، وابتدأ مثلما بدأ الأول بعرض أخبار أولاد نوح: سام ويافث وحام، وأن الأخير كان أبا السُّود، وما جاء في القرآن الكريم من لغة الحبشة، وما ورد في الحديث الشَّريف عنهم، ثم يذكر الهجرة إلى الحبشة، واسماء المهاجرين وقصة النَّجاشي معهم، ولا يزيد على ما جاء في «تنوير الغبش» شيئاً في الأمر.

ثم يأتي على تراجم الأشخاص ويبدأ بالنَّجاشي وبلال بن رباح، وكلّ مَن جاء ذكره في التنوير، ويُزيد بذكر كافور الأخشيدي وكافور الصُّوري وآخرين، وقد أَدرجنا تراجمهم في محلَه من الكتاب. ويحذف ما جاء لدى ابن الجوزي من تراجم مختصرة للزاهدات والزُّهاد، ومَن لم تُذكر أسماؤهن وأسماؤهم ثم يأتي على سبب سوادهم ويزيد على ما جاء عند ابن الجوزي بتأكيد بعض الأحاديث، التي نفاها الأخير.

بعد هذا أتى كتابه «أزهار العروش في أخبار الحبوش» مطابقاً لـ «رفع شأن الحبشان»، وكأنه مختصر له، وذلك بحذفه للأسانيد. يقول السُّيوطي في مقدمة كتَابه الأخير: «هذا كتاب يُسمَّى أزهار العروش في أخبار الحبوش، لخَّصته من كتابي المسمَّى رفع شأن الحبشان»[٢]. ويغلب على الظَّن أنه لولا هذه العبارة، التي استهل فيها السُّيوطي كتابَه الأزهار لقيل إنه التلخيص والعنوان من فعلَ النُّساخ أو أصحاب الوراقة.

(١) رفع شأن الحبشان، ص ٥٩.
(٢) أزهار العروش في أخبار الحبوش، ص٤٣.

كان اختيار ابن الجوزي لعنوان «تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش» والسُّيوطي لعنوان «رفع شأن الحبشان» و«وأزهار العروش في أخبار الحبوش» يشيران إلى التَّعريف بهذا الجنسِ من البشر، والتَّذكير بدورهم في صدر الإسلام وما بعده، وذلك لكثرة الحط منهم بسبب اللَّون، بينما جاء وقع عنوان رسالة الجاحظ «فخر السُّودان على البيضان»، وعنوان كتاب ابن المرزبان «السُّودان وفضلهم على البيضان» قوياً في الانتصار للسُّود، بعد وضعهما بمنزلة المفاخرة مع البيض، وهذا ما جعل السُّيوطي يحتج على عنوان ابن المرزبان، مثلما تقدم.

أما كتاب السُّيوطي الثَّالث، أو بالأحرى كتيبه: «نزهة العمر في التفضيل بين البيض والسُّود والسُّمر»، فنجده كتاباً شعرياً، يقابل به بين المرأة البيضاء والسَّمراء والسَّوداء. جمعه من دواوين الشّعراء وما اختاره من أصحاب كتب الأدب العامة في هذا المجال، ككتاب «عيون الأخبار» لابن قُتيبة (ت٢٧٦هـ)، وكتاب «محاضرات الأدباء» لأبي الفضل الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، و«المستطرف في كلِّ فن مستظرف» لشهاب الدّين محمد الأبشيهي (ت٨٥٢ هـ)، وسواهم من أصحاب هذا الفن. قسم السُّيوطي كُتابه الأخير إلى ثلاثة أقسام: ما قيل في البَيض والسُّود والسُّمر[1].

بعد الإمامين ابن الجوزي والسُّيوطي، بفترة طويلة، صنف خطيب المدينة المنورة محمد بن عبدالباقي البخاري (ت٩٩٣هـ) كتابه «الطراز المنقوش في محاسن الحبوش»، قُبيل وفاته بنحو سنتين. مقتدياً أثرهما في هذا الضَّرب من التَّأليف. جاء في مقدمتة: «خطر لي في هذه الأيام الشَّريفة، والأوقات الرَّائقَة المنيفة، أعني عام إحدى وتسعين وتسعمائة من الهجرة النَّبويَّة أن أؤلِّف رسالة يُستدل بها على فضل الحبوش، العبوس منهم والبشوش، الإماء منهم والموالي،

(١) انظر: نزهة العمر في التَّفضيل بين البيض والسُّود والسُّمر، ص١٤. غير أن عنوان الغلاف جاء ناقصاً من السُّود، وقد خص المؤلف السُّود فصله الثَّالث، ص٣٩ وما بعدها.

الذين هم إنسان عين الموالي، حيث تشرف طائفة منهم بخدمة النَّبي ¤ وخدمة آله وأصحابه الكرام، وكان أربعة منهم من سادات أهل الجنة، كما ورد ذلك في كتب السُّنَّة معترضاً فيها لذكر مناقبهمَ العلية، ومراتبهم السَّنية، وما لهم من أنفس شريفة، وأخلاق رائقة لطيفة، ومحاسن ورشاقة وملاحة»[١].

اعتمد البخاري في هذا الكتاب على كتابيَ السُّيوطي، ذكر ذلك في المقدمة قائلاً: «فكنتُ ألتقط الفرائد من محاسنهم، واجمع الفوائد في مناقبهم مما جاء في ذلك من الأحاديث الشَّريفة والآيات والقصائد اللطيفة والأبيات، إلى أن ظفرتُ برسالَتي الشَّيخ العلامة، والحجة الفهامة جلال الدِّين أُسَّيوطي رحمه الله. إحداهما برفع شأن الحبشانَ، والأخرى أزهار العروش في أخبار الحبوش، فاستمددتُ منهما، فكَان فيهما غاية المدد، واستغنيتُ بهما عن سائر الكتب والعُدد»[٢]. أهدى البخاري كتابه «الطِّراز...» إلى سُلطان الحجاز، وحينها كان الشَّريف حسين بن حسن بن أبي نُمي بن بركات[٣].

كان سبب تصنيف هذا الكتاب، حسب مقدمة المؤلف، وجود كثرة الحبوش في خدمة سلطان الحجاز، والقول له: «فإنه لما بلغني وعلمتُ أن غالب عبيده وخدامه الملازمين لأعتابه وخيامه من العبيد والإماء؛ مَن به (في النَّص بله) لاذوا، حبوش كرام، وأُسود عظام، أهَل قوة وعزم وشوكة وحزم، ورأي وتدبير (إلى قوله) أحببت أن أتقرب إلى خاطره الشَّريف، وعنصره اللَّطيف بمدح عبيده وخدمه وأتباعه وحشمه، وأذكر ما لهم من الفضل»[٤]. تقريباً اقتصر البخاري كتابه على سير الحبوش الأوائل، ولم يأتَ بشخصيَّة من بين خدم سلطان الحجاز

(١) الطراز المنقوش في محاسن الحبوش، ص ٢٨.
(٢) المَصدر نفسه، ص ٢٨.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٩.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٠.

الذين كانوا سبب تأليف الكتاب، وزاد على السّيوطي بذِكر القصائد المطولات التي قِيلت في الحبوش.

يظهر عنوان الكتاب «الطِّراز المنقوش في محاسن الحبوش» نفسه ضمن مؤلفات نور الدِّين علي بن إبراهيم الحلبي (ت١٠٤٤ هـ/ ١٦٣٥م) صاحب السِّيرة «إنسان العيون في سيرة النَّبي المأمون»[١]، وقد ذكره صاحب «هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين» إسماعيل باشا البغدادي (ت١٩٢٠)، بعنوان «الطِراز المنقوش في أوصاف الحبوش»[٢]. بينما لم يأت ذكر لهذا الكتاب بين مؤلَفات الحلبي عند صاحب «معجم المؤلفين» عمر رضا كحالَة (ت١٩٨٧)[٣].

نظرنا في مخطوط «الإلمام بأخبار مَن بالحبشة من ملوك الإسلام»، لمؤلفه تقي الدِّين أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥ هـ)، أتى فيه على تاريخ الحبشة واسمها، وأسماء الدُّول التي تداولت عليها، من زمن النَّجاشي وحتى أيام المقريزي، مثل بلاد الزيلع، ومملكة أوفات، ومملكَة داوود، ومملكة أرابيني، ومملكة هدَّية، ومملكة شرخا، ومملكة بالي، ومملكة داره، وأن جميع ملوك هذه البلاد كانوا نواباً عن الخطي وهو سلطان الحبشة، وما جاور هذه الممالك من ممالك المسلمين أيضاً كالسَّواكن ودهلك وناصع. تحدث المقريزي عن مذاهبَ تلك الممالك والغالب منها على المذهب الحنفي، وعرج على الحروب والانقسامات التي تعرضت لها تلك البلاد، على أن بلاد الحبشة غير معروفة لدى العرب في زمنه، أو قصده أن التَّفاصيل التي أتى بها غير معروفة، وإلا فالحبشة كانت ناراً على علم عند العرب المسلمين، بما يتعلق بالعلاقات القديمة، وبهجرة الصَّحابة الأولين إليها من مكة، وما يتعلق بشخصية ملكها النَّجاشي.

(١) الزِّركلي، الأعلام قاموس تراجم ٥ ص٥٤ .
(٢) هدية العارفين ١ ص٧٥٥- ٧٥٦ .
(٣) معجم المؤلفين ٧ ص٣ .

كان المؤرخ المقريزي قد كتب رسالته أو كتيبه «الإلمام . . .» على السَّماع من العارفين بشأن الحبشة خلال مجاورته بمكة المكرمة؛ وذلك السَّنة (٨٣٩هـ). قَال في المستهل: «وبعد، فهذه جملة من أخبار الطَّايفة القايمة بالملة الإسلاميَّة ببلاد الحبشة، المجاهدين في سبيل الله، مَن كفر به وصدَّ عن سبيله، تلقيتها بمكة شرفها الله تعالى أيام مجاورتي بها في سنة تسع وثلاثين وثماني مائة من العارفين بأخبارها»[١]. يبدأ بذكر أخبار الحبشة، وكان قد أنجز كتابه المذكور السَّنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م. أي قبل وفاَته بأربع سنوات[٢].

نختم الحديث عن المصادر القديمة في شأن السُّود، أو الرَّقيق على العموم في ديار الإسلام، برسالة الطَّبيب المختار بن الحسن بن عبدون، المعروف بابن بطلان (ت٤٥٨ هـ)، وعنوانها «رسالة جامعة نافعة لفنون في شري الرَّقيق وتقليب العبيد»، وهو عبارة عن كناشة أو أصل في نصائح مُلاك الرَّقيق ومشتريهم، والتحذير من حيل النَّخاسين والإماء والرَّقيق، والغالب عليها أمور طبية ونصائح في الشِّراء. تؤكد هذه الرِّسالة على شيوع أسواق النَّخاسة، ليس للسود فقط بل لمختلف الأمم في العصر الوسيط.

ينصح بشراء الجواري حسب الحاجة إليهنَّ، مثلاً خص النُّوبيات منهنَّ لحضانة الأطفال، وحسب رسالته أنه اعتمد على آراء الحكماء الأقدمين والمشتهرين في ممارسة النَّخاسة. وقد ميز بين أُصول السُّود الثَّلاثة: الزِّنج والحبش والنُّوب[٣].

بقدر ما نجد رسالة ابن بطلان الطَّبيب نادرة وطريفة في موضوعها إلا أنها مؤلمة، قياساً بعصرنا الحاضر، بعد إلغاء تجارة الرَّقيق في العالم إلغاءً تاماً. نقرأ في سيرته أنه طبيب نصراني مِن أهالي بغداد، سافر إلى مصر ومرَّ بحلب، والتقى

(١) انظر: المقريزي، الإلمام بأخبار مَن بأرض الحبشة مِن ملوك الإسلام، أو أخبار الحبشة، مخطوط، الورقة: ١-٤.
(٢) المصدر نفسه، خاتمة الرسالة، حسب ملاحظة الناسخ.
(٣) الرسالة الجامعة، ص٣٧٥.

بالطَّبيب علي بن رضوان (ت ٤٥٣هـ)[١]، الذي أشار صاحب طبقات الأطباء ابن أبي أُصيبعة (ت٦٦٨هـ) بأنه أسود اللَّون[٢]، وكان بين الطَّبيبين، ابن رضوان وابن بطلان، ردود واعتراضات، مع العلم أن ابن أبي أُصيبعة لم يذكر «الرِّسالة النَّافعة. . .»[٣] بين مؤلفات ابنَ بطلان وسنأتي على ترجمة الطبيب ابن رضوان في مكانه.

يتصل بموضوع رسالة ابن بطلان، في شأن شراء الرَّقيق، رسالة ألفها شخص اسمه محمد الغزالي «هداية المريد في تقليب العبيد»، وحسب محققها أن المؤلف كان من المغمورين، لا يُعرف عنه شيئاً سوى هذه الرِّسالة المهداة إلى أحد موظفي مصرَ في العهد العثماني (٩٢٣- ١٢١٢هـ)، يُدعى أحمد بن محمد أفندي الدِّيار المصريَّة. ليس فيها زيادة ملحوظة على رسالة ابن بطلان، سوى التحذير من الرَّقيق الذَّكي، لأنه يستعمل الحيلة مع مالكه، ولا يكون حَسن الانقياد[٤]، ويؤكد في الخاتمة على نفع الرِّياضة البدنية، وقد وضح شروطها[٥].

ما تقدم كان أبرز ما صنفه الأقدمون بخصوص طبقات السُّود وأحوالهم، وكلٍّ مؤلف وقف عند العصر الذي عاشه، فقد زاد ابن الجوزي على ما ورد في رسالة «فخر السُّودان على البيضان» للجاحظ، ثم زاد السُّيوطي بعض الشَّيء على ورد في «تنوير الغبش» لابن الجوزي، ولا نرى إضافات جديَّة لدى البخاري والأزهري. أما رسالة المقريزي في أخبار الحبشة فكانت عبارة عن تاريخ سياسي مختصر لبلاد الحبشة، وفي فترات متأخرة، لم يتضمنها كتابنا، فقد ختمناه عند سقوط عاصمة الخلافة العباسية (٦٥٦هـ). وبعد النَّظر في المخطوط عثرنا على

(١) انظر: ابن أبي أُصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢ ص٢٣٨ وما بعدها.
(٢) المصدر نفسه ٢ ص٢٣٩.
(٣) إضافة إلى صدورها محققة، أكد وجودها: كحالة، مُعجم المؤلفين ١٢ ص٢١٠، والزَّركلي، الأعلام قاموس تراجم ٨ ص٦٩.
(٤) هداية المريد، ص٤٠٧.
(٥) المصدر نفسه، ص٤٠٩.

رسائل المقريزي، وكانت «الإلمام» منشورة بينها في كتاب مطبوع وصادر عن دار الحديث بالقاهرة السَّنة ١٩٩٨م، عن مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، رقم: ٤٥٦٧ من دون الإشارة إلى المخطوط الذي بأيدينا عن الكتبخانة الأزهرية.

المراجع الحديثة:

نأتي إلى مَن اختص بشأن السّوُد في العصر الحديث، ومَن أفرد بحثاً وكتاباً لهم ولطبقاتهم، في الأدب والشِّعر على العموم، وفي الموقف الإنساني منهم بسبب عقدة اللَّون. لعلَّه من الأوائل، إن لم يكن الأول، ممَن اهتم من المحدثين أو المتأخرين في شأن السُّود، هو الشَّيخ أحمد الحفني القنائي الأزهري (ت بعد ١٩٠٣) في كتابه «الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان»، وقد عزا المؤلف في المقدمة سبب تأليف كتابه هذا بنهضة الحبشة، وما يود به من التَّقارب مع هذه البلاد.

قال: «ولما كان هذا الزَّمان زمن نهضة الأمة الحبشية، التي استوجبت بسببها لمح الأنظار وتوجه الأفكار إليها، وتحابب الملوك وتوادد الأمراء معها، وكان يخفي على الكثير ما كان لسلفنا الصالح مع سلفها من التوادد والتَّحابب، والتَّواصل والتَّقارب، أحببت أن أضع كتاباً يتضمن بيان ذلك، مع ذكر ما يمكن الوقوف عليه من المباحث البلدانية والحوادث التَّاريخية المتعلقة ببلادها»[1].

ربَّما كان لتأليف هذا الكتاب غاية لتوطيد العلاقة بين مصر والحبشة (إثيوبيا اليوم)، فقد حفل هذا الكتاب بمديح وثناء كبار علماء مصر، كأئمة جامع الأزهر مثل الشَّيخ سليم البشري المالكي (ت١٩١٦)، والشَّيخ حسونة النَّواوي الحنفي (ت١٩٢٤)، وآخرون من خطباء ومدرسي الأزهر. هذا مجرد رأي عن دوافع تأليف الكتاب، بما يفهم من مقدمة المؤلف، وعلى ما يبدو قد بذل المؤلف جهداً في البحث.

(١) الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان، ص: ج.

لم يكن كتاب الأزهري القنائي نسخاً عن الكتب التي سبقته في هذا المجال، إلا بخصوص التراجم مثلما تقدم، وقد سافر العام ١٣١١هـ (١٨٩٣)، أي في عهد السُّلطان عبد الحميد الثَّاني(ت ١٩١٨) إلى الأستانة التي سماها «دار السعادة العلية ومركز الخلافة الإسلامية» للبحث في مكتباتها فقال: «وأخذت أطوف على ديار كتبها العزيزة الوجود»[١].

لقد ذكر مصادره في السِّيرة والتَّراجم، ومنها كتب الأجانب المعربة نصوصها[٢]، وذكر الكتب المختصة بالحبشان السُّود، ككتابي السُّيوطي: «أزهار العروش» و«رفع شأن الحبشان»، وكتاب علاء الدين محمد بن عبد الباقي البخاري (ت٩٩٣ هـ) «الطراز المنقوش»، وكتاب تقي الدِّين أحمد المقريزي (ت٨٤٥ هـ): «الإلمام بأخبار مَن بالحبشة من ملوك الإسلام».

إلا أننا لم نجد بين مصادره كتاب «تنوير الغبش» لابن الجوزي، ولا رسالة «فخر السُّودان» للجاحظ، ولا كتابي ابن المرزبان والنَّاشيء فيهم، وهي الأساس فيما صُنف في شأن السُّود والحبشان، وعلى وجه الخصوص ما جاء في الكتابين الأولين. هذا و الجدير بالذِّكر أن أصل عنوان الكتاب، حسب مقدمة مؤلفه الأزهري: «الجواهر الحسان بما جاء عن الله والرَّسول وعلماء التَّاريخ في الحبشان»[٣].

لعلَّ الباحث الآخر الذي سبق إلى البحث في شأن السُّود، وتقصى صلاتهم بالعرب، ثم تنوع مواهبهم، هو الباحث السُّوداني عون الشَّريف قاسم (١٩٣٣-٢٠٠٦م). فقد كتب بحثاً نشر في مجلة «دراسات سودانيَّة» (يوليو/ تموز ١٩٦٨م)، التي يرأس تحريرها. تحدث فيه عن الصِّلات القديمة بين الجزيرة العربية

(١) الجواهر الحسان في تاريخ الحيشان، ص: ج.
(٢) انظر: المصَدر نفسه، ص: هَـ.
(٣) انظر: المصدر نفسه.

وإفريقية، مبيناً ذلك عبر ازدهار التِّجارة، ومع عدم دقة المقتبسات من كتب التراث، إلا أن البحث كان على مستوى من الأهمية في هذا المجال.

مثل إيراده لسمك «الأشبول» الذي قال عنه الجاحظ بأنه يأتي إلى دجلة من بحر الزِّنج؛ وأتى برواية مختلفة لكنها تصب في المعنى نفسه[١]. فما يوجد عند الجاحظ هو سمك «البرستُوج». قال: «إلا أن البرستوج يُقبل إلينا قاطعاً من بلاد الزِّنج يستعذب الماء من دجلة البَصرة، يعرف ذلك جميع الزِّنج والبحريين»[٢].

أتى عون الشَّريف قاسم على تسميَّة السُّودان، التي تُطلَق على كلِّ السُّود، وفي أحيان تجده يميز بين السُّودان والزِّنج والحبش[٣]، وكذلك على ما يعبر عن السَّواد بالاخضرار والأدمة، وأتى على نوابغ السُّود من الشُّعراء وسواهم، وبمقتطفات من سيرهم، كشواهد لا أكثر. شغل بحث «السُّودان في حياة العرب وأدبهم» (ص٧٦- ٩٢) من المجلة المذكورة. ناقلاً العديد من الأسماء من رسالة الجاحظ السَّابقة الذِّكر، وكتب الطَّبقات.

لم يُلاحظ أنه نظر في الكتب التي اختصت بشأن السُّود ماعدا رسالة الجاحظ «فخر السُّودان على البيضان». فلم ينظر في كتاب ابن الجوزي «تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش»، ولا في كتابيّ السُّيوطي: «رفع شأنه الحبشان» و«أزهار العروش»، ولا كتاب البخاري «الطِّراز المنقوش» ولا كتاب القنائي الأزهري «الجواهر الحسان»، وكان الكتاب الأخير قد طُبع في مطبعة بولاق ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م.

(١) عون الشَّريف قاسم، السُّودان في حياة العرب وأدبهم، مجلة الدراسات السودانيَّة، المجلد الأول، العدد الأول، يوليو ١٩٦٨ ص٧٦ عن كتاب الحيوان، طبعة القاهرة.
(٢) الجاحظ، كتاب الحيوان ٣ ص٢٦١.
(٣) عون الشَّريف قاسم، السُّودان في حياة العرب وأدبهم، مجلة الدراسات السودانيَّة، المجلد الأول، العدد الأول، يوليو ١٩٦٨ ص٧٧.

لقد أشار المستشرق البريطاني- الأمريكي برنارد لويس إلى بحث عون الشَّريف قاسم في كتابه "Race and color in islam" (العرق واللَّون في الإسلام)، وهو يتحدث عن معاملة المسلمين للسُّود قائلاً: «أثبت المسلمون حريتهم في شعور من الأكثر إقناعا من كلِّ البراهين: بأنهم قدموا بناتهم إلى السُّود المسلمين في الزَّواج»[١]. نجد لويس يشير في الهامش إلى بحث عون الشَّريف قاسم قائلاً: «لقد استفدت كثيراً من هذا العمل»[٢]، ولعلَّه كان حافزه بتأليف كتيبته «العِرق واللَّون في الإسلام».

يأتي بعد بحث عون الشَّريف قاسم، الأكثر اختصاصاً في هذا التَّأليف، ما ألفه الأديب والنَّاقد المصري عبده بدوي (ت٢٠٠٥)، فله كتاب صريح بشأن السُّود أصدره تحت عنوان «الشُّعراء السُّود وخصائصهم في الشّعر العربي». انتهى من تأليفه (١٩٨٧م)، وصدر عن الهيئة المصريَّة العامة للكتاب (١٩٨٨م)، وكان عَملاً فاتحاً في مجال الشّعراء السُّود، فقد جمع من الشُّعراء ذوي السحنة السَّوداء عدداً غير قليل، مبتدئاً بما عُرف في التُّراث العَربي بالشُّعراء «الأغربة»، وقد أُختلف في عددهم، عدهم المؤلف بثلاثة، قائلاً: «الذين نراح إليهم هم: عنترة، وخفاف، والسُّليك»[٣].

بدأ كتابه بالشَّاعر والفارس ذائع الصِّيت عنترة بن شداد (قبل الإسلام)؛ وانتهى بإبراهيم الكانمي، وهو من مخضرمي القرنين السَّادس والسَّابع الهجريين. مترجماً لأربعة وعشرين شاعراً، وقد اعتبر الخليفة العباسي، غير المعترف به، إبراهيم بن المهدي (ت٢٢٤هـ) أحدهم، مع أنه، كما ورد في بعض سيرته، كان من أُمٍّ سوداء، فسواده لم يكن من أبيه فهو إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المَنصور، خلفاء بني العباس. وجدنا بعض الخلل في روايات الكتاب واقترانها

(١) Lewis, Race and color in islam, p2 and beyond.
(٢) انظر المصدر نفسه، الهامش.
(٣) بدوي، الشُّعراء السُّود، ص٢٩.

بمصادرها، وعلى وجه الخصوص في إثبات الشَّاعر عبدة بن الطَّبيب (ت٢٥هـ) كونه من السُّود، وغير ذلك، لكنَّ هذا لا يخل في الكتاب ولا يطعن في جهد مؤلفه، ولا يُقلل من قيمته البحثية.

حسب المؤلف أن سبب، أو دافع تأليف هذا الكتاب، هو عدم وجود إنصاف تجاه الشُّعراء السُّود عند مؤرخي الأدب الأقدمين. قال: «حينما كانوا يتكلمون عنهم كانوا يتكلمون وكأنهم يتصدقون على هؤلاء الوافدين على الحضارة العربية. نعم فقد كان همَّ بعض مَن تكلم عنهم أن يتكلم كلاماً سريعاً وبائراً، قد يقصد به في الغالب الطَّعن عليهم، والحفر في جروحهم»[1].

أتى بدوي بأمثلة كشواهد على التَّقليل من شأن الشُّعراء السُّود في تاريخ الأدب العربي؛ مثل ما ورد في كتاب «فحول الشُّعراء» لأبي حاتم عبد الملك الأصمعي (ت٢١٦هـ) عندما سُئل عن سُحيم قال: «فصيح وهو زُنجي أسود، وسأله عن أبي دُلامة فقال: عبد رأيته، مولد حبشي، ثم سُئل أفصيح كان؟ فقال: هو صالح للفصاحة، وسُئل عن أبي عطاء السِّندي فقال: عبدٌ أخرب! بل الأمر لم يقف عند الكُتّاب، وإنما تعداهم إلى الشُّعراء الذين يشتركون معهم في قول الشِّعر، فهؤلاء كانوا محنة حقيقية للشُّعراء السُّود، فما أكثر ما تهكموا عليهم»[2].

هذا صحيح، وقد صادفنا الكثير من مثل هذا الكلام عند البحث في سير الشُّعراء السُّود؛ الذين خصصنا لهم الفصل الخامس من الباب الثَّاني من كتابنا هذا. إلا أن الأمر كان يختلف مع تراجم السُّود الذين عاشوا في صدر الإسلام عنه في العهود التي تلته. لكنَّ خلافاً لملاحظة بدوي المذكورة في مقدمة كتابه فإن التُّراث العربي الإسلامي الأدبي كان محتفياً بنوابغ السُّود من الشُّعراء؛

(١) بدوي، الشُّعراء السُّود، ص٣.
(٢) المصدر نفسه.

مثلما ورد في «طبقات الشُّعراء» لابن المعتز (قُتل ٢٩٦هـ)، وكتاب «الشِّعر والشُّعراء» لابن قُتيبة (ت٢٧٦هـ)، وكتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) وسواها.

وبالجملة كان دافع إفراد بدوي كتاباً خاصاً بالشُّعراء السُّود[١] هو غيابهم عن الأضواء بما ساعد «على نسيانهم وتواريهم» حسب عبارته. غير أن شعراء كثيرين، ممن يمكن اعتبارهم من البيض، قد أهملوا، بينما أسماء وأخبار مثل: سديف بن ميمون وأبي عطاء السِّندي وأبي دُلامة مثلاً ملأت كُتب الأدب كشِّعر وسيرة، وانتشرت أخبار الشُّعراء الأغربة وكثرت الدراسات عنهم.

إن طبيعة المجتمع وأعرافه وتقاليده، وهذا شأن الأمم الغربية أيضاً، التَّعامل بدونية مع هؤلاء، إلا ما تميزوا به من مواهب ومواقف. فكم شاعر أسود ذُكر بلا اسم أب، أو بلا اسم من الأساس، كالحيقطان، وسُحيم عبد بني الحساس وسواهما، وهذا العيب ليس في مؤرخي الأدب العربي وإنما في طبيعة المجتمع نفسه آنذاك.

إلا أن مشكلة بدوي في كتابه «الشُّعراء السُّود» أنه جعل كلَّ صاحب سحنة سوداء على أنه من السُّود، من دون اعتبار للنَّسب، فالعبرة ليس أن يكون الإنسان ذو سحنة سوداء أو سمراء، إنما يُعد أسودَ بنسبه من أب أو أمٍّ أو كليهما. مثال على ذلك أنه اعتبر قيس بن عمرو بن مالك الملقبَ بالنَّجاشي منهم، «لأن لونه كان يشبه لون الأحباش»، وهذا كان سبب تسميته بالنَّجاشي[٢]. كذلك عدَّ بدوي الفضل بن عباس بن عُتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب من الشُّعراء السُّود، وهذا أبوه أبو لهب وأُمُّه آمنة بنت العباس بن عبد المطلب[٣]، على أن السَّواد لحقه من جدته لأمه، وهذا ليس بعذر.

---

(١) ذُكر أن أصل الكتاب أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه العام ١٩٦٩ (مقال: صلاح رشيد، موقع رابطة أدباء الشَّام، على الرابط: http://www.odabasham.net/show.php?sid=29708).

(٢) بدوي، الشُّعراء السُّود، ص١٠١.

(٣) المصدر نفسه، ص١١٣.

فمثلاً المتكلم أبو الهُذيل العلاف (ت٢٢٧هـ)، شيخ المعتزلة في زمانه، أن من صنفهم المعتزلة بالملاحدة كانوا يقولون في قوة مناظرته: «لولا هذا الزِّرجي (شديد السُّمرة) لخطبنا بالإلحاد على المنابر»[١]، فهل يمكن عده مثلاً من السُّود لمجرد هذه العبارة؟ كذلك قيل في صفة الخليفة محمد المهدي بن المنصور (ت١٦٩هـ) بأنه كان أسمر البشرة، وكان أبوه مثلما نعرف وأمُّه حميرية[٢]، فهل يُعد من السُّود؟

كذلك مثلاً علي الطَّبيب الإفريقي لم نجد اسماً لأبيه ولا كنيةً ولا من أي بلد تحدر؛ سوى أنه «مرتزق بالطِّب في الدَّولة الحمادية»[٣]. فلا يكفي أن يَكون لقبه إفريقي على أنه من السُّود، مع عدم وجود نسب له، مثلما الكثير من السُّود.

يبقى عبده بدوي جاهداً في التَّذكير بدور السُّود، فبعد كتابه «الشُّعراء السُّود» السَّابق الذِّكر يصدر له كتاب «السُّود والحضارة العربية» (القاهرة: ١٩٧٦م)، جاء في مقدمته: «إن السُّود لم يكونوا مجرد بقع سُود (وردت سوداء) عديمة على الخريطة العربية». منوهاً بدور الإسلام في «رفع الخوف وكلَّ ما يفتت روح الإنسان، صحيح أنه كان هناك مَن يغلق هذه الأبواب الرَّحبة، أو يُقارب بين بعضها بعضاً، ولكنّ هذا لم يحل تماماً دون تألق الإنسان الأسود في بعض الفترات»[٤].

يرى عبده بدوي، في كتابه «السُّود والحضارة العربية» أن الشُّعوبيَّة في العهد العباسي، بمعناها الحقيقي طلب المساواة والعدالة بين الشُّعوب على أساس الدِّين والعمل «فرقة لا تُفَضِّل العرب على العَجم»[٥]، لا تعني السُّود على أساس اللَّون بمكان. قالَ: «لاحظتُ أن الذين كتبوا عن الشُّعوبيَّة لم يتعرضوا للسُّود، مع أنهم

(١) أبو القاسم البلخي، القاضي عبد الجبار، الحاكم الجشمي، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص٢٥٨.
(٢) ابن الكازروني، مختصر التَّاريخ من أول الزَّمان إلى منتهى بني العباس، ص١١٨.
(٣) القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص١٥٩. انظر في تاريخ الدولة الحمادية: عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التَّاريخ الجزائري، ص٦٩ وما بعدها.
(٤) بدوي، السُّود والحضارة العربيَة، ص٥.
(٥) الجوهري، الصَّحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١ ص١٥٥.

تعرضوا للفرس والنَّبط والأندلسيين، وأما هذا أثبت أن السُّود لم يكونوا مجرد زوائد تتدلى من نسيج العالم الإسلامي، فقد كانوا بحق متفجرين بالغضب وراغبين في المَساواة»[١].

يتبع بدوي ذلك مؤكداً أن السُّود هم رواد الشُّعوبيَّة، بمنحاها المعروف الدَّعوة إلى المساواة لا الحط من الآخر. يقول: «استقر لديَّ أن الشُّعراء السُّود كانوا هم الرُّواد الحقيقيينَ للشّعوبيَّة وليس الشُّعراء الفرس، فالشُّعوبيون ابتداؤهم أنصار المساواة الأولى في الإسلام، وهم يطلون بصفة خاصة مِن الملامح العربية للخوارج»[٢].

بهذا تكون أبرز فكرة تبناها بدوي في كتابة «السُّود والحضارة العربية»: قضية الشُّعوبية، على أنها جاءت أولاً من قبل السُّود لا من الفرس وغيرهم من الأعاجم، وقد أفرد لها فصلاً خاصاً من الكتاب. كذلك بحث في شأن الجنس وتمايز النَّاس على أساسه وأساس اللُّون.

مع اختلافنا معه في شأن الشُّعوبية كمذهب بدأ لطلب المساواة بين الشُّعوب وانتهى إلى شعور قومي متعال، وعادة يحركه الدَّافع السِّياسي أو الدِّيني، لكنه لم يكن للسُّود مطامح في السِّياسة، على مستوى جماعات، وليس هم على صلة روحيَّة بديانة غير الإسلام، أما ما عُرف وشاع بثورات الزُّنوج، بالبصرة على وجه التَّحديد، لا صلة لها باللَّون، وكانت أكبرها (السَّنة ٢٥٥هـ) شراكة بين بيض وسُود، مثلما سيأتي تفصيل ذلك لاحقاً.

كان بدوي، مؤلف الكتابين المذكورين في قضايا السُّود، شاعراً وناقداً اختص إلى حد كبير بالشَّأن الإفريقي، فأطروحته للماجستير كانت عن الشِّعر في السُّودان

(١) بدوي، السُّود والحضارة العربية، ص ٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ٦.

(١٩٦١م)، وصدر له «الشِّعر في السُّودان»، الذي تعرض فيه إلى تاريخ منطقة النُّوبة والشَّعب النُّوبي، وما ورد بشأنها عند المؤرخين المسلمين، وعن صلاتها بمصر[١].

عاش وعمل في جامعة الكويت، وعاش هناك حتى السَّنة ١٩٩٠م، ثم قضى بقية حياته بمصر حتى وفاته (٢٠٠٥م). ما يلفت النَّظر أن الباحث بدوي لم يلتفت إلى الجهد الذي قدمه، وسبقه به، الباحث عون الشَّريف قاسم، مع أنه كان مهتماً بالشَّأن الإفريقي والسُّودان أيضاً. فمثلما تقدم كان لقاسم كتاب تحت عنوان «الشِّعر في السُّودان»، والمجلة التي نشر فيها كانت سودانيَّة، وهو من أبرز وأبكر الذين تناولوا شأن السُّود والسُّودان من بين المعاصرين.

من جانبها عنت أيضاً مجلة «حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية»، الصَّادرة بالكويت (تأسست ١٩٨٦م) بتراث السُّود، في واحدة من حولياتها، بقراءة لكتابيَ الجاحظ «فخر السُّودان...»، وابن الجوزي «تنويرَ الغبش...»، قرأهما عبد الله محمد الغزالي، مع تمهيد عن السُّود قبل وخلال العصر العباسي، معرفاً بهما ومبرزاً النُّقاط المهمة التي وردت فيها، مع تبيين منهجي المؤلَفين في معالجة كلّ منهما للموضوع. فالجاحظ رصد موضوعه من الواقع الاجتماعي وبالأسلوب الأدبي المعروف به، مقدماً السُّود كمحتجين[٢]، بينما كان منهج ابن الجوزي الرصد الدِّيني النَّقلي[٣]، هذا وفرق الاتجاه بينهما كان معروفاً.

من الكتب الصَّادرة حديثاً، والتي اختص موضوعها بالسُّود كان كتاب «الباَحث البحريني كاظم نادر» تمثيلات الآخر صورة السُّود في المتخيل العربي الوسيط»، والصَّادر ببيروت عن المؤسسة العربية للدِّراسات والنَّشر (٢٠٠٤م) عني الكتاب بفضح تمييز أصحاب البشرة السَّوداء في الأدب العربي على العموم،

(١) انظر: بدوي، الشِّعر في السودان، كتاب عالم المعرفة، العدد ٤١ مايو (أيار) ١٩٨١ ص١٧ وما بعدها.
(٢) انظر: الغزالي، السُّود في التراث الإسلامي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية: ٢٠ الرسالة: ١٣٨ السنة ١٩٩٩- ٢٠٠٠ ص٥٩ وما بعدها..
(٣) انظر: المصدر نفسه، ص٨٦ وما بعدها.

مشيراً إلى أن العتق، الذي شجع عليه الإسلام بقوة، كان طريقةً أو أسلوباً للقضاء التَّدريجي على الرِّق أو العبودية، مثلما كان حاصلاً في صدر الإسلام، وفي الخلافة الرَّاشدية، لكنَّ الأمر انقلب بعدها بسبب الحاجة إلى الرَّقيق[١]. وهذا ما سبق إليه بوضوح وبالنص عبدالرحمن الكواكبي (ت ١٩٠٢م) في رسالة له في هذا الشأن سيأتي ذكرها لاحقاً.

ضمَّن نادر كتابه نصوصاً أدبية، نثرية وشعرية، كسرد صورة الأسود في قصص «ألف ليلة وليلة»، والملاحم المتخيلة الأُخر، وارتباط هذه الصُّورة بميزات خاصة، لها علاقة بلون البّشرة. جاء الكتاب ناقداً بالكامل، ونظر إلى الجاحظ، الذي أشار إلى أنه ينتسب إلى الزُّنوج، لكنَّ رسالة «فخر السُّودان على البيضان» لم تكن سوى ألاعيب في اللغة، وغير صادقة، على أنه ذكر السُّودان في كتبه الأُخر بسوء، وأنه يكتب بتوجيه السُّلطة[٢]، وما كانت رسالته في السُّودان سوى من باب «تحسين القبيح وتقبيح الحسن»[٣]، أو: «للتدليل على قدرته على الَاحتجاج للشيء (السُّودان) ونقضه (البيضان)»[٤].

بينما أشار إلى رسالتي النَّاشئ وابن المرزبان بالصَّادقتين، قائلاً: «وهما الرسالتان اللتان كانتا صادقتين وجادتين في الاستدلال على حُسن الحَسنْ لا على تقبيح الحَسنْ»[٥]، ويغلب على الظن أن المؤلف لم يطلع على النَصين، فهما من الكتب المفقَودة ولا أجده استشهد بأي منهما ولم يضمهما إلى قائمة ثبت المصادر في كتابه كي يحكم بصدقهما، سوى أنه نظر في نقد السُّيوطي للأخير. احتج المؤلف في كتابه بمادة ثرية لتأكيد وجود اختلاف ثالث بعد العِرق والدِّين هو «اللُّون» المتجذر في السَّرد الأدبي العربي[٦].

(١) أنظر: تمثلات الآخر، ص١٢٣.
(٢) أنظر: المصدر نفسه، ص٢٥٥ وما بعدها.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٧٢.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) أنظر: المصدر نفسه، ص٢٧٢- ٢٧٣.
(٦) انظر: المصدر نفسه، ص٦٦.

كذلك أفردت الباحثة الإماراتية فاطمة المزروعي، في كتابها «تمثيلات الآخر في أدب ما قبل الإسلام» جزءاً لتمثيلات السُّود من الفصل الرَّابع الخاص بشعوب الرُّوم والحبشة والهند والأمم الأُخر، في ثلاثي: الحَبشة والزِّنج والنُّوبة، فما يجمع هذه الشعوب هو الجد «حام» والبشرة السَّوداء، ذاكرة سببين أسطوريين في علة سواد هذه الأمم، فإضافة إلى السَّبب المعروف، والمعتمد على القصة التي وردَت في «العهد القديم»، بغضب نبي الله نوح على ولده حام، أنه خالف أمر أبيه باعتزال النِّساء[1]، نقلاً عن رواية قديمة سنأتي إليها في محلها من الكتاب.

تجاوزت الباحثة المزروعي الموقف العربي قبل الإسلام إلى الإسلام، وكيف جعل التَّقوى مقياساً في الإنسانية، وأن ما جاء بعد ذلك، من تراجع في الموقف من السُّود، كان موقفاً اجتماعياً «مع أن كثيراً من السُّود قد نالَوا حقوقهم»[2] بعد العتق. تناولت موقف الفارس الأسود والشَّاعر عنترة بن شداد رافضاً لتلك التَّقاليد التي ميزته بالدُّونية بسبب لونه، وشُعراء سُود آخرين كانوا قد ذادوا عن إنسانيتهم في أشعارهم.

يأتي كُتيب «الإسلام الأسود»، الذي صدر ضمن سلسلة «الإسلام واحداً متعدداً» لمؤلفه محمد شقرون، رداً على تسمية «الإسلام الأسود»، والمقصود به الإسلام بجنوب الصَّحراء الكبرى، أو ما عُبر عنه بـ «الإسلام الإفريقي». فالفكرة أن الإسلام واحد ومتنوع، وذلك يختلف وفقاً لاختلاف البيئات، بينما هو كدين واحد، على أن هذا المصطلح قد أُستخدم من قبل الاستعمار الأوروبي للمنطقة، وبالتالي هي «فكرة غربيَّة تعتمد الجنس، وتبحث عن الاختلاف وتركز عليه لغايات كانت وراء نشرها في بداية القرن الماضي، لكنها شاعت منذ استعملها بول بارتي، وس. أندريه في أوائل القرن (العشرين)، وما رسيل كاردير في أواسطه،

(١) انظر: تمثيلات الآخر في أدب قبل الإسلام، ص٢١١ عن كتاب التَّيجان لوهب بن منبه.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٢٠.

حتى وردت كتابات بعض الأفارقة في الربع الأخير منه، وهي تبقى في حاجة إلى تمحيص يؤكد وحدة الإسلام جنوب الصَّحراء واختلافه عن غيره»[١].

يُلخص كتيب «الإسلام الأسود» أحوال المسلمين في جنوب الصحراء الكبرى، أي إفريقية، في طرق تصوفهم ومذهبهم، وحركاتهم الاجتماعية والسياسية، وهو استخدم مصطلح «الإسلام الأسود» على الرَّغم من نقده أو اعتراضه على اعتباره كان تصنيفاً استعمارياً غربياً، من أجل الهيمنة، لَكنَّ مؤلفه شقرون يجد ما يميز المسلمين هناك عن غيرهم، ليسَ على أساس اللَّون إنما على أساس ثقافي واجتماعي لا عقائدي إيماني.

يقول محمد شقرون في كتابه ناقداً تسمية «الإسلام الأسود«: «لقد استُعمل المصطلح في فترة الاستعمار الأوروبي، لنعت الإسلام جنوب الصَّحراء الكبرى على أساس اختلافه عن الإسلام في المناطق الأخرى، وعلى اعتبار صبغته التَّأليفية بين الإسلام العربي وعقائد المنطقة قبل دخول الإسلام، وكان ذلك محاولة لفصل مناطق جنوب الصَّحراء عن جوارها العربي الإسلامي في الشِّمال وفي الشَّرق، ذلك الجوار الذي بدأت فيه حركات المقاومة تستغل الشُّعور الدِّيني لتحرير البلاد من الهيمنة الغربيَّة، وكان حركة النَّهضة في المشرق العربي تسعى إلى توحيد المسلَمين على أُسس لم يكن الدِّين بعيداً عنها، بل كان العنصر الرئيسي فيها، ومنها دعوات الكواكبي والأفغاني»[٢].

كان كُتيب شقرون بمجمله نقداً للمصطلح، مع أنه تبناه وجعله عنواناً، ووصفاً لأحوال المسلمين الأفارقة، بجنوب الصَّحراء الكبرى، في ماضيه وحاضره، والمسلمين بتلك المنطقة، في الغالب، هم على المذهب السُّني، مع وجود مذاهب أُخر، لكنَّ بأعداد قليلة. كذلك يغلب على تلك المناطق التَّصوف على الطَّريقة المريدية[٣].

(١) شقرون، الإسلام الأسود، ص١٢- ١٣.
(٢) المصدر نفسه، ص١٣- ١٤.
(٣) انظر: المصدر نفسه، ص٧٣ وما بعدها، و٧٨ وما بعدها.

بين الكتب الأجنبية التي خصت السُّود في الإسلام يأتي كتاب الباحث برنارد لويس، المذكور سلفاً، صدر (١٩٧١م) تحت عنوان «العرق واللَّون في الإسلام» (Race and color in Islam). تقتصر أهمية هذا الكتاب على أنه الرأي الغربي تجاه هذه القضية، ومن المؤكد أن الكتاب ذو فائدة كبرى بالنِّسبة للقارئ الأجنبي، يتعرف به على نظَرة المسلمين تجاه اللَّون والعرق المغايرين. كذلك للويس كتاب آخر، صدر بعد مرور نحو عشرين عاماً علَى صدور الأول، تحت عنوان "Race and slavery in the middl east an historical enquiry».

ركز لويس في كتابه الأول، بعض الشَّيء، على النَّظرة الدُّونية لذوي البشرة السَّوداء، وهذا لم يخفه المؤرخون أو الباحثون المسلمون، وعلى ما يبدو أن فكرة الكتاب يمكن تكون مستقاة من البحث الذي نُشر في مجلة الدّراسات السُّودانيَّة، للباحث السُّوداني ولادة واليَمني أصلاً عون الشَّريف قاسم، نشره فيها العام ١٩٦٨م، وقد أشار لويس إلى ذلك، وهو الذي نبهنا إلى وجود هذا البحث القيم.

يلفت لويس النَّظر إلى إشارة جديرة بالاهتمام، بالنِّسبة للقارئ العربي والأوروبي في الوقت نفسه، وهو أن العبودية ببلاد المسلمين لا ترتبط باللَّون، مثلما هو حال العبودية بالأمريكيتين، التي اقتصرت فيهما على اللّون الأسود فقط، بينما في العصور الإسلاميَّة كان العبيد من السُّود والبيض على حد سواء[١]. أما قضية استخدام السُّود كعبيد وكجنودَ في الوقت نفسه[٢]، حسبً تعبير لويس، فهم كمسلمين، ومنهم مَن رضي به كقائد، وعدد منهم انفرد في الحكم مثل كافور الأخشيدي بمصر والشَّام، وآل نجاح باليمن.

أما الكتب التي تناولت الرِّق على العموم، دون اللَّون، فكان كتاب الحقوقي المصري مصطفى الجداوي «دراسة جديدة عن الرِّق في التَّاريخ والإسلام»

(١) Lwis, Race and color in Islam, p 38
(٢) المصدر نفسه، ص٦٩.

(الأسكندرية ١٩٦٣م)، وهو بجزأين، وما يهمنا منه الجزء الثَّاني (مصر ١٩٦٧م)، ففيه يسرد المؤلف مسألة العتق وشروطه في الإسلام، وتشجيع الإسلام عليه، وفي حالة العبودية عند العرب لا يميز بين الأسود والأبيض، في العتق أو الحقوق، ركز الكتاب على الجانب الحقوقي والتَّشريعي في ما يخص الرَّقيق.

يأتي بعده كتاب الباحث السُّوري عبد السَّلام التّرمانيني (ت١٩٩٠) «الرِّق ماضيه وحاضره»، صدر ضمن سلسة كتاب «عالم المعرفة» الكويتية (١٩٧٩م)، نجد فيه دراسة مستفيضة عن الرِّق على العموم وعالمياً، وأتى على شأن السُّود في جزء منه، موضحاً مسألة العتق، وموقف الإسلام من الرِّق، وميز معاملة المسلمين عن غيرهم، قاصداً الفترة الإسلامية الأولى والحلول التي قدمها الإسلام في تشجيعه على العتق وحسن معاملة المملوك، على أنه يُعد نظاماً طارئاً في الإسلام بينما كان نظاماً طبيعياً عند الرُّومان واليونان.

تحدث التّرمانيني عن نهاية الرِّق عالمياً، وكيف عاد بطرق ملتوية، ثم تحدث عن الفصل أو التَّمييز العنصري، ونهاية العنصرية رسمياً بأمريكا العام ١٩٦٢م بينما كان إلغاء تجارة الرَّقيق والاستعباد على أساس اللَّون ١٨٦٥م، وهو العام الذي اغتيل فيه محرر العبيد الرَّئيس الأمريكي إبراهام لينكولن. قدم التّرمانيني في كتابه تاريخاً لمسيرة الرِّق، في ماضيه وحاضره كما هو العنوان، منذ أقدم العصور وحتى العصر المتأخر، والمواقف منه عند الأديان والفلسفات، وشارحاً بتركيز موقف الدِّين الإسلامي منه.

نجد في كتاب «الرِّق في بلاد المغرب والأندلس» للباحث المغربي عبد الإله بنمليح، دراسةً وافية عن السُّود بالبلدين، وما يهمنا منه مبحثه الثَّاني: أنواع الرَّقيق وطرق استجلابه إلى بلاد المغرب والأندلس. موضحاً فيه إقبال المغاربة على اقتناء الرَّقيق السُّود، في القرنين الخامس والسَّادس الهجريين، وكانت تجارته

من إفريقية الغربية، وكانت السُّلطات تأتي بالعبيد السُّود للحراسة والقتال، وقد زَاد عددهم بقرطبة وغرناطة[١].

تم في عهد المرابطين جلب السُّود الأفارقة لغرض الفروسية، حتى وصل عدد المقاتلين المستخدمين في تلك الدَّولة بنحو أربعة آلاف أسود[٢]. ويضع بنمليح جدولاً توضحياً لوجود السُّود المغاربة والأندلسيين[٣]، غير أنه يعتمد بتصنيف السُّود على لقب «الأسود»، وهذا لم يكن دائماً دليلاً على السَّواد، قد يكون أبيض ويُنعت بالأسود، أو أن لقب الأسود لحقه من الأسرة أو العشيرة.

كذلك يذكر بنمليح في دراسته «سودان الحبشة»، بما يفيد بوجود مصدر آخر للسُّود، لم يقتصر على إفريقية الغربية كبلاد غانا وغيرها، لكنَّ لم يكن للحبوش حضور حقيق ببلاد المغرب والأندلس، ويأتي بشواهد شعرية على تأكيد وجودهم هناك كعبيد ومقاتلين أيضاً[٤]. كذلك أتى على أخبار السُّود الآتين من بلاد كانم وبلاد النُّوبة[٥].

من المراجع التي اطلعنا عليها في شأن الرّق، ولا تخص السُّود منهم، كتاب «الرِّق والرَّقيق في العصور القديمة والجاهليَّة وصدر الإسلام»، لمؤلفته الباحثة اللبنانيَّة فاطمة قدورة الشَّامي، وفيه دراسة عن الرِّق والعتق، وحقوق العبد في الإسلام[٦].

ثم كتاب الباحث المصري محمود إسماعيل «المهمشون في التَّاريخ الإسلامي»، متحدثاً فيه عن حركات الزُّنوج: بالبصرة (نحو ٧١هـ)، وهي تحت سيطرة

(١) انظر: بنمليح، الرِّق في بلاد المغرب والأندلس، ص٢٠٣ .
(٢) انظر: المصدر نفسه، ص٢٠٤ .
(٣) انظر: المصدر نفسه، ص٢٠٦- ٢٠٧ .
(٤) انظر: بنمليح، الرِّق في بلاد المغرب والأندلس، ص ٢٠٨ وما بعدها.
(٥) انظر: المصدر نفسه، ص٢١١ وما بعدها.
(٦) بيروت: دار النَّهضة ٢٠٠٤ .

مصعب بن الزُّبير (قُتل ٧٢هـ) وبالمدينة (١٤٥هـ)، والبصرة (٢٥٥-٢٧٠هـ)، مبرراً فشلها بعدم تجانس المنتفضين مذهبياً «وافتقارها إلى الإعداد والتَّنظيم»[١]. قدم دراسته على أساس طبقي، وأن عزوف المؤرخين والإخباريين عن ذكر الانتفاضة الأولى خلال العهد الأموي لسبب عِرقي عروبي، خلال «عصر عُرف باسم السِّيادة العربية»[٢].

لكنَّ ما نعرفه أن المؤرخين أتوا بأخبار حركة العبيد الأولى، ولم تكن ذات شأن ولم تدم طويلاً، وأن أعداد المشاركين فيها ليسوا بالكثير[٣]. من جانب آخر يختلف شأنها عن شأن مثيلتها في العصر العباسي، فكان عَصر المؤرخين والمدونين لا عصر الإخباريين. سار محمود إسماعيل على هدى مَن كتب قبله في شأن الثورات، التي سُميت بثورات الزُّنوج، مثل الأكاديمي العراقي فيصل السَّامر (ت١٩٨٢) «ثورة الزُّنج» (أطروحة علمية) طبعت ١٩٥٤ وَ١٩٧١م، وكتابا الباحث اللُّبناني أحمد عُلبي: «ثورة الزَّنْج، وقائدها عليّ بن محمّد» (١٩٦١م)، و«ثورة العبيد في الإسلام» (١٩٨٥م)، وهذا ما سنتناوله في محله.

من المراجع التي لها صلة ببحثنا هذا جهد المؤلف أمين توفيق الطِّيبي في كتابه «الحَبشة عربية الأُصول وَالثَّقافة»، والكتاب صدر بليبيا، جرى البحث فيه عن الأُصول العربية ببلاد الحبشة، قبل الإسلام وبعده، والوشائج المشتركة بين العرب والأحباش، وقد تناول الفصل الرَّابع منه تاريخ العرب والحبشة في صدر الإسلام، وتناول في فصله الخامس «الحبشة والمسلمون» من الألف الميلادي الأول إلى الألف والخمسمائة، وما بعده لا يدخل في موضوع بحثنا، وكان قد صدر بليبيا- طرابلس ١٩٩٣م.

(١) إسماعيل، المهمشون في التاريخ الإسلامي، ص٦٩ .
(٢) المصدر نفسه، ص٣٣ .
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٤ ص٣٨٨ .

نجد في كتاب المؤرخ العراقي صالح أحمد العلي (ت٢٠٠٣م) «التَّنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري» مادة غنية عن العبيد في الإسلام، وإن لم يشر إلى اللَّون. جاء الكتاب في الأصل كاطروحة للدكتوراه قدمها العام (١٩٤٩م) في جامعة أكسفورد، ومن الإهداء يبدو قد أشرف عليه المستشرق الإنكليزي هاملتون جب (ت١٩٧١م).

إن الحديث عن العبيد بالبصرة بالذات يعني أن أكثر المقصودين هم من السُّود؛ بحكم الوجود التَّاريخي على أرضها، وبالتَّالي أن معاملة العبيد في الإسلام لا تميز في اللَّون، وأنه تحدث عن الأسرى في حرب دخول البصرة، ثم التَّوسع إلى الشَّرق وحتى الهند، فكثر العبيد من الجند السَّابقين ضمن الجيش السَّاساني. في فصل الكتاب «العبيد» تحدث العَلي عن التَّعامل مع العبيد، بما يخص الموالاة والعتق والأعمال التي يقومون بها، مشيراً إلى وجود العبودية قديماً بالشَّرق، وأن الإسلام أقرها لكنَّه أدخل عليها تعديلات، كتحرير العبيد الذين شهروا إسلامهم، أو منع عبودية العربي، مع منع قتل العبد أو جدعه كعقوبة أو خَصيه كي يصلح للخدمة المنزلية. صدر الكتاب بطبعته الأولى العام (١٩٥٣م) وصدرت طبعته الثَّانية (١٩٦٩م).

من بين الكتب المترجمة عن لغات أجنبية، في نظام الرِّق، يأتي كتاب «العبوديَّة في العصر الحديث» تأليف الباحثة الإيطالية باتريسيا ديلبيانو؛ راصداً للعبودية بأوروبا والأمريكتين، موثقاً للقوانين المشرعة للرِّق وامتلاك السُّود والاتجار بهم، ومتابعاً للحركات الاجتماعية والسِّياسية ودور دعاة إلغاء العبودية في إصدار القوانين المحرمة للرِّق بأمريكا وبريطانيا، وفرنسا وأسبانيا والبرتغال، وذلك في القرن التَّاسع عشر، وقد وفرَ لنَّا الكتاب المذكور الإطلاع على عالم الرِّق بالبلاد الغربيَّة ومراحل تطوره وأفوله. صدر الكتاب مترجماً إلى العربية عن هيئة أبوظبي للسِّياحة والثَّقافة عبر مشروع «كلمة» (٢٠١٢م).

وصلة بموضوع السُّود والرّق، على العُموم، في القوانين الغربية نجد لدى الحقوقي الفرنسي شارل لويس مونتسكيو (١٦٨٩- ١٧٥٥م) في «روح الشَّرائع» والمترجم عن الفرنسية في طبعات أُخر بـ «روح القوانين»، معلومات وشروحاً عن قوانين الرُّومان القديمة والقوانين الأوروبية الملكية بخصوص الزُّنوج أو السُّود، وكان هذا الكتاب سبباً في تعيين مؤلفه عضواً في مجمع العلوم الملكي ببرلين ١٧٤٦م، وكان الكتاب المذكور قد طُبع العام ١٧٤٨م[١].

شغلت قضية الرَّقيق، والزُّنوج بضمنهم، الباب الخامس عشر من الجزء الأول من كتاب مونتسكيو، وجاء بعنوان «صلة قوانين الرِّق المدنيِّ بطبَيعة الإقليم»، وَجوهر عبوديّة الزُّنوج عنده هو العمل لإَحياء الأرض، وأن «اللَّون هو الذي يقوم عليه جوهر الإنسانيَّة»، ويفهم من كتابه أن الحقوقي القاضي مونتسكيو كان داعياً إلى إزالة نظام الرِّق، وكان يسميَه بالرِّق الجائر[٢].

كذلك نجد إشارات مهمة عن العبودية في الإسلام، وما يخص السُّود، لدى جيمس ديورانت (ت١٩٨١) في كتابه الذَّائع الصِّيت «قصة الحضارة»، وهو في الأصل الإنكليزي «تاريخ الحضارة»، والمترجم إلى العربية. وما نود لفت الانتباه إليه هو أن المصادر الأجنبية، ولم نطلع على كافتها، تعتبر الموالي في الإسلام عبيداً، ويترجمونها إلى (salves)، أو يكتبونها كما هي لكنهم يقصدون بها المعنى الأول.

مثل "salve solders and Islam the Genessis of military system"، أي «الجنود الرَّقيق في الإسلام ونشأة النِّظام العسكري» لدانيال بيبس (Danial Pipes). كان أصل هذا الكتاب، حسب مقدمة مؤلفه، إطروحة لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة هارفرد (١٩٧٨م)، فيها بحث عن الدَّولة العباسية والحياة العسكرية فَيها، والحقيقة أن الموالي هم المسلمون غير العرب، وهم أحرار وليسوا عبيداً، ولا تنطبق عليهم مفردة (salves) بحال مِن الأحوال.

(١) مونتسكيو، روح الشَّرائع ١ ص١٥ مقدمة المترجم.
(٢) المصدر نفسه ١ ص٣٥٦.

صحيح أنهم في الأصل تشكلوا من أسرى الحروب واسترقوا ثم عتقوا؛ وأن هناك شرطاً للمولاة وحقوق للقبيلة أَو الأسرة التي عُقد معها الولاء، لكنَّ المولى يتمتع بحريته وله الحق في امتلاك العبيد[١]، وقد صاروا وزراء وكتاب وقاد جيوش، مثلما سيأتي في ترجماتهم. القصد من هذا التَّوضيح أن مفرد العبد المذكورة لا تنطبق عليهم، لأنها خاصة بالمملوكَ غير المعتوق، والذي لا يتمتع بحق من الحقوق سوى ما تقتضيه أعراف العبودية، فتعريف الولاء: «ميراث يستحقه المرء بسبب عتق شخص في ملكه أو سبب عقد المولاة»[٢]، أي يختلف عن العبودية اختلافاً كلياً، ويُذكر في الأثر: «إن مولى القوم منهم. وسواء كان مولى رق أو مولى اصطناع وحلف»[٣]. لكن ما لاحظنه عند الأجانب أنهم تعاملوا مَع قادة كبار كعبيد[٤].

كُتب الحديث والتَّراجم والأدب العامة:

يمكن تقسيم كتب المصادر العامة إلى أربعة أصناف: كتب الحديث النَّبوي، والسِّير والتَّراجم، والتَّاريخ العام، وتاريخ الأدب والشِّعر، ويُلحق بالقسم الأخير الدَّواوين الشِّعرية، التي جُمع فيها شعر الشّعراء السُّود. ما يتعلق بكتب الحديث فتعد إحدى مصادر البحث في تاريخ وسير السُّود الصَّحابة، والمعتمدة منها: الكتب السَّتة: الجامع المسند الصَّحيح للحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٤هـ)، والمسند الصَّحيح المختصر من السُّنن للحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، والسُّنن للحافظ أبيَ عبد الله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة (ت٢٧٣).

---

(١) انظر: العلي، التَّنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ص٦٨.
(٢) الجرجاني، كتاب التعريفات، ص٢٥٥.
(٣) ابن خلدون، المقدمة ٢ ص٤٩٠.
(٤) في شأن الموالاة وتمييزها عن العبودية انظر: ابن خلدون، المصدر نفسه ٢ ص٤٩٠ وما بعدها. العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ص٧٧ وما بعدها.

و«السُّنن» للحافظ أبي داود سُليمان بن الأشعث السِّجستاني (ت٢٧٥هـ)، و«الجامع المختصر من السُّنن »للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى التَّرمذي (ت٢٧٩هـ)، و«المجتَبى من السِّنن» للحافظ أبي عبد الرَّحمن أحمد بن شُعيب النَّسائي (ت٣٠٣هـ). كانَت أهميَّة كتب الحديث كإسناد ودعم للروايات التي اقتبسناها من التَّراجم والكتب العامة، وفي أحيان تتفرد هذه الكتب بالمعلومة، بما يتعلق براويَّة حديث أو اشتراك في غزوة، أو ما يؤكد صحبة، وقد وجدنا فيها مصدراً لا يُستغنى عنه.

أما كتب التَّراجم والسِّير فتُعد المصدر الرَّئيس لمادة الكتاب، وعلى وجه الخصوص بما يتعلق في الفترة النَّبويَّة والرَّاشديَّة، ويأتي في مقدمتها كتاب «الطَّبقات الكبرى» (طبقات ابن سعد) لمحمد بن سعد المعروف بكاتب الواقدي (ت٢٣١هـ)، تجد فيها حصراً لأسماء الكثير من الصَّحابيين والصَّحابيات السُّود، وما يتعلق بالتَّابعين في العهد الأموي. وهناك الكتب التي سميت بالطَّبقات، وذلك لتوزيع تراجمها على أساس الطَّبقات.

كان البحث أولاً يعتمد على هذا الكتاب، ثم تأتي كتب التَّراجم الأُخر، حسب الأقدمية في المصادر. ففي ما يخص فترة صدر الإسلام تأتي الكتب التي اختصت في تاريخ الصَّحابة، مع الأخذ بنظر الاعتبار التَّقادم التَّاريخي فيها بدءاً من: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد المَعروف بابن عبد البرِّ (ت٤٦٣هـ)، ومن بعده كتاب «أسد الغابة في معرفة الصَّحابة» عزُّ الدِّين علي بن أبي أكرم المَعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، وبعده كتاب «الإصابة في تمييز الصَّحابة» لأحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر (ت٨٥٢هـ)، وللمؤلف الأخير أيضاً كتاب «لسان الميزان» في التَّراجم، ذكر الصَّحابة وما بعد الصَّحابة بتراجم مختصرة، وفيه الكثير عن أخبار طبقات السُّود.

إلا أن أوسع المصادر الشَّاملة، التي تجمع بين التَّاريخ والتراجم، هي: موسوعة «تاريخ مدينة دمشق» لأبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، وتأتي أهمية هذا المصدر أنه يجمع الرّوايات التي جاءت بأخبار السُّود، الذين أقاموا أو مروا بأرض الشَّام، وقد تغني أخباره عن مراجعة المصادر الأُخر، لكنَّ التَّوثيق ضروري من عدة مصادر وعلى وجوه عدة.

لم يترك ابن عساكر شخصية سوداء، على مختلف اهتمامها وتوجهها الدِّيني أو غير الدِّيني، إلا وثبت له ترجمة وافيَّة؛ والجدير بالإشارة أن كتابة التَّاريخ قد تنوعت، ومنها ما صُنف في تاريخ المدن والبلدان على أساس تاريخ وسير أعلامها، من المقيمين فيها ومن المارين عليها، ومعلوم أن ابن عساكر قد سلك منهج ابن الخَطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) في تصنيف تاريخ بغداد أو مدينة السَّلام.

يأتي بعد هذا المصدر، من حيث الأهميَّة، وكتسلسل تاريخي، «المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك»، لأبي الفرج عبد الرَّحمن المعروف بابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، وقد جمع هذا الكتاب بين التَّاريخ والتَّراجم أيضاً، وبناه على أساس سنوات الوفيات، وتجد بعض ما في هذا الكتاب موجوداً في كتب ابن الجوزي الأُخر، ككتاب «صفوة الصَّفوة»، ثم كتاب «تنوير الغبش». لكن ابن الجوزي أهمل عدداً من الشَّخصيات السُّود، فلم يكن حاوياً للجميع كما هو كتاب ابن عساكر.

عند البحث في شأن شخصية من الشَّخصيات الإسلاميَّة، على مختلف طبقاتها واتجاهاتها وعلى مدار قرون عديدة؛ لا يمكن الاستغناء عن كتاب أو معجم: «سير أعلام النُّبلاء» لشمس الدِّين محمد بن أحمد الذَّهبي (ت٧٤٨هـ)، ذلك لعلمنا أن كلَّ مؤلف يقف عند زمنه، ومعجم الذَّهبي يتعدى إلى ما بعد الخلافة الإسلاميَّة ببغداد، مثلما هو واضح من سنة وفاة المؤلف، ومن الشَّخصيات التي ترجم لها. كذلك للذَّهبي المؤرخ، في مصادرنا، كتابا تراجم،

أحدهما عام بعنوان «ميزان الاعتدال»، والآخر مختص بطبقات القراء: «معرفة القراء الكبار على الطَّبقات والإعصار».

جاءت دواوين الشُّعراء، مَن جُمعت أشعارهم، مصدر آخر، لتأكيد رواية أو قول، ككتاب «شعر سَديف بن ميمون» جمعه رضوان مهدي العبود، ساعدت جمعية مدارس النَّجف الثَّقافية الأهلية على نشره من مطبعة الغري، ١٩٧٤م ذكره في عنوان الكتاب بسَديف، بالسِّين المفتوحة، بينما أوردته الكثير من المصادر القديمة والحديثة بسُدَيف، بالسِّين المضمومة[١]. فربَّما أخذها جامع دَيوانه على السَّدف أو السَّدفة في لغة بعضهم[٢]، ونرجح ضم السِّين في اسمه.

و«شعر خفاف بن نُدبة السُّلمي» جمعه الدُّكتور نوري حمودي القيسي (ت١٩٩٤)، ساعدت جامعة بغداد على نشر من مطبعة المعارف، ١٩٦٨م و«ديوان أبي دُلامة الأسدي» إعداد الدُّكتور رُشَدي علي حَسن، وصدر عن «مؤسسة الرِّسالة» ببيروت (١٩٨٥م)، و«شعر عبدة بن الطَّبيب» جمعه يحيى الجبوري، ونشرته «دار التربية» ببغداد ١٩٧١م.

كان كتاب «المحبر» لمحمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ)، على أهمية في رصد أبناء الحبشيات أو السَّوداوات، وهو كتاب عام جمع فيه أخبار طبقات النَّاس، من قبل الإسلام وبعده، ونجد اسم ابن حبيب يتكرر في كتب التَّاريخ العام وكتب التَّراجم كأحد الأسانيد المعتمدة.

أما من المؤلفات في التَّاريخ العام فكان كتاب «تاريخ الأُمم والملوك» لمحمد بن جرير الطَّبري (ت٣١٠هـ) مصدراً لتأكيد وجود هذه الشَّخصية أو عدم وجودها، ووجدنا فيها الشَّيء المفيد عن شخصيات من الصَّحابة، ورؤساء، وشعراء سُود كعبدة بن الطَّبيب (ت٢٥هـ) وآخرين.

(١) انظر ترجمته: الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٦ ص٩٠. الزَّركلي، الأعلام قاموس تراجم ٣ ص١٢٦.
(٢) انظر: الجوهري، الصَّحاح تاج اللغة وصَحاح العربية ٤ ص ١٣٧٢.

كان للبحث في سير وتراجم الشُّعراء، وهم أكثر طبقات السُّود من ناحية العدد، مناهله الصَّافيَة، إلى حد بعيد، وهي كتب الأدب والشِّعر، ويأتي في مقدمتها كتاب «الشِّعر والشُّعراء» لعبد الله بن مسلم الباهلي المعروف بابن قُتيبة (ت٢٧٦هـ). ثم يأتي بعده، بل أهم منه، كتاب «طبقات الشُّعراء» للأمير العباسي عبد الله بن المعتز (قُتل ٢٩٦هـ)، وكان هذا المؤلف متحرراً كثيراً من الإشارة إلى اللَّون بالدُّونية، فتجده أعطى كلَّ شاعر حقه حسب ما يعتقده بوجود قيمة في شعره، وفي أحيان، غير قليلة، تجده لا يذكر لون الشَّاعر. لذا علينا التَّحقق من لونه من مصادر أُخر.

بعده يأتي كتاب «الأغاني» الشَّهير لأبي فرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت٣٥٦هـ)، وهو سفر معروف بموسوعيته، كانت روايات هذا الكتاب مسنودة، كان شأن مصنفه شَأن الطَّبري في تاريخه، وكثيراً ما نقل عن والده وجده وأصحابه، وعلى وجه الخصوص في ما يتعلق بشعراء العهد العباسي. كذلك تحققنا من شخصيات لا نعرف سوى اسمها الأول أو لقبها، بما أتى عنها من رواية حدث مَا في كتابه الآخر «مقاتل الطَّالبيين»، كشخصية كعبويه الأسود مثلاً.

يأتي أيضاً بين الكتب الجامعة للأشعار والنثر ما له أهمية في البحث عن تراث السود، كتاب «الشَّكوى والعتاب» لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) في بابه «العبيد والإماء والاستيصاء بالمماليك خيراً»[1]، وكتاب «الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب» لعلي بن هبة الله المعروف بابن ماكولا (ت ٤٧٥هـ) ثم كتاب «الأبرار في نصوص الأخيار» لأبي القاسم محمود الزَّمخشري (ت ٥٣٨هـ).

ما تقدم كان أهم المصادر التي اعتمدناها، وإذا تحدثنا عنها كافة فسيطول الحديث ويتشعب، وذلك لأهميتها في سير وتراجم السُّود، ولو أنها روايات

(١) انظر: ص ٣٩ وما بعدها.

مبعثرة، مثل التي وردت في كتاب «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» المعروف بـ«معجم الأدباء» لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، وكتاب «خَزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب» لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، وكتاب «خريدة القصر وجريدة العصر» للكاتب الرَّاغب الأصفهاني (ت٥٩٧هـ)، وكتاب «ربيع الأبرار ونصوص الأخيار» لأبي القاسم محمود الزَّمخشري (ت٥٣٨هـ). فهذه المصادر جمعت أخبار الأولين والمتأخرين من أهل الأدب والشِّعر.

في ذكر المصادر لا يفوتنا التَّذكير بأن هناك من الشَّخصيات السُّود لم نجد عنها خبراً؛ إلا في مصدر واحد. مثلاً، الشَّاعر إبراهيم الكانمي (القرن السَّادس والسَّابع الهجريان)، ومصدر حياته وشعره كتاب «المقتضب في كتاب تحفة القادم» يكاد يكون الوحيد صنفه محمد بن عبد الله القضاعي الأندلسي المعروف بابن الأبار (ت٦٥٨هـ).

كذلك قد تجد صعوبة في الحصول على أخبار دولة آل نجاح بزبيد، وهم من السُّود، خارج الكتب المختصة باليمن، مثل: «تاريخ وصاب الاعتبار في التَّواريخ والآثار» لوجيه الدِّين الحُبيشي الوصابي (ت٧٨٢هـ)، وكتاب: «بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد» لعبد الرَّحمن بن محمد بن عمر المعروف بابن الديبع (ت٩٤٤هـ)، وقد ينفرد بذكرهم، من بين أهل التَّاريخ العام، الملك المؤيد إسماعيل بن علي المعروف بأبي الفداء (ت٧٣٢هـ) في التَّوسع بأخبار مملكة آل نجاح، في كتابه «المختصر في أخبار البشر».

الفصل الثاني

السُّود والرَّق قبل الإسلام

قبل البدء، نجد من المفيد البحث عمَّا كان قبل الإسلام في مسألة التَّمييز بين البشر على أساس اللَّون؛ وما دخل إلى الثَّقافة الإسلاميَّة بهذا الشَّان من تبرير للسَّواد وربطه بظاهرة الرِّق أو العبودية، وكيف نظر فيها مؤرخون وَكُتاب مسلمون، وحاولوا إنصاف السُّود في ما كتبوا وألفوا، بعد التَّمادي في التَّمييز ضدهم بسبب اللُّون، وتبرير ذلك بمبررات تاريخية تعلقت بذرية حام.

منذ القدم، تتداول في موضوعة السُّود والرِّق حكاية أولاد النَّبي نوح، وكيف تميز ولده حام وذريته عن سام ويافث وذريتهما فيَ لون بشرته الأسود وعبودية ذريته لذرية أخويه. تعود هذه الحكاية دينياً إلى «الكتاب المقدس»، وقد جاء فيه الآتي: «فرأى حامٌ أبو كنعان عَورة أبيه. فأخبر أخويه، وهما خارج الخيمة، فأخذ سام ويافث الرِّداء وجعلاه على كتفيهما، ووجههما إلى الجهة الأُخرى، فلم يريا عورة أبيهما»[1].

بهذه الفكرة فُسِّرت العبودية عقاباً وسخطاً على ذرية حام بدعوة أبيه عليه، وكان غضب الله تعالى استجابة لدعاء نبيه، وقد جاء في النَّص: «ملعون كنعان، عبداً يكون لعبيد إخوته، وقال: مبارك الرَّب إله سام، وليكن كنعان عبداً له، ليوسع الله ليافث، وليسكن في خيام سام، وليكن كنعان عبداً له»[2].

نفهم من «قاموس الكتاب المقدس» أن تعليلَ السَّواد، مع عدم ذكره في النَّص التَّوراتي المذكور، بما يتعلق بمعنى اسم «حام»، وما يتعلق بالبيئةَ الجغرافية،

(١) الكتاب المقدس- العهد القديم، سفر التَّكوين: ٩/ ٢٠- ٢٦ ص٨٢.
(٢) المصدر نفسه.

فـ«حام» مفردة عبرية معناها: «حامي أي ساخن، وحمى حماية. أصغر أبناء نوح... تصرف تصرفاً عاقاً فجلب على نفسه، وعلى نسله كنعان اللَّعنة»[١]. كذلك نفهم ما يربط بين سواد البشرة وحرارة البيئة، وقد تحدث بعض مؤلفي المسلمين عن هذا الفصل بين السَّواد والعبودية، على أن النَّص لم يتحدث عن اللَّون وإنما عن العبوديَّة فقط[٢]. لكنَّ معنى الاسم «حام» كان واضحاً، على أنه أسود، ذلك إذا علمنا أن السَّواد مرتبط بالتَّعرض لأشعة الشَّمس، وأن سببه في البشر هو عيشهم في البيئات الحارة.

إن الرِّق أو العبوديَّة ظاهرة تاريخية بشريَّة، غير محصورة، مثلما سنرى، بدين من الأديان أو قوم من الأقوام، كذلك لم تقتصر على أصحاب البشرة السَّوداء بل شَملت أجناس البشَر كافة. فهي قائمة على أساس اجتماعي يتعلق بالثَّروات والملكيات، فقد كانت أسواق النَّخاسة ملأى بالرَّقيق البيض إلى جانب السُّود، على أن التَّسميات قد تختلف حَسب اللَّون، فالأسود أخذ يُسمَّى بالعبد والأبيض كثيراً ما يُسمى بالمملوك[٣]. ومع الوقت صارت مفردة العبد تُطلق على السُّود، من قبل النَّاس، حتى بعد العِتق، أي سواء كانوا أحراراً أو عبيداً[٤] يُطلق عليهم اَسم العبيد.

بطبيعة الحال، إن الذين يطلقون تلك التَّسمية هم عادة من البيضان، وبما أن الرَّقيق الأبيض بعد العتق أو الحرُّية، تنتهي كلَّ متعلقات عبوَديته، يظل اختلاف اللَّون علامة على العبوَديَّة بالنسبة للسُّود حتى بعد عتقهم ونيلهم لحريتهم.

جاء في تعريف العبوديَّة أو الرِّق: «يرجع أصل هذه العادة إلى أقدم أزمنة التَّاريخ المدون، ولم تشذ عنها أمةٌ من أُمم التَّاريخ القديم، وإن كان نظامها يختلف

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص٨٤٢.
(٢) انظر: ابن خلدون، المقدمة ١ ص٢٩٤.
(٣) Lewis, Race and color in Islam. P38, 64
(٤) Lewis, p 64

من بلد وبلد، وبين عصر وعصر، وهي أن يملك إنسان آخر، ويكون صاحب الحق فيه، جسماً وروحاً وتصرفات وإرادة»[١].

كذلك نجد تعريفاً للرِّق عند الحقوقي الفرنسي شارل مونتسكيو (ت١٧٥٥)، وهو ما يسميه بالرِّق المدني، وفيه تعال واضح، أي أنه لم يأخذ العبودية بوقعها السِّلبي على الإنسان العبد إنما بتأثيرها على السَّيد أو المالك، قال: «وضع حق يبلغ من جعل إنسان ملكاً لآخر، ما يكون في هذا سيد حياته وأمواله المطلق، وليس الرِّق طيباً بطبيعته، فهو غير مفيد للسَّيد لأنه يألف مع عبيده جميع أنواع العادات السيئة. لأنه يتعود من حيث لا يشعر فقدان جميع الفضائل الخُلقيَّة، لأنه يصبح عاتياً متسرعاً قاسياً غضوباً شهوانيّاً جائراً»[٢].

معلوم أن مونتسكيو، مثلما نرى لاحقاً، كان أحد مُلاك العبيد، والرَّأي هذا لا ينفصل عن وضعه الاجتماعي. أوضح من هذا أن الرِّق «ينشأ عمَّا تضمره أمَّةٌ من إزدراء أمَّةٍ أخرى قائم على اختلاف العادات»[٣].

نجد مونتسكيو يصنف العبودية، مثلما هي عند الرُّومان، إلى ثلاثة أصناف، سمى الثَّالث بالمتناهي: الرِّق المرتبط بالعمل في الأرض، وهذا يسميه بالرِّق الحقيقي، والرِّق في المنزل وهو الرِّق الشَّخصي، ويعود إلى شخص السَّيد إلى الأرض، أما المتناهي فهو الرِّق الجامع بين الصِّنفين، المرتبط بالأرض وبخدمة المنزل معاً[٤].

العبودية عند البابليين:

نقرأ في تاريخ الحضارات الأُول، كالحضارة العراقية القديمة، ما ورد في شريعة حامورابي الذي تسلم الحكم في سلاسلة بابل الأَولى (١٨٩٤-١٥٩٤ق.م)[٥]،

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص٥٩١- ٥٩٢.
(٢) مونتسكيو، روح الشَّرائع ١/ ٣ ص٣٤٨.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣ ص٣٥٢.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٣ ص٣٥٩.
(٥) رشيد، قوانين العراق القديم، ص٧٦.

المكتشفة (١٩٠١م)، والتي تعود إلى ما قبل التَّاريخ، مواد عديدة عن تنظيم العبودية، من دون تحديد أو تقييد سلطة السَّيد على العبد[١]. قدم الباحث د. غ. ريدر دراسة خاصة عن العبودية في تلك الشَّريعة، قدمها ببعد فكري اشتراكي، فجاءت كتابته عنها كأنها بحث عن القيم الاشتراكية وتعريَّة للقيم الاحتكاريَّة، تحدث عن «قوة العمل» والشَّأن الطَّبقي إلى غير ذلك. لكننا نرى دراسته من الأهمية في وصف تلك الشَّريعة في ما يخص العبودية أو الرِّق، وهي الأقدم كتشريع معلن في التَّاريخ، ومن خلال ما سيأتي من شرائع، التي أعقبت عصورها عصر حامورابي، وسنلاحظ فيها، بشأن العبوديَّة، التَّطور الحقوقي، عندما تُثبت حقوقاً للعبد.

فما ورد في هذه الشَّريعة، أنها وضعت العقوبات على «العبد الذي يقترف أي ذنب تجاه مالكه، فقد اعتبرت مسألة معاقبة العبد، في مثل هذه الحالات، من اختصاص مالك العبد نفسه . . . بإمكان السَّيد المالك نفسه أن يقتل عبده الذي أعاده إلى القصر، أو أعادته السُّلطات المحلية إليه، ويعتبر هذا التَّصرف حقاً طبيعياً»[٢].

فقد ورد في حوار السَّيد البابلي مع عبده أنه «يُهدد عبده بالموت مباشرةً. كما وصلتنا من لارسا (مدينة قديمة بجنوب العراق) وثيقة تعود إلى العام التَّاسع والعشرين من حُكم رام سين (من ملوك الأكديين ببابل)، يدور الحديث فيها عن محاكمة شخص اسمه (ادبنيار توم) خنق العبد (شوباريص)، ولم يصل الأمر إلى المحكمة، إلا لأن هذا العبد كان مسروقاً، وعُوقب القاتل لمخالفته حقوق الملكية وبفقدانه العبد»[٣]. بمعنى ليس لأنه ارتكب جريمة قتل إنسان بل لفقدان العبد!

(١) د.غ. ريدر، العبيد في شريعة حامورابي، ترجمة عزيز حداد، مجلة الثَّقافة الجديدة العراقيَّة، العدد: ١٩٨ حزيران (يونيو) ١٩٨٨ ص ٤٩.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه، ص٥٢.

بشكل عام أن قوانين حامورابي أخذت بمبدأ القصاص، بتقدير أن إمبراطوريته «ضمت تحت لوائها أقواماً وشعوباً كثيرة، وعدد من هذه الأقوام لا يمكنه من دفع الغرامات في حالة مخالفة القانون»[١]. لكنَّ صاَحب هذا الرَّأي، وهو الآثاري العراقي فوزي رشيد (ت٢٠١١)، إذ يبرر ما ذهبت إليه قوانين حامورابي من عقوبات غلب عليها طابع القصاص، لم يلتفت إلى القوانين التي تخص العبيدَ، وليس بينها قانون لصالحهم، ويبدو أنه نظر إليها على أنها من طبيعة تلك المرحلة التَّاريخية الغابرة.

لم تذكر قوانين شريعة حامورابي، التي سنستعرضها، عن اللّون الأسود شيئاً، فلا يبدو أن هناك تجارةَ رقيق مصدرها إفريقية على الأقل، فلو كان هناك عبيد سُود لربَّما لاحظنا تمييزاً ما في بعض القوانين الخاصة بالعبودية، أو وردت إشارة ما إلى ذلك في التَّمييز بين الأبيض والأسود، أو أن النظرة السِّلبية إلى الإنسان بخصوص لونه لم تظهر في ذلك الزَّمان. فقد ورد أكثر من ثلاثين قانوناً من مجموعة قوانين الشَّريعة، التي عددها (٢٨٢) قانوناً، في أمرَ العبيد والجواريَ، ولم تكن بينها إشارة إلى اللَّون.

نجد في قوانين حامورابي كافة تشديداً على حق السَّادة، وعقوبات قاسية على العبد الهارب، أو مَن يُساعده على الهروب «من عبيد القصر أو إمائه أو عبيد إنسان حر أو إمائه يعاقب بالموت»[٢]. و«إذا آوى إنسَان في بيته عبداً أو أمةً فرَّ، أو فرَّت، من القصر، أو من منزل إنسان حر، ولم يرد ذلك العبد الآبق، أو تلك الأمة الآبقة عَند طلب الأمر يُعاقب رَبُّ البيت الذي آوى إليه العبد أو الأمة بالموت»[٣].

يُعاقب الذي يُساعد على هروب العبيد، ويُثاب مَن يُلقي القبض على العبد، أو الأمة، الآبقين أو الهاربين، حسب المادة: «إذا قبض إنسان على العبد الآبق،

(١) رشيد، قوانين العراق القديم، ص٧٧.
(٢) شريعة حامورابي، ص٧٠ المادة ١٥.
(٣) المصدر نفسه، المادة ١٦.

أو الأمة الآبقة، في الحقل وردَّ العبد أو تلك أمة إلى سيده أو سيدها يدفع له سيد العبد أو الأمة شيقلي[١] فضة»[٢].

نفهم من المادة ما يخص زواج السَّادة من جواريهم، وأن تكون للأولاد حقوق أولاد النِّسَاء الحرائر: «إذا ولدت امرأة أَولاداً لزوجها، وولدت جاريته كذلك أولاداً له، فقال الوالد في حياته للأولاد الذين ولدتهم الجارية: يا أولادي وساواهم بأولاد زوجته يتقاسم أولاد الزَّوجة وأولاد الجارية مال بيت الوالد على التَّساوي، إنما لولد الجارية حق الاختيار في القسمة»[٣].

يحصل أولاد الجارية على ميراث والدهم بشرط اعترافه بهم، وفي حال عدم اعترافه بهم لا يحصلون من ميراثه شيئاً، غير أنهم يصبحون أحراراً، حسب المادة الآتية: «أما إذا لم يقل الوَالد في حياته لأولاد الجارية: يا أولادي، فلا يرث أولاد الجارية، بعد وفاة الوالد، مع أولاد الزَّوجة مال بيت الوالد، وتصبح الجارية وأولادها معتقين، ولا يحق لأولاد الزَّوجة أن يطالبوا باسترقاق أولاد الجارية...»[٤].

كم نجد اللَّون مؤثراً في زواج العبد، فبما أن العبيد، ببابل، ليسوا على لون مخالف فلا يُخشى من اختلاط الدَّم، لذا جاء التَّساهل في زواج العبيد من النِّساء الحرائر. فقد شُرع فيَ المادة (١٧٥) من شريعة حامورابي «إذا تزوج عبدٌ من عبيد القصر، أو عبد إنسان حر، ابنة إنسانَ حر، فولدت له أولاداً لا يجوز لسيَد العبد أن يُطالب باسترقاق أولاد ابنة ذلك الإنسان الحر»[٥]. كذلك قضت المادة (١٧٦) في السَّماح بزواج العبد من حرة[٦].

(١) الشَّيقل وزن قديمة، يرد كثيراً في شرائع العراق القديم، والشَّيقل الواحد يعادل بوزن الغرام اليوم: ٨.٤ غرام (رشيد، القوانين في العراق القديم، ص١١٠) أخذت إسرائيل الاسم وأطلقته على عملتها النَّقدية (شَيكل).
(٢) شريعة حامورابي، ص٧٠ المادة ١٧.
(٣) المصدر نفسه، ص٨٩ المادة ١٧٠.
(٤) المصدر نفسه، المادة ١٧١.
(٥) المصدر نفسه، ص ٩٠- ٩١.
(٦) المصدر نفسه.

أما العقوبات بشأن ما يقع على العبد من أذى فقد شُرعت الدِّية بحدود مقدار ثمن العبد، منها: «إذا أتلف إنسان عين عَبد إنسان آخر، أو كسر عظم عبد إنسان آخر يُدفع نصف ثمنه»[١]. أما «إذا ضرب عَبدٌ ابنَ سيده تُقطع أذنه»[٢]. ومادةً أخرى قضت «إذا سبب انهدام البيت قتل عبد صاحب المنزل يدفع البنَّاء إلى سيد العبد ثمن العبد المقتول»[٣].

تشددت شريعة حامورابي مع الأطباء الجراحين بشأن علاج الأحرار بما يختلف عما يخص العبيد، جاء في المادة (٢١٩): «إذا عمل طبيب عملية لعبد إنسان بمبضع من شبه لمعالجة جرح بليغ فتوفى العبد يعوض الطَّبيب عن ذلك العبد المتوفى بعبد آخر يُساوي ثمنه ثمن العبد المتوفي»[٤].

بينما تقول المادة التي قبلها (٢١٨): «إذا عمل طبيب عملية لإنسان بمبضع من شبه لمعالجة جرح بليغ فتوفي ذلك المجروح؛ أو شق دملاً في عين إنسان فأتلف عينه، تُقطع أصابع ذلك الطَّبيب»[٥]. فالواضح، من المواد المذكورة، أن التَّعويض يخص السَّيد ولا يخص العبد، في كلِّ الأحوال، لأنه يُعامل كمملوك أو مالاً خاصاً، لصاحبه حرية التَّصرف به كما شاء.

مارسَ البابليون الوسم، أو الوشم، في بيع العبيد، وهناك واسمون مختصون به، يتضح ذلك من المادة (٢٢٧): «إذا خدع إنسان واسماً فوسم عبداً بعلامة تمنع بيعه؛ يُقتل الخادَع، ويُرمى في منزله. أما الواسم فيحلف قائلاً: وسمتُ العبد على غير علِم مني فيُطلق سراحه»[٦]. كذلك ورد في المادة (٢٢٦) ما نصه: «إذا

(١) شريعة حامورابي، ص٩٤ المادة ١٩٩.
(٢) المصدر نفسه، المادة ٢٠٥.
(٣) المصدر نفسه، ص٩٧ المادة ٢٣١.
(٤) المصدر نفسه، المادة، ص٩٦.
(٥) المصدر نفسه، ص٩٥.
(٦) المصدر نفسه، ص٩٦.

وسمَ واسم عبداً بلا رضى سيده بسمة تمنع بيعه تُقطع أصابع الواسم»[١] . وتشير المواد (٧، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٧٨، ٢٨٢) من الشَّريعة المذكورة، والخاصة ببيع الرَّقيق، إلى أن هذا الضَّرب من التَّجارة كان موجوداً، وربَّما رائجاً، ببلاد بابل وهي إمبراطورية شاسعة الأطرَاف، لم تقتصر حدودها على العِراق الحالي.

في اليهودية والمسيحية:

ما حصل من تبدل في أمر العبودية، عما عند البابليين، أن ميز الدِّين اليهودي بين العبراني وغير العبراني في المعاملة، فعبودية اليهودي أخف كثيراً ولها حدود، أي لم تكن مطلقة، تنتهي بانتهاء أسبابها، وهي كالآتي[٢]:

- الفقر: بسببه يضطر الإنسان أن يبيع نفسه ليسدد ديونه، فيكون مُستعبداً على قدر ذلك الدَّين، أي يعود حراً بعد الوفاء بدَينه.
- السَّرقة: إذا سرق العبراني، من عبرانيين آخرين، ولم يتمكن رد ما سرق، فوجب استعباده على مقدار ذَلك.
- البيع: بيع الأب لابنته جاريةً، وهذا ما يحدث في أسواق العبيد.

تنتهي هذه العبوديَّة بانتهاء أسبابها، أي برد الدَّين، أو تسديد ثمن المسروقات، وزواج السَّيد بأمته وتصبح زوجةً له حرةً. في كلِّ الأحوال أن مدة العبودية أو الرِّق للعبراني خصوصاً عند اليهود مداها ست سنوات فقط. ورد في النَّص التَّوراتي: «إذا اشتريت عبداً عبرانياً فيخدم ست سنين، وفي السَّابعة ينصرف حراً مجاناً»[٣]. وفي حالة أن يرفضَ العبد عتقه، ويفضل البقاء لسبب من الأسباب عبداً عند مالكه أو سيده، عندها يقوم المالك بثقب إذنه، كإشارَة للعبوديَّة الاختيارية، ويُكرس عبداً لرغبته فيها[٤].

(١) شريعة حامورابي، ص٩٦ .
(٢) قاموس الكتاب المقدس، ص٥٩٢ .
(٣) العهد القديم، سفر الخروج ٢١/ ٢٠ ص ١٨٩ .
(٤) قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٩٢ .

كذلك إن للعبد العبراني حقوقاً لدى سيده العبراني ما ليس لغيره من عبيده من غير العبرانيين، ومنها: أن يُعامل برفق، ولا يُباع إلى مالك غير عبرانيَ، وأن تتاَح له فرصة الزَّواج بابنة سيده. وبالمقابل ليس هناك ما يمنع من زواج السَّيد بجاريته أو أَمته، أو يزوجها لابنه، فعند انتهاء السِّت سنوات المفَروضة لا يجوز له ردها إلى أبيها ولا بيعها إلى مالك غير عبراني[١]. ظل هذا النَّمط من التَّعامل مع العبيد العبرانيين قائماً حتى سقوط بابل، وعودة أعداد من اليهود منَ السَّبي[٢].

أما عبوديَّة غير العبرانيين عند السَّادة العبرانيين فمختلفة كثيراً، من حيث مصادر وجودها والمعاملة. فالمصدر الأول للرَّقيق غير العبرانيين عاَدة تكون الحروب وأسواق النَّخاسة، ومع ذلك وردت وصايا بمعاملة العبد على العموم وليس العبراني حسب بالحُسنى، فقتل العبد كقتل الحرِّ يُعد جريمةً يُعاقب عليها القاتل بالقتل[٣]. تفسيراً للنص التَّوراتي: «ومَن قتل إنساناً يُقتل، حُكمٌ واحد يكون للنَّزيل ولابن البلد»[٤]، أي لم يخصص العبراني عن غيره، قال: «مَن يقتل إنساناً»، ولم يُحدد هويته أو شأنه.

جاء أيضاً «إذا ضربَ رجلٌ عبده، أو أمته، بقضيب فمات تحت يده يُنتقم منه انتقاماً، وأما إن بقي على قيد الحياة يوماً أو يومين فلا يُنتقم منه لأنه ماله»[٥]، بمعنى إذا لم يمت مباشرة. كذلك يُحتم على المالك أن يُحرر عبده، أو أَمته، إذا حصل أن أتلف عينه أو عينها، أو أسقط سنه أو سنها[٦].

لم تحدث المسيحية أي تغيير في معاملة العبيد، أكثر مما جاء في النَّص التَّوراتي في العهد القديم، حثت على طاعة الأسياد بعداً عن «إثارة هياج العبيد، وثورتهم

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص٥٩٢ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) العهد القديم، سفر الأخبار ٢٤/ ٢١ ص٢٧٠ .
(٥) المصدر نفسه، سفر الخروج ٢١/ ٢٦ ص١٩٠ .
(٦) المصدر نفسه.

في بدء نشأتها، فقبلت ما كان سائداً»[١]، ومكتفية بالحديث والدَّعوة إلى المعاملة الإنسانيَّة بمناشدة الأسياد «أن يعاملوا عبيدهم بالرِّفق والاعتبار، مُذكرة إياهم أن لهم حقوقاً يرعاها الله ويحافظ عليها»[٢]. كذلك حثت العبيد على طاعة السَّادة: «أيها العبيد اطيعوا سادتكم في هذه الدُّنيا بخوف ورعدة، وقلب صاف كما تطيعون المسيح»[٣]. بالمقابل يوصي السَّادة: «وأنتم أيها السَّادة عاملوهم المًعاملة نفسها، وتجنبوا التَّهديد، لأنكم تعلمون أن سيدهم وسيدكم هو في السَّموات، وأنه لا يُحابي أحداً»[٤].

لكن في عهد أوروبا المسيحية يُضيف مونتسكيو مصدراً آخرَ للرِّقِّ يتعلق بالدِّين مباشرة، على أن الدِّين «يمنح مَن يعتنقونه حقَّ استرقاق مَن لا يعتنقونه ليسهل العمل في سبيل نشره»[٥]. ومثال ذلك أن لويس الثَّالث عشر (ت١٦٤٣م) تألم من «القانون الذي جعل زنوج مستعمراته عبيداً، غير أنه وافق عليه عندما أُلقي في رَوعه أنه أضمن وسيلة لهدايتهم إلى النَّصرانيَّة»[٦].

عند الرُّومان واليونان:

كان أهم مصدر للعبيد، أو الرَّقيق، عند اليونانيين والرُّومانيين القدماء، إضافة إلى ما لاحظناه عند العبرانيين، من أسرى الحروب أو ضحايا الاسترقاق بالغارات، هو «أطفال أُنقذوا وهمَ معرضون في العراء، أو أطفال مهملون أو مجرمون، وكانت قلة منهم، في بلاد اليونان، يونانية الأصل، وكان الهليني يرى أن الأجانب عبيد بطبعهم، لأن يبادروا بالخضوع إلى الملوك، ولهذا لم يكن يرى

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص٥٩٢- ٥٩٣ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الكتاب المقدس، العهد الجديد، رسالة أهل أفس ٦/ ٥ ص٦٠٤ .
(٤) المصدر نفسه ٦/ ٩ ص٦٠١ .
(٥) مونتسكيو، روح الشَّرائع ١/ ٣ ص٣٥٣ .
(٦) المصدر نفسه ١/ ٣ ص٣٥٤ .

في استعباد اليونان لهؤلاء الأجانب ما لا يتفق مع العقل، لكنَّه كان يغضبه أن يسترقه يوناني، وكان التّجار اليونان يشترون العبيد بأي سلعة مِن السِّلع، ويعرضونهم للبيع»[١].

لم تعدّ الصُّورة مختلفة بين أسواق النَّخاسة، فمثلما سيأتي الحديث عن أماكن أُخر «كان في أثينة سوق يقف فيه العبيد متأهبين، لأن يُفحص عنهم، وهم مجردون من الثِّياب، وأن يُساوم على شرائهم في أي وقت من الأوقات»[٢]. فكانت تجارَة الرَّقيق رائجة، والنَّخاسون فيها من الجنسين رجالاً ونساءً «يجدون من الأعمال المربحة أن يبتاعوا العبيد، ثم يؤجرونهم للعمل في البيوت أو المصانع أَو المناجم، وكان أفقر المواطنين يمتلك عبداً أو عبدين»[٣].

لا نعلم ما يقصده المؤرخ الأمريكي وليم جيمس ديورانت (ت١٩٨١)، صاحب «تاريخ الحضارة»، والذي نشر بالعربية تحت عنوان «قصة الحضارة»، عندما يقول: «لم يكن هناك عبيد علماء»[٤]؟ إذا كان المقصود به العلم والرِّيادة في مجال من مجالاته فهذا أمر مفروغ منه، ومتى كان للعبد فرصةٌ كَي يتربى ويتعلم ليكون عالماً؟ نقول: ربَّما قصده ليس بين الأسرى والمختطفين علماء. من جانب آخر أن كثرة العبيد عند اليونان قللت مِن السَّماح بالزَّواج والإنجاب «لأن شراء العبد كان أرخص مِن تربيته»[٥].

كانت أحوال العبيد بأثينة من التَّعاسة، مثلما لاحظناه عند البابليين، وتكاد تكون واحدة في العالم القديم، «إذا أساء الأدب ضُرب بالسَّوط، وإذا طُلب للشَّهادة عُذب، وإذا ضربه حرٌ لم يكن له أن يُدافع عن نفسه»[٦]. لكنَّ هناك عند

(١) ديورانت، قصة الحضارة ٧ ص٦٦.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه ٧ ص٦٧.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.

اليونانيين ما يُحسب لصالح العبد في القوانين والتَّقاليد، وهذا لم نلاحظه في شريعة حامورابي. «إذا تعرض للقوة الشَّديدة كان له أن يفرَّ إلى أحد الهياكل، ثم يلزمه سيده ببيعه، ولم يكن لسيده أي حال أن يقتله»(١).

كذلك هناك عُرف أو تقليد لصالح العبد أنه إذا مرض أو هَرم «لا يلقي به سيده إلى الإعانات العامة، بل كان يستمر في رعايته، وإذا كان وفياً عومل معاملة الخادم المخلص الأمين، التي كانت تكاد تُضارع معاملة أي فرد من أفراد الأسرة»(٢). لهذا قال ديورانت: إن أثينة اشتهرت «بحسن معاملة عبيدها»(٣). بطبيعة الحال، يأتي هذا الوصف قياساً أو نسبة بمعاملة العبيد القاسية بالمناطق الأُخر. كانت تلك المعاملة تجري على ما يبدو كعرف، أو تقليد، وليس شريعةً أو قانوناً.

لم نجد في شريعة حامورابي ما يمنع من استرقاق أو استعباد بابلي لبابلي، خلاف ما وجدنا عند العبرانيين تكون عبوديتهم مشروطة بست سنوات ولأسباب قد ذكرناها، وهم كانوا يعيشون ببابل. بينما عند اليونان نجد استرقاقاً يونانياً ليوناني، لكنَّ الفلاسفة كانوا ينددون به، فقد كان أفلاطون يُندد «باستعباد اليونان لليونان، ولكنَّه في ما عدا هذا يقرُّ الاسترقاق، بحجة أن لبعض النَّاس عقولاً غير ممتازة، وينظر أرسطو إلى العبد على أنه آلة بشرية، ويظن أن الاسترقاق سيبقى في صورة ما حتى يحل اليوم الذي تؤدي فيه الآلات التي تدور بنفسها جميع الأعمال الحقيرة»(٤). كانت هذه الرؤية صائبة، فقد حلَّ هذا العصر، الذي نعيش إنجازاته، وها هي المكائن تقوم بدور التَّنظيف والحراثة، وإلى غير ذلك.

اتفقت الأُمم جميعاً على جعل الأسارى عبيداً، وهذا حسب مونتسكيو، عذراً كي لا يُقتلوا، ومِن جانبهم أباح الرُّومان «للمدنيين، الذين يمكن دائنيهم أن

(١) ديورانت، قصة الحضارة ٧ ص٦٧.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه ٧ ص٦٨.

يضطهدوهم، بيع أنفسهم، وقد أراد الحق الطَّبيعي أن يقع في الرِّق»[١] الأبناء مثل أبيهم العبدِ، وهو لا يستطيع تغذيتهم[٢].

من جانبه ينتقد مونتسكيو تلك القوانين قائلاً: «ليست هذه الأسباب التي أدلى بها الفقهاء، موافقةً للصَّواب مطلقاً، وذلك أولاً، إن الخطأ أن يباح القتل في الحرب في غير حال الضَّرورة، ولكنَّ الرَّجل إذا جعل رجلاً آخر عبداً لا (وردت لم) يُمكن أن يُقال إنه كان ضرورة قتله ما دام لم يصنع ذلك، وكلُّ حقٍّ يُمكن الحرب أن تفرضه على الأسارى هو أن يطمئنَّ إلى أنهم عادوا غير قادرين على إيقاع الضَّرر، وما يقترفه الجنود مِن التَّقتيل بعد حرارة الجهاد عن اعتدال دمٍ أُمر نبذته أُمم العالم كلُّها»[٣].

كذلك يعتبر مونتسكيو الرِّقَّ مخالفاً «للحقوق المدنية، كمخالفته للحقوق الطَّبيعية، وأي قانون مدني يمكنه أن يحول دون فرار عبد، وهذا العبد لا يُحتسب في المجتمع مطلقاً، ولا يخصه أيُّ قانون مدني كان، هو لا يمكن أن يحجز عليه بغير قانون الأسرة، أي قانون سيده»[٤].

يطرح مونتسكيو فكرة إلغاء الرِّق بأوروبا، عن طريق قيام الأحرار أنفسهم بالأعمال التي ذَكرها بالتَّافهة؛ وقد ذكرها أرسطو بالحقيرة، ويجب قصر الرِّقِّ الطَّبيعي على بعض بلدان العالم[٥]. غير أن طلب الرِّق كان للترف والشَّهوة الشَّخصية لا السَّعادة العامة، ولا يريد أن تتألف الأُمَّة مِن قسمين: أحرار وعبيد، مازال هناك إمكانية لعدم اللجوء إلى الرِّقِّ[٦].

(١) مونتسكيو، روح الشَّرائع ١/ ٣ ص٣٥٠.
(٢) المصدر نفسه، تصرفنا في الجملة لأنها جاءت غامضة بعض الشيء.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٣ ص٣٥٢.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٣ ص٣٥٧.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٣ ص٤٥٨.

جاء استعباد أو استرقاق الزُّنوج بأوروبا، بعد انهيار الإمبراطورية الرُّومانية بكثير، حسب مونتسكيو، أنه حصل بعد اكتشاف أمريكا واستعمارها، وذلك للحاجة في إحياء الأرض، بعد أن قضت أوروبا على وجود الأمريكيين الأُصلاء، فالمزارعون، أي عبيد الأرض، أصبحوا «سُود من الأرجل حتى الرَّأس، وهم من قِصر الأُنوف ما يتعذر معه الرِّثاء لهم تقريباً»[١].

أكثر من هذا يقول مونتسكيو في أحوال هؤلاء السُّود، كأن لا يُصدق أن «روحاً طيِّبة على الخصوص في جسم تام السَّواد»[٢]. فحينها صارت الإنسانية عند الأوروبيين تتميز باللَّون، ويمنع اختلاط الدِّماء لاختلاف اللَّون[٣]. لما بدأ عصر العنصريَّة ضد السُّود. على هذا الأساس أخذ مونتسكيو يُطالب بإلغاء الرِّق، مع أنه «كان مشاركاً في امتلاك أسهم في تجارة الرَّقيق، لكنه رفع صوته ضد العبودية»[٤].

كذلك بشأن عبودية الزّنوج، وتحول الرِّق على أساس اللَّون، جاء في كتاب «الجذور» تأليف أليكس هيلي «كان الهدف من استرقاق الزّنوج الإفريقيين، نقلهم إلى أمريكا، تسخيرهم للعمل في مناجم الذَّهب، واستصلاح الأراضي، واستثمارها بأنواع المحصولات الزِّراعية»[٥].

فحينها صدر قانون الاسترقاق، بمستعمرة كارولينا (١٦٣٨م)، بما لا يُتخيل من العنصرية والقسوة، يوم كان البريطانيون يحكمون أمريكا. جاء في هذا القانون الذي جمع كلِّ حصيلة العبودية في التَّاريخ: «إن العبد لا نفس له ولا

(١) مونتسكيو، روح الشَّرائع ١/ ٣ ص٣٥٤.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) ديلبيانو، العبودية في العصر الحديث، ص١٥٥- ١٥٦.
(٥) التّرمانيني، الرِّق ماضيه وحاضره، ص ١٤٧.

روح، وليس له فطانة، ولا ذكـــاء، ولا إرادة، وان الحـــيـــاة لا تدب إلا في ذراعيه»[١]، أي العمل البدني الشّاق فقط.

لقد اتسعت العبودية والرِّق، بعد أن فتحت الطُرق التِّجارية مع إفريقية، على أن ذلك كان مظهراً من مظاهر الاستعمار الأوروبي لتلك المناطق. تقول الباحثة الإيطالية ديلبيانو: اَختفت العبوديَّة من العالم الغربي، بعد سقوط الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة (٤٧٦م) «لتظهر بعد ذلكَ في أمريكا، بين القرنين الخامس عشر والسَّادس عشر في أعقاب غزو الأوروبيين للعالم الجديد، إذ لم يحدث أن تم إلغاء العبودية قانونياً... بل وترك القانون الرُّوماني بصفة خاصة مبدأ شرعية العبودية ميراثاً للغرب»[٢].

حينها بدأت تجارة الرِّقّيق تشغل الموانئ، واشتدت العبوديَّة على أساس اللّون، أي الرقِّيق السُّود، وقد قادت هذه الظَّاهرة إلى التَّمييز العنصري حتى بعد إلغاء الرِّقِّ؛ وهذا ما نحاول الإلمام به في الفقرة القادمة.

انهيار العبودية:

لم تستمر ظاهرة العبودية، ببلدان الغرب الأوروبي والأمريكي، قانونية وغير مدانة مثلما كان الحال في حضارتها السَّابقة اليونانية والرُّومانية، إنما مع التَّحولات السِّياسيَّة والاجتماعيَّة الحديثة بدأ يُنظر إليها بنشاز، وجرى العمل على غلق أسواق الرِّق، مما هيَّأ إلى إلغاء الرِّق تماماً، وهذا بدوره قاد إلى الوقوف ضد التَّمييز العنصري القائم على أساس اللَّون، لكنَّ ذلك استغرق زمناً طويلاً، ذلك التَّمييز المؤسس على حكاية حام المغضوب عليه من قِبل أبيه، مثلما تقدم.

بدأت إدانة «عبودية السُّود على هوامش الكنائس الرَّسميَّة»[٣]، ظهرت في البدايات بمطالبة من قِبل البيض الأحرار أنفسهم، تحت عنوان وثيقة «لندن

(١) التّرمانيني، الرِّق ماضيه وحاضره، ص١٤٨.
(٢) ديلبيانو، العبودية في العصر الحديث، ص٢٠.
(٣) المصدر نفسه، ص١٣٧.

الجماعية» (١٧٨٣م): «قضية رفاقنا في الخليقة: الأفارقة المقموعين»[١]. كم يُذكر عنوان هذه الوثيقة بقول يُنقل عن الخليفة الرَّاشدي الرَّابع علي بن أبي طالب (اغتيل ٤٠ هـ)، ورد ضمن كتابه إلى مالك بن الأشتر (ت ٣٧ هـ)، قبل نحو ١٤٠٠ عام، وهو يكلفه عاملاً على مصر، ويوصيه في الرَّعيَّة، جاء فيه: «واللُّطف بهم، ولا تكوننَّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنَّهم صنفان: إما أخ لك في الدِّين وإما نظير لك في الخَلق»[٢]. صحيح أن النَّص الأخير لم يقصد الرِّق أو العبوديَّة، إنما قصد المساواة في المعاملة، والعبيد، بسودهم وبيضهم، كانوا جزءاً من الرَّعيَّة، لكنَّ جوهر الكلام يقصد العدالة والحرية والمساواة على أساس الأخوَة الإنسانية إذا لم تكن على أساس الأخوة الدِّينية.

قبل ذلك توالى صدور القوانين الخاصة والضابطة لمعاملة الزُّنوج، بعد أن طغى وجودهم ببلدان الغرب، وفي مقدمتها أمريكا، فقد صدر العام (١٦٤٠م) حكم بالعبودية المؤبدة، من محكمة إنكليزية، على إفريقي حاول الهرب. ثم صدرت العام (١٦٦٤م) بأمريكا أيضاً قوانين من شأنها إعاقة الزَّواج بين السُّود والبيض، وهو مقدمة لتشريع التَّمييز العنصري، الَذي ظل سائداً في تقاليد تلك البلدان الاجتماعية.

ثم صدرت العام (١٦٨٦م) قوانين الابتعاد عن المزارع إلا بأمر السَّيد مالك الأرض والعبيد، وهناك قوانين أُخر يضيق المجال بذكرها كافة[٣]، وقد عُرفت تلك القوانين بقوانين العبيد أو الزُّنوج، وهناك مَن سماها بـ«القوانين السُّود»، وفي ١٦٨٥م صدر ما سُمي بـ«القانون الأسود»[٤]. ومثلما سيأتي ذكره أن أحد الرُّهبان المناوئين للعبودية قد شكك بما جاء بخصوص حام وسوادَه وعبوديته

(١) ديلبيانو، العبودية في العصر الحديث، ص١٤٩.
(٢) نهج البلاغة، جمع الشَّريف الرَّضي (ت ٤٠٦ هـ)، شرح محمد عبده، ص٥٧٢. الكتاب كاملاً، ص٥٧١-٥٩٦.
(٣) انظر: ديلبيانو، العبودية في العصر الحديث، ص٨٢ وما بعدها.
(٤) المصدر نفسه، ص٨١ و ٢٣٢.

لأخويه، مثلما وردت في النَّص التَّوراتي. وظهرت حينها أيضاً نزعة مناهضة العبوديَّة بين البروتستانت، وكانوا قد أسسوا كنائس خاصة لهم بأمريكا[١].

أخذت الكتب المناهضة للعبوديَّة تصدر تباعاً، والغالب عليها النِّزعة الدِّينية، وهو نشاط مؤثر آنذاك، مثل كتاب «شهادة ضد ممارسة الاستعباد المخالفة للتعاليم المسيحية» لمؤلفه إيليهو كولمان العام (بوسطن ١٧٣٢م)، وكتاب: «بعض الاعتبارات بشأن الاحتفاظ بالزّنوج» للواعظ الدِّيني جون وولمان (١٧٥٣م)، والأخير قد سافر إلى أمريكا للتبشير بآرائه ضد العبوديَّة.

كما صدر العام (١٧٦٢م) «تقرير وجيز عن ذلك الجزء الذي يسكنه الزّنوج»، وفي العام (١٧٧١م) صدر «التَّقارير التَّاريخية عن غينيا». ومثلما تقدم صدر (١٧٨٣م) نداء تحت عنوان «رفاقنا في الخليقة»[٢]. بعد هذا النَّشاط في إصدار الكتب، ونشر التَّقارير، تأسست العام (١٧٨٧م) الجمعية الأولى الدَّاعية إلى إلغاء العبودية بأوروبا، ومكانها جنوب لندن، وكانت تحت اسم «جمعية هادفة لإلغاء تجارة العبيد»[٣].

أما دور مثقفي تلك الحقبة، فقد عرفنا شيئاً عن دور الحقوقي الفرنسي شارل مونتسكيو (ت ١٧٥٥م)، رافعاً صوته ضد تجارة الرَّقيق، مع أنه مثلما تقدم كان أحد الأسياد الملاكين للعبيد. كذلك برز الفرنسي جان جاك روسو (ت ١٧٧٨م) صاحب كتاب «العقد الاجتماعي» (١٧٦٢م) ناقداً للعبودية، لكنها العبودية القديمة وليست تجارة الرَّقيق في زمانه[٤]. بالجملة كان ما تقدم ذِكره نشاطاً تنويرياً ضد العبودية[٥]، أسفر عن هدمها في ما بعد.

(١) انظر: ديلبيانو، العبودية في العصر الحديث، ص١٤٧.
(٢) المصدر نفسه، ص١٤٩.
(٣) انظر: المصدر نفسه، ص١٥١- ١٥٢.
(٤) المصدر نفسه، ص١٥٩.
(٥) انظر: المصدر نفسه، ص١٥٣ وما بعدها.

بعد إبراز النشاط المناهض للعبودية، وأساسه تجارة الرَّقيق، سنكتفي بإدراج القوانين التي صدرت بالبلدان الأوروبية وأمريكا القاضي بتحجيم ثم إلغاء الرِّقِّ نهائياً، وقد حصل هذا بالتَّدريج، وذلك مراعاة للظروف الاقتصاديَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة المعاشة آنذاك، ومنها قوة وسطوة أرباب التِّجارة. مع التَّذكير بأنها ظاهرة قديمة ومتجذرة منذ القِّدم، فليس مِن السَّهل زوالها بلا تهيئة ثقافيَّة واجتماعيَّة.

فقديماً كان العبيد أنفسهم يتمردون، لكنَّ بلا أفق للحريَّة، وكم من رقٍّ تولى الحكم، وعلى وجه الخصوص، في سلطنات الشَّرق، مثل آل نجاَح باليمن، وكافور الأخشيدي بمصر، مثلما جاء في ترجماتهم في الباب الثَّاني، لكنهم أنفسهم صاروا من ملاك العبيد، بل إن البلدان الإفريقيَّة نفسها كان لسلاطينها السُّود عبيد وإمَاء، وهنا اللَّون لا يؤدي دوراً، ولا يبدو مؤثراً. إذن العبودية ظاهرة اجتماعية اقتصاديَّة، قبل أن يكون للون أثرٌ فيها، فروما وأثينة بدأت العبودية بهما برقيق بيض.

على أي حال، بعد تلك النَّزعات المناهضة، بدأ العد التَّنازلي للعبوديَّة وتجارة العبيد، وقوانين تحريمها كالتَّالي ذكره، والغالب منها صدر في حدود القرن التَّاسع عشر، وهنا نأتي على أهمها[1]:

- ١٨٠٨م إلغاء البرلمان البريطاني تجارة الرِّق.
- ١٨١٤م أعلنت مملكة هولندا عدم شرعيَّة تجارة السُّود.
- ١٨١٥م أعلنت دول أوروبية مع الفاتيكان مجتمعة إلغاء تجارة الرَّقيق.
- ١٨٣١م ألغت فرنسا تجارة الرَّقيق.

(١) انظر: المصدر نفسه، ص٢٢٨- ٢٤٧. انظر كذلك: الترمانيني، الرِّق ماضيه وحاضره، ص ١٤٧ وما بعدها.

- ١٨٣٣م أعلنت بريطانيا إلغاء العبوديَّة مع قرار تعويض المالكين للعبيد، وتدريب العبيد السَّابقين من أجل استيعابهم في العمل.
- ١٨٣٦م إصدار قرار يقضي بإلغاء تجارة الرَّقيق بالبرتغال.
- ١٨٣٦م أدان البابا غريغويوس السَّادس تجارة العبيد والعبوديَّة بإفريقية.
- ١٨٥٩م إلغاء البرتغال للعبودية مع إلزام العتقاء بالعمل لدى ملاكهم لعشر سنوات إضافيَّة.
- ١٨٦٣م صدور إعلان الرَّئيس الأمريكي أبراهام لينكولن بعتق العبيد كافة.
- ١٨٦٣م إلغاء العبودية بهولندا.
- ١٨٦٥م قرار أمريكي بعتق العبيد بلا تعويض للملاك.
- ١٨٦٩م الحضر النِّهائي للعبوديَّة بالبرتغال.
- ١٨٨٦م أسبانيا تضع حداً للعبوديَّة بمستعمراتها آنذاك كجزيرة كوبا.
- ١٨٨٨م أقرت البرازيل بعتق العبيد.

يمكن ملاحظة العوائق والصُّعوبات التي تعترض تطبيق القوانين، ففي البداية يظهر إعلان ثم قرار فيصدر قانون، وتعود الدَّولة وتجعله نهائياً، والسَّبب مثلما قدمنا مرتبط بجذور الظَّاهرة ورسوخها، وإذا انتهت العبوديَّة فلم ينته التَّمييز العنصري ضد السُّود بعد أن صاروا أحراراً، وبتشريع رسمي من الدُّول، وبتأييد من المؤسسة الدِّينية المتمثلة بالكنيسة وسلطة البابا. فقد بلغت الاتفاقيات المعقودة لإلغاء العبودية، بين الدُّول الأوروبيَّة، نحو ثلاثمائة اتفاقية منذ (١٨٣٢م) وحتى الانتهاء من هذه الظَّاهرة كليَّة[١].

(١) انظر: الترمانيني، المصدر نفسه، ص١٧٤.

فلم يلغ التَّمييز العنصري ضد السُّود بأمريكا إلا بعد نحو مئة عام من إلغاء العبوديَّة نفسها؛ وإذا راح الرَّئيس الأمريكي براهام لنكولن في عملية اغتيال (١٨٦٥م) ضحية إعلانه القاضي بتحرير العبيد، فإن الرَّئيس الأمريكي جون كندي قُتل (١٩٦٣م) أيضاً بعد إعلانه بإلغاء التَّمييز العنصري ضد السُّود (١٩٦٢م)، وهم مواطنون أمريكيون[١].

لا أقول إن جون كندي قد اغتيل بهذا السَّبب، فلا علم لي بذلك، لكنَّها المشابهة في الحدث بين إلغاء العبوديَّة وما أسفرت عنه من حرية العبيد واغتيال الرَّئيس المكافح من أجلهم، وإلغاء التَّميز العنصري الذي اقترن باغتيال رئيس أيضاً. الاقتران لَم يكن عادياً في حال من الأحوال.

بقدر ما كان التَّمييز العنصري مؤذياً للمواطنين الأمريكيين السُّود، صار التَّعاطف ضد موروثات ذلك الماضي، وقد ظهر ذلك بتكريم المواطنة السّوداء روزا باركس (ت ٢٠٠٥م) بدفن جثمانها في مبنى الكونغرس الأمريكي، وذلك لدورها في انطلاق التَّحرير الثَّاني لأصحاب البشرة السّوداء، عندما رفضت ترك مقعدها في الحافلة لرجل أبيض، حدث ذلك في الأول من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٥٥م، وذلك لم يكن بالأمر الهين على الإطلاق، وإحياءً لهذه الذِّكرى صوت الكونغرس على قرار دفنها في القسم المعد لدفن الرُّؤساء الأمريكيين والمشاهير، فمنذ ١٨٥٢م أي عام اتخاذ قرار التكريم بالدَّفن في تربة الكونغرس وحتى ٢٠٠٤م دفن هناك ٢٨ شخصية، وآخرها، قبل باركس، دُفن الرَّئيس الأمريكي السَّابق رونالد ريغان (٢٠٠٤م)[٢].

أما آخر قلاع التَّمييز العنصري، بسبب اللَّون، أو ما عُرف بالفصل العنصري «الأبارتايد» فسقطت بين (١٩٩٠-١٩٩٣م) بجنوب إفريقية، وبجهود وزعامة نلسون منديلا (ت ٢٠١٣م).

---

(١) المصدر نفسه، ص١٧٤ و ص١٩٦.

(٢) صحيفة الشَّرق الأوسط، العدد: ٩٨٣٣ الأحد المصادف: ٣٠ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٠٥.

البلدان العربية :

تعرفنا على الدَّعوات المناهضة للعبودية وتجارة العبيد بأمريكا والبلدان الأوروبية؛ والتي أسفرت عن إلغاء العبودية وغلق أسواق النَّخاسة، وقد نجح، مثلما تقدم خلال نضال استغرق أكثر من قرنين، ووسط صعوبات جمة، لأن الأمرَ يخص الاقتصاد والسِّياسة والمجتمَع والثَّقافة أيضاً، يتعارض مباشرة مع مصالح المتنفذين من ملاك العبيد وتجاره وأصحاب الأراضي، التي كانت بحاجة لَمن يحرثها ويزرعَها، ناهيك عن الاستعمار للبلدان الإفريقية وترويج التَّجارة بالعبيد من هناك، وهذه المرة المعاناة من عبودية لا علاقة لها بأسرى الحروب أو الأسبابَ الأُخر، إنما تشبه كثيراً حَملات الصَّيد في المواسم، فالسُّود كانوا يؤخذون من قراهم ويعرضون بضاعةً مربحة في تلك الأسواق، الطَّلب عليهم شديد جداً، لأن الزّراعة والصناعة الرأسمالية تتطلب أيدي عاملة كثيرة ورخيصة، والعبد لا أجرة له.

أما البلدان العربية والإسلامية فكان العديد منها آنذاك تحت لواء الدَّولة العثمانيَّة، التي أصدر السُّلطان فيها قرار عَتق العبيد البيض (١٨٥٤م)، بينما تأخر السُّود منهم إلى (١٨٥٧م)، واستثنيت الحجاز من تطبيق القرار العثماني[١] في حينها، إلا أنه طبق بعد فترة مثلما يأتي ذكره في تقَرير والي الحجاز العثماني، وهذا يعني إلغاء الرَّقيق بالبلدان التي كانت خاصعة للدولة العثمانية، وبعد ظهورها كدول مستقلة كالشَّام والعراق وغيرها، احتفظت بقرار أو قانون تحريم العبودية.

على ما يبدو كانت لولاية الحجاز، في أواخر العهد العثماني، ظروفها الخاصة، في أمر تطبيق قانون تحرير الرَّقيق، وذلك بسبب شوكة ملاك الرَّقيق من شيوخ القبائل العربية، فقد ثارت قبائلهم على والي الحجاز العثماني بسبب تحرَير رقيقهم أو عبيدهم، لأنهم كانوا يشكلون عصب الحياة في شؤونها الاقتصادية

(١) انظر : Lwis, Race and color in Islam, p 87-88 .

والخدمية. نفهم من تقرير والي الحجاز أحمد راتب باشا (ت ١٩١٣) إلى السُّلطان العثماني قوة ردة فعل هؤلاء الملاكين، وكان سبباً في تولية أحمد راتب باشا على الحجاز. جاء في التقرير المذكور، والمؤرخ في ١٤ المحرم ١٣٠٩هـ المصادف ٢٠ أغسطس (آب) ١٨٩١ م، الآتي: «إن المشكلة الأساسية في الموضوع هي مسألة الرَّقيق، وبناءً على قرار الأرقاء والتجائهم إلى الحكومة السَّنية فقد قام شيوخ العربان بالتَّمرد في وجه الدَّولة بحجة أنه لا يُصغى لرأيهم، في الإصرار على ردِّ أرقائهم إليهم، وتسليمهم إليهم. فأحرقوا مخافر الشّرطة القريبة من جدة، وقطعوا طُرق جدة والحرمين الشَّريفين، مكررين بذلك عملهم السَّابق بحذافيره، والحقيقة أنه وإن اتضح استنطاق شيوخ العربان بأن لمسألة الرَّقيق تأثيراً في ذلك، إلا أن السَّبب الأساسي هو قصور الوالي السَّابق»[١].

أما البلدان التي كانت تحت سيطرة بريطانيا وفرنسا، أو تربطها علاقات معها، فأمضت مع الدَّولتين المذكورتين اتفاقيات لإلغاء تجارة الرَّقيق، وذلك لتطبيق سياستها الداخلية في مستعمراتها وعلى اتفاقياتها الخارجية، بضغط من برلماناتها، ومثلما تقدم كانت بريطانيا ألغت نظام الرَّقيق (١٨٣٣م)، وفرنسا ألغت تجارة الرَّقيق (١٨٣١م)، ولم تصدر تلك القوانين إلا بعد زمن طويل من العمل المثابر والدَّعوة المستمرة، ارتبط بفعل ما حصل بأوروبا من تحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية.

بالنِّسبة للمنطقة العربية كانت البداية بدولة تونس، فقد ألغت نظام الرِّق (١٨٤٦م) وفق القرار الذي أصدره بايها أو حاكمها آنذاك[٢]. (١٨٧٧م) ألغيت تجارة الرَّقيق بمصر، في ظل حكم الخديوي إسماعيل (ت ١٨٩٥م)، الذي حكم

(١) تقرير الوالي أحمد راتب باشا حول ردة فعل القبائل العربية على مسألة إلغاء الرِّق في الحجاز ١٨٩١ م، ضمن الكتاب التذكاري، جامعة الملك سعود، ص ١٦١.

(٢) انظر: Lwis, Race and color in Islam, p 87-88. المستشار محمد الدَّمرداش، إلغاء عبوديَّة الرِّقِّ، صحيفة روز اليوسف، الحلقة الأولى ٣ يوليو ٢٠١٢م.

في الأعوام (١٨٦٣- ١٨٧٩م)، ألغاها إثر عقد اتفاقية بين مصر وبريطانيا، وقعت بالإسكندرية، وقضت بقمع تجارة الرَّقيق.

ثم جرت مناقشات لقوانين (يناير ١٨٩٦م) المتعلقة بالعبودية وتجارة الرِّق، وظهر اتفاق عليها، وطبقاً لذلك تم «منع تداول الرَّقيق السُّودانيين والأحباش، كما استلزم الأمر فرض عقوبات مشددة على النَّخاسين»[١]. بعد (١٨٧٧م) صدرت عن «قلم عتق الرَّقيق» رُخص، أو شهادات، معنونة تحت عنوان ـ«تذكرة حرية» منحت لمستعبَدين في مختلف الأوقات، منها «تذكرة الحرية» الخاصة بنساء سودانيات، قضت باعتبارهن حرائر.

مثل: وثيقة يعود تاريخها إلى (١٨٨١م) وأخرى إلى العام (١٩٠٤م). معنى هذا أن تجارة الرَّقيق بمصر قد ألغيت العام (١٨٧٧م)، وشُدد بها على العبودية، لكنَّ نظام الرِّق ظل قائماً مثلما جاء في تذاكر الحرية[٢]، نتيجة الحاجة للعبيد والتَّحايل على القانون.

(١٨٧٣م) أبرمت اتفاقية بين ملكة بريطانيا فكتوريا (ت ١٩٠١م) والسُّلطان تركي بن سعيد (ت ١٨٨٨م) سُلطان مسقط آنذاك، تقضي بإبطال تجارة الرَّقيق بمسقط وممالكها، حسب ما جاء في العقد، من سواحل أو جزائر إفريقية أو غيرها. كانت نسخة الاتفاقية بالعربية مسجلة تَحت عنوان «عهد نامه»، والموقعة في (صفر ١٢٩٠هـ).

جاء في البند الثَّاني منها: «حضرة السُّلطان المومى إليه يتعهد بأن جميع الأسواق العمومية التي بداخل مملكته لبيع وشراء الرَّقيق تغلق وتبطل بالكلية»[٣].

(١) الدمرداش، إلغاء عبوديَّة الرِّقِّ، صحيفة روز اليوسف، الحلقة الأولى ٣ يوليو ٢٠١٢ .
(٢) انظر: الخديوي إسماعيل يلغي تجارة الرَّقيق ١٨٧٧ صحيفة الأهرام، العدد (٤٥٧٥٧) المؤرخ في ١٧/ ٣/ ٢٠١٢م السنة ١٣٦ الصفحة ١٣ .
(٣) صورة طبق الأصل من نسخة خطية لعقد «عهد نامة» محفوظة في المتحف العسكري لجيش السلطان بمسقط، تمَ الحصول عليها في (٦ مايو/ أيار ٢٠١٤).

وورد في بندها الرَّابع: «سعادة ملكة بريتانيا (هكذا وردت) تتعهد بمنع أهالي الممالك الهندية، الذين تحت حماية الإنكليز عن تملك الرَّقيق مِن تاريخ سيُعَّين في ما بعد في غضون ذلك»[١].

قبل ذلك بسنوات طويلة، أي العام (١٨٣٣م)، طبقت بريطانيا قانون منع تملك الرَّقيق على رعاياها بزنجبار، بالاتفاق مع حاكمها، يوم كانت زنجبار ومسقط تحت حكم سلطان واحد، وهو سعيد بن سلطان (ت ١٨٥٦م). نقرأ ذلك في فصل من مذكرات ابنته سالمة (١٨٤٤ - ١٩٢٤م)، التي نُشرت أول مرة ببرلين (١٨٨٦مَ) وترجمت إلى الإنجليزية (١٨٨٨م)، ثم ترجمت إلى الإنجليزية ثانية (١٩٠٥م) بعدها صدرت بالعربية العام (١٩٧٤م). روت قصة ذلك، وكانت طفلة آنذآك، مع إشارتها إلى مساوئ تلك الاتفاقية، التي سرحت رقيق الرعايا البريطانيين بلا مقدمات.

قالت: «إن منع تملك العبيد من هذا التَّاريخ المعين كان قاصراً على الرَّعايا البريطانيين فقط، والسَّبب، كما يرَاه أبي، هو أن بريطانيا تستطيع أن تمنع رعاياها عن مزاولة ما تعتقد أنه خطأ، ولكنْ لا تملك الحق أن تفرض رأيها وإرادتها على حكومة بلادنا، لهذا ظل الرَّقيق ولا زال سائداً في زنجبار، وفي جميع البلدان الإسلامية الشرقية»[٢].

لم تبتعد الأميرة سالمة عن واقع الحال عندما تحدثت عن مساوئ تسريح الرَّقيق من دون مقدمات وتأهيل لضمان حياتهم؛ فقد كان وقع تسريح الآلاف من الذين كَانوا يعملون في الزِّراعة دفعة واحدة، وبلا سابق إنذار، عظيماً علىَ الملاكين والحياة العامة تسبب في انقطاع الموارد، ورمي الرَّقيق في الطُّرقات، بينما كانوا يعتمدون على توفير معاشهم اليومي على مُلاكهم، مما سبب ذلك إخلالاً في الأمن وتفشي السَّرقة والجريمة، على تلك الجزيرة الهادئة، حسب عبارتها[٣].

---

(١) صورة طبق الأصل من نسخة خطية لعقد «عهد نامة» محفوظة في المتحف العسكري لجيش السلطان بمسقط، تمَ الحصول عليها في (٦ مايو/ أيار ٢٠١٤).
(٢) سالمة، مذكرات أميرة عربية، ص ٢٤٨ .
(٣) المصدر نفسه.

فهي ترى أن يتحقق ظرف مناسب لتحرير الرَّقيق، كي لا يمروا بتجربة مرّة يتحسرون عندها على نظام الرِّق نفسه، فـ «إذا خلصت النِّيات حقاً، واتفقت الآراء فعلاً على إلغاء الرَّقيق؛ فيجب السَّير بالأمر بكلِّ تؤدة وحذر، وأن تُتخذ أولاً خطوات تمهيديَّة تُهيِّيء الأذهان لهذا العمل، وتُقلل من نتائجه الضَّارة. فإلغاء الرِّق أو تحرير العبيد معناه ترك الأفواج من هؤلاء النَّاس مشردين دون عمل، وبالتالي دون أكل ومأوى، ومعناه أيضاً القضاء المبرم على الزِّراعة في البلاد لرحيل العمال الزّنوج منها بعد التحرير. لهذا وذاك يجب أولاً خلق الشُّعور بالعمل والرَّغبة فيه عند الزّنوج...»[١].

لقد ميزت صاحبة المذكرات، ونأخذ شهادتها على محمل الجد كونها عاشت تلك الأيام، بين تملك الرَّقيق وتجارة الرَّقيق «فالأخيرة هي الحافلة بالشّرور والأسواء (هكذا وردت) المثيرة والشَّكوى والضجيج. فقد دأب تجار الرَّقيق على التَّوغل في غابات أفريقيا وأدغالها لصيد العبيد وجمعهم، فيأخذون هؤلاء المساكين من بيوتهم، ومن ثم يقسرونهم على قطع الطَّريق الطَّويل إلى ساحل البحر مشياً على الأقدام، فيموت العشرات منهم صبراً وعطشاً»[٢].

إلا أنها تحدثت عن تحايل الأوروبيين على قوانين بلدانهم في تحرير الرَّقيق؛ تقول: «فغالبية الأوروبيين السَّاكنين في بلاد المشرق يشترون العبيد، ويقتنونهم في بيوتهم ومزارعهم، وهم يخفون علم ذلك عن مواطنيهم في وطنهم، أو يبررون ذلك بحجة البحث العلمي، في حين يجب ألا يستعمل العلم مبرراً وذريعةً إلى أمثال هذه الأعمال الدنيئة، ولا فَرق من حيث المبدأ والواقع بين تشغيل الزّنوج عمالاً في المزارع، كما يفعل بهم العرب، أو تشغيلهم كوليَّةٍ، كما

(١) سالمة، مذكرات أميرة عربية، ص ٢٥١.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٩.

يفعل بهم الأوروبيون، وإن كان العمل الثَّاني في الحقيقة وواقع الأمر أصعب مراساً وأكثر مشقةً»[١].

ما حصل من ردة فعل بتحرير الأرقاء بالحجاز، في أواخر القرن التاسع عشر، يشبه إلى حد بعيد ما حصل بزنجبار قبل ذلك بكثير. لكن من دون ثورة من قبل ملاكيهم، ويتفق رأي الأميرة سالمة مع رأي شيوخ قبائل الحجاز في ضرورة التدرج بإلغاء الرَّق. جاء في تقرير والي الحجاز السابق الذكر إلى السلطان العثماني الأتي: «أفاد هؤلاء الشيوخ أنه مع فرار بعض قليل من الأرقاء، ثم إصدار الحكومة السَّنية قراراً عاماً سرى تطبيقه على جميع الأرقاء، فقد أضر ذلك بمصالحنا كثيراً وقد طالبناها عدة مرات بالتدرج في تنفيذ تلك القرارات»[٢].

كان ما حصل بالمملكة العربية السُّعودية مختلفاً، فقد نفذت سياسة التخلص من الرِّق وتجارة الرَّقيق على مراحل وبتدرج، ويبدو قد تمت الاستفادة مما حدث بالحجاز من اضطرابات لتحرير العبيد دفعة واحدة. ففي (١٩٢٧م) عُقدت معاهدة بين ملك بريطانيا وملك الحجاز ونجد وملحقاتها، قضت المادة السَّابعة منها «يتعهد صاحب الجلالة ملك نجد وملحقاتها بأن يتعاون، بكلِّ ما لديه من الوسائل، مع صاحب الجلالة البريطانية في القضاء على تجارة الرَّقيق»[٣].

(١٩٣٦م) أصدر الملك عبد العزيز آل سعود تعليمات بشأن تقييد تجارة الرَّقيق، ومنها ما أقر بحقوق الرَّقيق[٤]، في الشَّكوى مثلاً من الملاكين، وفيها منع استرقاق رعايا المملكة أو شرائهم، ومنع إدخال الرّقيق إلى المملكة بطريق البحر، مع تقييد إدخالهم عن طريق البرِّ، بما يُقلص من التجارة والاتجار بالرَّقيق، ومنع

(١) سالمة، مذكرات أميرة عربية، ص٢٥٠ .
(٢) تقرير الوالي أحمد راتب باشا حول ردة فعل القبائل العربية على مسألة إلغاء الرِّق في الحجاز ١٨٩١ م، ضمن الكتاب التذكاري، جامعة الملك سعود، ص ١٦٦ .
(٣) محمد، التَّطور التَّشريعي في المملكة العربية السُّعودية، ص٢٠٥ .
(٤) انظر نص القرار: Lewis, Race and slavery in the middle east,p167

استرقاق الأحرار بأي شكل من الأشكال، فربما هناك مَن يستغل بعض التَّقاليد في ذلك. لكنَّ رسمياً الأمر مثلما تقدم، وأي مخالفة بما يخص إدخال العبيد عبر البرِّ تقضي: اعتبار الرِّقيق أحراراً. كذلك ضمن قرار (١٩٣٦م) حق العبد بالإعاشة من مالكه، وحق الشَّكوى منه، ولا يُسمح بالتَّفريق بين الزَّوجين ولا بين الأولاد القُصر ووالدتهم، وإعطاء العبد حق المكاتبة، ولا تجيز للمالك الرفض، وتسجيل جميع الأرقاء ومنحهم هويات[١].

(١٩٦٢م) صدر قرار من قبل ولي العهد ورئيس الوزراء آنذاك الأمير فيصل ابن عبد العزيز آل سعود، يَقضي بإلغاء العبودية وتجارة الرِّق كليةً، مع التَّعويض. جاء في القرار: «ومن المعروف أن موقف الشَّريعة الإسلامية من الرِّق يحث على فك الرِّقاب، ومن المعروف أيضاً أن الرَّقيق الموجود في العصر الحاضر قد تخلفت فيه كثير من الشَّروط الشَّرعية، التي أوجبها الإسلام لإباحة الاسترقاق. فقد واجهت الدَّولة السُّعودية، منذ تأسيسها، مشكلة الرِّق والرَّقيق، وعملت بجميع الوسائل التَّدريجية على القضاء عليه، فمنعت أول الأمر استيراده، وفرضت عقوبات على ذلك. ثم منعت مؤخراً بيعه أو شراءه، وتجد الحكومة الآن الفرصة مواتية لأن تعلن إلغاء الرِّق مطلقاً، وتحرير جميع الأرقاء، وستقوم الحكومة بتعويض مَن يثبت استحقاقه للتعويض»[٢].

بهذا طويت صفحة العبودية والتمييز على أساس اللَّون بالعالم كافة، ولا يبدو هناك تفاوت كبير بين إلغاء العبودية بأمريكا وأوروبا وإلغائها بالبلدان العربية، فقرار إلغاء التمييز العنصري بأمريكا حصل بعد مائة عام من قرار إلغاء العبودية، وكان لا يختلف عن العبودية كثيراً، كذلك علينا أخذ ما تقدم من الإجراءات التي اتخذها الإسلام للترغيب بالعتق والتشجيع على منح الحرية، منذ بدايات الدَّعوة الإسلامية.

(١) انظر: محمد، التَّطور التَّشريعي في المملكة العربية السُّعودية، ص٢٠٦ - ٢٠٩.
(٢) انظر: المصدر نفسه، ص٢١٠- ٢١١.

الفَصل الثَّالث

الرّق والعِتقُ في الإِسلام

بعد أن تعرفنا على مكنون حكاية حام وعبوديَّته، بسبب خطيئته، من مصادر ما قبل الإسلام، نأتي على إيضاح الموقف منها عند المؤرخين والفقهاء المسلمين. نقرأ عند المؤرخ والجغرافي أبي الحسن المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، أن السَّواد قد لحق ذريَّة حام وليس حام نفسه، مع أن معنى الاسم يشير إلى السَّواد، لدلالته على الحرارة، فحام «اسم عبري معناه حامي أي ساخن، أو حمى حماية»[١] قال: «فولد بعد كنعان كوش فكان أسود»[٢].

بينما قصد النَّص التَّوراتي كنعان بالاسم، وهنا نجد تهمة دينية لحقت كنعان «أكبر ولد حام، وهو أول مَن غير دين نوح عليه السَّلام»[٣]. بل إن المسعودي يعطي ما جاء في العهد القديم بعداً آخر يتعلق باللَّون نقلاً عن آخرين: «يقول أهل الأثر أن نوحاً عليه السَّلام دعا عليه (حام) بتشويه الوجه وسواده، وأن يكون ولده عبيداً لولد سام. . .»[٤]. فأصبح السَّواد نقمة بوصفه تشويهاً.

بينما في مكان آخر نجده يذكر علة السَّواد، لكنَّ بتأثير النُّجوم لا بتأثير دعاء الأب على الابن مثلما ورد في النَّصَ التَّوراتي، «وقد تحدث النَّاس ممَن تقدم وتأخر في عِلة تكوّن السُّودان ومواضعهم مِن الفلك، وأن الكواكب السَّبعة السَّيارة تولت

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص٢٨٤ .
(٢) المسعودي، أخبار الزَّمان، ص٨٧ .
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه، وأنظر للمؤلف أيضاً: مروج الذهب ومعادن الجوهر ١ ص ٤٥ .

أفعالهم، وانفردت باختراعاتهم، وأثَّرت في أجسامهم»[١]. وأتى بأشعار بعض المنجِّمين والفلكيين في تأثيراتها على ألوان البشر، ومنه هذا الرِّجز[٢]:

والشَّـــيخُ منهـــا زُحلُ العُلْويُّ
شَـــيخٌ كـــبـــيـــرٌ مِلكٌ قـــويٌ
وطبـــعـــه السَّـــواد والبُـــرودة
أســـود لـون النَّفس في كـــمـــوده
أفـــعـــاله في الزِّنجِ والعـــبـــيـــد
وفي الرَّصَـــاص بعـــدُ والحـــديد

هناك حكاية أُخرى، أو بالأحرى سبب آخر، لمخالفة حام لأبيه، مما ورد في النَّص التَّوَراتي، نجدها في ما نُسب إلى وهب بن منبه (ت ١١٤هـ) من رواية، جاء فيها: «ودار الماء على البيت، وعلى المسجد فلمَ يعله، وبقي ما فوقه هواء، وأنه لما آن وقت الحج قذفت الرِّياح السَّفينة إلى البلد الحرام، فطاف نوح بالبيت أسبوعاً ثم قام نوح لبنيه: إنكم في حج فاعتزلوا النِّساء، فجعل نوح النِّساء بمعزل، وجعل دون النِّساء رماداً، وأن حام جاز إلى النِّساء؟ قالوا: لا نعلم مَن جاز، وكتمه حام. فقال نوح: اللَّهم سَود وجه ووجه ذرية مَن عصى ووطئ أهله، فولدت زوجة حام غلاماً أسود، فسماه كوشا، فعلم أن الدَّعوة أدركته»[٣].

بينما ورد نص آخر في ما نُسب إلى ابن منبه أيضاً يفيد بالرَّبط بين البيئة الجغرافية واختلاف ألوان البشر. جاء فيه: «أوحى الله إلى جبريل أن أُخرج الجان مِن جواري، وطهر منهم جنتي، فأخرجهم جبريل مِن الجنة إلى أرضنا هذه،

(١) المسعودي، أخبار الزَّمان ص٨٧، المؤلف نفسه، مروج الذهب ١ ص ٩٢.
(٢) المصدر نفسه، أخبار الزَّمان، ص٩٢.
(٣) ابن منبه، كتاب التِّيجان في ملوك حِمير، ص٣٢.

فأسكنهم جزائر البحار وقفار الأرض . . . فلذلك وجد في بني آدم اختلاف الصُّور للسهل والجبل واختلاف الألوان لاختلاف ألوانهم»[١] .

إذا ثبت كتاب «التِّيجان» مروياً عن وهب بن منبه، وهو قد عاش في القرن الأول الهجري وأكثر من عقد في القرن الثَّاني، يكون ما ورد فيه أول انتباه إلى ربط لون البشرة بالبيئةَ، وبالتَّالي يكون دالة على العبودية. أما بعد ما ورد في «التِّيجان» من رفض لتلك الحكاية وربطها بمنطق علمي إلى حد ما، رفضها الكثير من الكُتّابَ والمؤرخين المسلمينَ.

كان حكاية الانتساب إلى سواد حام شائعةً ووردت كمعاناة في الشعر، فهذا جعفر بن عُقاب، قد عرف باسم أمه السوداء عُقاب قال:

وضمنتي العقاب إلى حشاها
وخير الطير قد علموا العقابُ

فتاة من بني حام بن نوحٍ
سبتها الخيل غصبٌ والركابُ[٢]

وهنا نأتي على تفنيدها من قبل المؤرخين والكُتّاب المسلمين، فقد مال جماعة «إخوان الصَّفا وخلان الوفا» (القرن الرَّابع الهجري/ العاشر الميلادي)، إلى الأخذ بالتَّفكير الواَقعي في شأن تفسير اختلاف ألوان البشر، وبالتَّالي لا يبقى معنى لربط العبوديَّة بالسَّواد، أو بأمر إلهي، من دون ذكر ما ورد في النَّص التَّوراتي لقصة عبودية ذرية حام لذرية أخيه، للسببَ الذي ذَكرنا.

(١) انظر: الثعالبي، الشَّكوى والعتاب، ص٥٥ والزمخشري، ربيع الأبرار ٣ ص٣٦١ . لم نحصل على ترجمة لهذا الشاعر أكثر من القول: «ابن عقاب الشاعر ينسب إلى أمه وكانت سوداء (انظر: ابن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب ٦ ص٢٤٧ والدمشقي، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ٦ ص٣٠٣ والفيروز آبادي، التحفة الأبية ص١٠٣).
(٢) ابن منبه، كتاب التِّيجان في ملوك حِمير، ص١٣ .

جاء في رسائل إخوان الصَّفا الآتي: «إن مزاج أبدان أهل البلدان الجنوبية من الحبشة والزِّنج والنُّوبة، وأهل السِّند وأهل الهند، فإنه لما كان في الغالب على أهويَّة بلادهم الحرارة بمرور الشَّمس على سمت تلك البلاد في السَّنة مرتين سخنت أهويتها، فيُحمى الجو فاحترقت ظواهر أبدانهم، واسودت جلودهم، وتجعدت شعورهم لذلك السَّبب، وبردت بواطن أبدانهم، وأبيضت عظامهم وأسنانهم، واتسعت عيونهم ومناخرهم وأفواههم بذلك السَّبب، وبالعكس في هذا حال أهل البلدان الشِّماليَّة، وعلتها أن الشَّمس لما بعدت من سمت تلك البلاد، وصارت لا تمرُّ عليها، لا شتاءً ولا صيفاً غلب على أهويتها البرد، وأبيضت لذلك جلودهم، وترطبت أبدانهم»[١].

كذلك قال المؤرخ والفقيه ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) نافياً تلك الحكاية: «الظَّاهر في الألوان أنها خُلقت على ما هي عليه بلا سبب ظاهر. إلا أنَّا قدَ روينا أن أولاد نوح، عليه السَّلام، اقتسموا الأرض بعد موت نوح، وكان الذي قسم بينهم الأرض قالغ بن عابر، فنزل بنو سام سرة الأرض، وكان فيهم الأدمة والبياض، ونزل بنو يافث مجرى الشِّمال والصَّبا فكانت فيهم الحُمرة والشُّقرة، ونزل بنو حام مجرى الجنوب والدَّبور فتغيرت ألوانهم. فأما ما يروى أن نوحاً انكشفت عورته فلم يغطها فأسود (حام) منشئ لا يثبت ولا يصح»[٢].

بعده نأتي على ما أورده البلداني زكريا القزويني (ت ٦٨٢هـ) من القول بالصِّلة بين السَّواد وحرارة المكان، قال وهو يتحدث عن تحديد بلاد الزِّنج: «شرقها النُّوبة وغربها الحبشة، وجميع السُّودان من ولد كوش بن كنعان بن حام، وبلاد الزِّنج شديدة الحر جداً، وحلكة سوادهم لاحتراقهم بالشَّمس»[٣]. ويضيف القزويني

(١) إخوان الصَّفا، الرَّسائل، الرِّسالة التَّاسعة من القسم الرِّياضي ١ ص ٤٣ (طبعة الهند) ١ ص٣٠٤ (طبعة بيروت).
(٢) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص٣٥.
(٣) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٢.

على أن ما جاء في شأن حام كان مجرد قول: «إن نوحاً، عليه السَّلام، دعا على ابنه حام فأسود لونه»[١].

أخيراً نذكر قول ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)، الذي لا يختلف كثيراً عما جاء به إخوان الصَّفا، بعد إشارته بعدم ارتباط سواد أبناء حام بغضب أبيه منه، وهذا لم يأت في النَّص التَّوراتي، وينسبها إلى أقاويل القصاصين وحكاياتهم. قال: «توهم بعض النَّسابين، ممَن لا علم لديه بطبائع الكائنات أن السُّودان هم ولد حام ابن نوح، اختصوا بلون السَّوادَ لدعوة كانت عليه من أبيه ظهر أثرها في لونه، وفي ما جعل الله من الرِّق في عقبه، وينقلون في ذَلك حكايات من خرافات القصاصين، ودعاءَ نوح على ابنهَ حام قد وقع في التَّوراة، وليس فيَ ذكر السَّواد إلى حام غفلة عن طبيعة الحرِّ والبرد، وأثرهما في الهواء، وفي ما يتكَون فيه من الحيوانات. ذلك أن هذا اللَّون شملَ أهل الإقليم الأول والثَّاني من مزاج هوائهَم للحرارة المتضاعفة بالجنوب، لإن الشَّمس تسامت رؤوسهم مرَتين في كلِّ سنة قريبة إحداهما من الأخرى، فتطول المسامتة عامة الفصول، فيكثر الضَّوء لأجلها، ويُلحُّ القيَظ الشَّديد عليهم، وتسود وجلودهم لإفراط الحرِّ..»[٢].

يُكمل ابن خلدون بما جاء من علة بياض سُكان المناطق الباردة، ثم يأتي بأرجوزة الطَّبيب أبي علي الشَّهيَر بابن سينا (ت ٤٢٨هـ) الخاصة باختلاف ألوان البشر، حسب اختلاف الأمكنة[٣]:

بالزِّنجِ حرٌّ غيرَ الأجسادَ
حتى كسا جلودها سوادا
والصَّقلبُ اكتسب البياضا
حتى غدت جلودها بضباضا

(١) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٢.
(٢) ابن خلدون، المقدمة ١ ص٢٩٥.
(٣) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ١ ص٢٩٥.

ننهي الحديث عن حكاية السَّواد والعبودية، وصلتهما بخطيئة ارتكبها حام، بأبيات أوردها عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، كمثال على شيوع تلك الحكاية، حتى دخلت الأدب وأخذت تتداول عبره على مرِّ الأزمان[١]:

وفلاةٍ كأنما أشتمل اللَّيـ
ـلُ على رَكبها بأبناء حامِ
خضتُ فيها إلى الخليفة بالرَّ
قَّةِ بحرى ظهيرةٍ وظلامِ

أما ابن الرُّومي (ت ٢٨٣هـ) فجاء برمزية يمثل فيها السَّواد والبياض بألوان النَّاس، زاد مجازاً على قول السَّابق، قال مادحاً الأمير العباسي ولي العهد الموفق بالله طلحة بن المتوكل على الله (ت ٢٧٨هـ)، الذي حارب الزِّنج بالبصرة وأخمد ثورتهم، وكان الحاكم الفعلي آنذاك، فقال[٢]:

يغزو العدا في ليلِ زنـ
ـجٍ حالكٍ ونهار رومِ
فاللَّيل عونٌ والنَّهـ
ـارُ له على الأمر المرومِ

بينما نجد انتقاد تلك الحكاية قد تأخر كثيراً ببلاد الغرب، لم يظهر إلا في نهايات القرن السَّابع عشر الميلادي، ففي ذلك الوقت ألف الرَّاهب الكابوتشي إيفيان دو موران (١٦٨١-١٦٨٢م) كتاباً داخل الدَّير تحت عنوان «دفاع عادل عن الحريَّة الطَّبيعية للعبيد»، وقد صادرته «جمعية نشر الإيمان» المسيحية، شكك هذا الرَّاهب «في التَّفسير المتعلق بلعنة حام»[٣]. على الرَّغم أنه كان نصاً توراتياً تلتزم به الكنيسة على اعتباره من العهد القديم.

(١) الجاحظ، كتاب الحيوان ٣ ص١٢٨ .
(٢) ابن الرُّومي، الديوان ٤ ص٢٢٦ .
(٣) انظر: ديلبيانو، العبودية في العصر الحديث، ص١٤٥-١٤٦ .

الموقف تجاه السُّود:

مثلما وردت نصوص كثيرة في ذم البشرة السَّوداء، ومحاولة الحط من إنسانية أصحابها، وردت نصوص في مدحهم ومدح اللَّون الأسود، والأخيَر أتى من مصدرين: السُّود أنفسهم، وهو ما ذكرناه، في تراجمهم في الباب الثَّاني مَن الكتاب، وعلى وجه الخصوص ورد كثيراً على ألسنة شعرائهم ضد مَن حط مِنْ أقدارهم بسبب لون بشرتهم.

ثم ما قاله الآخرون بعد أن كثر ذم السُّود والسَّواد، أو ما نعبر عنه اليوم بإفشاء العنصرية والتَّمييز ضدهم بسبب اللَّون، بما حصل من ابتعاد عن ممارسات عصر صدر الإسلام الأولى في الحث على العتق وتوليهم الوظائف الكبيرة في الدَّولة. نفهم هذا من الرَّسائل والكتب التي صُنفَت في فضلهم.

نرى الجاحظ، وهو من أعلام القرن الثَّاني والثَّالث الهجريين، في رسالته «فخر السُّودان على البيَضان» يُذكّر بأسماء أعلام منهم، كمقاتلين وحكماء وشعراء وأذكياء، وينقل غضب شعرائهم من الحط منهم على أساس اللَّون، ويأتي بمفاخرهم القديمة وعلى ألسنتهم، مثل: «ونحن قد ملكنا بلادَ العرب من لدن الحبشة إلى مكة، وجرت أحكامنا في ذلك أجمع، وهزمنا ذا نواس، وقتلَنا أقيال حمير...»[١].

كذلك يَذكر من مفاخرهم ما هو أهم ما يُفخر به عند العرب وهو السَّخاء أو الكرم، قال: «والنَّاس مجمعون على أنَّه ليس في الأرض أمَّة السَّخاء فيها أعمُّ، وعليها أغلب من الزِّنج، وهاتان الخلتان لم تُوجدا قطُّ إلا في كريم»[٢]. ثم يمدح مزاياهم البدنيَة، فهم يمتازون بأحسن الخُلوق، وبأشد الأبدان مع شجاعة

(١) الجاحظ، الرسائل (رسالة فخر السُّودان...) ١ ص١٩٣- ١٩٤.
(٢) المصدر نفسه ١ ص١٩٥.

وسخاء، وخفة الألسن عند الخطابة أو الحديث، مع حِسن الخُلق وضحكة السِّن، وطيب النَّفس، وقلة الأذى[١].

يرد الجاحظ على مَن ربط سخاء السُّود بضعف عقولهم، أو تهورهم، مثلما سبقت الإشارة إلى ذلك، فلعلَّ هناك جدلاً أُثير معه بهذا الشَّأن، فقال لَمن يعتقد ذلك: «إنهم صاروا أسخياء لضعف عُقولهم ولقصر رويَّاتهم، ولجهلهم بالعواقب! بئس ما أثنيهم على السَّخاء والأثرة. فينبغي في هذا القياس أن يكون أوفرُ النَّاس عقلاً، وأكثر النَّاس علماً أبخل النَّاس وأقلهم خيراً»[٢].

بينما «الزِّنجي مع حُسن الخُلق وقلة الأذى لا تراه أبداً إلا طيَّب النَّفس ضَحوك السِّن، حَسن الخلق، وهذا هو الشَّرف»[٣]. على أن لهم فضلاً في وجود ثلاثة أشياء ببلاد العرب أتت من الحبشة كافة: الغالية وهي أطيب الطِّيب وأفخره وأكرمه، ومنها النَّعش وهَو أستر للنِّساء وأصون للحُرم، ومنها المُصحف (أي كتاب) وهو أوقى لما فيها، وأبهى وأهيا»[٤].

بعدها يأتي الجاحظ على مدح السَّواد (اللَّون) وينسبه إلى أقوالهم مثلما نسب ما سبق إليهم: «ونحن أهولَ في الصّدور وأملأ في العيون، كما أن المسودة أهول في العُيون وأملأ للصُّدور من المبيضة، وكما أن اللَّيل أهول من النَّهار... والسَّواد أبداً أهول، وإن العرَب لتصف الإبل فتقول: الصُّهب سُرع، والحُمر غُرز، والسُّود بُهن، فهذا في الإبل... ودُهم الخيل أبهى وأقوى، والبقر السُّود أحسن وأبهى، وجلودها أثمن وأنفع وأبقى، والحُمر السُّود أثمن وأحسن وأقوى، وسُود الشَّاة أدسم ألباناً وأكثر زبداً، والدِّبس أعرز مِن الحُمر»[٥].

(١) الجاحظ، الرسائل (رسالة فخر السُّودان...) ١ ص ١٩٥- ١٩٦.
(٢) المصدر نفسه ١ ص ١٩٦.
(٣) الجاحظ، الرسائل (رسالة فخر السُّودان...) ١ ص١٩٦.
(٤) المصدر نفسه ١ ص٢٠٢.
(٥) المصدر نفسه ١ ص٢٠٣.

بعدها يأتي على السَّواد في الطَّبيعة، من جبال وأشجار وثمار وكلُّ ما لونه أسودٌ منها كان أفضلَ؛ وكلُّ ما يتعلق لفظهَ بالسَّواد، كمقلة العين وسويداء القلب والشِّفاه السُّود، والظِّل، والمسك والعنبر إلى غير ذلك[١]. بطبيعة الحال، هذا كلام أدب لا علم، والجاحظ أديب لا يترك شاردة وواردة إلا يوظفها في النَّص لتأكيد ما يريد مَدحه أو ذمه في الوقت نفسه.

أشار ابن الجوزي، الذي تأخر عن الجاحظ أكثر من ثلاثة قرون، وهو يعطي سبب تصنيف كتابه «تنوير الغبش» في السُّود، إلى مَدى كثرة الأذى الذي طال هؤلاء البشر بسبب سواد اللَّون. قال: «أما بعد فإني رأيت جماعة من أخيار الحبشان تنكسر قلوبهم لأجل إسوداد الألوان، فأعلمتهم أن الاعتبار بالإَحسان لا بالصُّور الحِسان، ووضعتُ لهم هذا الكتاب»[٢].

نفهم من العبارة الأخيرة أن السُّود لا نصيب لهم من الجمال، في عيون الآخرين آنذاك، وعَليهم أن يثبتوا إنسانيتهم بفعل الإحسان لتعَويض ما افتقدوه، ولا أظن أن ابن الجوزي كان يقصد ما ذهبنا إليه، وواقع الحال يؤكد أن على المنبوذ لعلة ما تأكيد خلافها، فتراه في امتحان مستمر، وهذا ما يُطال فئات اجتماعية أُخر أيضاً.

يُضيف ابن الجوزي مادحاً السُّود، بما أورده الجاحظ، من دون أن ذكر له فضلاً، قائلاً: «في ذكر فضائل اجتمعت في طباع السُّودان منها: قوة البدن، وقوة القلب، وذلك يثمر الشِّجاعة، ويُذكَر الحبشة بالكرم الوافر، وحسن الخُلق، وقلة الأذى، وضحك السّن، وطيب الأفواه، وسهولة العبارة، وعذوبة الكلام»[٣].

من جانبه يذكر جلال الدِّين السُّيوطي (ت ٩١١هـ) أحاديث عديدة في مدح السُّود، منها: «اتخذوا السُّودان فإن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة: لُقمان

(١) الجاحظ، الرسائل (رسالة فخر السُّودان...) ١ ص٢٠٣- ٢٠٧.
(٢) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص٢٩.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٠.

الحكيم، والنَّجاشي، وبلال المؤذن»[١]. كذلك يَذكر السُّيوطي حديثاً مرفوعاً إلى السَّيدة عائشة: «رأيتُ النَّبي ¤ يسترني بثوبه، وأنا أنظر إلى الحبشة، وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم عمر، فقال النَّبي ¤: دعهم أمناً يا بني أرفدة»[٢]. ويشرح السُّيوطي: أمناً من الأمن، وبنو أرفدة جنس من الحبش يرقصون[٣]. ويُسند إلى أنس بن مالك (ت ٩٣هـ) الحديث: «كان لرسول الله ¤ موليان: حبشي وقبطي، فاستبَّا يوماً، فقال أحدهما: يا حبشي، وقال الآخر: يا قبطي! فقال الرَّسول ¤: لا تقولا هكذا إنما أنتما رجلان من آل محمد»[٤].

لما مات مولىً حبشي لرسول الله في حياته قال: «انظروا مَن كان بمكة من مسلمة الحبشة فارفعوا ميراثه إليه»[٥]. وحدث أيضاً: «أن حبشياً دُفن بالمدينةَ، فقال: رسول الله ¤ دُفن في الطِّيبة التي خُلق منها»[٦]. ورد أيضاً في الحديث: «اسمع واطع ولو لعبد حبشي كأن رأسه زبيبة»[٧]. وجاء بما يتوافق مع الحديث السَّابق، من مصدر آخر: «أيها النَّاس اتقوا الله واسمعوا وأطيعوا، وإن أُمر عليكم عبدَ حبشي أجدع فاسمعوا واطيعوا»[٨].

عندما تُوفيَ النَّجاشي (٩هـ) بمملكته الحبشة وصُلي عليه بالمدينة؛ قال بعضهم:

---

(١) السُّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٧١، ذكره ابن حبان في المجروحين ١/ ٢٠٣ وقال: «لا أصل له»، وابن كثير في البدآية والنهاية ٢/ ١١٧ وقال: «غريب منكر».
(٢) المصدر نفسه، ص٨٣، أخرجه البخاري (٣٥٢٩) ومسلم (٨٩٢).
(٣) السُّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٨٣- ٨٤.
(٤) المصدر نفسه، ص٨٩، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٨/ ١٤٠، والهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٢٠٠ وقال: «رجاله موثقون».
(٥) المصدر نفسه، ص٩١، ذكر معناه في حديث عائشة رضي الله عنهما عند أبي داود في سننه (٢٩٠٢) وصححه الألباني، ولكن دون ذكر (حبشي، الحبشة).
(٦) المصدر نفسه، ص٩٢- ٩٣، ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد بلفظ (دُفن بالطينة) وضعّفه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/ ٤٧٣.
(٧) المصدر نفسه، ص٩٣، صحيح الجامع (٩٨٣)، صححه الألباني.
(٨) أبو يوسف، كتاب الخراج، ص٩، أخرجه ابن ماجه بلفظ متقارب (٢٣٢٧، ٢٣٢٨) وانظر: صحيح الجامع (٧٨٦١).

«يُصلى على هذا العلج، وهو في أرضه، فأنزل الله فيه مع سواه: ﴿ **وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ** ﴾[١].

ويذكر السُّيوطي أيضاً أن الآية التَّالية نزلت في النَّجاشي وأصحابه: ﴿ **وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾[٢]. كذلك وردت مدائح في أهل النُّوبة: «مَن لم يكن له فليتخذ أخاً النُّوبة، وقال: خير سبيكم النُّوبة، وللنُّوبة كفٌ ووفاء، وحسن عهد»[٣].

يُضاف إلى ما تقدم، في مدح السُّود، ما جاء شعراً في المفاضلة بين السُّود والسُّمر والبيض من النِّساء. قال أبو نباتة جمال الدِّين المصري (ت ٧٦٨هـ)[٤]:

وأسمر في الحبشي عُلِّقته
وليس من الخطأ لي في حساب
يقولون قسْ بين هذا وذا
وكيف يُقاس خطأ مع صواب

قال مثل ذلك أبو الفتوح نصر الله بن قلامس (ت ٥٧٦هـ)، وقد حول السَّواد إلى البياض وجعل المنافسة بين العطرين المسك الأسود والكافور الأبيض[٥]:

رُبَّ سوداء وهي بيضاء معنى
نافس المسكُ عندها الكافورا
مثل حبِّ العيون يحسبه النَّا
سُ سواداً وإنما هو نورا

(١) السُّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص١٠٤- ١٠٥، ينظر مجمع الزوائد للهيثمي ٣/ ٤١.
(٢) المصدر نفسه، ص٩٧- ٩٨ والآية: سورة المائدة ٨٢- ٨٣، وينظر: إتحاف المخيرة المهرة ٧/ ٣٤٤.
(٣) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٧٦.
(٤) السُّيوطي، نزهة العمر في التَّفضيل بين البيض والسُّود والسُّمر، ص٣٢.
(٥) المصدر نفسه، ص٣٩.

ونجد إبراهيم بن سيابة (ت ١٩٨هـ) يحتج بالخال ولونه الأسود، وما يعنيه في عالم الجمال والحِسن، حتى صار يُصنع ليوضع في الوجه إن لم يكن موجوداً، فقال[١]:

يكون الخـــالُ في وجـــه قـــبـــيحٍ
فـــيكســـوه الملاحـــةَ والجـــمـــالا

فكيف يُلام مـــعـــشـــوق على مَن
يراها كـــأنـهـــا في العين خـــالا

إلا أن الشَّاعر الحجازي المولد المصري النشأة زهير بن محمد المعروف بالبهاء زهير (ت ٦٥٦ هـ)، نجده يتجاوز حاجز اللَّون وعنصريته عندما يقول[٢]:

اِســـمع مـــقـــالـةَ حَق
وكـن بـحـقَّـك عـــونـي

إن المـــلـــيـــحَ مَـــلـــيـــحٌ
يُـــحـــبُّ فـــي كُـــلِّ لَـــونِ

يتحدث صاحب الرِّحلة إلى دارفور، في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، عن جمال أخاذ لبنات تلك المنطقة، وقد غير شعوره بعد أن كان يرى السّواد قبحاً، مثلما سيأتي ذكر ذلك. قال: «ما كلُّ أسود فحماً، ولا كلُّ أحمر لحماً، ولا كلُّ أبيض جيراً، فقد يوجد في الأسود والأسمر من الجمال ما لا يوجد في الأبيض الشَّاهق»[٣]. قال: «وكنتُ قديماً مغرماً بهذا المذهَب فقلتُ»[٤]:

يلومـــونـي على حُـــبِّي بأســـود
ومـــا علمَـــوا السِّـــيـــادة في السَّـــوادِ

(١) السُّيوطي، نزهة العمر في التَّفضيل بين البيض والسُّود والسُّمر، ص٣٢.
(٢) المصدر نفسه، ص٦٧.
(٣) التونسي، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسُّودان، ص ٢٦٠- ٢٦٦.
(٤) المصدر نفسه.

فـــقلتُ لهم دعـــوني لا تلومـــوا
فـــإن السُّـــود ســـادوا بالسَّـــواد

هذا مما جاء في مدح السُّود، وفي جملته كان تحبيذاً لهم، ودفعاً إلى عتقهم، مثلما سنرى لاحقاً، فابن قيم الجوزيَّة (ت ٧٥١هـ)، وهو من أبرز أعلام المذهب الحنبلي صرح بنفي صحة الأحاديث التي وضعت في الحط من السُّود، وهذا النَّفي الصَّريح يُلحق بمدحهم. قال: «أحاديث الحبشة والسُّودان كلها كذب»[١]، منها على سبيل المثال: «الزِّنجي إذا شبع زنى، وإذا جاع سرق»[٢]. و«إياكم والزّنجي فإنه خلق مشوه»[٣]. و«دعوني من السُّودان، وإنما الأسود بطنه وفرجه»[٤].

ومما يذكره المسعودي في الموقف المتأخر، على صدر الإسلام من الزّنوج، بأن طاوُساً اليماني (ت ١٠٦هـ)، صاحب عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ) كان «لا يأكل من ذبيحة الزِّنجي، ويقول: إنه عبدٌ مشوه الخلقة». ويذكر أيضاً أن الرَّاضي بالله العباسي (ت ٣٢٩هـ) «كان لا يتناول شيئاً من يد أسود، ويقول: إنه مشوّه الخلقة». فقال المسعودي مستغرباً من ذلك: «ولستُ أدري أقلَّدَ طاوساً في مذهبه أم لضربٍ من الآراء والنِّحل»[٥]!

على أنه لا يستغرب أن تلك الممارسات كانت جارية مع السُّود بأوروبا حتى فترة متأخرة، فمع تقدم فرنسا وتحضرها ومدنيتها في القرن التاسع عشر الميلادي يذكر لنا رفاعة الطهطاوي (ت ١٨٧٣م) أنه وجد بباريس «لا يحسن عند الفرنساوية استخدام جارية سوداء في الطبخ ونحوه، لما ركز في أذهانهم أن السود عارون من النَّظافة اللازمة»[٦].

(١) ابن قيم الجوزيَّة، المنار المنيف في الصَّحيح والضَّعيف، ص٩٢.
(٢) المصدر نفسه، ص٩٢، ينظر: ذخيرة الحفاظ لابن القيسراني ٣/ ١٤٢٤، وموضوعات ابن الجوزي ٦/ ٦٢٧.
(٣) المصدر نفسه، ينظر: المجروحين لابن حبان ٢/ ٢٩٨، والكامل في الضعفاء لابن عدي ٦/ ١٥٥.
(٤) المصدر نفسه، ينظر: الكامل في الضعفاء لابن عدي ٩/ ٨٤، وموضوعات ابن الجوزي ٢/ ٦٢٦.
(٥) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر ١ ص٩٢.
(٦) الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص٧٨.

ليس هناك أوضح نكالاً بسبب اللَّون كهجاء أبي الطَّيب المتنبي (اغتيل ٣٥٤هـ) لحاكم مصر كافور الأخشيدي (ت ٣٥٧هـ)، والذي ستأتي ترجمته في الباب الثَّاني، وقد استخدم الشَّاعر اللَّون والعبوديَّة في الوقت نفسه في هجائه، وكذلك في مدحه له. قال هاجياً[١]:

وإنَّ ذا الأسود المثقوب مشفرُه
تُطيعهُ ذي العَضاريط الرَّعاديدِ

ومنها أيضاً:

وذاكَ أنَّ الفُحول البيضَ عاجزةٌ
عن الجميلِ، فكيف الخصيَةُ السُّود

بعد ما ذَكرنا من النُّصوص الشَّواهد، في مدح السُّود وذمهم، نأتي على عقدة اللَّون الأسود، الَذي صار، مثلما تقدم، لعنةً وعقاباً على أصحابها بمبررَات اجتماعية عنصرية، وعلى طول وعرض الأرض حَيث يوجد الإنسان الأبيض، أو غير الأسود كافة، الذي يرى نفسهَ السَّيد والأسود العبد، حتى ارتبط بالعبوديَّة والرِّق، اللَّذان يبرران ما سماه ابن خلدون بخرافة الغضب على حام وذريته. أشارت الباحثة الإماراتية فاطمة المزروعي إلى أن مردَ عقدة النَّقص عند السُّود في مجتمعات البيض «لا لسواد ألوانهم في حدِّ ذاتها، إنما لَوجودهم في مجتمع يهتم بنقاء نسبه، ويُحرض على عدم خلط دمائه بالسُّود»[٢].

(١) ديوان المتنبي بزياداته، ص١٩٠ . من طريف ما حصل أن هجاء المتنبي لكافور والنَّيل منه بسبب لونه ظل حيّاً في ذاكرة الأدباء، فقدَ حصل أن شعراء مدينة النَّجف اختلفوا في المتنبي بين محب ومبغض، ولما أخذ الشَّيخ الشَّاعر كاظم السُّوداني (ت ١٣٧٩ وقيل ١٣٨١هـ)، وهو من قبيلة اسمها السُّودان وليسوا من السُّود، يهجو المتنبي وينال منه في المجالس هجاه محب المتنبيَ الشيخ الخطيب والشَّاعر محمدَ علي البعقوبي (ت ١٩٦٥م) بما كان أبو الطَّيب يهجو به كافوراً، فقال يناشد المتنبي: «يا ابن الحسين وقد جريت لغاية/ أجهت شعراء كلَّ زمان/ لكنما السُّودان حين هجوتهم/ ثارت عليك ضغائن السُّوداني» (الخليلي، هكذا عرفتهم ١-٣َص٤٥٣).
(٢) المزروعي، تمثلات الآخر في أدب قبل الإسلام، ص١٢٤ .

فربَّما لا يتحسس السَّيد الأبيض من المملوك الأبيض مثل تحسسه من المملوك الأسود، لأن الموقف الأخير مبني علَى اختلاف اللَّون، وهنا أصبح اَللَّون «فئة تاريخية وسياسية وثقافيَّة»[١]، يُتعامل معها وفق هذا المنظور. لكنَّ ما ورد كان نتيجة للعبوديَّة، فبعد أن صار السُّود عبيداً، ويُباعون في أسواق النَّخاسة، صار الاختلاط بدمائهم محرماً اجتماعياً كأعراف لا ديانة.

هذا، ونجد في حكاية الرَّحالة محمد بن عمر التُّونسي (ت ١٨٥٧م) أثناء رحلته العام (١٨٠٣م)[٢] (١٢١٨هـ) إلى بلاد السُّودان، واجتيازه لمنطقة دارفور، ما يُلخص تاريخاً غابراً من عبوديَّة السُّود لدى البيض، حيث تحضر في ذاكرته قصة أبناء حام وعبوديتهم بسبب تلك المقولة، فكتب قائلاً: «ندمتُ على تغريري بنفسي مع أبناء حام، وتذكرتُ ما بينهم من عداوة لأبناء سام، فداخلني الهلع ما لا أقدر على وصفه، حتى كُدت أطلب اَلرُّجوع إلى الرُّبوع، ثم أدركتني ألطاف الله الخفية، وتذكرتُ ما مُدحت به الأسفار على ألسنة البُلغاء الأدبية»[٣].

كان جزع التُّونسي، حسب ما جاء في رحلته، أنه وجد نفسه بين قوم يجهل لغتهم، فعلى ما يبدو جعلته تلك الوحشة يتذكر ما سمعه عما وُضع من حكاية بين حام وسام، وفي تلك اللَّحظات رأى السُّواد قبحاً فقال: «لا أرَى وجهاً صبيحاً جميلاً»[٤].

إلا أنه بعد قراءة رحلة التُّونسي، التي تجاوزت الأربعمائة صفحة، نجده قد انسجم مع السُّودان، وأطال المقام بينهم لفترة سبعة أعوام ونصف العام[٥]، كان

(١) المزروعي، تمثلات الآخر في أدب قبل الإسلام، عن ستيوارت هول، هويات قديمة وجديدة ضمن كتاب: الثَّقافة والعولمة والنِّظام العالمي.
(٢) التونسي، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسُّودان، ص٨.
(٣) المصدر نفسه، ص٤١- ٤٢.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه، ص١٣.

غرض رحلته الأول الإلحاق بوالده الذي سبقه إلى هناك من زمن طويل. بعدها أخذ يتحدث عن جمال السّوداوات الأخاذ، مثلما تقدم. متحدثاً عن أسواق الرَّقيق التي تجارها وبضاعتها هم من السُّود أنفسهم، وأطنب عند ظاهرة الإخصاء التي مارسها سلاطين دارفور على أبناء جلدتهم[١].

لوليم جيمس ديورانت رأي عن الرَّقِّ في الإسلام: أنه «عمل على تضييق دائرة الاسترقاق، وتحسين حال الأرقاء، فقصر الاسترقاق المشروع على مَن يؤسرون في الحرب، من غير المسلمين، وعلى أبناء الأرقاء أنفسهم. أما المسلم فلا يجوز أن يُسترق، (كما لم يكن يجوز في الدِّين المسيحي أن يُسترق المسيحي)، ولكنَّ تجارة الرَّقِّيق نشطت على الرَّغم من هذا، وكان قوامها مَن يقبض عليهم في الغارات كالزّنوج من بلاد الشَّرق، ومن أواسط إفريقيا»[٢].

ثم نجد ديورانت يقابل بين العبيد في ظل الإسلام، في القرن السَّابع الميلادي أي صدر الإسلام، وعُمال مصانع الرأسماليَّة بأوروبا في القرن التَّاسع عشر، فيقول: «كان للسَّيد من المسلمين حق الحياة والموت على عبده، ولكنه في العادة يُحسن معاملته، إلى حد لم يكن معه مركزه أسوأ من مركز العامل في المصانع الأوروبية في القرن التَّاسع عشر، بل لعلَّه كان أحسن حالاً من ذلك الصَّانع. لأنه كان آمن على حياته منه، وكان الأرقاء يقومون بمعظم الأعمال الدُّنيا في المزارع، وبأكثر الأعمال اليدويَّة، التي تحتاج إلى مهارة في المدن»[٣].

أما عن حق الزَّواج والتَّعليم للعبيد فكانت مسموحة، وتعتمد على قدرات العبد نفسه. يقول ديورانت: «كان ابن الجاريَّة من سيدها وابن المرأة الحرة من عبدها حراً ساعة مولده، وكان يسمح للعبيد أن يتزوجوا وأن يتعلم أبناؤهم إذا

(١) التونسي، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسُّودان، ص٢٤٩ وما بعدها.
(٢) ديورانت، قصة الحضارة ١٣ ص١١٢- ١١٣.
(٣) المصدر نفسه.

أظهروا قدراً كافياً من النَّباهة، وأن المرء ليُدهش من كثرة أبناء العبيد والجواري، الذين كان لهم شأنٌ عظيم في الحياة العقلية والسِّياسية في العالم الإسلامي، ومِن كثرة مَن أصبحوا منهم ملوكاً وأمراء»[١].

أما مونتسكيو فله رأي يميز فيه الرِّقَّ بالبلدان الإسلاميَّة، مبني على الجنس، وهذا ليس سائداً لدى هذه الدُّول وليس معدوماً لدى الدُّول الأُخر، كالأوروبية مثلاً، لكنَّها نظرة عامة، لم يأخذ التَّفاصيل، وذلك بُحكم الإطلاع وعامل اللغة أيضاً، وما يجري الحديث به على ألسنة المتشددين دينياً ضد الإسلام.

قال مونتسكيو عن الرِّق عند المسلمين، متحدثاً عن الإماء فقط: «لا يكون السَّيد في الدُّول الإسلاميَّة وليَّاً لحياة الإماء وأموالهنَّ فقط، بل يكون صاحباً لما يُسمَّى عصمتهنَّ وشرفهنَّ أيضاً. وإن من مصائب هذه البلدان أن يكون أكثر قسم في الأُمَّة قَد خُلق ليكون خادماً لشهوة الآخر، وتكافئ هذه العبوديَّة بالكسل الذي يُمتع به مثل هؤلاء العبيد، وهذا بلاء جديدٌ على الدَّولة أيضاً. وهذا الكسل هو الذي يجعل قصور الشَّرق أماكن نعيم حتى لَمن أُنشئت ضدهم»[٢]. يقصد العبيد أنفسهم.

غير أن مونتسكيو يعود ويُقابل بين ما لدى المسلمين والرُّومان من أفضلية في نظام الرِّق، قائلاً: «لا أرى أنه كان لدى الرُّومان ضابطةٌ صالحةٌ منَ هذه النَّاحيَّة، فقد أرخوا العنان لشبق السَّادة، حتى لأنهم حرموا عبيدهم حقَّ الزَّواج من بعض الوجوه»[٣]. على العموم، ومن دون تحديد حضارة أو دولة من الدُّوَل، نجد مونتسكيو يحذر من مخاطر كثرة العبيد كـ«العصيان»[٤].

إلى جانب هذه الآراء ظهر مَن صنف داخل الإسلام «الإسلام الأسود»، وهو كتاب ألفه فانسان مونتاي (١٩٦٤م)، بعد أن «اقتنع بإمكانية تقسيم العالم

(١) ديورانت، قصة الحضارة ١٣ ص١١٢- ١١٣.
(٢) مونتسكيو، روح الشَّرائع ١ ص٣٦٠- ٣٦١.
(٣) المصدر نفسه ١ / ٣ ص٣٦١.
(٤) انظر: المصدر نفسه ١/ ٣ ص٣٦٢ وما بعدها.

الإسلامي إلى خمسة مناطق أثنية ثقافية كبرى: الإسلام العربي، والإسلام التُّركي، والإسلام الإيراني- الهندي، والإسلام المالوي والإسلام الأسود»[١]. ويقصد مؤلف «الإسلام الأسود» مسلمي القارة الإفريقية على أساس «أن لإفريقيا شخصيتها الخاصة، والإسلام الذي يعيشه الأفارقة هو إسلام لكون بنيته التَّحتية ذات أصل إحيائي»[٢].

هنا تأتي إضافة أخرى في تحديد الدِّين باللَّون، مع أن الأفارقة المسلمين يختلفون مثل غيرهم في مذاهبهم وطرق تصوفهم، فلماذا أُختير اللَّون في تمييزهم عن بقية المسلمين! وسؤال يطرح نفسه: إذا كان الدِّين يصنف على اللَّون فهل يمكن تصنيف المسلمين الأوروبيين، أو ذو البشرة البيضاء، بالإسلام الأبيض مثلاً؟ مَن يقرأ العنوان سواء كان عنوان الكتاب الأصل أو الكتاب الذي أُلف بسببه، يذهب تفكيره مباشرة إلى العبوديَّة، وما يتعلق باللَّون منها.

كثر الحديث عن السُّود، أو الرِّق في الشَّرق الإسلامي، لكنَّ ماذا عن غربه حيث المغرب العربي والأندلس؟ يقع بأيدينا كتاب تحت عنوان «الرِّق في بلاد المغرب والأندلس»، فقد وجد السُّود هناك منذ القرن الخامس الهجري، وليس أقل من ذلك، وبهذا تكون عبودية السُّود هناك متأخرة على بلاد الشَّرق الإسلَاميَّة. «يسجل القرنان ٥-٦هـ/ ١١- ١٢م إقبال المغاربة والأندلسيين على اقتناء الرَّقيق الأسود»[٣].

أما غرض السُّلطات من جلب الرَّقِّيق الأسود إلى الأندلس فهو الحاجة لجنود حراسة وقتال؛ بل إن الحَال ارتقت بهم إلى مستوى القادة للأعمال بقرطبة، ولهم وجود بغرناطة، والجزيرة الخضراء من أرض المغرب، وهناك مَن يرى أن السُّود

(١) شقرون، الإسلام الأسود، ص١٨ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) انظر: بنمليح، الرِّقُّ في بلاد المغرب والأندلس، ص٢٠٠ .

دخلوا في الخدمة العسكرية منذ القرن الرَّابع الهجري، وشُكلت منهم فرقة، وساهموا في الحروب كمقاتلين في زمن دولة المرابطين، وقيل وصلوا عن طريقين: التَّجارة أي أسواق العبيد، وكهدايا من الملوك السُّود الأفارقة، ومَن غير غرب أفريقيا هناك سُود قدموا من النُّوبة ودخلوا في الخدمة بالمغرب وبالأندلس[١].

ليس الأندلس فقط، إنما في الدَّولة العباسية كان هناك عبيد في الجيش، أو ما عرفوا في الأنظمة الإسلامية في ما بعد بالمماليك، وهذا لا يخص السُّود إنما جاء الحديث عن الموالي بشكل عام في المصادر الأجنبية، لأنهم عادة يترجمون المولى بالعبد (Slave)، وهذا لا ينطبق على الواقع مثلما بينا في الفصل الأول من هذا الباب[٢]. معلوم، تطورت أحوال الكثير من المماليك، وقد احتلوا مراكز مهمة في الدَّولة، وصارت لهم اعتبارات اجتَماعية[٣]، وهنا تبقى الموالاة بالاسم فقط، فكيف يعبر عنهم بالعبيد؟

يُحدد الرِّق في الإسلام خلال الحرب على أنه «عجزٌ حكمي يُصيب مَن يقع أسيراً في هذه الحرب، فيفقد أهليته القانونية، ويكون مملوكاً لمَن يؤول إليه، وهذا العجز مؤقت يزول بالفداء أو العتق»[٤]. عند الحديث عن الرِّقِّ في الإسلام، وما مدى شرعيته، ومَن كان مسؤولاً عن تشريعه، يجيب الباحث السُّوري عبد السَّلام التِّرمانيني (ت ١٩٩٠م) قائلاً: «إن الإسلام ظهر والرِّقُّ كان موجوداً، أي لم يُشرع كما شرعته الأُمم الأخرى، فجعلت منه نظاماً طبيعياً أو إلهياً، وإنما شُرع العتق ورُغب فيه واعتبر الرِّقَّ نظاماً دولياً لا يمكن إلغاؤه من جانب واحد»[٥].

---

(١) انظر: بنمليح، الرِّقُّ في بلاد المغرب والأندلس، ص٢٠٣- ٢١٢ .

(٢) انظر: Pipes, salve solders and Islam the Genessis of military system, p131 and beyond .

(٣) انظر: Lovejoy, Slavery on the Frontiers of Islam, p87 and beyond .

(٤) انظر: الدُّوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرَّابع الهجري، ص٨٨ . التِّرمانيني، الرِّقُّ ماضيه وحاضره، ص٣٢ .

(٥) التّرمانيني، المصدر نفسه.

هذا عن صدر الإسلام، أما ما بعده فقد حصل تراجع عن التَّرغيب في العتق، سببه حين توقفت الفتوح «أصبح الرَّقيق المجلوب هو المصدر الرَّئيسي للرِّق، وأصبحت تجارة الرَّقيق تدر على أصحابها رزقاً واسعاً، وكان لهم حظوةٌ عند الخلفاء والوزراء والأثرياء»[١].

هناك مصدر آخر للرَّقيق من غير ما ذَكرنا: «كان بعض الولاة يرسل الرَّقيق ضمن الواردات، فمثلاً اعتاد بَعض البربر أن يُقدموا أطفالهم بدل الجزية»[٢]. بعد صدر الإسلام وما حصل من فتوحات «فإن الأمصار الجديدة أصبحت أهم مراكز الحياة الاقتصادية، واحتاجَت إلى عدد كبيرٍ من العبيد لاستخدامهم في الصِّناعة والزِّراعة وغيرها من الأعمال»[٣].

يُؤتى بالرَّقِّيق البيض من الرُّوم والأرمن والكرج، والغالب منهم من الصَّقالبة (السّلاف)، يجلبون عن طَريق خوارزم، ويُدربون عادة بسمرقند، قبَل وصولهم إلى العراق حيث بغداد العاصمة[٤]. أما الرَّقّيق الأسود فظل مصدره الحبشة والسُّودان[٥]. كان استخدامهم في العاصمة العباسية بغداد في مجالات عدة: خدمة البيوت، كطباخين وخزانين وبوابين وملاحين في القوارب، واستخدامهم في الفنون كالغناء وإلقاء الشِّعر، وكذلك يستخدمون حراساً، فنقل أن المقتدر على الله (قُتل ٣٢٥هـ) استخدم في الجيش أحد عشر ألف مملوكاً في قصره، وشكلَّ فرقة عسكرية كاملة منهم، وكذلك يستخدمون في الحقول، ومنهم الزِّنج الذين لا حقوق لهم، مثل الذين يعملون في الأرض بالبصرة[٦].

---

(١) التِّرمانيني، الرِّقُّ ماضيه وحاضره، ص٣٣. انظر: الدُّوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرَّابع الهجري، ص٨٩.
(٢) الدُّوري، المصدر نفسه، ص٨٨.
(٣) العلي، التَّنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص٦٦.
(٤) انظر: الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرَّابع الهجري، ص٨٩.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه، ص٩٠- ٩١.

لقد ميز الإسلام بين أسرى العرب في الحروب والغزوات، أي من المشركين، فلا رقٌّ يقع على رجال العرب، وخلال عهد النَّبي «لم يسترق أحداً مَن ذكورهم»[١]. وكذلك حكم الخليفة الرَّاشدي الثَّاني عمر بن الخطاب «حتى ردَ سبي الجاهلية، وأولاد الإماء منهم أحراراً إلى عشائرهم، على فدية يؤدونها إلى الذين أسلموا وهم في أيديهم»[٢]. ويُروى عن عمر أنه قال: «ليس على عربي ملك، ولسنا بنازعي مِن يدِ رجلٍ شيئاً أسلم عليه، ولكننا نقوَّمهم الملّة خمساً مِن الإبلَ»[٣].

هذا ما يخص العرب، وعلى حد قول صاحب كتاب «الأموال» أبي عبيد الله القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) «فقد انقرض ذلك»[٤]، بعد أن أفتتح المسلمون البلدان، وما طُبق على العرب لا يُطبق على غيرهم في الأسر، فبالنسبة للأسرى في الفتوحات فيرجع الأمر إلى الإمام «مخير في الأسير من الرِّجال في أربعة أحكام: المَن، والفداء، والقتل، والرِّقِّ»[٥]، إلا مَن له عهد، كما حصل مع أهل السَّواد ومدينة إنطابلس أو بَرقة، أي فرض الجزية لأهل الذِّمة[٦]. وفي حال إسلام الأسير يُحرم دمه[٧].

العَتق في الإسلام:

يأتي موقف الإسلام جلياً من الرَّقِّيق في العتق أو تحرير الرِّقاب، ونكرر التأكيد على أن معاملة العبيد اختلفَت بين صدر الإسلام وما تلاه من العهود، وهنا نتحدث عن التَّعاليم الإسلامية لا عن ممارسات أفراد أو جماعَات. فالإسلام،

(١) ابن سَلام، كتاب الأموال، ص١٧٧ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه، وينظر: السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٧٤ .
(٤) ابن سلام، المصدر نفسه، ص١٧٨ .
(٥) المصدر نفسه، ص١٧٨ .
(٦) انظر: المصدر نفسه، ص١٧٩ .
(٧) المصدر نفسه، ص١٨٠ .

وما ورد في كتابه القرآن الكريم، أن التَّعامل مع السُّود العبيد على أساس أنهم بشر، ومعلوم أن الدَّولة في الإسلام هي امتداد للتَّعاليم الدِّينية، وقد اختلف مفهوم العبودية عند المسلمين عنهم في العالم المسيحي الغربي- طبعاً قبل القضاء على الرِّق وتجارته- وهو أن العبيد ليسوا مجرد ممتلكات، وأن الإسلام يؤكد على التَّقوى، وبالتَّالي يمكن التَّعايش مع تجاهل الفوارق الأُخر، ومنها اللَّون[١]. قبل الحديث عن العتق في الإسلام كتعاليم وممارسات لابد من الإشارة المختصرة إلى ما كان قبله، كيَ تكتمل الصّورة، وتصح المقابلة أيضاً.

كان العتق موجوداً في الأديان والحضارات الأُخر، مع اختلاف الدَّوافع والأنماط، يتحدث القانوني الفرنسي مونتسكيو عن ضرورة العتق بسبب كثرة العبيد، وهنا يأتي الدَّافع لأجل السَّيطرة عليهم. قال: «إذا مُلكَ عبيدٌ كثيرٌ في الحكومة الجمهوريَّة وجب تحرير عدد منهم، والضَّرر في أنه إذا مُلك عبيدٌ كثير لا يمكن زجرهم، وإنه إذا وجد عُتقاء كَثيرٌ لم يستطيعوا العيش، وغدوا عبئاً على الجمهوريَّة، وذلك فضلاً عن إمكان الخطر على الجمهوريَّة من كثرة العُتقاء، وكثرة العبيد، ولذا يجب أن يكون للقوانين عينٌ على هذين المَحَذورين»[٢]. أي الموازنة بين عدد العتقاء وعدد العبيد، كي يتنعم الأحرار أو الأسياد بحياة هانئة، خالية من خطورة العبد، ومن منافسة الأحرار الجدد، وهم العتقاء.

كذلك ورد في النَّص التَّوراتي ما يُعرف بـ«اليوبيل»، وهو مناسبة للعتق، من دون ذكر العبيد: «واحسب لكلِّ سبعة أسابيع من السِّنين، أي سبع مرات سبع سنين، فتكون لك أيام أسابيع السنين السَّبعة تسعاً وأربعين سنة، وانفخ في بوق الهتاف في اليوم العاشر من الشَّهر السَّابع، في يوم التَّكفير تنفخون في البوق في أرضكم كلّها، وقدسوا سنة الخمسين، ونادوا بإعتاق في الأرض لجميع أهلها،

(١) Look; Srgal, Islam's Black Slaves p: 4-5 .
(٢) مونتسكيو، روح الشَّرائع ١/ ٣ ص ٣٦٨- ٣٦٩ .

فتكون لكم يوبيلاً»[١]. هنا نتوقف عند النَّص، فهل الأمر يتضمن العبيد على العموم، أو أنه خاص بالعبيد العبرانيين، أم أن المناسبة دينية لعتق الإنسان من الخطيئة؟ لكنَّ في كلِّ الأحوال سبق أن تحدثنا عن وجود العتق بين اليهود بالنسبة للعبد العبراني، وكانت عبوديته «أخف أنواع العبوديَّة»[٢].

يأتي العتق في الإسلام، أو تحرير الرِّقاب، صريحاً وكنايةً، والصَّريح يكون باللَّفظ الواضح، مثل: أعتقتك أو حررتك، أو أنت حر أنت عتيق، أما بالكناية مثل القول بعبارة: لا سبيل لي عليك، مع وضوح نية العتق[٣]. وشرط العتق أن يكون العاتق: البلوغ والعقل وصاحياً غير مكره[٤] لكنَّ باحث آخر يذكر سَقوط الرِّق بلفظ العتق من المالك ولو كان هازلاً أو سكراناً، أو قالها بلغة غير مفهومة، أو مكرهاً على النُّطق[٥]. لعلَّ في ذلك اختلاف بين المذاهب، وليس من موضوعنا التَّوسع فيه.

أنواع العتق في الإسلام: العتق العام الذي يقوم به الإمام أي الخليفة مثلاً، والعتق الخاص وهو تحرير السَّيد لمولاه أو أمته، وهو قد يكون بلا مقابل وبمقابل كتأدية مال متفق عليه مثلاً، أو عقد الكتابة أو المكاتبة، وفي هذه الحالة لا يتم التَّحرير إلا بعد الوفاء بما تكاتب عليه. كذلك هناك تحرير اختياري يتم بإرادة المالك، وتحرير إجباري بغير إرادته، كتحرير الأقارب وذوي الأرحام، أو الكفارة مثلما ورد في مسألة القتل الخطأ أو كفارة عن الخلل بالصَّوم، وأخيراً إذا هرم المملوك أو مرض مرضاً خطيراً فهو معتوق بذاته[٦].

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الأحبار ٢٥/ ٨-١٠.
(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٥٩٢.
(٣) الجداوي، دراسة جديدة عن الرِّق في التَّاريخ، ص١٤٣.
(٤) المصدر نفسه، ص١٤٤.
(٥) الترمانيني، الرِّقُّ ماضيه وحاضره، ص٨١.
(٦) انظر: الجداوي، دراسة جديدة عن الرِّق في التَّاريخ، ص١٤٤ وما بعدها. كذلك انظر: التّرمانيني، المصدر نفسه، ص٧٢ وما بعدها.

هناك تيسير مهم آخر لوقوع العتق وإسقاط الرِّق في الإسلام، وذلك إذا يدعي الإنسان أنه حرٌ فيلزم تصديقه، وعلَى مالكه أن يثبت تملكه إياه[١]، بمعنى ليس العبد يثبت حريته إنما السَّيد يثبت ملكيته له، وتلك أيسر كثيراً على المملوك بطبيعة الحال. ومثلما يُقبل إقرار الإنسان بحريته بشرط إثبات خلاف ذلك، لا يُقبل إقرار الإنسان على نفسه بالعبوديَّة، لأن الإقرار لا يسلب الحرية بأي شكلٍ من الأشكال[٢].

جمع أستاذ التَّاريخ العراقي صالح أحمد العلي (ت ٢٠٠٣م)، في أطروحته لنيل شهادة الدُّكتوراه مادة غنية من الفقهاء تفيد في تبيان معاملة الإسلام كشرع لمعاملة العبيد، أوصلته إلى نتيجة مفادها: أن «الدِّين الإسلامي الجديد قوى معنوية العبيد، الذين يعتنقونه، لما وعدهم فيه من مساواة أمام الله في الآخرة، وما كان من احتمال حمايتهم من سوء معاملة أسيادهم غير المسلمين»[٣].

جاء في معاملة العبيد: «العبيد مخلوقات بشرية، لذا كانوا يتمتعون ببعض الحقوق التي لا يمكن أن ينكرها عليهم القانون أو المجتمع، فبمقدورهم، بعد استئذان سيدهم، أن يتزوجوا زوجتين من نساء أحرار أو عبيد، ويتبع أولادهم الأم في حالة رقها وولائها، وبمقدورهم أيضاً أن يمتلكوا الأموال، ويتمتعوا بها في حياتهم، بل إن لهم أن يمتلكوا عبيداً، ولكنَّ أموالَ العبيد ترجع إلى سيدهم عند بيعهم أو موتهم، ثم أن لهم أن يعتنقوا ما شاءوا من أديان ويمارسوا طقوسها، فإذا اعتنقوا الإسلام كانت عليهم معظم الفرائض الدِّينيةَ المفروضة على الأحرار من المسلمين»[٤].

مع ذلك هناك ما يميز العبيد عن الأحرار، وإلا لم يبقوا عبيداً، مثل «عليهم أن يحملوا في أعناقهم ختوماً تشير إلى رقمهم، ولم يكن لهم أن يتزوجوا أكثر من

(١) الترمانيني، المصدر نفسه، ص٨٠.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) العلي، التَّنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص٦٦.
(٤) المصدر نفسه، ص ٦٨- ٦٩. نقلاً عن أئمة الفقه، مع مراعاة اختلاف المذاهب في هذه المعاملة، وقد أشار إليها المؤلف في الهامش.

زوجتين، والطَّلاق عندهم طلقتان، وعدة الجارية شهران، وعقابهم في الحدود نصف الحر، ولا تجب عليهم صلاة جمعة، أو القيام بالحج، كما أنهم لا تجوز شهادتهم، وإذا ارتكبوا جريمة قتل فلأهل القتيل أن يقتلوا العبد القاتل ويأخذوه بقتيلهم، أو يطلبوا دية كاملة من سيده. أما إذا قُتل العبد فإن ديته تختلف حسب قيمته، ولا يجوز أن يُقتل الحرَ بالعبد، وإذا جرحوا فإن دية جراحتهم تُقدر بنسبة قيمتهم»[١]. لكَّن الحث على العتق أي الحرية، يعادل مثل هذه المعاملة، وأن الكثير من الأرقاء صاروا أصحَاب نفوذ في الدَّولة، ومِن الجواري مَن صرنَ سيدات فَي القصور[٢].

يُكشف عن نوع آخر من الرَّقيق، وله علاقة بأسرى الحرب، وهو ما عُرف برقيق الخُمس، وهذا من ممتلكات الدَّولة أو الإمارة، وهنا تتمتع الدَّولة أو الإمام أي الخليفة بهؤلاء العبيد بالحقوق كافة التي يتمتع بها الأفراد على عبيدهم، في قضية البيع أو الاستخدام أو العتق، مع ملاحظة أن الدَّولة لم تحرص على البقاء على عدد كبير من العبيد لديها، فهي تقوم إما بعتقهم وإما ببيعهم[٣].

تقول الأميرة سالمة (ت ١٩٢٤م) ابنة سعيد آل بوسعيد سلطان مسقط وزنجبار (إفريقية)، في مذكراتها التي أصدرتها ببرلين العام (١٨٨٦م)، وقد عاشت في طفولتها بزنجبار عندما طبقت بريطانيا قانون منع تملك الرَّقيق على رعاياها هناك: «إن وضع الرَّقيق في الشَّرق الإسلامي ليس كوضعهم في شمال أمريكا فالواقع أن الإسلام، حقق للرَّقيق حقوقاً وامتيازات، ووضعاً قانونياً واضحاً، حدد فيها حالات التملك وحالات العتق»[٤].

(١) العلي، التَّنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص٦٩- ٧٠. أشار في هامشه إلى ما استند عليه من آراء الفقهاء.
(٢) المصدر نفسه، ص٧٠- ٧١.
(٣) المصدر نفسه، ص٧١- ٧٢
(٤) سالمة، مذكرات أميرة عربية، ص٢٤٨.

كذلك أوجز الشَّيخ عبد الرَّحمن الكواكبي (ت ١٩٠٢م) أحكام الإسلام السَّهلة في العتق، موضحاً موقف الإسلام من الرِّق في رسالة نشرتها مجلة «المنار» (١١ يناير ١٩٠٥م)، لصاحبها الشَّيخ محمد رشيد رضا (ت ١٩٣٥م)، بعد وفاة كاتبها بثلاث سنوات، ثم نشرت الرِّسالة ضمن أعمال الكواكبي الكاملة.

كان الكواكبي قد ردَّ بها على كاتب طعن في مقررات «المؤتمر الدُّولي في زنجبار» بشأن الرَّقيق. اعتبر الكواكبي، آنذاك، أن تجارة الرَّقيق في العالم الإسلامي، قد زالت، ولم يبق سوى المهربين يجوبون البحار ببضاعتهم، وهم محاصرون. نذكر الأحكام التي اعتبرها الكواكبي أنها إلغاء تدريجي للرِّق والعبودية، حسب ما جاءت من مصدرها:

- الشَّريعة حصرت الرِّق في المتولدين من أبوين رقيقين، وفي أسرى الحرب القانونية من غير المسلمين، وغير العرب وغير الأقارب، فإن هذه الأصناف لا تُسترق.
- جعلت الاسترقاق غير الشَّرعي من أعظم المحرمات، ويأتي في المحرمات تالي (هكذا وردت) النَّفس.
- جعلت العتق هو الكفارة الوحيدة لجملة خطايا دينية إذا وجد الرَّقيق مهما بلغت قيمته.
- جعلت العتق محللاً للحنث باليمين، التي لا يتعلق بها حقٌّ من حقوق النَّاس.
- جعلت العتق أتم وفاء لحقِّ شكر الله على النِّعمة، أو على السَّلامة من الخطر.
- جعلت العتق أهم ما يوصي به المسلم بعد موته، ليكافئه الله ويعتقه من عذاب الآخرة.

- جعلت الرِّق يسقط بمجرد أن يدعي الإنسان أنه حرٌّ، إذا اعتبرت لزوم تصديقه لأنه يدعي حقاً طبيعياً، وألزمت مدعي ملكه بإثبات أصل رقيته.
- جعلت إقرار الإنسان عن نفسه بالرِّق، ولو ألف مرة، لا يسلب حريته، ولا يمنعه من ادعاء الحرية بعد.
- جعلت الرِّق يسقط بورود لفظه على لسان المالك ولو هازلاً أو سكراناً أو بلغة لا يفهمها أو مكرها على النِّطق.
- جعلت رقَّ الانثى ساقطاً عنها بمجرد أن تلد ولداً من مالكها، فلا تُنقل إلى ملك آخر، وبموته تصير حرة مطلقة.
- جعلت القول قولها في أن حملها هو من مالكها، وإذا أنكر فقولها يؤثر في عتقها، وإن لم يؤثر في ثبوت نسب الولَد منه.
- جعلت مالكَ جزء من رقيق، ولو واحد من ألف، إذا اعتق جزءاً عتق الكلّ، رغماً عن باقي شركائه، وحق لهم تضمين المعتق خسارتهم فقط.
- جعلت حُكم القاضي بالعتق يُنفذ مطلقاً ولو كان ظالماً في حكمه.
- جعلت خليفة المسلمين إذا رأى في اجتهاده أن كان الأرقاء المملوكين للمسلمين رقيتهم غير صحيحة؛ فحكم بحريتهم جميعهم، نفذ حكمه، وصار العبيد أحراراً دفعة واحدة، ولو خالف في حكمه أراء بعض المذاهب الإسلامية القديمة[1].

على ما يبدو من نص الرِّسالة أن الكواكبي يحمل الدَّولة العثمانية تأخير إلغاء الرِّق كليةً؛ بعد أَن أُلغي بأروربا وأمريكا، فعندما ناقش الاستفتاء الذي يُقترح تقديمه إلى المفتين، ومن المذاهب المختلفة عن الحكم الشَّرعي في الرِّقِّ، قال

(١) الكواكبي، الأعمال الكاملة، ص٣٧٩- ٣٨٠. نشرته مجلة المنار في المجلد الثامن، الجزء المؤرخ في ٢٢ (١١ يناير ١٩٠٥).

الكواكبي: «إن هذا الاستفتاء ينتج أن القسطنطينية تحاول في الجواب، وتمنع علماء مكة عن الجواب، أما باقي العواصم فكلها تجيب بعدم جواز الرِّق»[١]. كتب الكواكبي رسالته تلك بعد سياحته الأخيرة، ولا نعلم هل شارك في مؤتمر زنجبار المذكور أم لا. إلا أن الكواكبي قد زارَ إفريقيا الشَّرقية والجنوبية والحبشة والصُّومال[٢]، ومعلوم أن زنجبار جزيرة في المحيط الهندي تابعة لتنزانيا من جنوب أفريقيا، وكانت من أسواق الرِّق، وخضعت لسلطنة عُمان[٣] وبهذا يحتمل أنه قد حضر هذا المؤتمر خلاَل جولته تلك. ومعلوم أن الكواكبي كان من الدُّعاة البارزين ضد الاستعباد بشكل عام، وكتابه في هذا الشأن معروف «طبائع الاسَتبداد ومصارع الاستعباد».

ظلت قضية الرقّيق وعتقهم النهائي في أخذ ورد وهناك تجاوزات على القوانين التي اتخذت لإنهاء العبودية والتجارة بالرقيق، مثال على ذلك تسلم الأزهر رسالة استفتاء من علماء جاوة استفتوا بها لجنة الفتوى في الأزهر عما يحصل من بيع وشراء بالرقيق، جاء في الاستفتاء: «رجل باع ولده الحر المسلم أو غيره فهل يصح هذا البيع؟ وهل يصير هذا الولد ملكاً للمشتري؟ ، إذا لم يصح البيع فما حكم عقده؟ وهل يجب استرداد الثمن؟ وما هي أسباب الرق بالضبط»؟

كان ذلك الاستفتاء العام ١٩٣٩م - ١٣٥٨هـ أي بعد أن حررت الكثير من البلدان الإسلامية الرقيق، بمعنى أنها في ذلك التاريخ المتأخر مازالت تجارة الرقيق تمارس. فأجابت رئاسة لجنة الفتوى بالآتي: «الاسترقاق ظاهرة اجتماعية نشأت منذ ابتدأ الاجتماع الإنساني، وترجع هذه الظاهرة إلى تغلب القوي على الضعيف وتسلطه عليه واستخدامه إياه»[٤].

---

(١) الكواكبي، الأعمال الكاملة، ص٣٨١- ٣٨٢ . لعل تقرير الوالي العثماني على الحجاز أحمد راتب باشا، السابق الذكر، يجيب على ما ذهب إليه عبدالرحمن الكواكبي وملخصه أن تحرير العبيد سبب ثورات القبائل العربية وتمرداتهم الخطيرة بالحجاز (انظر: الكتاب التذكاري، جامعة الملك سعود، ص١٥٧ - ١٦٨).

(٢) الكواكبي، المصدر نفسه، ص٨٢ .

(٣) المنجد في اللُّغة والأعلام، قسم الأعلام، ص٢٨٠ .

(٤) فتوى الأزهر في أسباب الرق وأحكامه، محمد عبداللطيف الغمام رئيس لجنة الفتوى، مجلة الرسالة، العدد (٣٢١) المؤرخ في ٢٨ أغسطس ١٩٣٩م، السنة السابعة، ص١٧١٣ .

وحددت فتوى الأزهر في جوابها على استفتاء علماء جاوة موقف الإسلام من العبودية والتجارة بالرقيق بما هو لصالح الدين وفق النقاط الآتية:

١- ضيق الإسلام في أسباب الرق حتى حصرها في سبب واحد هو محاربة المشركين للإسلام وصدهم للناس عن سبيل الله.

٢ - لم يجعل هذا الاسترقاق نتيجة حتمية لمحاربة المشركين والظفر بهم، بل جعل ذلك من قبيل نظم السياسة الحربية، فخَّير الإمام في أن يلجأ إلى الاسترقاق إذا رأه وسيلة لإعزاز الدين وكسر شوكة المعتدين.

٣ - إذا رأى الإمام أن في الاسترقاق وسيلة حربية لإعزاز الدين ودفع اعتداء المعتدين فلجأ إليه، فحسب فتوى الأزهر الإسلام لم يترك الحبل على الغارب ولا ترك الرقيق لمشيئة مالكه ورحمته يحمله من عناء الأعمال ما شاء كما كان في زمن الجاهلية، أي أنه رغب في العتق ودعى إلى تحرير الرقاب[١].

على ما يبدو كان في بداية القرن العشرين نقاش مستفيض حول قضية الرقيق، فإنها قضية غير عادية تتعلق بأحوال فئة اجتماعية كبيرة، وهم الرقيق، وبمالكيهم أيضاً، أي الضرر الذي يحدثه تحريرهم، فقد طرحت مجلة «المنار» لمنشئها الشيخ محمد رشيد رضا (١٩٣٥م) العام ١٩٠٧ مسألة الرق جدلاً مع بعض ما كتبه الغربيون الذين قالوا بأن الشريعة الإسلامية تجيز الرق، فجاء في المنار الآتي: «نعم إنها أجازته ولكنها ما فرضته فرضاً، ولا أوجبته إيجاباً، ولا ندبت إليه ندباً، ولا استحبته استحباباً، بل نقول بعبارة أوجز: إنها لم تجعله كما يخشى اللورد ديناً يتقرب به إلى الله فيقال أن المسلمين لا يتركونه بل أقرت البشر - وكلهم كانوا يسترقون - على ما في أيديهم من الأرقاء وشرعت لهم العتق وتحرير الرقيق وجعلت ذلك ديناً يتقرب به إلى الله عز وجل، فتارة على سبيل الوجوب والحتم الذي لابد منه، وتارة على سبيل الندب»[٢].

(١) فتوى الأزهر في أسباب الرق وأحكامه، محمد عبداللطيف الغمام رئيس لجنة الفتوى، مجلة الرسالة، العدد (٣٢١) المؤرخ في ٢٨ أغسطس ١٩٣٩م، السنة السابعة، ص١٧١٣.

(٢) الرق في الإسلام والنصرانية، مجلة المنار، العدد: مايو (آيار) ١٩٠٧ المجلد العاشر، ص٢٢٠.

وأضافت المنار بقولها: «ما أجازت الشريعة الإسلامية الرق إلا لأنه قد يكون موافقاً لمصلحة من يُسترقون، كأن يُقتل الرجل في حرب شرعية ويبقى النساء والأطفال بدون عائل ولا كافل، فقد يكون من الخير والمصلحة في مثل هذه الحالة أن يسترق للعجز عن الاستقلال في الحياة، فإذا تسرى الرجال بالنساء وولدنَ له كما هو الغالب زال رقهنَّ، إذ يمتنع انتقالهنَّ إلى ملك آخر، ويُعتقنَّ بموتهم ولا يكون حالهن معهم في الحياة دون حال الزوجات بالعقد، وأما الأطفال فإنهم يكونون بمثابة الأولاد إذ المشروع في هذا الدين أن يكون الرقيق مساوياً لمولاه وأهل مولاه في أكله ولبسه وعمله، وورد في الحديث النهي عن تسميتهم بالعبيد والإماء، ثم حثت الشريعة على العتق حثاً شديداً وجعلته كفارة لكثير من الخطايا»[١].

بشكل عام أوضح رد المنار، وعلى الأكثر أنه بقلم الشيخ محمد رشيد رضا، بـ«أن الإسلام لم يأمر بالاسترقاق لكنه أمرَّ بتحرير الأرقاء وعتقهم ولم يوجب ذلك على الناس دفعة واحدة لما فيه من الحرج الشديد على المالكين والأرقاء جميعاً»[٢]. هذا تأكيد على ما ورد من حذر لتحرير الرقيق دفعة واحدة وما تحدثت به الأميرة سالمة البوسعيد وذكرناه سابقاً.

نبدأ بما جاء في القرآن الكريم، فقد وردت آيات عديدات تُرغب بالعتْق، الذي يُعرف لغة: الكَرم والجمال والحريَّة، والعاتق هو فرخ الطَّير النَّاهض إذا طار فاستقل[٣]، وبمعناه الأخير يأتي اصطلاحاً نقيض الرِّق المعُرَّف لغةَ: الملك والعبوديَّة[٤].

جاء ذكر الأرقاء في القرآن الكريم بعبارة «ما ملكت أيمانكم»، أي مُلك اليمين، وهو المعنَى أعلاه نفسه، وعبر عن العِتق بعبارة «تحرير رقبة»، وهناك أكثر من آية

(١) الرق في الإسلام والنصرانية، مجلة المنار، العدد: مايو (آيار) السنة ١٩٠٧ المجلد العاشر ص٢٢٠.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) الجوهري، الصحاح ٤ ص١٥٢٠-١٥٢١.
(٤) المصدر نفسه ٤ ص١٤٨٣.

تقضي في التَّرغيب على العتق أو الحرية : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾(١) .

والآية : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾(٢) . والآية : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(٣) .

والآية : ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٤) .

كلُّ هذه الآيات ورد فيها وصايا تحث بصريح العبارة على حسن معاملة الرَّقيق .

أما الآيات التي حثت مباشرة على العتق مقابل غسل الخطيئة أو المعصية ، منها في كفارة القتل الخطأ : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(٥) .

ما جاء في العتق ككفارة عن الحنث باليمين الآية : ﴿ لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٦) .

---

(١) سورة النِّساء ، آية رقم : ٣٦ .
(٢) سورة النَّحل ، آية رقم : ٧١ .
(٣) سورة النُّور ، آية رقم : ٣٣ .
(٤) سورة الرُّوم ، آية رقم : ٢٨ .
(٥) سورة النِّساء ، آية رقم : ٩٢ .
(٦) سورة المائدة ، آية رقم : ٨٩ .

والآية الخاصة بالصَّوم أو ما عُرف بالظِّهار: ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١].

بعد النُّصوص القرآنية التي تدفع وتحث بقوة على العتق نأتي إلى الأحاديث النَّبويَّة في التَّرغيب والحث عليه؛ بوصفه من العمل الصَّالح، وهي كثيرة، ونذكر منها: «أن حكيم بن حزام، رضي الله عنه، أعتق في الجاهلية مائة رقبة، وحمل على مائة بعير، فلما أسلم حمل على مائة بعير وأعتق مائة رقبة، قال: فسألتُ رسول الله ¤ فقلتُ: يا رسول الله، أرأيت كنتُ أصنعها في الجاهلية، كنتُ أتحنث بها- يعني أتبرر بها- قال: فقال رسول الله ¤: أسلمتَ عن ما سلف لك من خير»[٢].

الحديث: «إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم، وإن كلفتموهم ما يُغلبهم فأعينوهم»[٣].

الحديث: «إذا أتى أحدكم خادمه بطعام، فإن لم يجلسه معه فليُناوله لُقمةً أو لقمتين، أو أكلة أو أكلتين، فإنه ولي علاجه»[٤].

حديث: «من اعتق رقبةً مؤمنة، أعتق الله بكلِّ عضوٍ منها عضواً من أعضائه من النَّار»[٥].

الحديث: «لا يُجزي ولدٌ والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه»[٦].

---

(١) سورة المجادلة، آية رقم: ٣-٤.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب العتق (٢٥٣٨) ومسلم في كتاب الإيمان (١٢٣).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان (٣٠).
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان (٢٥٥٧).
(٥) أخرجه البخاري في كتاب كفارات الأيمان (٦٧١٥) ومسلم في كتاب العتق (١٥٠٩).
(٦) أخرجه مسلم في كتاب العتق (١٥١٠) وأبو داود في الأدب (٥١٣٧) والترمذي في كتاب البر والصلة (١٩٠٦) وابن ماجه في كتاب الأدب (٣٦٥٩).

الحديث: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه، وما زال يوصيني بالنِّساء حتى ظننتُ أنه سيحرم طلاقهنَّ، وما زال يوصيني بالمماليك حتى ظننتُ أنه سيجعل لهم مدةً إذا انتهوا إليها أعتقوا»[١].

الحديث: «أُعْطيتُ خَمْسًا بُعثْتُ لم يعطهنَّ أحدٌ قبلي: أُرسلتُ إلَى الأبيض والأسود والأحْمَرَ، وَجُعلَتْ لَي الأرْضُ مَسْجدًا طَهُورًا، وَنُصرْتُ بالرُّعْب فيرعب العدو مني، وهو مني مسيرة شهرٍ وأُحلَت لي الغنائم ولَم تُحلَّ لأحدَ قبلي، وأُعطيت جوامع الكلم»[٢].

مع اختلاف التَّفسيرات للأحمر والأسود، لكننا نأخذ جوهر الحديث بأنه لا وجود للتمييز بين المؤمنين على أساس اللَّون، وما يؤكد هذا وجود السُّود في بدايات الدَّعوة الإسلامية، وعاصروها في سريتها وعلانيتها، وكان لهم حضورهم الفاعل، مثلما سنتعرف على ذلك في تراجمهم.

لكنَّ مثلما وردت الأحاديث الواضحة بحسن معاملة ملك اليمين، أو العبد، أتت أحاديث مقابلة توصي المملوكين بحسَن معاملة مُلاكهم[٣]، وهي تأتي لصالح الأرقاء أيضاً كي لا يُجار عليهم بعذر من الأعذار، ومنها: الحديث: «الْعَبْدُ إِذَا نَصَحَ سَيِّدَهُ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّه كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ»[٤].

الحديث: «ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ¤

(١) ذكر القرطبي هذا الحديث في تفسير سورة النساء آية رقم (٣٦)، وذكر ابن الجوزي في العلل المتناهية رقم (١٢٤٣) بلفظ «مَا زَالَ جبْرِيلُ يُوصيني بالْمَمْلُوك حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّه يَضْربُ لَهُ أَجَلا ثُمَّ يُعْتقُهُ»، قال ابن حبان: هذا حديث باطِلٌ والحسَن بْنَ علي يروِي المناكير عن المشاهِير.
(٢) أخرَجه الطبراني بلفظ (أُعطيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَها نَبيٌّ قَبْلي بُعثْتُ إلى الأحمرِ والأسود) ٧/ ٢٥٧، وينظر مجمع الزوائد للهيثمي ١/ ٢٦٦، ٨/ ٢٦٢، ١٠/ ٣٧٤.
(٣) انظر: الترمانيني، الرِّقُّ ماضيه وحاضره، ص٢٠٠ الحديث رقم: ٢٥٤٧ وحديث رقم: ٢٥٤٩ وص٢٠١ حديث رقم: ٢٥٥١.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب العتق (٢٥٤٦، ٢٥٥٠).

وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّه وَحَقَّ مَوَاليه وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ»[١].

الحديث: «لِلْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ الصَّالِحِ أَجْرَانِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَوْلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَجُّ وَبِرُّ أُمِّي لأَحْبَبْتُ أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا مَمْلُوكٌ»[٢].

بناء على ما تقدم هناك رأي يقول: «إن تمثيلات الحبش (السُّود) إيجابية في بداية الدَّعوة الإسلامية، لكنَّ التمثيلات السِّلبية التي سبقت الإسلام اخترقت هذه الإيجابية، وجعلتها مؤقتة، لتعاد التمثيلات السِّلبية السَّابقة وترسخ بقوة»[٣].

في الرَّأي السَّالف شيء من الصَّحة، وذلك بسبب البُعد الزَّمني عن عصر صدر الإسلام، وتحول العبودية إلَى حاجة اقتصاديَّة، في العمل والتِّجارة، والتَّجنيد في الجيش، وأغراض الحراسة[٤]، وتعقد الحُكم بفخامة القصور واحتياجاتها، بينما ظلت سهولة العتق موجودة كحلٍّ ديني. وحسب رأي آخر، مشابه للأول، بأن الإسلام حاول عَلاج ظاهرة العبوديَّة «بطريقة تقضي عليها بالتَّدريج، فإذا طُبقت مصادر الرِّق وشُرعت أبواب العتق، وتحرير الرِّقاب، فإن هذه الظَّاهرة سوف تنتهي تدريجياً، غير أن الذي حصلَ كان على خلاف ذلك»[٥].

هذا ما ذكره الشَّيخ عبد الرَّحمن الكواكبي، من قبل، نصاً، وهو يتحدث عن موقف الإسلام من الرِّق، ومعروف عن الرَّجل أنه كان ضد الاستعباد والاستبداد، مثلمَا تقدمت الإشارة إلى ذلك، ومسألة الرِّق تدخل في صميم جهده. قال: «ومِن جملة ذلك أنه (أي الإسلام) ضيق دائرة الرِّق جداً، بحيث

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم (٩٧) ومسلم في كتاب الإيمان (١٥٤).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب العتق (٢٥٤٨) ومسلم في كتاب الأيمان (١٦٦٥).
(٣) المزروعي، تمثيلات الآخر في أدب قبل الإسلام، ص٢٢١ .
(٤) انظر: Lewis, Race and slavery in the middle east an historical enquiry ,p 62-71
(٥) كاظم، تمثيلات الآخر، ص١٢٣ .

يظهر بكلِّ وضوح أن قصد الشَّريعة الإسلامية إبطال الرِّق أساساً بالتَّدريج»[١]. وذلك وفق الأحكام التي سبق ذكرها.

في وقت كانت تجارة الرَّقيق رائجة، وأسواقها مفتوحة، نقرأ في التّراث الأدبي، ومن روائعه لأبي حيان التَّوحيدي (ت ٤١٤هـ)، في استنكار أحد الأصدقاء على صديقه لأنه ضرب مولاه أو عبده، مما يشير إلى وجود الميل لاستنكار العبودية تحت الإذلال والنَّكال، صحيح أن ذلك لا يُعمم، لكنَّه يومئ إلى علاقة مع الرِّقيق من نوع مَختلف، وأن الأديب التَّوحيدي عبر عن هذه المعاملة بعبارة «مع ما فِي التَّسلط على المماليك مِن دناءة»، ويأتي بسبب كتابة البيتين وبعثهما إلى مالك العبد أو سيده:

إن كنت تطلب فضلاً
إذا ذكرتَ ومجداً
فكنْ لعبدك خلاً
وَكُنْ لخلك عبداً

قال أبو حيان: «كان سببهما (البيتان) أن صديقاً لي ضرب عبداً له، فحضره صديق له فمنعه الصَّديق فلم يمتنع، فكتبتُ إليه بهذين البيتين أذكّره بحقِّ الصَّديق في عبودية الطَّاعة، وأُخوة العبد في حقِّ الإيمان. قال الله تعالى: إنما المؤمن أُخوة، هذا مع ما في التَّسلط على المماليك مِن دناءة»[٢].

قد يرى غيرنا بأن القصة ربَّما كانت من مخيلة التَّوحيدي، وهو يصنف كتاباً في الصَّداقة وما يحتاج إلى مادة، وليكَن كذلك، فهو خيال غير منفصل عن الواقع، على ما تقدم ذكره من ميل إلى المعاملة الحسنة مع الرَّقيق. أما علمنا أنه لكثرة الرَّقيق ورواج تجَارته كَان هناك ببغداد، وهِي عاصمة الدَّولة العباسية،

(١) الكواكبي، الأعمال الكاملة، ص٣٧٨. نشرتها مجلة المنار (١١ يناير ١٩٠٥).
(٢) التَّوحيدي، الصَّداقة والصَّديق، ص٣١٢.

محال باسم «الرقيق»، مثل: «دار الرَّقيق»[١]، وقد ورد الاسم في أخبار المعارك بين ابنيَّ هارون الرَّشيد (ت ١٩٣هـ) الأمين والمأمون، السَّنة (١٩٨هـ)، و«باب الرَّقيق»[٢] أيضاً. فقيل في واحدة من المعارك عند «دار الرَّقيق»[٣]:

ومـــهـــمـــا أنسَ مِن شيءٍ تولى
فـــإنـي ذاكـــرٌ دارَ الـرَّقـــيـقِ

في ختام حديثنا عن العتق نأتي بمثال يعطي صورة عن سهولة حدوثه، مقابل أمر بسيط يقوم به المملوك يُرضي مالكه أو سيده، كشراء كبش مثلاً. يروي ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ) عن حادثة شهدها بنفسه أثناء زيارته وتجواله بمدينة عدن، قبل مغادرته إلى الصُّومال. مفادها: أن أحدهم بعث بغلامه يشتري له كبشاً مِن السُّوق، وبعث غلاماً آخر في المهمة نفسها.

لم يجد الغلام بالسُّوق سوى كبشاً واحد، وبائعه طلب ثمنه (٤٠٠) دينار، وهو مبلغ باهض، فتحير الغلام بين أن يعود إلى سيده بخفي حُنين أو يدفع في الكبش ٤٠٠ دينار، فربَّما تقدم غيره واشتراه، فقرر أن يشتريه، وفي حال عدم موافقة سيده عليه سيدفع المبلغ مما جمعه في حياته، وليس لديه غيره، وهي مجازفة بالنِّسبة له. دفع الغلام المبلغ وذهب بالكبش إلى سيده، ففرح الأخير بما صنعه غلامه، فجازاه بمنحه الحريَّة مع ألف دينار[٤].

(١) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٧ ص٣٧٧.
(٢) المسعودي، مروج الذَّهب ومعادن الجوهر ٤ ص٢٨٢.
(٣) المصدر نفسه ٤ ص٢٨٣. ومطلع القصيدة التي رثى بها بغداد شاعرها:
بكـتْ عـــيـنـي عـلـى بـغـــــدادَ لما
فـــقـــدتُ غَـــضـــارةَ العـــيـشِ الأنيق
(٤) ابن بطوطة، الرِّحلة، ص٢٥٢.

الفصل الرابع

ثورات السُّود

عندما ندرج تمرد السُّود أو ثوراتهم في أوقات مختلفة؛ وكان أصغرها وأكبرها حدثتا بالبصرة، نقصد تأكيد حضورهم في الحياة الاجتماعية والسِّياسية، وأن أمر هذه الثَّورات لم يكن بدافع إلغاء العبوديَّة أو الرِّق فهذا لم يكن هدفاً منشوداً وقتذاك، بل إنه لم يكن مطروحاً كمطلب اجتماعي سياسي، إنما كان العتق يحصل من التَّفكير بإلغاء الرِّق كنظام معمول به دولياً، وهذا غير معروف آنذاك.

كذلك توضح تلك الثَّورات عن مدى اختلاف المعاملة مع السُّود في صدر الإسلام عنه في ما تلاه من عهود؛ واستخدامهم في الأعمال الصَّعبة وفي ظروف قاسية، التي قد تفوق طاقاتهم البدنية، من دون مراعاة ما جاء من وصايا دينية خاصة بالتخفيف عنهم، ومعاملتهم بالحسنى، حسب ما ورد في الكتاب والحديث.

إضافة إلى وجود مَن يقودهم في تلك الثَّورات أو الاحتجاجات، في ظروف سياسية قلقة، تشوبها النّزاعات على الحكم، مثلما حصل بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزُّبير (٦٧-٧٣هـ)، وما حصل في مابعد من ضعف في دار الخلافة العباسية ببغداد، وتغلب الموالي الأتراك على مقدراتها، بعد قتل الخليفة جعفر المتوكل (٢٤٧هـ). لقد حصلت ثلاث ثورات بالبصرة بالذات، من مجموعة أربعة أحصيناها في كتب التَّاريخ، مما يعني أنها كانت سوقاً للرَّقيق، بحكم

موقعها في رأس الخليج العربي، وانفتاحها على السّواحل حيث يستورد الرَّقيق السُّود[١].

عندما نقول تمرد الزِّنج أو السُّود، لم يحصل اتفاق أصحاب البشرة السّوداء في هذا الأمر، فالأربع ثورات كان ثلاث منها بالبصرة، ومحصورة بين أكرة الأرض والمملوكين هناك، وليس السُّود على العموم، وإلا في تاريخ تلك الفترة كان هناك فقهاء وشعراء وندماء للخلفاء من السُّود، وفي أماكن مختلفة، والثورة الرَّابعة، وهي الثَّالثة حسب التَّسلسل الزَّمني، وقعت بالمدينة، والسَّبب، مثلما سيأتي، هو ما حصل بين الجُند والتُّجار، وليس للسود مطالب خاصة بطبقتهم كإلغاء العبودية مثلاً.

ورد خبر تمردهم الأول بالبصرة في أيام ولاية مصعب بن الزُّبير (قُتل ٧٢هـ) عليها؛ من قبل أخيه عبد الله بن الزُّبير (قتل ٧٣هـ)؛ وامتدت ولاية مصعب نحو أربع سنوَاتَ، بدأت العام (٦٧هـ) وانتهت بقتله السَّنة (٧٢هـ)، وذلك حسب ما ورد في الرّواية بأن تلك الثَّورة قد حدثت في أواخر أيامه، وكان قتله في الشَّهر السَّادس (جمادى الآخرة) من تلك السَّنة.

جاء في خبرها: «اجتمع الزِّنج بفُرات البصرة، في آخر أيام مصعب بن الزُّبير، ولم يكونوا بالكثير، فأفسدوا وتناولوا الثِّمار، وولي خالد بن عبد الله بن خالد البصرة، وقد كثروا، فشكا النَّاس إليه ما نالهم منهم، فجمع لهم جيشاً، فلما بلغهم ذلك تفرقوا، وأخذ بعضهم فقتلهم وصلبهم»[٢].

---

(١) مازال أحفادهم يعيشون على أرضها، كفئة من فئات سُكانها الأصليين، ولهم تقاليدهم وأعرافهم وطباعهم، ولهم وجود يختلف في نسبتَه من منطقة إلى أخرى، فقد انتشروا مع ملاكهم القدماء، من شيوخ العشائر، وبعد تشكيل الدَّولة العراقية الحديثة، أقر الدُّستور العراقي المساواة بين المواطنيَن. ويبدو أن التَّمييز ظل معمولاً به، بشكل خفي اجتماعياً وليس رسمياً، لهذا نظموا أنفسهم بعد ضعف الدَّولة ثم سقوطها (أبريل/ نيسان ٢٠٠٣)، ولجوء العراقيين كلٌّ إلى طائفته أو قوميته، وظهر «اللَّون» في الدُّستور الدائم (٢٠٠٥) المادة (١٤): «العراقيون متساوون أمام القانون دون تمييز بسبب الجنس أو العرق أو القومية أو الأصل أو اللَّون أو الدِّين أو المذهب أو المعتقد أو الرَّأي أوَ الوضع الاقتصادي أو الاجتماعي».

(٢) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٤ ص٣٨٨.

بعد مرور خمسة أعوام على ذلك الحدث ثار الزِّنج بالبصرة ثورتهم الثَّانية السنة ٧٥ هـ؛ وتزامن ذلك مع ظهور تمرد على الحَجَّاج بن يوسف الثَّقفي (ت ٩٥هـ) بقيادة ابن الجارود (قُتل ٧٥هـ)، في تلك الأثناء ثار الزِّنج تحت قيادة رجل منهم يُدعى «رباح ولقبه شير زنجي، يعني أسد الزِّنج، فأفسدوا. فلما فرغ الحَجَّاج من ابن الجارود أمر زياد بن عمرو، وهو على شرطة البصرة، أن يرسل إلى الزِّنج جيشاً يقاتلهم. ففعل وسيَّر إليهم جيشاً عليه ابنه حفص بن زياد، فقاتلهم وهزموا أصحابه، ثم أرسل إليهم جيشاً آخر فهُزم الزِّنج وقتلهم، واستقامت البصرة»[1].

نفهم من الرّواية أن أمرهم في الخروج الثَّاني لم يكن سهلاً، فقد كان عددهم أكثر، وحَصل تحركهم تحت قيادة، مثلما تقدم، لكنَّهم في الحَدثين لم ينجزوا شيئاً لأبناء جنسهم، أوما يخص إعلان الحريَّة بالحصول على عتق جماعي مثلاً، والرّواية في هذين الحدثين كانت مقتضبة جداً، لا تزيد على مَا ذَكرناه.

أما التَّمرد الثَّالث فهو ما حصل بالمدينة المنورة في خلافة أبي جعفر المنصور، السَّنة (١٤٥هـ)؛ كان مرتبطاً أو متأثراً بثورة محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنَّفس الزَّكية (قُتل ١٤٥هـ)، عندما ثار مطالباً بالخلافة، ولا نقصد التأثير السِّياسي بين الحدثين إنما طبيعة ما يعقب الثورة والتَّمرد من اضطراب وعدم استقرار، واستخدام الشِّدة الفائقة في قمعها.

قصة ذلك، كان والي المدينة أو العامل عليها، عبد الله بن الرَّبيع الحارثي، قد عُين عليها مكان الأمير العباسي عيسى بن موسى (ت ١٦٧هـ) الذي كان بالمدينة لإخماد الثَّورة المذكورة، فلما دخل الحارثي المدينة تعرض جنده إلى التُّجار بسوقها، يأخذون ولا يدفعون ثمن ما يأخذون، ولما شكوا الجند إلى الوالي ابن الرَّبيع نهرهم، مما زاد في طغيان الجند. فحصل أن اشترى أحدهم لحماً من جزار ولم يعطه ثمنه، ولما طالبه شهر عليه السَّيف، فما كان من الجزار إلا أن طعنه وقتله.

(١) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٤ ص٣٨٨.

كانت هذه الحادثة شرارة اندلاع التمرد أو الثَّورة، والتي قام بها السُّودان وبقيادة جماعة منهم، فعندها تجمع الجزارون وتنادى السُّودان على الجند وقتلوهم بالعُمد، وأخذوا ينفخون في الأبواق، فاجتمعوا من كلِّ حدب وصوب، وكان عليهم أربعة أنفار، وأسماؤهم: وثيق، ويعقلَ، وزمعةً، وقيل أيضاً من رؤسائهم: وحديا، وعنقود، وأبو قيس[١].

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تطور إلى اقتحام السِّجن، والافراج عن القاضي أبي بكر بن أبي سبرة (ت ١٦٢هـ)، وكان والي المدينة ابن الرَّبيع قد سجنه. جاء في الرِّواية: «فكسر السُّودان السِّجن، وأخرجوا ابن أبي سبرة حتى أجلسوه على المنبر، وأرادوا كسر قيده، فقال: ليس على ذا فوت، دعوني حتى أتكلم، فتكلم في أسفل المنبر، وحذرهم الفتنة، وذكرهم ما كانوا فيه، ووصف عفو المنصور عنهم، وأمرهم بالطَّاعة»[٢].

كان لقوة التَّمرد أن عجز عامل المدينة عن مواجهته، فهرب خلاصاً بنفسه، بعد أن عمدوا إليه وهو في المسجد لصلاة الجمعة، فالحدث كان في ذلك اليوم. يروي صاحب التاريخ الطَّبري (ت ٣١٠هـ) عن آخرين عاشوا الحدث، بأن تحركهم في التَّمرد كان كالآتي: «نفخ السُّودان في بوق لهم، فذكر لي بعض مَن كان في العالية وبعض مَن كان في السَّافلة، أنه كانً يرى الأسود من سُكانها في بعض عمله يسمع نفخ البوق، فيصغي له حتى يتيَّقنه ثم يوحَّش بما في يده، ويتم الصَّوت حتى يأتيه»[٣].

استمرت الثَّورة وعسكر السُّودان داخل السُّوق، وانتهبوا ذخيرة طعام كان لأبي جعفر المنصور نفسه، فيها سويق وزيت، وأغاروا على الدُّور التي فيها طعام

(١) انظر: الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٦ ص٥٣٥- ٥٣٦ . ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٥ ص٥٥٦- ٥٦٧ .
(٢) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٧ ص٣٣٢ .
(٣) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٦ ص٥٣٥ .

للجند كان قد حُمل من البحر. لم يثر السُّود، على ما يبدو من الرّواية، لأمر كان يخصهم كمظلمة مَثلاً، أو المطالب بعتق أو تحرير، أو ضَيق من أسيادهم أو مواليهم، إنما حميَّةً لمواليهم التُّجار، وموقف من تصرف ابن الرَّبيعَ وجنده، ولعلَّ الأمر له صلة بما حصل بالمدينة من قمع الثَّورة الَتي أشرنا إليها.

يروي الطَّبري ما تحدث به القاضي ابن أبي سبرة لعقلاء القوم في محاولة لإنهاء التَّمرد: «أنشدكم الله، وهذه البليَّة التي وقعتّ فوالله لئن تمتْ علينا عند أمير المؤمنين الفعلة الأولى، إنه لاصطلام البلد وأهله، والعبيد في السُّوق بأجمعهم، لأنشدكم الله إلا ذهبتم إليهم، فكلمتموهم في الرَّجعة والفيئة إلى رأيكم، فإنهم لا نظام لهم، ولم يقوموا بدعوة، وإنما هم قوم أخرجتهم الحميَّة»[1]! وكان يقصد بالفعلة الأولى الحرب التي دارت بالمدينة بين محمد النَّفس الزَّكية وجيش أبي جعفر المنصور، وانتهت بقتل النَّفس الزَّكية.

انتهى أمر التَّمرد بتدخل العُقلاء مثل القاضي ابن أبي سبرة، الذي حثهم على طاعة أمير المؤمنين، وقد سمعوا الرَّأي إلا أنهم اشترطوا أن لا ينهوا تمردهم إلا بتشكيل ما يشبه اللجنة يُسند إليهم الأمر، وهم: أربعة من بني هاشم، وأربعة من قريش، وأربعة من الأنصار، وأربعة من الموالي، ثم الأمَر يكون شورى بينهم.

إلا أن رجلاً من أحفاد عمر بن عبد العزيز قام بتهدئة الحشد الثّائر مع القاضي ابن أبي سبرة؛ فقد «أقبل الناس على كلامه، وتجمع القرشيون، فخرجوا إلى عبد الله بن الربيع، فضمنوا له ما ذهب له ولجنده، وكان قد تأمر على السُّودان وثيق الزُّنجي، فأمسك وقيد، وأتى ابن الرَّبيع، ثم رجع ابن أبي سبرة إلى الحبس بنفسه، حتى قدم جعفر بن سليمان (ت١٧٧هـ) والياً على المدينة فأطلقه وأكرمه، ثم صار إلى المنصور، فولاه القضاء»[2]، وذلك لموقفه الإيجابي في هذه القضية.

(١) المصدر نفسه ٦ ص٥٣٦- ٥٣٧ . ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٥ ص٥٥٧ .
(٢) الذَّهبي، سيرة أعلام النُّبلاء ٧ ص٣٣٢ .

مثلما تقدم كان طغيان الجُند، الذي سبب هذا التَّمرد، له صلة بالانتصار على ثورة قد سبقت ذلك، وأسفرت عن القضاء على أول وأخطر خَروج على الخلافة العباسية، بزعامة حفيد الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي حدث في السَّنة نفسها. على أي حال، انتهى التَّمرد بعقوبة قادة السُّود، المذكورين سلفاً، بقطع أيديهم، واستبدال جعفر بن سليمان بوالي المدينة ابن الرَّبيع.

أما الثَّورة الكبرى فقد قامت بعد أكثر من مائة عام، من الحدث المذكور، وبالبصرة نفسها، وكانت ذات شأن آخر، منَ حيث طول مدَة الثَّورة وخطورتها على الخلافة العباسية، وإدارتهم للبصرة لنحَو خمسة عشر عاماً، وتوسعها إلى خارجها، وقادهم رجل ادعى أنه علوي، أي لم يكن من بينهم. بدأ تحركهم العام (٢٥٥هـ)، وعُرف قائدهم في رواية أحداثها بـ«صاحبَ الزِّنج»[١].

كان أغلب الثَّورات، آنذاك، تُقاد من قبل علويين، وعلى وجه الخصوص من نسل زيد بن علي بن الحسين بن علي بنَ أبيَ طالب (قُتل ١٢٢هـ)، فقيل إن قائدَها زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي[٢].

زعم أيضاً أن اسمه علي بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، وفي مكان آخر ادعى أن اسمه علي بن محمد بن عبد الرَّحيم من بني القيس، على أن جده هذا كان من أهل الكوفة، خرج على هشام بن عبد المَلك (ت ١٢٥هـ) مع زيد بن علي السنةَ (١٢٢هـ)، ولما قُتل الأخير هرب جد «صاحب الزِّنج» إلى الرَّي، وسكن قرية يُقال لها «ورزنين»[٣]. ثم أخذ يتنقل بين عدة بلدان وبأسماء مختلفة، بما يحتاج إلى التَّستر أو التَّخفي عن الأنظار.

(١) انظر تكرار اللقب كثيراً: الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٨ ص٣٧٦ . المسعودي، مروج الذَّهب ومعادن الجوهر ٥ ص١٠٣ . ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٧ ص٢٠٩ .
(٢) المسعودي، المصدر نفسه.
(٣) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٨ ص٣٥٩ .

تظهر الثَّورات عادة خلال أو بعد اضطراب الأحوال السِّياسية وقيام نزاعات؛ ففي خروج الزِّنج الأول والثَّاني كانت النِّزاعات والحروب قائمة، وبالبصرة بالذات، وقد سبق أن عرفنا السَّبب الذي أدى إلى تمرد السُّودان بالمدينة. أما في هذه الثَّورة فكان النِّزاع بالبصرة قائم بين طائفتين: «البلالية» و«السَّعدية». ففي تلك الأثناء أخذ علي بن محمد يجمع الزِّنج حوله، وهم الذين كانوا يعملون أكرة في الأرض السبخة وخدمة المُلاك، وتحت ظروف صعبة، وأحياء شعارات الخوارج أو الشُّراة أو الحرورية نفسها، عند ظهورهم العام (٣٧هـ) في معركة صفين، ومنها «ألا لا حكم إلا لله»[١]، وكان يرى رأي الأزارقة، لأنه كان يقضي بقتل الأطفال والنِّساء والعجزة من كبار السِّن[٢]، والأزارقة كانوا أشد فُرق الخوارج عنفاً، وكتب على رايته ذاتَ اللَّونين الأحمر والأخضر الآية الآتية: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[٣]، وهذا ما رفعه حينها الأزارقة أو الخوارج على العموم حتى سموا بالشراة[٤].

خطب في الزِّنج في يوم الفطر، وعرفهم بسوء حالهم من الرِّق الذين هم فيه، وأنه جاء لتحريرهم، وعلى حد ما جاء في كلامه: «إن الله قد استنقذهم به من ذلك»[٥]. لما قلق الزِّنج مما قد يحل بهم على أيدي مُلاكهم أو أسيادهم؛ إذا ما حصل وسلمهم لهم، تعهد لهم أنه لا يردهم إلى مواليهم، و«إن أحسوا مني غدراً فتكُوا بيَّ»[٦]، وقال: «إنه لم يخرج لغرض من أغراض الدُّنيا، وما خرج إلا غضباً لله، ولما رأى ما عليه النَّاس من الفساد في الدِّين»[٧]. يبدو من الرّواية

(١) المسعودي، مروج الذَّهب ومعادن الجوهر ٥ ص١٠٣ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٨ ص٣٦٢ ، سورة التوبة، آية (١١١).
(٤) المسعودي، مروج الذهب ٣ ص٣٤٦ . مشكور، موسوعة الفرق الإسلامية ص٢٣٨ .
(٥) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٨ ص٢٦٤ .
(٦) المصدر نفسه ٨ ص٣٦٧ .
(٧) المصدر نفسه.

أنه إلى جانب الزِّنج كان هناك ثلاث جماعات، يحسبون على العبيد أيضاً وهم: الفراتية والقرماطيون والنُّوبة[١]، وإذا علمنا أنهم في ثورتهم بالمدينة قد استخدموا البوق في تجمعهم، وفي هذه الثورة كان البوق وسيلة للتواصل والإعلام للتجمع بينهم[٢].

أخذ علي بن محمد، أو صاحب الزِّنج، يرص صفوف الزِّنج مشكلاً جيشاً عظيماً منهم، حتى غلب على البصرة العام (٢٥٧هـ)، أي بعد سنتين من بداية تمرده. استمر يخوض المعارك بالزِّنج خمسة عشر عاماً (٢٥٥- ٢٧٠هَـ)، من خلافة المهتدي بالله بن الواثق بالله (قُتل ٢٥٦هـ) وحتى خلافة المعتمد بن المتوكَل على الله (ت ٢٧٩هـ)، لخطوراتها وقوتها كادت تزحف على بغداد والعاصمة سامراء آنذاك، والذي قاد الجيوش ضدها هو ولي العهد الموفق بن المتوكل (ت٢٧٨هـ)، والحاكم الفعلي في زمانه، وولده أبو العباس المعروف بالمعتضد بالله (ت ٢٨٩هـ)، الذي صار خليفةً بعد وفاة عمه المعتمد.

امتد حكم صاحب الزِّنج من البصرة إلى واسط، وجرت حروب داخل منطقة الأهوار من جهة ميسان شمَال البصرة، ووصل النُّعمانية القريبة عن بغداد من جهة الجَنوب، وشرقاً امتد الزِّنج إلى الأهواز وسيطروا عليها، فكلف تمردهَم الخلافة خسائر فادحة في الأرواح والأموال، ولخطورة أمرها أيضاً أخذ قائد جيش الخلافة، بعد إخمادها، يُلقب بالنَّاصر، جاء في الرّواية: «وكان قتل صاحب الزِّنج بالبصرة على يده، فملك الأمر وأحبه النَّاس وأطاعوه، وتسمَّى بعد قتل البصري الخارجي بالنَّاصر لدين الله مضافاً إلى الموفق بالله، وكان يُخطب له على المنابر بلقبين، يُقال: اللهم أصلح الأمير النَّاصر لدين الله أبا أحمد الموفق ولي عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين»[٣].

---

(١) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٨ ص٣٦٧.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) البغدادي، تاريخ بغداد ٢ ص٤٩٤. انظر: التَّنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٢ ص١١٨.

لهذا كان يوم سقوط عاصمته «المختارة»[١] بالبصرة وقتل قائدها يوماً مشهوداً، بعد أن استعانت الخلافة بمساعدة والي مصر، فوصل لؤلؤ غلام واليها ابن طولون مع قوات ساندة لجيش الموفق بالله، حتى عندما قُتل صاحب الزِّنج وقعت مشاجرة بين جنود الموفق وجنود لؤلؤ «أيهم القاتل لصاحب الزِّنج، وكادت الحال أن تنفرج بينهم في ذلك اليوم، حتى قيل في عسكر الموفق: كيف ما شئتم قولوا/ إنما الفتح للولو»[٢].

لخطورة تمرد الزِّنج، وما تركته المعارك من خراب شاع المثل المعروف «بعد خراب البصرة»، ففي هذا الأمر يُنقل إنه بعدَ دخول صاحب الزِّنج البصرة وأزاح عامل الخليفة العباسي عنها، وفرغت له، قال: «اجتهدتُ الدُّعاء على أهل البصرة، وابتهلتُ إلى الله في تعجيل خرابها، فخوطبتُ فقيل لي: إنما البصرة خبزةٌ، لك تأكلها من جوانبها، فإذا أنكسر نصف الرَّغيف خربت البصرة»[٣]. ماحدث بالبصرة كَان خطيراً حتى أن ولي العهد وقائد الجيوش لإخماد الثَّورة سماها بـ «محنة الزِّنج»، مثلما ستأتي الإشارة إلى ذلك في محله.

روى المؤرخون أن قتلى كثيرون قضوا في معارك الخمسة عشر سنةً، بين الزِّنج وجيش الخلافة العباسية، ومن هلك في المجاعات التي تعرضت لها البصرة خلال تلك المعارك، وربَّما ورد شيء من المبالغة في تلك الأعداد، لكنَّ الحال كانت شديدة جداً.

فما يُذكر من مظاهر ذلك الخراب: أن أهل البصرة في إحدى الصَّولات عليهم «اجتمعوا في بعض الجُمع، فوضع فيهم السَّيف، بين ناجٍ سالم ومقتول وغريق، واختفى كثير من النَّاس في الدُّور والآبار، فكانوا يظهرون باللَّيل فيطلبون

(١) ابن الطِّقطقي، الفخري في الآداب السُّلطانية، ص٢٥١.
(٢) المسعودي، مروج الذَّهب ومعادن الجوهر ٥ ص١٢٠.
(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك ٧ ص٤٢٣.

الكلاب فيذبحونها ويأكلونها، والفيران والسَّنانير، فأفنوها حتى لم يقدروا منها على شيء، وكانوا إذا مات منهم الواحد أكلوه، ويراعي بعضهم موت بعض، ومَن قدر منهم على صاحبه قتله وأكله، وعدموا مع ذلك الماء العذب»[١]. قد لا تؤخذ هذه الرّواية على محمل الجد، فعند تناقل الأخبار يُزاد وينقص فيها، غير أن حرباً شرسةً لخمس عشرة سنة، وفي مكان واحد، تجعل تلك الرّوايات مقبولة، ولو نسبة منها.

لا تبدو ثورة الزِّنج بالبصرة قد حققت للزِّنج أنفسهم العتق والتَّحرير، كتشريع منع تجارة الرَّقيق مثلاً، أو صدور نص يحرم العبوديةَ، والسَّبب أن الزَّمن لا يسمح بوجود مثل هذه التَّشريعات، وليس هناك مَن يفكر بها، فمنع العبودية يُعد من تشريعات العصر الحديث، فلا زعيمهم علي بن محمد ولا كبارهم قد فكروا فِي هذا الأمر، إنما حُشدوا للثورة على أسيادهم، ليكونوا تحت يد سيد جديد، وإذا نجحوا فهم أنفسهم سيملكون العبيد، وكان العديد من القادة منهم، واضح ذلك من أسمائهم وألقابهم مثل القائد «درمويه» الزَّنجي، «من أنجاد الزِّنج وأبطالَهم»[٢]. فقد جاء في خطبتي صاحب الزِّنج، «إنه يريد رَفع أقدارهم ويملكهم العبيد والأموال والمنازل»[٣].

بعد فشل الثَّورة وقتل قائدها سلم الكثير منهم ومنحوا الأمان وبقيت طائفة من الزِّنج تبلغ نحو الألف شخص، هاموا على وجوههم في القفار، لا يلوون علَى شيء، فمات أكثرهم عطشاً. أما الباقون فأخذ الأعراب يمسكون بهم ويعيدونهم إلى العبودية. يروي الطَّبري: «انقطعت منهم قطعةٌ زهاء ألف زنجي مالوا نحو البرِّ، فمات أكثرهم عطشاً، فظفر الأعراب بمَن سلم منهم واسترقّوهم»[٤]، وكأن

(١) المسعودي، مروج الذَّهب ومعادن الجوهر ٥ ص١١٦ .
(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ٨ ص٥٨٣ .
(٣) عُلبي، ثورة الزَّنج، ص١٠٨ .
(٤) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٨ ص٥٨٢ .

لم يكن من ثورتهم شيئاً، وكأنهم لم ينالوا من متاعب الحرب الطويلة، «سوى أنهم خرجوا من عبودية ليدخلوا أخرى، لعلها كانت أشد وأقسى»[١].

هذا، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها كلف ولي العهد الموفق بالله (ت٢٧٨هـ) صاحب السُّنن أبا داود سليمان بن الأشعث السِّجستاني (ت٢٧٥هـ) بالذِّهاب إلى البصرة، كي يقوم بدوره هناك، قائلاً له: «تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطنا، ليرحل إليك طلبة العلم، فتعمر بك، فإنها قد خربت، وانقطع عنها النَّاس، لما جرى عليها من محنة الزِّنج»[٢].

قيل في ثورة الزِّنج شعرٌ كثير حال إخمادها وما بعدها بحين، وأبرز مَن ذَكرها، من معاصريها، ابن الرُّومي علي بن عباس بن جريح (ت ٢٨٣هـ)، هاجياً صاحبها ومادحاً الموفق العباسي وقال في الخليفة المعتمد على الله (ت ٢٧٩هـ) والقائد الذي كلفه في الحرب ضد الزِّنح بالبصْرة[٣]:

لما استقلَّ بك الطَّريق إلى العدا
لا زلت تسلكُ نحو رُشدٍ مسلكا

غشيتك من نصرِ الإله سحابةٌ
نالت حواشيها وليَّك زيركا

فسمَّا إلى الزِّنجِ الأخابثَ سمْوةً
كانت لجمعهم هلاكاً مُهلكا

(١) السَّامر، ثورة الزِّنج، ص١٥٢ .
(٢) الحنبلي، طبقات الحنابلة ١ ص٤٣٣ . ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ١٠ ص١١٠ الذَّهبي، سير أعلام النبلاء ١٣ ص٢١٦ . كما يؤكد الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) وجود السِّجستاني بالبصرة بعد ثورة الزِّنج مباشرة (٢٧١ هـ) وظل بها حتى وفاته بعد أربع سنوات (تاريخ بغداد ١٠ ص٨١).
(٣) ابن الرُّومي، ديوان ابن الرُّومي ٤ ص١١ .

لكنَّ الأهم ما قاله ابن الرُّومي في رثاء البصرة، خلال حرب دامت خمس عشرة سنةً، ومما حلَّ بها من صاحب الزِّنج[١]:

ذادَ عن مُقلتي لذيذ المنام
شُغلها عنه بالدُّموع السِّجام
أيُّ نومٍ من بعد ما حلَّ بالبصْـ
ـرة من تلكمُ الهنات العظام
أيُّ نومٍ من بعد ما انتهك الزِّنـ
ـجُ جهاراً محارم الإسلامِ
إن هذا من الأُمور لأمْرٌ
كادَ أن يقومَ في الأوهام

ومنها ما يشير إلى صاحب الزِّنج الذي كان أصحابه يسمونه بالإمامِ:

وتَسمَّى بغير حقٍ إماماً
لا هدى الله سعيه من إمامِ
لهف نفسي عليك أيتها البصْـ
ـرةُ لهفاً كمثل لهب الضِّرام
لهف نفسي عليك يا معدن الخيـ
ـرات لهفاً يُعضُّني إبهامي

ويبدو ظل هذا الحدث يتداول على الألسن، فبعد أكثر من قرن ونصف أشار إليها أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ)، في قصيدة له ينتقد المذاهب التي تجعل الدِّين

(١) ابن الرُّومي، ديوان ابن الرُّومي ٤، ص٣٣٨- ٣٣٩ .

عنواناً للثورات، جاء فيها[١]:

إنما هذه المذاهبَ أسبابٌ لجذب الدُّنيا إلى الرُّؤساء

غرضَ القومُ متعتةٌ لا يرقّو نَ لدمعِ الشَّماء والخنساءِ

كالذي قام يجمعُ الزِّنجَ بالبصـ رةِ والقرمطي بالأحساء

فانفرد ما استطعتَ فالقائل الصَّـ دقُ يُضحي ثقلاً على الجُلساء

(١) المعري، لزوم ما لا يلزم ١ ص٧٥- ٧٦ .

الباب الثاني

أعلام السُّود وتراجمهم

الباب الثاني

أعلام السُّود وتراجمهم

الفصل الأول: العهد النَّبوي والرَّاشدي

الفصل الثَّاني: العهد الأموي

الفصل الثَّالث: العهد العباسي

الفصل الرَّابع: النِّساء السَّوداوات

الفصل الخامس: الشُّعراء السُّود

الفصل السَّادس: أبناء الحبشيات

الفصل الأول

العهدان النبوي والراشدي

الأحباش والأحابيش:

عمدنا إلى ذكر ما يميز بين لفظي «الأحابيش» و«الأحباش»، قبل البدء بتراجم أعلام السُّود وأدوارهم في الحضارة الإسلاميَّة؛ لما يتعلق ذلك بموضوع كتابنا هذا من لبس اطلعنا عليه في بعض الدِّراسات، بسبب التَّشابه في اللَّفظ، وقاد إلى الخلط في ترجمات أعلام السُّود، ربَّما أحبشي قُيد على أنه حبشي، وذلك لصعوبة التَّمييز بينهما. فهناك فكرة قد سادت، وكتب فيها غربيون، على أن الأحابيش هم جنس من السُّود، فعندما يُقال «أحابيش قُريش» يذهب الفكر إلى أنهم موالون أو عبيد مَوصلون من الحبشة، وبالتَّالي يُحسبون من السُّود، بينما الأمر مختلف بين النِّسبة لمكان بَمكة والنِّسبة لبلاد إفريقية هي الحبشة، مثلما يُسميها العرب، وإثيوبيا عند أهلها والآخرين.

نقرأ في تسميتها، التي هي عليها الآن، الآتي: إثيوبيا هي بلاد النُّوبة، مثلما جاء على نقش يعود تاريخه إلى أوائل القرن السَّادس الميلادي «وفي هذا النَّقش المكتوب باللُّغة اليونانيَّة يسرد أحد ملوك أكسوم، من أواخر القرن الثَّالث الميلادي أخبار فتوحاته، ويقول: أخضعت كلَّ الشُّعوبَ المجاورة لإمبراطوريتي شرقاً حتى بلاد العطور (الصُّومال) وغرباً حتى بلاد إثيوبيا»[1].

على أن الباحث أمين توفيق الطِّيبي اعتبر الحبشة عربية الأصل، وتعود نسبة الاسم «إلى قبيلة حبشت، التي قدمت من اليمن، مهرة أو حضرموت أو تهامة

(١) الطِّيبي، الحبشة عربية الأُصول والثقافة، ص١٧ .

اليمن، واستقرت في الألف الأُولى قبل الميلاد في مرتفعات إرتيريا، ومقاطعة تجراي بشمال هضبة الحبشة، واشتهرت مِن ممالكها مملكة أكسوم منذ القرن الأول الميلادي»[١].

هناك ما يمكن اعتماده في أمر تسمية الحبشة، غير ما ذهب إليه الباحث الطِّيبي، ومن دون أن تكون الحبشة عربية الأُصول، بأن تسمية الحبشة قد تكون عند العرب علَى فعل من معانيه: أحبشت المرأة بولدها إذا جاءت به حبشي اللَّون، ويُقال: حبَّشَ قومَه أي جمعهم، والحُباشة الجماعة مِن النَّاس ليسوا مِن قبيلة واحدة، والحبش والحبشة جنس مِن السُّودان[٢].

أما أن تكون الحبشة ككلّ عربية بدلالة أن قبيلة «حبشت» هاجرت إليها فهذا يصعب الأخذ به. فلماذا لا تكون تلك القبيلة قد أخذت اسمها بعد أن هاجرت إلى الحبشة مثلاً؟ لكنَّ إذا علمنا أن كتاب الباحث الطِّيبي قد صدر بليبيا، في زمن الإيديولوجيا وهوس نظامها آنذاك بالوحدة العربية ثم التَّحول إلى الوحدة الإفريقية، قد يُساعد في فهم مغزى وجهة الكتاب، مع أنه بحث جدير بالاهتمام.

مع عدم إغفال، ما ورد في الكتاب نفسه، من مراكزَ إسلامية قامت ببلاد الحبشة، لكنَّ ليس بالضَّرورة أن تكون عربيةَ، ومنها: «دهلك» قرب ساحل إرتيريا، ويتبع ملكها دولة آل زياد بزبيد من اليمن، و«زيلع» على ساحل الصُّومال، و«هرر» شرقي أديس أبابا، وغيرها[٣].

كان ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ) قد مرَّ بزيلع، التي ذكرناها، خلال رحلته الشَّهيرة، وقال: «سافرتُ من مدينة عدن في البحر أربعة أيام، ووصلتُ إلى مدينة زيلع، وهي مدينة البربرة، وهم طائفة مِن السُّودان شافعية المذهب،

(١) الطِّيبي، الحبشة عربية الأُصول، ص١٦.
(٢) انظر: الجوهري، الصَّحاح ٣ ص٩٩٩.
(٣) انظر: الطِّيبي، الحبشة عربية الأُصول والثَّقافة، ص٩٣- ٩٥.

وبلادهم صحراء مسيرة شهرين، أولها زَيلع وآخرها مقدشو، ومواشيهم الجِمال ولهم أغنام مشهورة السِّمن»[١].

كان هناك عرب أحابيش ليسوا من الأحباش، وبالتَّالي لا يُعدون من السُّود، على أنها تسميةٌ عُرفت بها قبائل عربية، نسبةً إلى جبل يُسمى «حَبَشي»، يقع «بأسفل مكة بنعمان الأراك، ويُقال به سُميت أحابيش قريش، وذلك أن بني المصطلق وبني الهون بن خُزيمة اجتمعوا عنده، وحالفوا قريشاً وتحالفوا بالله: إنا ليدٌ واحدة على غيرنا ما سَجا ليلٌ ووضح نهارٌ، وما رسا حَبَشي مكانه، فسموا أحابيش قريش باسم الجبل، وبينه وبين مكة ستة أميال»[٢]. هذا، وهناك أماكن عديدة عُرفت بحَبَشي مثل: درب بالبصرة، وقصر قُرب تكريت، وبركة بمصر، وجبل ببلاد بني أسد»[٣].

ممَن أثار عبودية وسواد الأحابيش، وربطهم بالحبشة البلاد المعروفة، المستشرق هنري لامنس (ت ١٩٣٧م)[٤]، في مقال نشرته «المجلة الأسبوعية، العام (١٩١٦م) تحت عنوان «الأحابيش والتَّنظيم العسكري في مكة»، وقد ردَّ عليه المستشرق البريطاني مونتجمري وات (ت ٢٠٠٦م) بما ملخصه الآتي[٥]:

- أعطى لامنس وزناً كبيراً للأحابيش بمعنى أحباش، وأغفل معناها الثَّاني.
- لم يرد في المصادر ما يفيد بأن الأحابيش ليسوا عرباً.
- يرد في المصادر أن الأحابيش كانوا حلفاء قريش لا عبيدهم.

(١) ابن بطوطة، الرِّحلة، ص٢٥٢.
(٢) الجوهري، الصحاح ٣، ص١٠٠٠. ياقوت الحموي، معجم البلدان ٢ ص٢١٤.
(٣) ياقوت الحموي، المصدر نفسه ٢ ص٢١٣- ٢١٤.
(٤) راهب بلجيكي الأصل، عاش ببيروت ومات فيها، وأشرف على التبشير هناك، اختص في التأليف عن الإسلام، ويُذكر أنه كان متحيزاً كثيراً ضده(انظر: بدوي، موسوعة المستشرقين ٥٠٣ وما بعدها، والعقيقي، المستشرقون ٣ ص٢٩٣ وما بعدها).
(٥) الطِّيبي، الحبشة عربية الأُصول والثَّقافة، ص٦٤.

- كان على رأس الأحابيش سيد من بني الحارث بن عبد مناف، وكان يُخاطب قريشاً على قدم المساواة.

يبدو أن مقال المستشرق لامنس كان وراء هذا الخلط بين الأحابيش والأحباش؛ وعلى هذا نُشرت مقالات عدة بهذا الخصوص. منها: «أحابيش قريش هل كانوا عرباً» (١٩٤٨م)، و«دراسة لمواقف الأحابيش من الإسلام منذ البعثة وفتح مكة»[١]. بعدها جاء كتاب «الأحابيش ودورهم في العصر الجاهلي وصدر الإسلام» لأحمد محمد السَّيد عبد المنعم العويَّل، الذي صدر (٢٠١٣م).

من غير النِّسبة إلى الجبل المذكور يأتي العويَّل بعدة احتمالات، احتملها آخرون، في أصل تسمية الأحابيش، منها: نسبة إلى حبش بن توشي بن حام بن نوح، وأنهم عبيد جلبوا من بلاد الحبشة وأواسط إفريقيا، أو أنهم عرب أو خليط من العرب والحبش[٢]. وبعد أن يناقش تلك الاحتمالات ينتهي العويَّل إلى القول: «إن الأحابيش هم عرب خُلصاء، ذو جذور ودماء عربية، ولا توجد أي صلة تربط بينهم وبين الأحباش[٣]. إلا أن هذا الرَّأي ليس بجديد إنما طُرح من قبل كثيراً، مثلما ورد عند صاحب «الصَّحاح» الجوهري (ت ٣٩٣هـ) وصاحب «معجم البلدان» الحموي (ت ٦٢٦هـ). وجاء شعراً ضمن ما ذكره صاحب السِّيرة ابن هشام (ت ٢١٣هـ) من رثاء لعبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، من قصيدة طويلة مطلعها[٤]:

أعينيَّ جوداً بالدُّموع على الصَّدر
ولا تسأما أسقيتما سُبل القطرِ

(١) انظر: العويَّل، الأحابيش ودورهم في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، ص١٣.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٤١- ٤٢- ٥١- ٦٥- ٧٠- ١٠٤.
(٣) المصدر نفسه، ص١٠٥.
(٤) انظر القصيدة كاملة: ابن هشام، السِّيرة النَّبويَّة ١ ص١٤٢- ١٤٥.

إلى قوله:

وهم يغـــفـــرون الذَّنبَ يُنقمُ دونه
ويعـفـون عن قـولِ السَّـفـاهةِ والهـجـرِ
وهم جـمـعـوا حِلف الأحـابيش كُلَّهـا
وهـم نـكـلـوا عـن غُـــــواة بـنـي بـكـرِ

***

بعد توضيح ما بين الأحباش أو الحبشان أو الحبش والأحابيش نأتي على عنوان الفصل تراجم أعلام العهدين النَّبوي والرَّاشدي. ويَردُ في مقدمات المصنفات الخاصة بطبقات السُّود أو الحبشان اسمان: لقمان الحكيم والنَّجاشي، صحيح أنهما ليسا من الطَّبقة التي نقَصدها، وهم السُّود في الحضارة الإسلامية، لكن نذكرهما لمثولهما، ليس في المصنفات المذكورة فحسب إنما في تاريخ الإسلام على العموم، وعلى وجه الخصوص عند الحديث عن الحكمة، ما قَبل الإسلام، وعن التَّعاون مع المسلمين. نرى أن شعراء سُود ظلوا يفتخرون بهما، كلما تعرضوا إلى الثَّلب باللَّون، فهذا الحيقطان، الشَّاعر الأسود، لما عابه جرير (ت ١١٠هـ) على سواده، لم يتأخر عن المفاخرة بأبرهة الحبشي إلى جانب لقمان الحكيم[١]، فقال:

ولقُـــمـــان منهم وابنه وابن أُمِّـــه
وأبـرهـة المـلـك الـذي لـيـس يـنـكـر

في القصيدة نفسها فخر بالنَّجاشي حين قال مشيراً إلى الملوك الذين رفضوا رسائل الإسلام إليهم، وقبلها النَّجاشي وقَدم ما هو معروف مِن العون لها[٢]:

وفـــازَ بهـــا دون الملوك ســـعـــادةً
فـــــدام له المُلك المنيع مـــــوقـــــرُ

(١) الجاحظ، الرَّسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٨٣ .
(٢) المصدر نفسه.

يشرح الجاحظ البيت أعلاه قائلاً في النَّجاشي: «فدام له ملكه ونزع الله من هؤلاء (بقية الملوك) النِّعمة، وقيصر إن كان قد بقي من ملكه شيء فقد أخرجوه مَن كل مكان يبلغه ظلف أو حافر، وصار لا يمتنع إلا بالخليج وبالعقاب والحصونَ، وبالشَّتاء والثُّلوج والأمطار»[١]. يُكمل الجاحظ كلامه عن فخر السُّود بالنَّجاشي: «وقال السُّودان: فهذا الفضل فينا، ولم يصل النَّبي قط على جنازة أو قبر إلا النَّجاشي، فإنه صلى عليه وهو بالمدينة وقبر النَّجاشي بالحبشة»[٢].

ما كُتب عن لقمان الحكيم والنَّجاشي ليس قليلاً، وفي روايات مضطربة، وعلى وجه الخصوص بالنِّسبة للقمان الحكيم، ورد فيها الكثير من الخيال، لأنه شأن قديم جداً، وما تناقل خضع للزيادة والنِّقصان والاختراع. لسنا بصدد كتابة سيرة لهاتين الشَّخصيتين، بقدر ما أردنا التَّنويه عن مثولهما في التَّاريخ الإسلام، وما يتعلق ذلك بالسُّود ودورهم في الحضارة الإسلاميَّة.

فما جاء في لقمان أنه رجل أسود، وأنه من أصل حبشي، أو نوبي، مولى لرجل من بني إسرائيل، وأنه اعتزل النَّاس قريباً من بيت المقدس، وكان يضرب به المثل فيَ الحكمة والأمانة والتَّقوى، وقيل إنه كان يتردد على داود ويأخذ عنه الحكمة، وأنه أوصى ابنه بالحكمة، وهذه الوصايا مبثوثة في كتب الحكم والأدب العربية الإسلامية، واختلفوا فيه بين أن يكون نبياً أو حكيماً[٣]. هذا باختصار ما كُتب عن لقمان الحكيم. فهذا أبو الفتح محمود بن قادوس الكاتب يهجو القاضي الرَّشيد، وكان من السُّود (ستأتي ترجمته) قائلاً[٤]:

يا شبه لقمان بلا حكمة
وخاسراً في العلم راسخاً

(١) الجاحظ، الرَّسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٨٥
(٢) المصدر نفسه ١ ص٢٠٢ .
(٣) انظر ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص٩٦ - ١٠٣ . السيوطي، رفع شأن الحبشان، ص١٧٧ وما بعدها.
(٤) انظر ابن خلِّكان، وفيات الأعيان١ ص١٤٦ .

ورد اسمه في القرآن الكريم، وسميت سورة باسمه «سورة لقمان» (رقمها: ٣١). مما جاء فيها: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١]، وعلى ما يبدو أن الإخباريين نسجوا قصصهم على ما ورد في القرآن وما روي في الحديث عنه.

أما النَّجاشي، فقيل إن لقبه من ألقاب الملوك، مثلما يُقال كسرى أو قيصر أو هرقل، وقيل اسمه أصمحة، وقيل: صمحة، واختلفت الرُّوايات في الاسم ومعناه[٢]، فمن معاني النَّجش، حسب ابن الجوزي، استثارة الشَّيء. هاجر إلى بلاد النَّجاشيَ المسلمون الأوائل، وامتنع من تسليمهم لقريش، ويحضر اسمه بزواج أم حبيبة بنت أبي سفيان من النَّبي، فقد عقد له عليها وهي مهاجرة بالحبشة، وأنه استلم الرسالة النَّبوية وردَ عليها معترفاً بالنّبوة لمحمد بن عبد الله، لما مات النَّجاشي، قيل السَّنة التَّاسعة للهجرة، نعاه النَّبي وصلى عليه وكبر أربعاً[٣].

يغلب على الظَّن أن النَّجاشي كان أحد ملوك الحبشة، وليس الحبشة ككلّ، مثل التي نعرفها في الوقت الحاضر، وما يُطلق عليها بإثيوبيا، فهي بلاد واسعة، فلعلَّها المنطقة السَّاحلية حيث عبر إليها المسلمون الأوائل كمهاجرين، ومن قبل التُّجار العرب.

ومثلما تقدم ذكره، في الباب الأول، دخلت بهذه الصِّلة القديمة إلى قريش من الحبشة أربعة أشياء: الغاليَّة (ضرب من الطِّيب)، والمُصحف الذي له دفتان، أي الكتاب بين دفتين، وحمل النِّساء المتوفياَت في النُّعوش، وصداق أربعمائة دينار[٤].

---

(١) سورة لقمان، آيتان (١٢ - ١٣).
(٢) انظر: السَّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص١٩٥ - ١٩٨.
(٣) انظر: ابن الجوزي، تنوير الغبش، ص١٠٤- ١١٢. السَّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص ١٩٥ وما بعدها.
(٤) السَّيوطي، المصدر نفسه، ص٣٣٠.

ومثلما هاجر العرب إلى الحبشة أقام أحباش بالجزيرة العربية، ومنهم الذين سماهم النَّبي ببني أرفدة[١]، الذين لعبوا بالحراب والدَّرق، ومَن نأتي بتراجمهم أدناه، مِن كلِّ الطَّبقات ماعدا النِّساء والشُّعراء فقد أفردنا لهما فصلين خاصين:

أُسامة بنُ زَيد بن حارثة:

عُرف بالحبِّ[٢]، «حبُّ رسول الله ¤ ومولاه وابنُ مولاه، أبو زيد، ويُقال أبو محمد، ويُقال أبو حارثة، وقيل أبو يزيد»[٣]. يُقال له: «الحِبُّ بن الحِبِّ، وكان أسودَ»[٤].

كان ذا منزلة رفيعة، فقد عُين على رأس جيش لغزو الشَّام، وكان الجيش يضم كبار الصَّحابة، تأخر انطلاقه بسبب وفاة الرَّسول، فبادر الخليفة الأول أبو بكر الصِّدِّيق (ت ١٣هـ) لبعثه، ووصل إلى البلقاء[٥] من الشَّام، وقيل أنه حضر معركة مؤتة[٦]، مع والده زيد بن حارثة، وأقام بالشَّام بعد ذلك في محلة تُعرف بالمزة من نواحي دمشق، فقد رُوي أنه «قَدم إلى الشَّام على معاوية فقال له معَاويَة: اختر لك منزلاً، فاختار المزة واقتطع فيها هو وعشيرته، ثم أن أُسامة خرج إلى وادي القُرى، إلى ضيعة لهَ فتوفى بها»[٧].

عده أبو الفرج عبد الرَّحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، في «تنوير الغبش وفضل السُّودان والحبش»، وأحمد الحنفي القنائي الأزهري (بعد ١٩٠٣م) في «الجواهر

(١) انظر: ابن الجوزي، تنوير الغبش، ص٧٤.
(٢) ابن سَعد، الطَّبقات الكُبرى ٤ ص٦١.
(٣) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٢ ص٤٩٦- ٤٩٧.
(٤) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٣١.
(٥) البلقاء: كانت كورة من أعمال دمشق، قصبتها أو مركزها عَمَّان، اشتهرت أنذاك بجودة حنطتها (الحموي، معجم البلدان ١ ص٤٨٩).
(٦) مُؤتَة: قرية من قرى بلقاء الآن بالأردن، وقعت فيها معركة مع الرُّوم السَّنة ٨ هـ، قُتل فيها جعفر بن أبي طالبَ، وقبره هناك، وقيل السّيوف المشرفيَّة منسوة إليها لأنها من مشارف الشَّام، فقال الشَّاعر: أبى الله للشُّم الأُنوف كأنهم/ صَوَارمُ يجلُوها بؤُتَة صَيْقلُ (المصَدر نفسه ٤ ص ٢١٩- ٢٢٠، القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، صَ ٢٧٥).
(٧) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٢ ص٤٩٦- ٤٩٧.

الحسان في تاريخ الحبشان» من السُّود، بينما لم يَذكره جلال الدِّين السُّيوطي في «رفع شأن الحبشان» منهم.

يذكر ابن عمر[١] في رواية نسبت إليه: «أمر رسول الله ¤ أُسامة، فطعنوا في إماراته، فقال: إن يطعنوا في إمارته فقد طعنوا في إمارة أبيه، وأيم الله إن كان لخليقاً بالإمارة، وإن كان لَمن أحبّ النَّاس إليَّ، وإن ابنه هذا لمن أحبّ النَّاس إليَّ بعده»[٢].

لعلَّ الطَّعن جاء بسبب صغر سنه ولونه معاً، والنَّاس آنذاك كانوا حديثي عهد في الإسلام، هذا ما نقرأه في رواية أُخرى: «إن النَّبي ¤ آخرَ الإفاضة من عَرفة من أجل أُسامة ينتظره، فجاء غُلام أسود أفطس، فقال أهل اليمن: إنما جلسنا لَهذا»[٣]؟ كذلك رويت في وجه آخر، أنهم كانوا في فم الشِّعب فـ«انتظره رسول الله ¤ وكان أُسامة أسوداً أفطس، فقال بنو وليَعة: هذا الحبشي حبسنا فكانت الرّدة في أنفسهم»[٤]!

فقد كان أُسامة «شديد السَّواد»[٥]، فإذا كان اللَّون مؤثراً، آنذاك في المنزلة الاجتماعية، مع أن الإسلام ألغى تلك الفوارق وصار السُّود قادةً وأهل رأي، ومنهم أُسامة، لكن اختياره كقائد لسرية إلى خارج الجزيرة تَم على أساس أنه كان «شاطراً شجاعاً»[٦].

نقرأ في أمرة أُسامة على الجيش، السَّنة الحاديَّة عشرة من الهجرة، أي سَنة وفاة الرَّسول: أمره «بالتهيؤ لغزو الرُّوم، فلما كان من الغد دعا أُسامة بن زيّد فقال:

(١) أبو عبد الرَّحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب (٧٣ هـ)، كان عالم بمناسك الحج، ومن المشهود لهم بالورع، كان كثير لعتق العبيد، فقيل مات وقد أعتق أكثر من ألف مملوكاً، ماتَ وهو ابن أربع وثمانين سنة (ابن خلّكان، وفيات الأعيان ٢ ص٢٣٥- ٢٣٧).
(٢) أخرجه البخاري في كتابَ المغازي (٤٢٥٠).
(٣) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ ص٧٥-٧٦ . الذهبي، المصدر نفسه ٢ ص٥٠٠ .
(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١ ص١٧٧ .
(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٨ ص٤٨ .
(٦) المصدر نفسه.

سرْ إلى موضع مَقتل أبيك، فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش، فاغر صباحاً على أهل أُبنى وحرق عليهم، واسرعْ السَّير تسبق الأخبار، فإن ظفرك الله فأقلل اللَّبث فيهم، وخُذْ معك الأدلاء، وقَدم العيون والطَّلائع أمامك»[١]. قال ابن سعد: «لم يبق أحدٌ من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا أُنتدب في تلك الغزوة»[٢].

وعلى الرَّغم من حدوث الرّدة، في أكثر من منطقة، إلا أن سريَّة أُسامة بن زيّد توجهت إلى أُبنى[٣]، وكان يمتطي فرس أبيه، واسمها «سبحة»[٤]، وكان بُريَّدة ابن الحُصيب حامل اللِّواء مع أُسامة[٥]. رُفع الشّعار في الحملة: «يا منصور أمت»[٦]. وينُقل عن الخليفة عمر بن الخطاب (رض): «لم يلق أُسامة قطٌ إلا قال: السَّلام عليك أُيها الأمير ورحمة الله! توفى رسول الله ¤ وأنت عليَّ أمير»[٧]. ويقصد تلك السَّريَّة.

شهد أُسامة بن زيد معركة اليَّمامة[٨]، السَّنة ١١ وقيل ١٢ من الهجرة، وقبلها معركة «حُنين» (٨هـ) وغيرها من الغزوات والمعارك، وكان من الذين ثبتوا في القتال[٩]. لكنَّه لم يُشارك في المعارك التي نشبت بين المسلمين بعضهم بعضاً، فيما عُرف بالفتنة، فعده المؤرخون من الذين سلموا منها، وهم: سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن سَلمة، وأُسامة بن زيد[١٠]. يُعلل شمس الدِّين

(١) ابن سَعد، الطَّبقات الكُبرى ٢ ص١٩٠ .
(٢) المصدر نفسه ٢ ص١٩١ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المصدر نفسه ٢ ص١٩٢ .
(٥) المصدر نفسه ٢ ص١٩١- ١٩٢ .
(٦) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٢ ص١٩١ .
(٧) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٢ ص٥٠١ .
(٨) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٢ ص٤ ص٣١٦ .
(٩) المصدر نفسه ٢ ص١٥١ . الطبري، تاريخ الأُمم والملوك ٢ ص٥٤٥ .
(١٠) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٢ ص٥٠٠ .

الذَّهبي (ت ٧٤٨هـ) موقف أُسامة بن زيد قائلاً: «انتفع أُسامة من يوم النَّبي ¤ إذ يقول له: كيف بلا لا إله إلا الله يا أُسامة! فكف يده ولزم منزله فأحسن»[١].

وقصة ذلك، روي عن أُسامة نفسه أنه قتل رجلاً كان قد نطق في آخر لحظة بالشَّهادة، قال: «أدركتُ رجلاً، أنا ورجلٌ من الأنصار، فلما شهرنا عليه السَّيف، قال: لا إله إلا الله، فلم ننزع عنه حتى قتلناه. فلما قَدمنا على النَّبي ¤ أخبرناه خبره. فقال: يا أُسامة، مَن لك بلا إله إلا الله؟ فقلنا يا رسول الله، إنما قالها تَعوَّذاً من القتل! قال: مَن لك يا أُسامة بلا إله إلا الله؟ فما زال يُردِّدها، حتى لوددتُ أن ما مضى من إسلامي لم يكن، وإني أسلمتُ يومئذ، ولم أقتله»[٢].

يكمل أُسامة القصة التي حالت دونه ومعركة الجمل (٣٦هـ) بالبصرة قائلاً: «إني أعطي الله عهداً، ألا أقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله أبداً»[٣]. وجاء في الرُّواية أيضاً، وعنها اشتهر الحديث الذي يمنع القتل على الشَّبهة أو الظَّن، مازال اللِّسان نطق الشَّهادة، ذلك عندما قتل أُسامة بن زيد الرَّجلَ، وهو في سرية غالب ابن عبد الله اللَّيثي[٤] في الميفعة، قال له النَّبي: «ألا شققت قَلبه فتعلم صادقٌ هو أم كاذب»[٥]؟ وردت الرّواية في «صحيح مسلم»: «قَالَ أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِه حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لاَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئذ. قَالَ: فَقَالَ سَعْدٌ: وَأَنَا وَاللَّهِ لاَ أَقْتُلُ مُسْلِمًا حَتَّى يَقْتُلَهُ ذُو الْبُطَيْنِ يَعْنِي أُسَامَةَ»[٦]. فقال

(١) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٢ ص٥٠٠-٥٠١ .
(٢) أخرجه البخاري معناه في كتاب المغازي (٤٢٦٩)، ومسلم في كتاب الإيمان (٩٦).
(٣) المصدر نفسه.
(٤) غالب بن عبد الله بن مسعر اللَّيثي وقيل الكلبي، وبُعث في سرية على رأسٍ ستين مقاتل، العام الخامس من الهجرة، وكان بُعث لتسهيل الطريق لفتح مكة (ابن عبد البر، الاستصحاب في معرفة الأصحاب ٣ ص١٢٥٢).
(٥) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٢ ص١١٩ .
(٦) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (٩٦).

أسامة: «لا أُقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله»[١]. كان الرَّجل الذي قتله أُسامة بن زيد يُدعى المرداس بن نُهيك[٢].

فيروى أن محادثة جرت بين أُسامة والخليفة علي بن أبي طالب، وذلك أن علياً لقي «أُسامة بن زيد، فقال: ما كنا نَعدكُ إلا من أنفسنا يا أُسامة، فلمَ لا تدخل معنا؟ قال يا أبا الحسن، إنك والله لو أخذت بمَشفر الأسد لأخذت بمشفره الآخر معك، حتى نهلك جميعاً، أو نحيا جميعاً، فأما هذا الأمر الذي أنت فيه، فو الله لا أدخلُ فيه أبداً»[٣]. إذا صحت الرّواية فإنها حصلت قبل التَّوجه إلى البصرة ومعركتها التي حصلت في السَّنة ٣٦هـ.

هناك مَن يذكر أن أُسامة بن زيد، بعد مقتل الخليفة الثَّالث عثمان بن عفان (٣٥هـ)، لم يبايع علياً بن أبي طالب، مع شدة تبجيله له: «لو أدخلت يدك يا عليّ فم تنين - أي ثُعبان- لأدخلتُ يدي معها، ولكنكَ قد سمعتَ ما قاله لي رسول الله ¤ حين قتلتُ ذلك الرَّجل، الذي شهد أن لا إله إلا الله. . .»[٤].

حصل أن حاول أُسامة بن زيد الشَّفاعة لامرأة سارقة تُدعى فاطمة المخزومية؛ فقال له النَّبي: «لا تُكلمني يا أُسامة فإن الحدود إذا انتهت إليَّ فليس لها مترك، لو كانت ابنة محمد فاطمة لقطعتها»[٥]. ولمنزلة أُسامة يُروى عن أم المؤمنين عائشة (ت ٥٨هـ) في شأن الشَّفاعة لفاطمة المخزومية: «فقالوا: مَن يجترئ على رسول الله يُكلمه فيها إلا أُسامة، حبُّ رسول الله»[٦].

أكد أُسامة في قصة أن الظَّواهر الطَّبيعية لا تتغير خارج مسارها، وهذا ما يُؤثر على الكثير مما يُتخذ في الكرامات والعجائب والغرائب، ويصدقها النَّاس. جاء

(١) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٢ ص١١٩ .
(٢) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٢ ص٥٠١ .
(٣) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٢ ص٥٠٤-٥٠٥ .
(٤) الأزهري، الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان، ص١٦٩ .
(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٨ ص٢٦٣. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٨ ص٥٥ .
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الحدود (٦٧٨٨)، ومسلم في كتاب الحدود (١٦٨٨).

في الرّواية: نزل أُسامة بن زيد في قبر نجل النَّبي إبراهيم، ولما قيل انكسفت الشَّمس في ذلك اليوم لإبراهيم قال النَّبي: «إن الشَّمس والقمر آيتان من آيات الله، عزَّ وجلَّ، لا ينكسفان لموت أحد، فإذا رأيتموها فعليكم بالدُّعاء حتَى ينكشفا»[١].

ولد إسامة على الإسلام بمكة[٢]، وقيل عن أبيه زيد «أصابه سباء فاشتراه ¤ قبل مبعثه وأعتقه وتبناه، وابنه الحبُّ بن زيد»[٣]. عده محمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ) من أبناء الحبشيات[٤]. أُمه أُم أيمن واسمها بركة، من النِّسوة المبايعات، إلاَ أن معظم المصادر التي اقتبسنا منها عدته من السُّود[٥]. وستأتي ترجمة أُمِّه في الفصل الخاص بالنِّساء.

أما أبيه فيُنقل أنه كان «آدم شديد الأُدمة في أنفه فطس، فأعتقه رسول الله وزوجه مولاته أُمَّ أيمن»[٦]. ومعنى «الأُدمة: السُّمرة . . . الآدم من النَّاس: الأسمر»[٧]. يُذكر أن زيد وولده قد أُعتقا معاً بمناسبة ولادة إبراهيم ابنَ النَّبي[٨]. تزوج من درة بنت أبي لهب[٩]. تزوج زيد من زينب بنت قُسامة الطَّائية[١٠]، وهذا ما لا يكَون قبل الإسلام، وإذا كان ففي حالَات نادرة.

تعددت روايات وفاة أُسامة بن زيد: ٥٤هـ، وقيل ٥٨هـ، وقيل ٥٩هـ، ويرجح ابن عبد البرِّ سنة وفاته الـ ٥٤هـ قال: «وهو عندي أصح إن شاء الله

(١) أخرجه البخاري في كتاب الكسوف (١٠٦٣)، ومسلم في كتاب الكسوف (٩٠٤).
(٢) المصدر نفسه ٤ ص٦١ .
(٣) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص١٢٨ .
(٤) المصدر نفسه، ص٣٠٧ .
(٥) المصدر نفسه، ص٤٠٦ .
(٦) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٣١ .
(٧) الجوهري، الصِّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية ٥ ص١٨٥٩ .
(٨) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٢ ص٨٧ .
(٦) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص٤٥١ .
(١٠) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٥ص١٧٠ .

تعالى»[١]. قيل رحلَّ إلى الشَّام ثم عاد إلى المدينة[٢] وتوفى فيها، وهناك رواية أشارت إلى وفاته بأُمِّ القرى[٣].

كان أُسامة بن زيد: المحارب الثَّابت في القتال، صاحب النَّبي والقريب عليه جداً، فقد نشأ في بيته مع أبيه زيد وأُمه أمِّ أيمن، وكان أحد الذين غسلوا الرَّسول بعد وفاته، هو وعلي بن أبي طالب، والفضل بن عباس (ت ١٨هـ)، ومولى الرَّسول شقران[٤]، الذي سيأتي الحديث عنه لاحقاً. شارك أُسامة في الفتوحات، وابتعد عمَّا حصل من فتنة التي أسفرت عن مقتل خليفة والحروب في زمن خليفة آخر، وكانت بداية نهاية للخلافة الرَّاشدية، وكان مسنداً للحديث، ومنها، على سبيل المثَّال: حديث تحريم قتل الكافر بعد قوله «لا إله إلا الله»، مثلما تقدم، وحديث في صحيح البخاري، باب «الرَّجل يوضِّئ صاحبه»[٥]، وغيرها.

بلال بن رباح:

نجد في سيرة بلال بن رباح الحبشي انتقال المستضعفين، بانتصار الدَّعوة الإسلامية، إلى القوة وتصدر الحياة الاجتماعية، وقد تم ذلك في زمن قصير جداً، فبمجرد أن تحولت الدَّعوة إلى المدينة، بعد الهجرة، أخذ يتساوى العبيد بالأسياد، حتى لم يبق من أثر للتمايز بين أبي بكر الصِّدِّيق ومولاه السَّابق بلال الذي عُرف باسم أُمه حمامة، أحد الصَّحابة الَّذين نسبوا إلى أُمهاتهم[٦].

كان بلال، بعد إسلامه، مولىً لأبي بكر، ويُكنى بأبي عبد الله، وأبي عبدالكريم، وقيل كني بأبي عمرو[٧] من موالي السُّراة، وكانت أُمُّه لبعض بني

(١) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ ص٧٧.
(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٨ ص٥١.
(٣) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٢ ص٤٩٦- ٤٩٧.
(٤) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٢ ص٢٧٧.
(٥) الكتب السِّتة، ص١٧ صحيح البخاري، كتاب الوضوء، رقم الحديث: ١٨١.
(٦) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان على الحبش، ص ١٢٢.
(٧) البخاري، التَّاريخ الكبير ٢ ص١٠٦. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ١٠ ص٤٢٩.

جُمح، و«بلال سابق الحبشة»[١]، كان من المستضعفين من المؤمنين، و«كان يُعذَب حين أسلم ليرجع عن دينه، فما أعطاهم قط كلمة مما يريدون، وكان يشرف على عذابه أُميَّة بن خلف»[٢].

كان أكثر النَّاس تحملاً للعذاب في سبيل الدَّعوة، إضافة إلى إيمانه القوي في الدِّين الجديد، كان لديه نازع إلى الحرية من العبودية، وبالفعل يوم خلاصه من العذاب حصل على حريَّته، بعتقه من قبل مولاه الجديد أبي بكر الصِّدِّيق (ت١٣هـ). «فكان إذا اشتدوا عليه في العذاب قال: أحدٌ أحدٌ، فيقولون: قلْ كما نقول، فيقول: إن لساني لا يُحسنه»[٣].

فمن خلال أخبار عذاب المؤمنين الأوائل بمكة، نجد الغالب من المعذبين إذا لم يكونوا كافتهم، هم من العبيد، فمعلوم أن العبوديَّة تعني التَّملك، والسَّيد كان حراً بعبده أو أمته، يفعل فيهما ما يشاء. هنا تأتي أهمية العقيدة الإسلامية المقترنة بالعتق أو الحرية بالنِّسبة إلى هؤلاء.

وقف أبو بكر الصِّدِّيق، الذي صار مساوياً لبلال في الإسلام، على مكان عذابه، وقال لمعذبيه: «عَلام تعذبون هذا الإنسان؟ قال: فاشتراه بسبع أواق[٤] فأعتقه، فذكر ذلك للنَّبي ¤ فقال: الشِّركة يا أبا بكر، فقال: قد أعتقته يا رسول الله»[٥]. حتى قيل أن عمر بن الخطاب كان يقول: «أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا، يعني بلالاً»[٦].

(١) الذهبي، سير أعلام النُّبلاء ١ ص٣٤٩. السَّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٣١.
(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٣ ص٢٣٢.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) مقياس للوزن، الأوقية الواحدة وجمعها أواقي كانت تساوي بمكة في صدر الإسلام أربعين درهماً، يقابل ١٢٥ غراماً (فالترهنتس، المكاييل والأوزان الإسلاميَّة، ص١٩).
(٥) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٣ ص٢٣٢.
(٦) المصدر نفسه ٣ ص٢٣٣. الكتب السِّتة، ص٣٠٥ صحيح البخاري، كتاب: كتاب فضائل أصحاب النَّبي، باب: مناقب بلال، رقم: ٣٧٥٤. الجاحظ، الرسائل (فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٧٩.

ورواية أخرى فيها ما يؤخذ بنظر الاعتبار، أن قريشاً ما كانت تتعامل مع الذين أظهروا الإسلام، فلما أراد أبو بكر تخليص بلال من العذاب بشرائه طلب من العباس ابن عبد المطلب أن يشتريه «فاشتراه العباس وبعث به إلى أبي بكر فأعتقه»[١]. ورواية تقول: إن أبا بكر اشتراه مقايضةً بعبد مشرك من أُميَّة بن خلف[٢].

تقول الرّواية عن كيفية إسلام بلال بن رباح، أنه كان عبداً لعبد الله بن جُدعان، وكان يرعى غنمه، وهو واحد من مائة مملوك عنده، وخشية من إسلامهم على ما يبدو، أخرجهم مالكهم خارج مكة إلا بلالاً تركه يرعى غنمه، وكان النَّبي وأبو بكر يعتزلان في الغار ومرَّ بلال عليهما بالغنم، فسألاه عن لبن فحلب لهما من شاة، وعَرض عليه النَّبي الإسلام فأسلم، وقال له النَّبي: «اكتم إسلامك»[٣]. إلا أنه لم يكتمه، فحصل أن بصق على صنم، فأتت قريش إلى سيده عبد الله بن جدعان قائلين: «إن أسودك صنع كذا وكذا»[٤]! فسلمه إليهم[٥]، ومن هنا بدأت قصة عذابه.

حسب الرُّوايات كان عذاب بلال رهيباً برمضاء مكة، فهو من الأوائل الَّذين أظهروا الدَّعوة، «يُشد في عنقه حبلاً ويأمرون الصِّبيان يشتدوا به بين أخشبي مكة»[٦]. وإذا يجد هذا المستضعف نفسه، بعد الهجرة إلى المدينة، مساوياً لأسياد قريش، فقد تآخى مع عبيدة بن الحارث[٧]، وقيل كانت مؤاخاته مع أبي رويحة

(١) الذهبي، سير أعلام النُّبلاء ١ ص٣٥٢ .
(٢) المصدر نفسه، ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٢٥ .
(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ١٠ ص٤٣٦ .
(٤) المصدر نفسه ١٠ ص٤٣٧ .
(٥) المصدر نفسه.
(٦) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٣ ص٢٣٣ . والأخشبان جبلان بمكة.
(٧) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص٧١ . أبو الحارث عُبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف وقيل يُكنى بأبي معاوية أيضاً، كان أسنّ من النَّبي بعشر سنوات، أسلم مبكراً، بُعث في أول سرية حتى بلغ ماء الحجاز، وقيل أول راية فَي الإسلام عُقدت له، وشهد بدراً، وطعن فيها ومات فيها (ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣ ص١٠٢٠- ١٠٢١).

الخشعمي[١]، وهو أول مَن رفع الأذان بصوته[٢]، وإذا غاب عن الأذان يؤذن مكانه شخص يُدعى أبا محذورة[٣]، وإذا غاب الأخير يؤذن مكانه عمرو بن أُمِّ مكتوم[٤]، فهؤلاء هم المؤذنون الأوائل، وبلال كان أولهم.

ثم تأتيك المفارقة، ففي المكان الذي كان يُعذب ويستعبد بلال فيه يأتي يوم فتح مكة، ويصعد على ظهر الكعبة ويؤذن، وكان أسياده ومعذبوه ينظرون ويستغربون من تبدل الأحوال، «الحارث بن هشام وصفوان بن أُميَّة قاعدان، فقال أحدهما للآخَر: انظر إلى هذا الحبشي»[٥]!، وتشاء الصُّدف أن يقتل بلال سيده السَّابق أُمية بن خلف الجمحي يوم بدر[٦]. فتنسب أبيات لأبي بكر الصِّدِّيق، وكان مطلعاً على عذاب بلال[٧]:

هنيئاً زادك الرَّحمن خيراً
فقد أدركت ثأرك يا بلال

(١) عبد الله بن عبد الرَّحمن أبو رويحة الخشعمي، آخى النَّبي بينه وبين بلال، ويروى أنه عُقد له لواءٍ، وخرج ونادى بأمر النَّبي «مَن دخل لواء أبي رويحة فهو آمن»، ويُعد من الشَّاميين (ابن عبد البرِّ، الاستصحاب في معرفة الأصحاب ٤ ص١٦٦٠).
(٢) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٣ ص٢٣٣-٢٣٤.
(٣) أبو محذورة أوس بن معير بن لوذان الجمحي، وقيل اسمه سُمير (ت ٥٩هـ)، كان مؤذناً بمكة، وظل الأذان في عقبه زمن طويل، وردت في قصة اختياره للأذان الرواية الآتية وبروايته: «ما رجع النبي ¤ من حنين، خرجت عاشر عشرة من مكة نطلبهم، فسمعتهم يؤذنون للصلاة، فقمنا نؤذن نستهزئ. فقال النبي ¤: لقد سمعت في هؤلاء تأذين إنسان حسن الصوت، فأرسل إلينا، فأذنا رجلا رجلا، فكنت آخرهم، فقال حين أذنت: تعال، فأجلسني بين يديه، فمسح على ناصيتي، وبارك علي ثلاث مرات، ثم قال: اذهب فأذن عند البيت الحرام...»(الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٣ ص١١٨-١١٩).
(٤) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٣ ص٢٣٤. مؤذن مكة كان ضريراً من المؤذنين الذين أذنوا للنبي، ويتناوب بالأذان مع بلال، تولى أمر المدينة في غياب النَّبي مرتين، وقيل يسمى بالمدينة عبد الله، وأهل العراق يسمونه عمراً، حضر القادسية، وقيل قُتل فيها، ومَن قال عاد إلى المدينة ومات في ذلك الأوان، فبعد خلافة عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ) لم يُذكر، وقصته مشهورة في أسباب نزول الآية: «عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى» (الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ١ ص٣٦١ وما بعدها).
(٥) المصدر نفسه ٣ ص٢٣٥.
(٦) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ١ ص١٨٢.
(٧) المصدر نفسه.

صار بلال بن رباح يحمل العنزة[١] في يوم العيد بين يدي النَّبي[٢]. بل إن هناك مَن أطلق عليه عبارة «وهو ثلث الإسلام»[٣]. وسمَّي بعد إسلامه بـ«بلال الخير الأسود»[٤]، وسيد المؤذنين[٥]. حتى أن مؤرخاً متأخراً إلى حد ما وصفه قائلاً: «عين الخريدة وبيت القصيدة وواسطة القلادة وبحر السَّعادة المرتقي إلى أعلى السِّيادة، أحد كبار المهاجرين والمجاهدين والصَّحابة»[٦]. وبالجملة إذا ما ذُكر فضله أمامه كان يقول: «إنَّما أنا حَبشي كنت بالأمس عبداً»[٧].

حصل أن تقدمَ أخو بلال للزواج من حي من أحياء العرب، فزعم أنه عربي، فبأي حال من الأحوال ظل التَّمايز الاجتماعي قائماً، تجاه السُّود على وجه الخصوص في قضية النَّسب، ومسألة تكافؤ النَّسب معروفة في الزَّواج، إلا مع بلال فالأمر يختلف. فاشترطوا عليه حضور أخيه بلال فحضر «فتشهد وقال: أنا بلال بن رباح، وهذا أخي، وهو امرؤ سوء في الخلق والدِّين. فإن شئتم أن تزوجوه وإن شئتم أن تدعوا فدَعوا. فقالوا: مَن تكون أخاه نزوجه فزوجوه»[٨]. وروي إنه قال لهم: «أنا بلال وهذا أخي عبدان من الحبشة»[٩].

قيل «طلب بلال من أبي بكر ألاَّ يؤذن بعد وفاة النَّبي ¤ »[١٠]. وقيل إنه أذن عند الذِّهاب إلى «الشَّام للغزو في سبيل الله»[١١]. وطلب أن يكون في أعداد

(١) العنزة المقصودة هنا: رمُيح بين العصا والرُّمح فيه زجٌ (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٥١٨).
(٢) المصدر نفسه.
(٣) الجاحظ، الرسائل (فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٨٠ .
(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ١٠ ص٤٤١ .
(٥) المصدر نفسه ١٠ ص٤٦١ .
(٦) البخاري، الطِّراز المنقوش في محاسن الحبوش، ص٩٥ .
(٧) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٣ ص٢٣٨ .
(٨) المصدر نفسه ٣ ص٢٣٧ .
(٩) المصدر نفسه.
(١٠) المصدر نفسه.
(١١) المصدر نفسه.

المقاتلين، ففضل أبو بكر أن يبقى معه، فامتثل له[١]. بعدها طلب منه عمر بن الخطاب أن يؤذن فاعتذر، ولما سأله «مَن ترى أن أجعل النِّداء؟ فقال إلى سعد، فإنه قد أذن لرسول الله، فدعا عمر سعداً فجعل الأذان إليه وإلى عُقبة من بعده»[٢]. فعلى ما يبدو أن بلالاً أراد أن يبقى «مؤذن النَّبي»[٣].

أقام بالشَّام، ثم عاد إلى المدينة زائراً «فزار القبر واحتضن الحسن والحسين، فقالا له: يا بلال نشتهي أن نسمع أذانك، ففعل، وعلا السَّطح ووقف، فلما قال: الله أكبر الله أكبر، ارتجت المدنية...»[٤]. عاد إلى الشَّام ومات بحلب، السَّنة ٢٠هـ، ودُفن بباب الأربعين، في مكان يسمَّى داريا[٥].

كان دور بلال داعياً بصوته، ومجاهداً بموقفه الشَّديد مبكراً، ومقاتلاً شهد بدراً والمشاهد كلَّها[٦] مع النَّبي وراويةً للحديث، جاء عنه أربعة وأربعون حديثاً، أربعة منها في الصَّحيحين، المتفق عليه واحد، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بحديث[٧].

وحشي بن حرب الحبشي:

نقرأ في ترجمة وحشي بن حرب الحبشي قصة مثيرة، فقد أراد الخلاص من عبوديته بقتل حمزة بن عبد المطلب (٣هـ) في معركة أُحد، حيث الجبل المعروفَ بالمدنية المنورة، فبعدها محا ذلك بقتل مسيلمة[٨] في اليمامة (١١/ ١٢هـ)، مثلما سيأتي تفصيله.

---

(١) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٣ ص ٢٣٦.
(٢) المصدر نفسه ٣ ص٢٣٧.
(٣) سير أعلام النُّبلاء ١ ص٣٥١.
(٤) المصدر نفسه ١ ص ٣٥٨.
(٥) المصدر نفسه ١ ص٣٤٧ و ٣٦٠.
(٦) السَّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢١٢.
(٧) الذهبي، سير أعلام النُّبلاء ١ ص٣٦٠.
(٨) مسلمة بن ثمامة بن حبيب الحنفي، اشتهر بمسيلمة الكذاب، وفد في عام الوفود السَّنة التاسعة الهجرية وأشهر اسلامه، ثم كان ما كان من أمره في حرب اليمامة (انظر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٢ ص٨٠. ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٢ ص٣٥٤ وص٣٦٠ وما بعدها).

كان مولى لجبير بن مطعم النَّوفلي، وقيل عبداً للحارث بن عامر بن نوفل، يُكنى بأبي دسمة[١]، وبأبي حرب، وأبي سلمة[٢]. «كان أسود من سودان مكة»[٣]. في رواية أن ابنة مولاه الحارث بن نوفل قالت له: «إن أنت قتلتَ أحد الثَّلاثة فأنت حرٌ: إن قتلت محمداً أو حمزة بن عبد المطلب، أو علي بن أبي طالب»[٤]. فقد وقع الاختيار عليه كونه ماهراً في رمي الحِراب، فينسب إليه القول: «كنتُ حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة»[٥].

سردَ وحشي قصة قتله للحمزة بتكليف من مولاه ثأراً لعم الأخير الذي قُتل ببدر (٢هـ)، قائلاً: «كنتُ بمكة لجبير بن مطعَم، وكان طعيمة بن عَدي عمه قُتل يوم بدر، فقال: إن قَتلتَ حَمزة عمَّ محمد بعمي فأنت حرٌ. قال: وكانت لي حربة أقذف بها، قلَ ما أخطئها. فخرجت مع النَّاس يوم أُحد، وإنما حاجتي قتل حمزة، فلما التقى النَّاس أخذتُ حربتي وخرجتُ أنظر حمزة، وهو في عُرض النَّاس مثل الجمل الأورق[٦]، يهذ[٧] النَّاس بسيفه هذا، ودَنا مني إلا أنه تستر مني بأصل شجرة أو صخرة، إذ بدر من النَّاس فلان ابن عبد العزى، فلما رآه حمزة قال: هلمَّ يا ابن قاطعة البظور[٨]، فضربه فو الله لكنما أخطأ رأسه، وهززتُ حربتي، حتى إذا رأيت منها دفعتها عليه، فوقعت بين كتفيه حتى خرجت من بين يديه، وتركته وستأخرتُ عنه حتى مات رحمه الله، ثم قُمت إليه أنتزعها منه، ثم

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٢ ص٤٠٠- ٤٠١ .
(٢) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصَّحابة ٦ ص٤٧٠ .
(٣) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤ ص١٥٦٤ . ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٢ ص٤٠٢ .
(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٢ ص٤٠٢ .
(٥) المصدر نفسه ٦٢ ص٤٠٩ .
(٦) الأورق من الإبل: الذي في لونه بياضٌ إلى سواد (الجوهري، الصِّحاح تاج اللُّغة وصِحاح العربية ٤ ص١٥٦٥) .
(٧) الهَذُّ: الإسراع في القطع، وسكين هَذوذٌ: قطَّاع (المصدر نفسه ٢ص٥٧٢-٥٧٣) .
(٨) كانت ختانة بمكة، بما يُعرف بَختن الأناث (انظر: السيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٧٢ و الأزهري، الجواهر الحِسان في تاريخ الحِبشان، ص١٣٨).

أتيت العسكر فقعدتُ، فلم يكن لي حاجة بغيره، وإنما قتلته لأُعتق، فلما قَدمنا مكةَ عُتقتُ، وأقمتُ بها حتى فتحت مكة»[١].

هناك رواية يفهم بعض أهل الحديث من إسنادها لابن وحشي أن أبيه ليس هو قاتل حمزة؛ وأنه غير أبي دسمة الذي رمى حمزة بحربته، على أن أبا دسمة وحشي سكن دمشق، والذي روى عنه وابنه كان يسكن حمص[٢]، لكن ابن عبد البرِّ (ت ٤٦٣هـ) يُعلق على الرّواية قائلاً: «الذي يسكن حمص هو الذي قتل حمزة، ولا يصح وحشي بن حرب غيره»[٣].

بعد فتح مكة ضاقت السُّبل على وحشي الحبشي، فهو من المطلوبين، ويومها «لم يكن المسلمون على أحد أحرص منهم على وحشي»[٤]. قال: «ثم هربتُ إلى الطَّائف، فلما خرج وفدٌ ثقيف إلى رسول الله ¤ ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، قلتُ ألحق بالشَّام أو اليمن أو ببعض البلاد، فو الله إني لفي ذلك مفكراً»[٥]. بعدها لم يكن أمامه إلا الدُّخول في وفد ثقيف وإشهار إسلامه[٦].

كان موقفاً حرجاً وهو يدخل على الرَّسول بالمدينة ويعلن شهادته، فقال له الرَّسول بعد أن قص عليه قصة قتله لعمه حمزة، وقَبلَ إسلامه: «غيّب عني وجهك. فقال: كنت إذا رأيته تواريت عنه حتى خرج النَّاس إلى مسيلمة الكذاب، فدفعتُ إلى مسيلمة فزرقته بالحربةِ، وضربه رجل من الأنصار، فربَّك أعلم أينا قتله»[٧].

(١) أصل القصة في صحيح البخاري، كتاب المغازي، (٤٠٧٢).
(٢) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤ ص١٥٦٥ .
(٣) المصدر نفسه.
(٤)ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٢ ص٤٠٥ .
(٥) المصدر نفسه ٦٢ ص٤٠٦-٤٠٧ .
(٦) المصدر نفسه ٦٢ ص٤٠٥ .
(٧) المصدر نفسه ٦٢ ص٤٠٥ .

يقول وحشي في لحظة قتل مسيلمة: «دخلنا حديقة الموت فلما رأيته زرقته بالمزراق»[١]، ويقول أيضاً: «سمعتُ امرأة تصيح فوق الدَّير: قتله العبد الحبشي»[٢].

كذلك رواية تُنسب إلى عبد الله بن عمر[٣]، تفيدنا بتأكيد قتل وحشي لمسيلمة، وبالتالي هو مَن وضع حداً لحرب اليمامة، قال: «سمعتُ رجلاً يصيح يقول: قتله العبد الأسود»[٤]. ويروى أنه كان يقول: «قتلتُ خير النَّاس في الجاهلية وشرَّ النَّاس في الإسلام»[٥].

يُنقل أن مشاركة وحشي الحبشي في الحروب، التي عُرفت بحروب الرِّدة أو حرب اليمامة، جاءت بتكليف من الخليفة أبي بكر الصِّدِّيق (ت١٣هـ)، فلما عَقد الرَّاية لخالد بن الوليد (٢١هـ) لقَتال اليمامة قال له أبو بكر: «يا وحشي اخرج معه فقاتل في سبيل الله، كما قاتلت لتصد عن سبيل الله»[٦].

يصف وحشي شدة تلك الحرب وهولها قائلاً: «فلقيناهم يُقاتلون قتالاً شديداً، فهزمونا ثلاث مرات، ثم ثبت الله أقدامنا في الرَّابعة، وصرنا لوقع السُّيوف واختلافها على رؤوسنا حتى رأيت شهب النَّار تخرج من خلَالها، سمعت لهم أصواتاً كأصوات الأجراس، ونصرنا الله وهَزم بني حنيفةَ، وقُتل مسيلمة»[٧].

جاء في رواية وفد الاثنين والسَّبعين رجلاً من الحبوش، الذين وفدوا إلى المدينة أن وحشياً كُلف قائداً عليهم، وعُقدت له «رايَة صفراء ذراعين في ذراعين، وفيها

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٢ ص٤١٢ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) سبقت الإشارة إلى ترجمته.
(٤) الكتب السِّتة، ص٣٣٣ صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قتل حمزة بن عبد المطلب، الرقم: ٤٠٧٢ . ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٢ ص٤١١ .
(٥) السُّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٧٠ .
(٦) المصدر نفسه ٦٢ ص٤١٥ .
(٧) المصدر نفسه.

هلال أبيض وعذبتان سوداوان، وبينهما عذبة بيضاء»، وشعاره «كلٌّ خير»، من هؤلاء كان: ذو مخبر، وذو مهدم، وذو مناجب، وذو دجن[١].

شارك وحشي في فتوح الشَّام، وخاض المعارك معهم حتى فتحت حمص فنزلها، ويقال هو أول مَن لبس المعصفرات[٢] بالشَّام، وله بقيةُ عقب بالشَّام، من عقبه: وحشي بن إسحاق بن وحشي بن حرب بن وحشي[٣]. وقد روي الوليد بن مسلم عن وحشي بن حرب بن وحشي أحاديث عن أبيه عن جده»[٤]. رويت عنه ثمانية أحاديث[٥]، هناك مَن يعتبرها «إسناد ليس بالقوي، يأتي بمناكير»[٦].

يُذكر أن نزول آيات كريمات خصصنَ وحشي الحبشي، وذلك لقتله حمزة بن عبد المطلب ثم إشهار إسلامه نادماً، مثل: ﴿**وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ**﴾[٧]. وقصة ذلك أن أتى وحشي إلى النَّبي مستجيراً فنزلت الآية[٨]. كذلك يروى أن الآية التَّالية نزلت في وحشي[٩]: ﴿**قُل يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا**﴾[١٠]. يؤكد ذلك أيضاً ابن عساكر في ترجمته الوافية لوحشي الحبشي، والأزهري في ترجمته له[١١]. يقول ابن عساكر في حفيد

(١) المصدر نفسه ٦٢ ص٤١٤ .
(٢) الثياب المصبوغة بالعصفر، والعصفر صبغ، وقد عَصْفرْت الثَّوب فتَعَصْفر (الجوهري، الصَّحاح، ص٧٥٠). والثِّياب المعصفرات المُشبَعَات محرمة (الإمام مالك بن أنس، المُوطَّأ، كتاب الحج، ص٢٢١ .
(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٦٢ ص٤١٤ .
(٤) المصدر نفسه، ٦٢ ص٤٠٤ .
(٥) المصدر نفسه ٦٢ ص ٤٠٢ .
(٦) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤ ص١٥٦٥ .
(٧) الفرقان، الآية: ٦٨ .
(٨) الواحدي، أسباب النُّزول، ص٢٣٦-٢٣٧ .
(٩) المصدر نفسه، ص٢٦٢ .
(١٠) الزمر، الآية: ٥٣ .
(١١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٢ ص٤١٣ . الأزهري، الجواهر الحِسان في تاريخ الحِبشان، ص١٣٩ .

وحشي: «وحشي بن حرب بن وحشي بن حرب شامي تابعي لا بأس به كراوية حديث، حدث عن أبيه عن جده»[١].

من تلك الأحاديث ما رواه الحافظ سُليمان بن الأشعث المشهور بأبي داود (ت٢٧٥هـ)، والحافظ محمد بن يزيد المعروف بابن ماجه (ت٢٧٣هـ) بإسناد مختلف وكلاهما مرفوع إلى وحشي: «أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ¤ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّا نَأْكُلُ وَلاَ نَشْبَعُ قَالَ فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ، قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّه عَلَيْه يُبَارِكْ لَكُمْ فِيه»[٢].

ومع ترجمة ابن عساكر المستفيضة لوحشي بن حرب الحبشي، وبقية المؤرخين الذين تناولوا تراجم الصَّحابة، واعتبروه واحداً منهم، ومع تأكيد لونه الأسود وانحداره الحبشي وموالاته، وقصة قتله لمسيلمة، لم يذكره ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) في «تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش»، ولا محمد بن عبد الباقي البخاري (ت ٩٩٣هـ) في «الطِّراز المنقوش في محاسن الحبوش»، مع أنهما اختصا بتراجم السُّود. وربَّما يكون السَّبب كراهةً لقتله حمزة بن عبد المطلب، على أن قتله كان أحد عوامل تفوق المشركين على المسلمين في تلك المعركة. قيل توفي وحشي السَّنة ٢٥هـ بمدينة حَمص[٣].

مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب:

كان مِهْجَع «أول مَن استُشهد من المسلمين يوم بَدر»[٤]، وذكره الجاحظ (ت٢٥٥هـ) بـ«أول قتيل بين الصَّفَين في سبيل الله»[٥]، «أتاه سَهم

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٢ ص٤١٩- ٤٢٢.
(٢) الكتب الستة، ص١٥٠١ سُنن أبي داود، كتاب الأطعمة، رقم الحديث: ٣٧٦٤. سُنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، رقم الحديث: ٣٢٨٦.
(٣) الزركلي، الأعلام قاموس تراجم ٩ ص١٢٥.
(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٣ ص٣٩٢.
(٥) الجاحظ، الرسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٨٠. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٣ ص١٤٢.

غرب»[١]، أي لا يُعرف راميه[٢]، وجاء عند الواقدي (ت ٢٠٧هـ) أنه «أول قتيل من المهاجرين ببدر»[٣].

فالأوائل في صدر الإسلام هم: أول مَن عدا به فرسه المقداد بن الأسود، أول مَن رمى في سبيل الله سعد بن مالك، أول مَن أذن من المسلمين بلال بن رباح، أول مَن بنى مسجداً يُصلي فيه عمار بن ياسر، أول مَن أفشى بمكة القرآن عبد الله بن مسعود، أول مَن أدوا الزَّكاة طائعين بنو عذرة بن سعد، وأول مَن استشهد من المسلمين يوم بدر مِهْجَع مولى عمر[٤].

قيل أصله من اليمن أصابه سباء، مَولى لعمر بن الخطاب[٥]، وعده ابن حبيب (ت ٢٤٥هـ) من موالي المهاجرين شهد بدراً[٦]. اعتبره آخر سَيِّد الشُّهداء[٧]. كان من المهاجرين الأولين، قتله ببدر عامر بن الحضرمي[٨]، لما «أقحم فرسه، فكان أول مَن خرج إليه مِهْجَع»[٩]. فقَتل قاتله عاصم بن ثابت بن أبي أفلح[١٠]. يُروى في الحديث: أن «سادات السُّودان أربعة: لُقمان، ومَهْجع، وبلال، والنَّجاشي[١١]. وفي رواية: «خير السُّودان أربعة: لُقمان، والنَّجاشي، وبلال، ومِهْجَع»[١٢].

(١) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٢ ص٣٢٧ . ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصِّحابة ٥ ص٢٦٨ .
(٢) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص١٢٠ .
(٣) الواقدي، كتاب المغازي ١ ص١٤٦ .
(٤) السُّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٥٣- ٢٥٤ . الأزهري، الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان، ص١٢٦ .
(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٣ ص٣٩٢ . ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص١٤٨٦ .
(٦) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص٢٨٨ .
(٧) البخاري، الطِّراز المنقوش في محاسن الحبوش، ص١٠٧ .
(٨) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٣٠ .
(٩) الواقدي، كتاب المغازي ١ ص٦٥ .
(١٠) المصدر نفسه ١ ص١٤٧ .
(١١) ينظر: الجامع الصغير للسيوطي (٤٦١٥)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة (١٤٥٣)، وضعيف الجامع الصغير (٣٢٠١).
(١٢) ينظر: الجامع الصغير للسيوطي (٤٠١٤)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة (١٤٥٤)، وضعيف الجامع الصغير (٢٨٩١).

تآخى مهْجَع، بعد الهجرة إلى المدنية، مع سُراقة بن الحارث[١]. ويُذكر نزلت فيه وفي آخرين الآية[٢]: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٣].

قصة ذلك برواية خباب: «جَاءَ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِس التَّمِيمِيُّ وَعُيَيْنَةُ بْنُ حصْن الْفَزَارِيُّ فَوَجَدَا رَسُولَ اللَّه ¤ مَعَ صُهَيْب وبلَال وَعَمَّار وَخَبَّاب قَاعدًا في نَاس منْ الضُّعَفَاء منْ الْمُؤْمنينَ - أَي منهم مهْجَع صَاحبُ الترجمة[٤]- فَلَمَّا رَأَوْهُمْ حَوْلَ النَّبِيِّ ¤ حَقَرُوهُمْ فَأَتَوْهُ فَخَلَوْا به وَقَالُوا إِنَّا نُرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ لَنَا منْكَ مَجْلسًا تَعْرفُ لَنَا به الْعَرَبُ فَضْلَنَا فَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَب تَأْتيكَ فَنَسْتَحْيي أَنْ تَرَانَا الْعَرَبُ مَعَ هَذه الأَعْبُد فَإِذَا نَحْنُ جئْنَاكَ فَأَقمْهُمْ عَنْكَ فَإِذَا نَحْنُ فَرَغْنَا فَاقْعُدْ مَعَهُمْ إِنْ شئْتَ قَالَ نَعَمْ قَالُوا فَاكْتُبْ لَنَا عَلَيْكَ كتَابًا قَالَ فَدَعَا بصَحيفَة وَدَعَا عَليًّا ليَكْتُبَ وَنَحْنُ قُعُودٌ في نَاحيَة . . .»[٥].

قُتل مهْجَع في السَّنة الثَّانية بعد الهجرة، حيث معركة بدر مثلما تقدم، وقيل لا عقب له[٦]. لا تفيدنا المصادر عن حياته قبل إسلامه بشيء سوى هو مولى لعمر بن الخطاب، فكلُّ ما ورد عن حياته يتعلق بأسباب نزول الآية المذكورة وقصتها، ثم عن مقتله، فكان أول المقتولين ببدر باتفاق المصادر التي تناولت سيرته كافة.

(١) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٣ ص٧٦. سُراقة بن الحارث بن عدي العجلاني، قُتل في حنين (٨ هـ) بعد الفتح (انظر: انظر: ابن هشام، السيرة النَّبوية ٤ ص٦٢ و٧٩).
(٢) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٥ ص٢٦٨. الأزهري، الجواهر الحِسان في تاريخ الحبشان، ص١٢٦.
(٣) الأنعام، الآية: ٥٢.
(٤) إضافة من السَّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٥٢. والأزهري، الجواهر الحِسان في تاريخ الحبشان، ص١٢٧.
(٥) الكتب الستة، ص٢٧٢٨، سُنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب مجالسة الفقراء، رقم: ٤١٢٧. الواحدي، أسباب النُّزول، ص١٤٩- ١٥٠.
(٦) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٣ ص٣٩٢.

أيمن بن عبيد الحبشي :

كان أيمن بن عبيد الحبشي، هكذا ورد اسمه[١] أحد الذين صمدوا للقتال بين يدي النَّبي في يوم حُنين (شوال ٨هـ) ولم ينهزم[٢] حتى قُتل[٣]، وعُدَّ من «المئة الصَّابرة»[٤] في ذلك اليوم، وكان أكثر الأيام خطورة على المسلمين، مثلما يروي تفاصيله ابن هشام في السِّيرة[٥]. أُمه أُم أيمن الحبشية، وبهذا يكون أيمن أخاً لأُسامة بن زيد بن حارثة[٦] لأُمه. يُعد «من الأنصار من بلحارث بن الخزرج، وموالي النَّبي»[٧]، فعُرف بأيمن بن عبيد الخزرجي[٨]، ويُذكر أنه تخلف عن غزوة خيبر[٩].

فمن الَّذين وقفوا في يوم «حُنين» إضافة إلى أيمن بن عبيد: نفرٌ من المهاجرين والأَنصار وأهل بيت النَّبي، بينهم: العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والفضل بن عباس، وأبو سفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأُسامة بن زيد، وأبو بكر الصِّدِّيق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان[١٠]، و«رجل من هوازن على جمل له أحمر، وبيده راية سوداء على رأس رمح طويل، أمام الَنَّاس وهوازن خلفه»[١١].

كُنيت أُمه بركة الحبشية به، فقيل له أيمن بن أُمِّ أيمن[١٢]، وهو أكبر من أُسامة، فقد عُتقت أُمُّ أيمن يوم زواج النَّبي من خديجة، فتزوجها عُبيد بن زيد من

(١) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ ص١٢٨-١٢٩ .
(٢) المصدر نفسه. الطبري، تاريخ الأمم والملوك ٢ ص٥٤٥ .
(٣) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٢ ص١٥٢ .
(٤) الواقدي، كتاب المغازي ٣ ص٩٠٠ .
(٥) انظر: ابن هشام، السِّيرة النَّبوية ٤ ص٦٦ وما بعدها.
(٦) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٧ ص٣٥ .
(٧) الواقدي، كتاب المغازي ٣ ص٩٢٢ .
(٨) المصدر نفسه ٣ ص٩٠٠ .
(٩) المصدر نفسه ٢ ص٦٨٤ .
(١٠) المصدر نفسه ٣ ص٩٠٠ و ٩٢٢ .
(١١) ابن هشام، السِّيرة النَّبوية ٤ ص ٦٧ . الطبري، تاريخ الأُمم والملوك ٢ ص٥٤٥- ٥٤٦ .
(١٢) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ ص١٢٨-١٢٩ .

بني الحارث بن الخزرج[١]، وذُكر من بين موالي النَّبي «أبو أيمن»[٢] وربَّما يكون هو، بينما تزوجها زيد بن الحارث بعد النُّبوة[٣]. قيل: له ولدٌ يُقال له الحَجَّاج بن أيمن[٤].

وأن العباس بن عبد المطلب (ت ٣٣هـ) قصده في شعره الذي قاله في واقعة «حُنين» حيث مقتلَ أيمن بن عبيد[٥]:

نَصرنا رسول الله في الحرب سبعة
وَقد فرَّ مَن قد فرَّ عنه وأقشعُ

وثامننا لاقى الحَمام بسَيفه
بما مَّسه في الله لا يتوجَّعُ

قصدَ في الثَّامن أيمن بن عبيد. كما يأتي الشِّعر عن طريق آخر كالآتي[٦]:

نصرنا رسول الله في الدِّين سَبعةٌ
وقد فرَّ مَن فرَّ عنه فاقشعوا

وسابعنا لاقى الحَمام بنفسه
بما مَّسه في الدِّين لا يتوجعُ

يتضح من حياة أيمن بن عبيد أنه كان مقاتلاً جلداً، وارتبطت سيرته، مثلما كان مهْجعَ، بيوم مقتله، وإذا صحت الرِّواية المتقدمة بأنَّ والده كان مولىً من موالي النَّبي، مثلما هي والدته أُم أيمن، فهو قد تربي في بيت النَّبي، كما كان أخوه أُسامة بن زيد.

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٩ ص٥٧٩ .
(٢) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص١٢٨ .
(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٩ ص٥٧٩ .
(٤) الأزهري، الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان، ص١٠٧ .
(٥) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ ص١٢٨-١٢٩ و٢ ص٨١٣ .
(٦) الأزهري، الجواهر الحِسان في تاريخ الحِبشان، ص١٠٧ .

سالم مولى أبي حُذيفة:

سالم بن مَعقل[١]، وقيل غير معروف النَّسب، وكان أسود[٢]، بينما ينسبه ابن عبد البرِّ إلى بلاد فارس من اصطخر[٣]. عُرف بقراءة القرآن، أي من القراء[٤]، حتى قيل كان «أكثرهم قرآناً»[٥]. قصة ذلك: «لما قَدم المهاجرون الأَولون من مكةَ إلى المدينة نزلوا العُصبة، والعُصبة قريب من قُباء، قبل مَقدم رسول الله ¤ فقام سالم مولَى أَبي حُذيفة يؤمهم، لأنه كان أَكثرهم قرآناً»[٦]. وفي الحديث: «خُذوا القرآن من أربعة: من ابن أُم عبد وبدأ به، ومن أُبي بن كعب، ومن سالم مولى أَبي حذيفة، ومن معاذ بن جبل»[٧].

وجاء في مناقب سالم مولى أبي حذيفة برواية صاحب الصَّحيح محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ): «حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن إبراهيم عن مسروق، قال: ذكر عبد الله عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أحبُّه بعد ما سمعت رسول الله ¤ يقول استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود فبدأ به، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل. قال: لا أدري بدأ بأُبَيٍّ أو بمعاذ بن جبل»[٨].

وجاءت في وجه آخر: «حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيد حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرو بْن مُرَّةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: ذُكِرَ عَبْدُ اللَّه بْنُ مَسْعُودٍ عِنْدَ عَبْدِ اللَّه بْنِ عَمْرٍو فَقَالَ

(١) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص٥٦٧ . الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ١ ص١٦٧ .
(٢) البلاذري، جُمل من أنساب الأشراف ٩ ص٣٧٤ .
(٣) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص٥٦٧ .
(٤) المصدر نفسه.
(٥) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٢ ص٣٥٢ .
(٦) المصدر نفسه.
(٧) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص ٥٦٨ .
(٨) الكتب الستة، ص ٣٠٦ صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النَّبي، رقم الحديث: ٣٧٥٨ .

ذَاكَ رَجُلٌ لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ¤ يَقُولُ: خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَبَدَأَ بِهِ وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ»[١].

يُذكر أيضاً كان بينهم عمر بن الخطاب وأبو سَلمة[٢]. فقد هاجرا معه في وقت واحد «فكان يؤمهم إذا سافر معهم لأنه أكثرهم قرآناً، وكان عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، يُفرط في الثَّناء عليه»[٣]. حتى نُقل أنه قال: «لو كان سالم حيَّاً ما جعلتها شُورى، وذلك بعد أن طُعن»[٤].

كانت مؤاخاة سالم مولى أبي حُذيفة مع أبي عبيدة الجراح[٥]، وقيل بينه وبين معاذ بن ماعص[٦]. كان من موالي الأنصار الذين شهدوا بدراً[٧]، وكانت موالاته لامرأة تُدعى يعار الأنصارية، ويُقال له مولى أبي حُذيفة[٨]. وقيل أعتقته ثبيتة، وقيل بثينة[٩] بنت يعار، وهي امرأة أبي حُذيفة[١٠]. فكان يُعد من الأنصار لعتقه من قبل مولاته الأنصارية، وهو من المهاجرين لصلته بأبي حذيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف[١١]. فزوجه أبو حذيفة ببنت أخيه فاطمة بنت الوليد بن عُتبة[١٢].

كان أبو حذيفة قد تبناه، فنُسب إليه، ويُقال سالم بن أبي حُذيفة حتى نزلت[١٣]: ﴿ **ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي**

(١) الكتب الستة، ص٣٠٩ كتاب مناقب الأنصار، رقم الحديث: ٣٧٥٨ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص٥٦٧ .
(٤) المصدر نفسه ٢ ص٥٦٨ .
(٥) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص٧١ .
(٦) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص٥٦٧ .
(٧) المصدر نفسه، ص٢٨٨ .
(٨) المصدر نفسه.
(٩) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص٥٦٨ .
(١٠) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص٤١٨ .
(١١) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص٥٦٧ .
(١٢) المصدر نفسه ٢ ص٥٦٨ .
(١٣) المصدر نفسه.

الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[١]. كان نزولها في زيد بن حارثة «لما تزوج النَّبي ¤ زينب بنت جحش، وكانت تحت زيد بن حارثة»[٢].

شهد سالم مولى أبي حُذيفة بدراً، وقُتل في اليَّمامة (١٢هـ) مع مولاه أبي حُذيفة، «فوجد رأس أحدهما عند رجلي الآخر»[٣].

يأتي دور سالم إلى جانب أنه كان مقاتلاً ومتفقهاً كأحد حفظة القرآن، ووصف بأنه من «فضلاء الموالي وخيار الصَّحابة وكبارهم»[٤].

نُفَيْع بن مسروح الحبشي:

أبو بكرة نُفَيْع بن مسروح، وفي بعض الرّوايات ابن مسروق[٥]، أُمه سُميَّة، وهو أخو زياد لأُمه، وكان عبداً من عبيد الطَّائف، فلما «حاصر رسول الله ¤ أهل الطَّائف قال: أيما حُر نزل إلينا فهو آمن، وأيما عبد نزل إلينا فهو حرٌ. فنزل إليه عدة من عبيد أهل الطَّائف فيهم أبو بكرة، فأعتقهم رسول الله ¤ وكان أبو بكرة تدلىَ إليهم في بكرة، فكنوه أبا بكرة، فكان يقول: أنا مولى رسول الله»[٦].

أما لقبه الحبشي فهو الذي اختاره، عندما قال لابنته حين حضرته الوفاة: «اندبيني ابن مسروح الحبشي»[٧]، وهذا ما يؤكد أنه من السُّود الحبش. وفي رواية اسمه نُفَيْع بن الحارث، وذلك أنه كان عبداً للحارث بن كلدة، فاستلحقه، وسُميَّة أُمَّه هي مولاة أو جارية الحارث[٨]. وكان يقول: «أنا أبو بكرة مولى رسول الله

(١) الأحزاب، الآية: ٥.
(٢) الواحدي، أسباب النُّزول، ص٢٥٠.
(٣) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص٥٦٩.
(٤) المصدر نفسه ٢ ص٥٦٧.
(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٧ ص١٥.
(٦) المصدر نفسه، ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٣٣.
(٧) ابن سعد، المصدر نفسه ٧ ص١٦. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٥ ص٣٣٤.
(٨) الذهبي، سير أعلام النُّبلاء ٣ ص٥. السَّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٥٧

¤ فإن أبى النَّاس إلا ينسبوني فأنا نُفَيْع بن مسروح»[١]. وقيل كتب في وصيته: «هذا ما أوصى به نُفيع الحبشي. وساق وصيته»[٢].

نقل عن أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) أنه قال في نسبه: «أملى عليَّ هوذة بن خليفة[٣] نسبه، فلما بلغ إلى أبي بكرة قلتُ: ابن مَن؟ قال: لا تزده دَعه»[٤]. وقيل: أرادوا أبا بكرة على الدَّعوة فأبى أن ينتسب إلى الحارث، وقال لبنيه عند الموت: أبي مسروح الحبشي»[٥]. على رأي آخر، أن معاوية بن أبي سفيان (ت٦٠هـ) أراد أن يضمه مع أخيه لأُمَّه زياد في دعوة واحدة ولداً لأبي سفيان[٦]. ونجد ابن عبد البرِّ (ت ٤٦٣هـ) يذكره في ترجمتين متشابهتين، واحدة على الاسم وأُخرى على الكُنية[٧].

اشتهر أبو بكرة في حادثة الشَّهادة على المغيرة بن شعبة (ت ٥٠هـ)، وروايتها مشهورة، حدثت في خلافة عمر بن الخطاب، ولما لم تكتمل الشَّهادة جلده عمر حد القذف، وأُبطلت شهادته، ثم قيل له «تب لتقبل شهادتك، فقال: أتوب لتقبل شهادتي؟ قال: نعم. قال: لا جرم لا أشهد بين اثنين أبداً»[٨].

لم يقبل على أخيه دعوة الاستلحاق بأبي سفيان «فلما ادعى معاوية زياداً نهاه أبو بكرة عن ذلك، فأبى زياد فأجاب معاوية، فحلف أبو بكرة أن لا يكلمه أبداً»[٩]. ومع

(١) الذهبي، سير أعلام النُّبلاء ٣ ص٥ . السَّيوطي، رفع شأن الحِبشان، ٣ ص٦ .
(٢) المصدر نفسه ٣ ص ٩ .
(٣) أبو الأشهب هوذة بن خليفة محدث، قيل عنه: مسند بغداد، نسبه يصل إلى أبي بكرة، توفى السنة (٢١٦هـ)، صاحب حديث ومعرفة (انظر: الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ١٠ ص١٢٢-١٢٤).
(٤) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٥ ص٣٣٤ .
(٥) السَّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٥٨ .
(٦) ابن عبد البرِّ، الاستيعابَ في معرفة الأصحاب ٤ ص١٥٣٠ .
(٧) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب.
(٨) المصدر نفسه ٤ ص١٥٣٠ . ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٦ ص٣٦ . الأزهري، الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان، ص١٣٠ .
(٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٧ ص١٦ .

ذلك اعتنى زياد، عندما كان والياً على البصرة، بأولاد أخيه أبي بكرة «وشرفهم وأقطعهم وولاهم الولايات، فصاروا إلى دنيا عظيمة، وادعوا أنهم من العرب، وأنهم من ولد نُفَيْع بن الحارث الثقَّفي»[١]. فصار «أولاده أشرافاً بالبصرة بكثر الولايات»[٢].

لم يشترك أبو بكرة نُفَيْع بن مسروح في يوم الجمل «اعتزل . . . فلم يُقاتل مع أحد الفريقين»[٣]. مثله مثل العديد من الصَّحابة الذين اعتزلوا ذلك اليوم، كأُسامة بن زيد مثلما مرَّ بنا. يُسند له حديث ولاية المرأة، وكان رواه والنَّاس تسير إلى موقعة الجمل[٤]. جاء في الحديث: «حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ الْهَيْثَمِ حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: (. . .) لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ¤ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى قَالَ لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً»[٥].

روي عنه نحو مئة وثلاثين حديثاً، «اتفق البخاري ومسلم على ثمانية، وانفرد البخاري بخمسة، ومسلم بحديث»[٦]. أحاديث حَدث بها بنوه عنه والحسن البصري (ت ١١٠هـ)، ومحمد بن سيرين (ت ١١٠هـ) وآخرون[٧]. يروى أنه كان من فضلاء الصَّحابة وصالحيهم[٨]، وكان كثير العبادة سكن البصرة ومات بها[٩] السنة ٥٢هـ.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٧ ص١٦ .
(٢) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٦ ص٣٦ .
(٣) السيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٦١ .
(٤) المصدر نفسه، ص٢٦١ .
(٥) أخرجه البخاري في كتاب المغازي (٤٤٢٥).
(٦) السيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٥٨ .
(٧) الذهبي، سير أعلام النُّبلاء ٣ ص٥ .
(٨) ابن الأثير أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٦ ص٣٣٥ .
(٩) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤ ص١٥٣٠ .

أسلم الأسود:

كان أسلم الأسود راعياً[١]، مملوكاً لعامر من يهود خيبر، يرعى غنماً له[٢]. جاء في الرِّواية: «أتى إلى رسول الله ¤ وهو مُحاصر لبعض حصون خيبر، ومعه غنم له، كان فيها أجيراً لرجل من يهود، فقال: يا رسول الله: اعرض عليَّ الإسلام، فعرضه عليه، فأسلم»[٣]. لما أشهر إسلامه ترك الغنم تعود لصاحبها، على أنه عامر من يهود خيبر، مثلما تقدم، فدخلت الحصن، أما أسلم فتقدم فتحول إلى مقاتِل في صف المسلمين[٤].

أما ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) فيأتي بالخبر من وجه آخر: كان أسلم الحبشي الأسود[٥] «غلاماً لرجل من بني نبهان من طيٍّ، بعثه طيٌّ ربيبه، فلما ورد علي بن أبي طالب بلادهم أخذ الصَّحابة هذا العَبد وأوثقوه وخوَّفوه القتل، فأسلمَ وشهد مع خالد (ابن الوليد) اليمامة»[٦]. لعلَّ أسلم الذي تحدث عنه ابن الجوزي غير أسلم الذي أتى خبره عند ابن هشام، وبقية مؤرخي السَّيرة.

فمعلوم أن الموالي من السُّود أو البيض، الذين لم تطل بهم الحياة، وساهموا في الأحداث، كالغزوات والمعارك، أو أدوا دوراً ما، لم يكن لهم حظ بلال بن رباح وأُسامة بن زيد وغيرهما من الرّواية، فعادة لا تتوافر أخبار عنهم أكثر من الإشارات هنا وهناك. وتتكرر الرّوايات بين المؤرخين، فجلال الدِّين السُّيوطي مثلاً لم يأت بأكثر مما ورد عند ابن عبد البرِّ (ت ٤٦٣هـ) في الاستيعاب، أو ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) في «أسد الغابة».

---

(١) ابن هشام، السِّيرة النَّبوية ٣ ص٢٦٧.
(٢) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ ص٨٥.
(٣) ابن هشام، السِّيرة النَّبوية ٣ ص٢٦٧.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ ص٨٥. السَّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٦٢-٢٦٣.
(٦) تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٣٤.

إذا صحت رواية مؤرخ السِّيرة ابن هشام (ت ٢١٣هـ) فإن أسلم الأسود لم يعش مع المسلمين إلا لحظات، أي بين نزوله من الحصن والتحاقه بالمسلمين، «فأصابه حجر فقتله، وهو لم يصل صلاةً، فَأُتي به، وأعرض عنه النَّبي قائلاً: «إن معه الآن زوجته من الحور العِين»[١]. كان ذلك العام السَّابعة بعد الهجرة.

يسار الأسود:

ذُكر اسمه بيسار الحبشي، والعبد الأسود[٢]، جاء ذكره أيضاً في غزوة خيبر، السَّنة السَّابعة بعد الهجرة[٣]. كان مولى للمغيرة بن شُعبة مات في عهد النَّبي[٤]. روي عن أبي هريرة (ت ٥٧هـ) قوله: «كنتُ مع رسول الله ¤ في المسجد، إذ جاء حبشي مُجَّدع[٥] على رأسه جرةٌ، غُلام للمغيرة بن شُعبة، فقال رسول الله: مرحباً بيسار»[٦].

وجاءت رواية أبي هريرة المذكورة عند ابن الجوزي على وجه آخر، أن النَّبي قال له: «يا أبا هُريرة يدخل عليَّ من هذا الباب السَّاعة رجلٌ من أحد السَّبعة، الَّذين يدفع الله، عزَّوجلَّ، عن أهَل الأرض بهم. فإذا بحبشيَ قد طلع من ذلك الباب، أجدع على رأسه جرة ماء. فقال رسول الله: هو هذا، قال: وقال: رسول الله ثلاث مرات: مرحباً بيسار، قال: وكان يرش المسجد ويكنسه»[٧]. ذُكر كأحد الصَّحابة[٨]، وفي وجه آخر يُذكر أنه كان من موالي النَّبي و«كان نوبياً، وهو الرَّاعي الذي قتله العُرنيون»[٩].

---

(١) ابن هشام، السِّيرة النَّبوية ٣ ص٢٦٧.
(٢) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٢ ص١٠٧.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٥ ص٤٨٢.
(٥) الجَدع: قطع الأنف، وقطع الأذن، واليد والشّفة (الجوهري، الصَّحاح ٣ ص١١٩٣).
(٦) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٥ ص٤٨٢.
(٧) تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٤٢.
(٨) السيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٦٧- ٢٦٨.
(٩) ابن عبد البرِّ، الاستيعابَ في معرفة الأصحاب ٤ ص١٥٨١-١٥٨٢.

كانت قتلته شنيعة، فحسب الرّواية: قُطعت يديه ورجليه «وغُرز الشَّوك في لسانه وعيينه حتى مات»[١]. لكنَّ قاتليه لم يفلتوا من القصاص بعد أن قُبض عليهم، فقتلوا بالأسلوب نفسه «قُطعت أيديهم وأرَجلهم وسُملت عيونهم، وألقوا في الحرَّة حتى ماتوا»[٢].

إلا أن هناك مَن كان يعتقد بأن يسار هو نفسه أسلم الحبشي، نفهم ذلك من الرواية الآتية: «كان مملوكاً لعامر اليهودي، يرعى عليه غنماً، هذا قول الواقديَ، إما ابن اسحاق فقال: اسم هذا الأسود أسلم»[٣]. قُتل يسار الحبشي السَّنة السَّادسة بعد الهجرة[٤]. إذا صح ذلك فهو يكون غير أسلم الحبشي.

إن رواية دخوله إلى المسجد تأتي بوجه آخر وتقصد شخصاً آخر اسمه هلال الحبشي، ينقل الأزهري عن آخرين: «ليدخلنَّ من هذا الباب رجل يُنظر إليه، فدخل غلام المغيرة بن شُعبة حبشي يُقال له هلال، غائر العينين ذابل الشِّفتين بادي الثَّنايا خميص البطن أحمش السَّاقين، أحنف القدمين، مهزول تعلوه صُفرة، وعلى رأسه خرقة، وهو يحرك شفتيه بالذِّكر والتَّسبيح، فقال له النَّبي ¤: مرحباً بهلال، هل لك في الغذاء، بل صم على أنت عليه وصل عليَّ يا هلال»[٥]. ويبدو من النَّص أن يساراً وهلالاً اسمان لشخص واحد.

جُلَيْبِيب الأنصاري:

كان جُلَيْبِيب، غير المنسوب، واسمه تصغير لجلباب[٦]، أسود من

(١) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤ ص١٥٨٢ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه ٣ ص١٥٨٣ .
(٤) المصدر نفسه.
(٥) الأزهري، الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان، ص١٣٦ .
(٦) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصَّحابة ٢ ص٦٠٠-٦٠١ .

الأنصار[١]، قيل من بني ثعلبة حليف في الأنصار[٢]، وكانت فيه دمامة وقُصر، فلما تَدخَّل النَّبي لَتزويجه كره النَّاس تزويجه، وقصة ذلك: «كان أصحاب النَّبي ¤ إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يَعلم الرَّسول فيها حاجة أم لا. فقال رسول الله ذات يوم لرجل من الأنصار: يا فلان زوجني ابنتك. قال: نعم ونُعم عين. قال: إني لستُ لنفسي أريدها. قال: فلمَن؟ قال: لجُلَيْبيبٍ. قال: يا رسول الله، حتى استأمر أمَّها»[٣].

فاعتذر الأب والأم من تزويجها لجُلَيْبيب، لكنَّ الفتاةَ سمعت ما يدور من حديث وأعلنت موافقتها على الزَّواج من جُلَيْبيبَ[٤]. وتزوج جُلَيْبيب بعد أن كان يَقول للنَّبي عندما أراد تزويجه: «إذن تجدنيَ كاسداً، فقال: إنك عند الله لست بكاسدٍ»[٥].

قُتل جُلَيْبيب في إحدى الغزوات مع النَّبي، فقال لأصحابه: «هل تفتقدون من أحد؟ فقالوا: نَفقد فلاناً وفلاناً. ثم خرج فقال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا فَي الثَّالثَة: لا. قال: لكنَّي أفقد جُلَيْبيباً، اطلبوه فطلبوه، فوجدوه بَين سبعةً قد قَتلهم ثم قُتل. فقال النَّبي: قَتل سبعةً ثَم قتلوه. هذا مني وأنا منه. قال: ثم حمله على ساعديه حتى حفروا له، مال له سرير غير ساعديْ رسول الله ¤. قال: ولم يذكروا غُسلاً»[٦].

يقول عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ): «هذا حديث صحيح في أن الشَّهيد لا يُغسل»[٧]. أفرد مسلم بن الحَجَّاج (ت ٢٦١هـ) لجُلَيْبيبٍ باباً في فضائل الصَّحابة، تضمن قصة قتله وتَفقد النَّبي له[٨].

---

(١) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٤٣ .
(٢) المصدر نفسه، ص١٤٥ .
(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (٤٠٣٥)، والبزار في مسنده ١٣/ ٣٢١ .
(٤) المصدر نفسه.
(٥) رواه ابن حبان في صحيحه في غير هذا السياق (٥٧٩٠)، والبزار في مسنده ١٣/ ٣٢١ .
(٦) رواه ابن حبان في صحيحه (٤٠٣٥)، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٦٧٢ .
(٧) ابن عبد البرِّ، المصدر نفسه ١ ص٢٧٣ .
(٨) الكتب السِّتة، ص١١١١ صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصَّحابة، باب من فضائل جُلَيْبيبٍ، رقم: ٢٤٧٢ .

شُقْرَان الحبشي:

كان شُقْرَان مولى من موالي النَّبي، استُعمل على الغنائم في غزوة المُريسيع (شعبان ٥ هـ) على بني المصطلق[١]. ذكره الجاحظ (ليس في رسالة فخر السُّودان على البيضان) قائلاً: «يتذاكرون صنيعه في مواليه كأبي أُنسة وشُقْرَان وفلان وفلان»[٢]. ويُذكر كان أحد الذين تولوا غسل النَّبي، وهم: العباس وعلي والفضل وشُقْرَان[٣].

بدأ شُقْرَان حياته غلاماً[٤]، لعبد الرَّحمن بن عوف (ت ٣٣هـ)، فأخذه النَّبي منه بثمن، وكان عبداً حبشياً[٥]. قيل اسمه صالح بن عَدي[٦]، وشهد بدراً، ولأنه كان مملوكاً لم يُسهم له[٧] في الغنائم، بل استعمل على الأسرى «فجزاه كلُّ رجل له أسير فأصاب أكثر مما أصاب رجلٌ من القوم من المقُسَّم»[٨].

حضر معه بدراً ثلاثة عبيد مماليك[٩]، لم تُعرف أسماؤهم. أما بالمريسيع فاستُعمل شُقْرَان «على جميع ما وجد في رجال المريسيع: المتاع والسِّلاح والنِّعم والشَّاء، وجمع الذِّرية ناحيةً، وأوصى له رسول الله ¤ مع أهل بيته، وكانوا ثمانية سوى شُقْرَان»[١٠].

قيل أُعتق شقران ببدر، وكان مشهوراً بلقب شُقْران، «انقرض ولده، فمات آخرهم بالمدينة في ولاية الرَّشيد، وكان بالبصرة منهم رجل، أترك عِقباً

(١) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٢ ص٦٤.
(٢) الرَّسائل ١ ص٢٤.
(٣) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٦ ص٦٠.
(٤) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص٧٠٩.
(٥) المصدر نفسه، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٢ ص٦٣٦.
(٦) السَّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٥٤.
(٧) المصدر نفسه، ص٢٥٥.
(٨) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٣ ص٤٩-٥٠.
(٩) المصدر نفسه ٣ ص٤٩-٥٠.
(١٠) المصدر نفسه ٣ ص٥٠.

أم لا»[١]؟ اشتهر في وضعه القطيفة في قبر النَّبي[٢]، «فلما دُفن النَّبي ¤ رأى قطيفة كان يلبسها النَّبي على ناحية من القبر، فألقاها في القبر، وقال: لا يلبسها أحد بعدك أبداً، فتُركت»[٣]. كانتَ القطيفة التي رماها شُقْرَان أو وضعها تحت النَّبي في قبره حمراء اللَّون، وجاءت في حديث ورد في أكثر من رواية[٤].

حَدث شُقْرَان قائلاً: «رأيته - يعني النَّبي- متوجهاً إلى خيبر على حمار يُصلي عليه، ويومئ إيماءً»[٥]. لم نحصل أخبار أكثر عن شُقْرَان بعد وفاة النَّبيَ، فقصته اقترنت بتكليفه ببدر والمريسيع بالغنائم والأسرى، ثم ما ورد عن القطيفة، وبحضوره في الغزوتين، وكان أحد المقاتلين.

الأذواء الحبشان:

تقول الرّواية: عن ابن منده باسناده إلى وحشي بن حرب بن وحشي، قال: قَدم على النَّبي اثنان وسبعون رجلاً من الحبشة، وصحبوا النَّبي كلُّهم[٦]، وذكر بعضهم في طبقات الحمصيين[٧]، ومنَهم ما يمكن أن نجمعهم تحت لقب الأذواء أو الذَّوين، فكلٌّ منهم يبدأ اسمه بذو:

ذو مخمر: كان أحد الأحباش الَّذين وفدوا على النَّبي بالمدينة، «ولزم ذو مخمر النَّبي يخدمه»[٨]. هناك مَن يسميه مخبراً[٩]. فـ «يُقال في بعض الحديث ذو

(١) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص٧١٠. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة٢ ص٦٣٦.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٣ ص٣٠٠، وينظر: إرواء الغليل للألباني ٣/ ١٩٧.
(٤) انظر: الكتب السّتة، صحيح مسلم، كتاب الجنائز (٩٦٧)، ص١٧٥٢ جامع التَّرمذي، كتاب الجنائز، رقم: ١٠٤٧ و١٠٤٨.
(٥) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة٢ ص٦٣٦.
(٦) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٢ ص٢٢٣.
(٧) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ٢ ص٣٤٨.
(٨) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٢ ص٢٢٢.
(٩) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٧ ص٤٢٥- ٤٢٦.

مخْبر، ومخمر أصوب وأكثر، وهو من أهل اليمن، ونزل الشَّام بعدُ، وروى عنه النَّاس وصحب النَّبي ¤ »[١]. هناك مَن ذكره كراوية لعدة أحاديث «مخرجها عن أهل الشَّام، وهو معدود فيهم»[٢].

يُنقل كان هو الإسناد لحديث يقول: «ستُصالحكم الرُّوم صُلحاً آمناً»[٣]، وفي رواية «ستُصالحون الرُّوم»[٤]. في الوقت الذي ذكره السُّيوطي[٥]، والأزهري[٦]، ولم يزيدا على ما روي عنه في ما اعتمدناه من المصادر، ومع أنهما اعتمدا في تراجم كتابيهما على ابن الجوزي «تنوير الغبشَ في فضل السُّودان والحبش»، إلا أن الأخير لم يأت على ذي مخمر.

ذو مهْدم: أحد القادمين إلى المدينة، فيروى أن النَّبي قال لهم انتسبوا، فقال ذو مِهدم[٧]:

على عهد ذي القرنين كانت سيوفنا
صوارمَ يفلقنَ الحديد المذكَّرا

وهودٌ أبونا سيد النَّاس كلهم
وفي زمن الأحقاف عزاً ومفخرا

فمَن كان يعمي عن أبيه فأنَّنا
وجدنا أبانا العُدملي المذكَّرا

لا يستبعد أن يقول ذو مِهدم، أو غيره من الأحباش الَّذين قدموا إلى المدنية،

(١) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصَّحابة ٢ ص٣٤٨. ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٧ص٤٢٥ .
(٢) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص٤٧٥ .
(٣) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٧ ص٤٢٦ .
(٤) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصَّحابة ٢ ص٣٤٨ .
(٥) انظر: رفع شأن الحبشان، ص٢٦٥ .
(٦) انظر: الجواهر الحسَان في تاريخ الحبشان، ص١٣١ .
(٧) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٢ ص٢٢٣. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصَّحابة ٢ ص٣٤٤ .

مثل هذا الشِّعر، ذلك إذا علمنا أن هناك رواية تقول: أنهم قدموا من اليمن[١]، بما روي عن ذي مخمر، ونزل الشَّام، وهو كان أحد هؤلاء الذَّوين.

ذو جَدن: أحد الَّذين قدموا إلى المدينة، وقيل اسمه ذو دجدن[٢].

ذو مَناحب: قيل ذو منادح، وهما واحد. لم تعطنا كتب التَّراجم والسِّير معلومات مفيدة عن هؤلاء أكثر مما اعتمدناه، ولم تأت بقية الأسماء، على حدٍّ اطلاعنا. ومنهم ذو روجز[٣] أيضاً، و«الكلُّ ممَن قَدم من أرض الحبشة»[٤].

نابل الحبشي وولده أيمن:

يبدو هناك نوع من الخلط بين نابل الأب و أيمن الابن، لذا جمعناهما في نص واحد. فجاء في سيرة الأب المقتضبة بأنه مذكور في الصَّحابة[٥]. وخطأ الأزهري في النَّقل عن السُّيوطي عندما أورد اسمه «نائل»، وتأكد أنه ليس تصحيفاً غير مقصود إنما أكدها بالعبارة: نائل «بالياء الموحدة وقيل بالياء المثناة التَّحتية»[٦] فما ورد عند السُّيوطي بـ«نابل» وليس «نايل»[٧]. جاء في سيرة الابن أيمن بن نابل حبشي من سودان مكة[٨]، «المحدث الصَّدوق المعمر أبو عمران الحبشي المكي الضَّرير الطَّويل، من موالي أبي بكر الصِّدِّيق»[٩].

يغلب على الظَّن أنه الأب. فرواية أنه عُدَّ من صغار التَّابعين[١٠] لا تنسجم مع

(١) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٧ ص٤٢٥-٤٢٦.
(٢) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٢ ص٢١٣.
(٣) البخاري، الطِّراز المنقوش في محاسن الحبوش، ص١٠٠.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) السَّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٦٧.
(٦) الأزهري، الجواهر الحسَان في تاريخ الحبشان، ص١٤٠.
(٧) السَّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٦٧.
(٨) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ١ ص٢٨٣. الكتب الستة، ص١٦٦٧، سُنن التَّرمذي، كتاب الصَّلاة، رقم الحديث: ٢٩٠.
(٩) المصدر نفسه ٦ ص٣٠٩.
(١٠) المصدر نفسه.

ما روي عنه: «كان رسول الله ¤ يعلمنا التَّشهد، كما يُعلمنا السُّورة من القرآن: باسم الله وبالله التَّحيات من الله. . .»[١]. ثم نجد عند صاحب «الطِّراز المنقوش»، ما يؤكد الظَّن، على أن الذي عاش أيام النَّبي و وفد مع الأحباش إلى المدينة هو نابل الحبشي والد أيمن[٢]. وبالتَّالي يكون هذا الحديث رواه عن والده. لكن صاحب الاستيعاب يذكر نابل بخبر قصير جداً، ولا يزيد على أنه والد أيمن «ذكروه فيمن رأى النَّبي ¤ ولم أرَ له خبراً يدل على لقاء ولا على رؤية»[٣].

يُنقل أنه كان ثقة عند سفيان الثَّوري (ت ١٦١هـ) وابن مَعين (ت ٢٣٣هـ)، ويروى له أنه قال: «كُنت أسير مع مجاهد بأرض الرُّوم، فسألته عن صوم السَّفر، فقال: صُم، فأنا السَّاعة صائم»[٤].

يُذكر أيمن الحبشي المكي على أنه والد عبد الرَّحمن بن أيمن «مولى عبد الله بن أبي عمرو بن عمر بن عبد الله المخزومي، وقيل مولى ابن أبي عمرة»[٥]. ويرد اسم أيمن بن نابل في كتب الحديث، وأكثر منها في صحيح البخاري أنه أحد رواة حديث «الحج على الرَّحل»: «حَدَّثَنَا عَمْرُو، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِم، حَدَّثَنَا أَيْمَنُ بْنُ نَابِلٍ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْتَمَرْتُمْ وَلَمْ أَعْتَمِرْ فَقَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ اذْهَبْ بِأُخْتِكَ فَأَعْمِرْهَا مِنْ التَّنْعِيمِ فَأَحْقَبَهَا عَلَى نَاقَةٍ فَاعْتَمَرَتْ»[٦].

الأسود الحبشي:

لم يُذكر اسمه، ولا ندري إذا ما كان اسمه بالفعل الأسود، ذلك إذا علمنا أن

(١) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ١ ص٢٨٤.
(٢) البخاري، الطِّراز المنقوش في محاسن الحبوش، ص١٠٠ .
(٣) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤ ص١٥٢٢
(٤) المصدر نفسه.
(٥) السَّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٩٣. البخاري، الطراز المنقوش في محاسن الحبوش، ص١٠٨ .
(٦) الكتب الستة، ص١٢٠ صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الحج على الرَّحل، رقم الحديث: ١٥١٧، ١٥١٨ .

الأسماء لا تؤخذ، في الكثير من الحالات، على اللَّون، مثل أبيض بن أسود «أحد مَن توجه لقتل ابن أبي حُقَيق» بالمدينة[١]. ورد في قصة الأسود الحبشي الآتي: «جاء رَجل من الحبشة إلى رسول الله ¤ يسأله. فقال النَّبي ¤: سل واستفهم. قال: يا رَسول الله فُضلتم علينا بالصُّور والألوان والنُّبوة، أفرأيت إن آمنتُ وعملتُ مثلما عملتَ إني كائن معك في الجنَّة؟ قال: نعم. ثم قال النَّبي ¤: والذي نفسي بيَده (وردت بيدي) أنه ليرى بياض الأسود في الجنَّة من مسيرة ألف عام، وذَكر الحديث إلى أن أبكى الأسود، ومات فدفنه النَّبي ¤، ودلاه في حفرته»[٢].

أتى خبر الأسود الحبشي عند ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحت عنوان «صحابي حبشي»، ويسرد القصة نفسها بإسناد آخر[٣].

عاصم الحبشي:

ذُكر أنه من الصَّحابة، وفد سيده على النَّبي ومعه عاصم، وطلب أن يسميه، وكان قد اشتَراه ولا اسم له، فسأله النَّبي «فما تريده؟ قال: أُريده راعياً، قال: فهو عاصم، وقبض رسول الله كفه»[٤].

أبو لُقيط الحبشي:

أحد موالي النَّبي، عاش حتى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وقيل كان نوبياً[٥].

---

(١) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصَّحابة ١ ص٢٢٥ .
(٢) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ١ ص٢٢٥، وينظر: المجروحين لابن حبان ١/ ١٨٧، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٣/ ٣٦٥ .
(٣) تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٤٥ .
(٤) السيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٦٧ . الأزهري، الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان، ص١٣٩- ١٤٠ .
(٥) السيوطي، المصدر نفسه، ص٢٦٧ . البخاري، الطِّراز المنقوش في محاسن الحبوش، ص٩٩ .

عامر بن فُهيرة:

يفخر السُّودان بعامر بن فُهيرة، شهد بدراً. جاء في الخبر بتعليل عدم وجود قبر له أنه: «رآه النَّاس قد رفعه الله بين السَّماء والأرض»[١]. قيل إنه كان مولىً لأبي بكر الصِّدِّيق، ويُكنى بأبي عمرو «وكان مولداً من مولدي الأزد، أسود اللَّون، مملوكاً للطُّفيل بن عبد الله . . . أخي عائشة لأمِّها»[٢].

قيل في سبقه إلى الإسلام وهو بمكة: «أسلمَ قبل أن يدخل رسول الله ¤ دار الأرقم. أسلمَ وهو مملوك، وكان حَسن الإسلام، وعُذب في الله، فاشتراه أبو بكر فأعتقه، ولما خرج رسول الله ¤ وأبو بكر إلى الغار بثور مهاجرين، أمر أبو بكرٍ مولاه عامر بن فُهيرة أن يروح بغنم أبي بكرٍ»[٣]. يُذكر أنه قُتل في يوم بئر معونة[٤] السَّنة الرَّابعة بعد الهجرة.

رباح الأسود:

كان من موالي النَّبي، أسودَ اللَّون، وثقةً به كُلف بمهام الحاجب عند النَّبي أحياناً، «إذا انفرد رسول الله ¤ كان يأخذ عليه الأذن»[٥]، حتى قيل استأذن مرة لعمر بن الخطاب على النَّبي «لما اعتزل نساءه في المشربة (الغرفة)»[٦].

---

(١) الجاحظ، الرسائل (فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٩١ .
(٢) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص٧٩٦. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٣ ص١٣٤- ١٣٥ .
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الجاحظ، الرسائل (فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٩١. ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص٧٩٦ .
(٥) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص٤٨٧ .
(٦) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٢ ص٢٤٨، وينظر: صحيح البخاري، كتاب المظالم (٢٤٦٨).

الفصل الثاني

أعلام العَهد الأموي

مكحُول الشَّامي:

عُرف بعالم الشَّام، أبصر أهل زمانه بالفتيا[١]، ذَكره الجاحظ في رسالته الخاصة بالسُّوَد[٢]، يُكنى بأبي عبد الله وأبي أيوب وأبي مسلم أيضاً[٣]، عُدَّ مَن «أواسط التَّابعين من أقران الزُّهْري»[٤]، وقرينه حدث عنه[٥]، وهو أبو بكر محمد ابن مسلم الزُّهْريَ (ت ١٢٤هـ)، كان محدثاً وفقيهاً شهيراً مدنياً وشامياً من تصانيفه «مغازي الرَّسول»، توفي السَّنة ١٢٤ بعد الهجرة[٦]. كذلك حدث عَن مكحُول الشَّامي فقهاء كبار مثل ربيعة بن فروخ التِّميمي المعروف بربيعة الرَّأي، وكان من أهل الرَّأي (ت ١٣٦هـ)[٧]، وأبو عمر زيد بن واقد (ت١٣٨هـ)[٨].

نقرأ في حاشية «رسالة فخر السُّودان على البيضان« لمحققها عبد السَّلام محمد هارون (ت ١٩٨٨م) الآتي: «يبدو أنه من سودان النُّوبة، ففي تهذيب التَّهذيب أنه كان لرجل من هذيل من أهل مصر فأعَتقه»[٩]. فما أورده شمس الدِّين الذَّهبي

(١) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٧ ص١٧٢. الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٥ ص١٥٥ و ١٥٩.
(٢) الجاحظ، الرسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٨٠.
(٣) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٥ ص١٥٥.
(٤) المصدر نفسه ٥ ص١٥٧.
(٥) المصدر نفسه ٥ ص١٥٦.
(٦) كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي العربية ١٢ ص٢١.
(٧) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٥ ص١٥٦. الزِّركلي، الأعلام قاموس تراجم ٣ ص٤٢.
(٨) الذَّهبي، المصدر نفسه. انظر في ترجمة ابن واقد: المصدر نفسه ٦ ص٢٩٧.
(٩) الجاحظ، الرَّسائل ١ ص١٨٠ الحاشية.

(ت٧٤٨هـ) في ترجمته: «كان نوبياً»[١]. وما نقله المحقق هارون عن صاحب «تهذيب التَّهذيب« يأتي به الذَّهبي (ت ٧٤٨هـ) من قَبل، قائلاً: «ذُكر أن مكحُول من أهل مصر، ويُقال: كان لرجل من هُذيل مصري فاعتقه، فسكن الشَّام، وكان فَقيهاً عالماً»[٢]. قيل في عبادته وورَعه: «ما أدركنا أحسن سمتاً في العبادة من مكحول . . . وكان له خاتم لا يلبسه، وكان عليه مكتوب: أعذ محكولاً من النَّار»[٣]. في رواية: كان لمكحول خاتم «من حديد، قد لوى عليه فضة، حتى لَم يكن يُرى من الحديد شيء نقشه: ربَّ باعدَ مكحولاً من النَّار»[٤].

بعد عتقه بمصر رحلَّ إلى العراق وإلى المدينة طالباً للعلم ثم إلى الشَّام فاتخذها مقراً؛ وهو القائل: «ثم أتيتُ الشَّام فغربلتها»[٥]. وعلى الرَّغم من أعجمية مكحُول «وكانت فيه لكنة»[٦]، فهو «لا يستطيع أن يقول: قُلْ، يقول كُل»[٧]، وكان يلفظ «ما فعلت تلك الهاجة»[٨]، ويقصد «الحاجة»، لكنَّ لمنزلته وعلمه «كلُّ ما قال بالشَّام قُبل منه»[٩]. كذلك على الرَّغم من هذه المنزلة إلا أنه لم يخلَص من التَّجريح فقيل عنه: «كان يقول بالقدر وكان ضعيفاً في حديثه وروايته»[١٠].

قيل في ولائه: «كان عبداً (مملوكاً)[١١] لعمرو بن سعيد بن أبي العاص، فوهبه لرجلٍ من هُذيل، وكان عالماً فقيهاً، ورأى أنس بن مالك»[١٢]. وقيل أيضاً: «من

(١) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٥ ص١٥٧ .
(٢) المصدر نفسه ٥ ص١٥٩ .
(٣) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٧ ص١٧٢ .
(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٧ ص٤٥٣ .
(٥) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٥٩ . الذهبي، سير أعلام النُّبلاء ٥ ص١٥٨ .
(٦) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٧ ص٤٥٤ .
(٧) الذهبي، سير أعلام النُّبلاء ٥ ص١٥٨ .
(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٧ ص٤٥٤ .
(٩) الذهبي، سير أعلام النُّبلاء ٥ ص١٥٨ .
(١٠) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٧ ص٤٥٤ .
(١١) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٥٩ .
(١٢) ابن سعد، المصدر نفسه ٧ ص٤٥٣ . ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٧ ص١٧٢ .

أهل كابل»[١]. وصلةً بتحدره من كابل نجد البعض يذكر اسمه بـ«ابن أبي مسلم بن شاذل بن سند بن سروان بن بزدك بن يغوث بن كسرى الكابلي»[٢]. ثم يعود ناقل هذه الرُّواية إلى القول: «واختلف في ولائه، فقيل لامرأة من هُذيل فاعتقته بمصر، وكان نوبياً»[٣]. ومعلوم ما بين كابل والنُّوبة فرق شاسع.

كان مَكحُول أحد أبرز الذين أشهدهم الخليفة سليمان بن عبد الملك (ت ٩٩هـ) على وصيته في استخلاف ابن عمه عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ)؛ وذلك قُبيل أن تدركه الوفاة بمرج دابق[٤]، فـ«دعا رجاء بن حيَّوة[٥] ومحمد بن شهاب الزُّهري ومكحولاً وغيرهم من العلماء ممَن كان في عسكره غازياً ونافراً، فكتب وصيته واشهدهم عليها»[٦]. جاء فيها: «إذا متُّ فأذنوا بالصَّلاة جامعة ثم اقرؤوا هذا الكتاب على النَّاس»[٧].

يبدو أن الاسم الأهم بينهم كان مكحول الشَّامي، فقد ورد في الرّواية: «قرئ الكتاب فإذا اسم عمر بن عبد العزيز، ومن بعده يزيَّد بن عبد الملك، فقام مكحول، فقال: أين عمر بن عبد العزيز؟ وكان عمر في آخر النَّاس فاسترجع حين دُعي باسمه مرتين أو ثلاثاً وللمنبر خمس مراقٍ، فكان أول مَن بايعه يزيد بن عبد الملك»[٨].

---

(١) ابن سعد، المصدر نفسه ٧ ص٤٥٤.
(٢) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق ٢٥ ص٢٢٤.
(٣) المصدر نفسه ٢٥ ص٢٢٥.
(٤) قرب حلب، شهدت حوادث عديدة، لأنها تشرف على الثغور مع الروم (انظر: الحموي، معجم البلدان ٢ ص٤١٦).
(٥) أبو المقدام الكندي، فقيه مشهور، صاحب عمر بن عبد العزيز، توفى السنة ١١٢ هـ (ابن خلكان، وفيات الأعيان ٢ ص٦٠).
(٦) المَسعودي، مروج الذَّهب ومعادن الجوهر ٤ ص١٦- ١٧.
(٧) المصدر نفسه.
(٨) المصدر نفسه ٤ ص١٧.

يحضر اسم مكحول في رواية الكثير من الأحاديث، ونأتي بحديث التَّرجيع في الأذان كمثال: «حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الأَحْوَلِ عَنْ مَكْحُولٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَيْرِيزٍ عَنْ أَبِي مَحْذُورَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَهُ الأَذَانَ تِسْعَ عَشْرَةَ كَلِمَةً وَالإِقَامَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ كَلِمَةً قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَأَبُو مَحْذُورَةَ اسْمُهُ سَمُرَةُ بْنُ مِعْيَرٍ وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى هَذَا فِي الأَذَانِ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي مَحْذُورَةَ أَنَّهُ كَانَ يُفْرِدُ الإِقَامَةَ»[١]. توفي مكحول السَّنة ١١٢ بعد الهجرة[٢].

ممطور أبو سَلام الحبشي:

«اسم أبي سلام ممطور وهو حبشي»[٣]، ليس لدى ابن سعد ما يفيد سوى اسمه وكنيته، وعنه روى يحيى بن أبي كثير[٤]. كان الرَّواي عنه، أبو أيوب يحيى بن كثير، من أهل البصرة مولىً لطي، ثم أقام باليمامة، وقيل كان اسمه ديناراً توفي السَّنة ١٢٩هـ[٥]. وذُكر أنه مولى من أهل الشَّام تابعي ثقة[٦]، روى عن ثوبان بن بجدد (ت ٥٤هـ)، وقيل ابن جحدر[٧]، وعن آخرين[٨].

تردد اسم ممطور الحبشي بكنيته في الحديث «الحوض» الآتي: «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ عَنْ الْعَبَّاسِ عَنْ أَبِي سَلَّامٍ الْحَبَشِيِّ قَالَ بَعَثَ إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَحُمِلْتُ عَلَى الْبَرِيدِ قَالَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ شَقَّ عَلَى مَرْكَبِيَ الْبَرِيدُ فَقَالَ يَا أَبَا سَلَّامٍ مَا أَرَدْتُ أَنْ أَشُقَّ

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة (٥٠٢)، والترمذي في كتاب الصلاو (١٩٢)، وصححه الترمذي.
(٢) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٥ ص١٧١.
(٣) الكُتب الستّة، ص٢٣٥٨ سُنن النَّسائي، قسم الفيء: أول كتاب الفيء.
(٤) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٥ ص٥٥٤.
(٥) المصدر نفسه ٥ ص٥٥٥.
(٦) السُّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٣٠٠-٣٠١.
(٧) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ١ ص٤٨٠.
(٨) انظر: السيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٣٠٠-٣٠١.

عَلَيْكَ وَلَكِنْ بَلَغَنِي عَنْكَ حَدِيثٌ تُحَدِّثُهُ عَنْ ثَوْبَانَ عَنْ النَّبِيِّ ¤ فِي الْحَوْضِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ تُشَافِهَنِي بِهِ». «قَالَ أَبُو سَلَّام: حَدَّثَنِي ثَوْبَانُ عَنْ النَّبِيِّ ¤ قَالَ: حَوْضِي مِنْ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ الْبَلْقَاء مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ وَأَكَاوِيبُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا أَوَّلُ النَّاسِ وُرُودًا عَلَيْهِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الشُّعْثُ رُءُوسًا الدُّنْسُ ثِيَابًا الَّذِينَ لاَ يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ وَلاَ تُفْتَحُ لَهُمْ السُّدَدُ»[١].

قَالَ أبو عيسى الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ثَوْبَانَ عَنْ النَّبِيِّ ¤ وَأَبُو سَلَّامٍ الْحَبَشِيُّ اسْمُهُ مَمْطُورٌ وَهُوَ شَامِيٌّ ثِقَةٌ»[٢].

جاء اسمه في إسناد الحديث الآتي: «أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَحْبُوبٌ يَعْنِي ابْنَ مُوسَى، قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو إِسْحَقَ وَهُوَ الْفَزَارِيُّ عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَيَّاشٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى عَنْ مَكْحُولٍ عَنْ أَبِي سَلَّامٍ[٣] عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ¤ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَبَرَةً مِنْ جَنْبِ بَعِيرٍ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لِي مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ قَدْرُ هَذِهِ إِلاَّ الْخُمُسُ وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ»[٤]. يتضح أن ممطور الحبشي، يُعد من التَّابعين، وعاش في عهد عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ).

سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ:

تابعي ومحدث مشهور يُكنى بأبي عبد الله، مولى لبني والبة من بني أسد بن خُزيمة[٥]. يبدو، من الرُّوايات التي ذكرته، أنه كان لصيقاً بعبد الله بن عباس

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة (٢٤٤٤)، وينظر: السلسلة الصحيحة للألباني (١٠٨٢).
(٢) انظر: المصدر نفسه.
(٣) اسمه ممطور الحبشي (انظر: الكتب الستة، ص٢٣٥٨ سُنن النَّسائي، قسم الفيء).
(٤) أخرجه النسائي في كتاب قسم الفيء (٤١٤٣)، وابن حبان في صحيحه (٤٨٥٥).
(٥) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٦ ص٢٥٦.

(ت٦٨هـ)، وتعلم عليه، من «أورع الخلق وأتقاهم، وكان أعظم أصحاب ابن عباس»[١]، والأخير يدعيه بأُمّه دهماء، فبعدما عمَّي ابن عباس «إذا أتاه أهل الكوفة يسألونه قال: تسألوني وفيكم ابن أُمِّ دهماء»[٢].

ومما يروى: «قال ابن عباس لسَعيد بْن جُبَيْر: حَدثْ، فقال: أُحدثُ وأنت هنا؟ فقال: أوليس من نعمة الله عليكَ أَنَ تَتحدث وأنا شاهد، فإن أصبتَ فذاك، وإن أخطأت علمتكَ»[٣]. وكان ابن جُبَيْر يقول: «ربَّما أتيت ابن عباس فكتبتُ في صحيفتي حتى أملأها، وكتبتُ في نعلي (هكذا وردت) حتى أملأها، وكتبتُ في كفي، وربَّما أتيته فلم أكتب حديثاً حتى أرجع، لا يسأله أحد عن شيء»[٤]. ويُذكر أنه «قرأ القرآن على ابن عباس» أيضاً[٥]. كان فقيهاً عالماً «أجمع النَّاس للعلوم»[٦].

ذُكر ابن جُبَيْر، في غير مصدر، أنه من السُّود، إضافة إلى ذكره في رسالة الجاحظ عن السُّود[٧]، ذكر سواده ياقوتَ الحموي (ت ٦٢٦هـ)، قال: «كان أسود اللَّون، كتب لعبد الله بن عتبة بن مسعود، ثم لأبي بُردة بن أبي موسى الأشعري، وهو على القضاء وبيت المال بالكوفة»[٨].

كما كتب ابن خلّكان (ت ٦٨١هـ) في سيرته: «أبو عبد الله وقيل أو محمد . . . كوفي أحد أعَلام التَّابعين، وكان أسود، أخذ العلم عن عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر»[٩]. ومثلما كان متصلاً بابن عباس اتصل أيضاً بعبد الله بن

(١) الجاحظ، الرسائل (فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٧٩ .
(٢) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٦ ص٢٥٧ .
(٣) المصدر نفسه ٦ ص٢٥٦- ٢٥٧ .
(٤) المصدر نفسه ٦ ص٢٥٧ .
(٥) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٤ ص٣٢٢.
(٦) المصدر نفسه ٤ ص٣٤١.
(٧) الرسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٧٩ .
(٨) معجم الأدباء ٣ ص١٣٦٣ .
(٩) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان ٢ ص٣٧١ .

عمر بن الخطاب (ت ٧٣هـ). فينسب له القول: «كنا إذا اختلفنا بالكوفة في شيء كتبته عندي حتى ألقى ابن عمر فأسأله عنه»[١]. كذلك روي في هذه الصِّلة وتقدير ابن عمر له: «جاء رجلٌ إلى ابن عمر فسأله عن فريضة فقال: ائتْ سَعيد بن جُبَيْر فإنه أعلم بالحساب مني، وهو يُفرض منها ما أفرض»[٢].

أجاب مَن يعذله على أنه يُحدث: «وإني أُحدثك وأصحابك أحبُّ إليَّ من أن أذهب به معي إلى حفرتي»[٣]. وقيل: «كان يختم القرآن في كلِّ ليلتين»[٤]. وللجاحظ رأي في انتقاد أهل الحديث لابن جُبَيْر، وربَّما لأنه معتزلي، قال: «وأصحاب الحديث يطعنون في الذي يَجيء من قبل أصحاب ابن عباس، حتى تُجيء من سَعيد بن جُبَيْر وأبوه مولى بني أسدَ، وَهو مولى بني أُميَّة»[٥]. ويُذكر أنه واظَبَ علَى حفظ القرآن كلَّ ليلتين، وله يُنسب القول «منذ مقتل الحسين (٦١هـ) إلا أقرأ فيهما القرآن إلا مسافراً أو مريضاً»[٦].

دخل سَعيْد بن جُبَيْر في انشقاق عبد الرَّحمن بن الأشعث (٨١- ٨٣ هـ) عن الدَّولة الأمويَة، ويُذكر أنه أفتى في قتال والي الأمويين على العراق الحجَّاج بن يوسف الثَّقفي (ت ٩٥هـ). سأله الزبرقان الأسدي في يوم الجَماجم[٧]: «إني مملوك ومولاي مع الحجَّاج، أفتخاف عليَّ إن قُتلتُ أن يكون عليَّ وزرٌ؟ قال: لا، قاتل، فإن مولاك لو كان هاهنا قاتل بنفسه وبك»[٨]. تولى ابن جُبَيْر خلال ثورة ابن الأشعث «الصَّدقة والعشور» بالكوفة[٩].

---

(١) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٦ ص٢٥٨ .
(٢) المصدر نفسه ٦ ص٢٥٦ .
(٣) المصدر نفسه ٦ ص٢٥٨ .
(٤) المصدر نفسه ٦ ص٢٥٩ .
(٥) الجاحظ، الرسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٧٩ .
(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٦ ص٢٦٠ .
(٧) المعركة الحاسمة مع ابن الأشعث (٨٢ هـ) مكان قرب الكوفة (انظر: الطَّبري، تاريخ الأمم والملوك ٥ ص٤٢٠ وما بعدها).
(٨) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٦ ص٢٦٣ .
(٩) المصدر نفسه.

هربَ ابن جبير إلى مكة فأقام بها[١]، وذلك بعد هزيمة ابن الأشعث في معركة دير الجماجم الفاصلة قريباً من بابل. يُنقل عن مجايله محمد بن سيرين (ت١١٠هـ) أنه قال في التحاقه بابن الأشعث ثم لجوئه إلى مكة: «كان سَعيْد بن جُبَيْر خائناً (وردت حانئاً) إنه فعل ما فعل ثم أتى مكة يُفتي النَّاس»[٢]. بعدها أُلقي القبض عليه بمكة، وسمح له بالطَّواف بالبيت الحرام، وهو في القيود مع آخرين. يقول هشام الدَّستوائي[٣]: «رأيت سَعيْدَ بن جُبَيْر يطوف بالبيت مقيداً، ورأيته دخل الكعبة عاشر عشرة مقيَدين»[٤]. كان والي مكة، يومها، خالد بن عبد الله القسري[٥]، الذي أمر بقطع الطَّواف عليهم[٦]. ثم حمله إلى الحَجَّاج[٧] بواسط من أرض العراق.

عدٌّ من فقهاء أيام الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦هـ)، وأحد قُراء العراق[٨]. حينها. أجرى الحَجّاج بن يوسف الثَّقفي حواراً طويلاً معه[٩]، انتهى بقَتله[١٠]، وكان يعتمر عمامة بيضاء[١١]، وهو ابن تسعة وأربعين عاماً[١٢]. قُتل ودفن بواسط «وقبره يُزار»[١٣]، ذلك السَّنة ٩٥ بعد الهجرة، وهي السَّنة التي مات

(١) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٦ ص٢٦٣ .
(٢) المصدر نفسه ٦ ص٢٦٤ .
(٣) الحافظ أبو بكر هشام الدستوائي، محدث بصري، توفى السنة ١٥٤ هـ(الذهبي، سير أعلام النبلاء ٧ ص١٥٠ وما بعدها).
(٤) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٦ ص٢٦٤ .
(٥) والي أموي شهير تولى إمارة مكة ثم العراق (١٠٥ هـ)، سجن بالحيرة وقُتل السنة ١٢٦ هـ (الزِّركلي، الأعلام ٢ ص٣٣٨).
(٦) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٦ ص٢٦٤ .
(٧) المصدر نفسه ٦ ص٢٦٥ . الحموي، معجم الأدباء ٣ ص١٣٦٣ .
(٨) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٢ ص٢٩٢ .
(٩) انظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٧ ص٨- ٩ . الحموي، معجم الأدباء ١٣٦٣- ١٣٦٤ .
(١٠) انظر: البلخي، كتاب البدء والتَّاريخ ٢ ص٢٥٧ .
(١١) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٦ ص٢٦٦ .
(١٢) البخاري، كتاب التَّاريخ الكبير ٣ ص٤٦١ .
(١٣) ابن خلِّكان، وفيات الأعيان ٢ ص٣٧٣ .

فيها الحجَّاج. ينتهي الجاحظ بالقول فيه: «وقُتل يوم قُتل والنَّاس يقولون: كُلُّنا محتاج إليه»[١].

مما تقدم نفهم أن سَعيد بن جُبَيْر كان من فضلاء السُّود وفضلاء زمانه؛ عُدَّ من طبقات القراء والمحدثين، لم تذكره تراجَم عنت بشأن السُّود مثل: «تنوير الغبَش في فضل السُّودان والحبش» لابن الجوزي، و«رفع شأن الحبشان« للسَّيوطي، و«الطِّراز المنقوش في محاسن الحبوش» للبخاري، و«الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان». مع أن أُمهات المصادر ذكرته وذكرت سواده بوضوح.

عَطاء بن أبي رباح:

كان عَطاء بن أسلم بن صفوان بن أبي رباح من مولدَّي الجنَد[٢] من مخاليف اليمن[٣]، «نشأ بمكة، وهو مولى آل أبي ميسرة بَن أبي خُشيم الفهريَ»[٤]، يُكنى بأبي محمد[٥]، ولد العام ٢٥ بعد الهجرة، ذلك إذا علمنا أنه «لسنتين مضتا من خلافة عثمان»[٦]، فقد تولى الأخير الخلافة العام ٢٣هـ، وكان عطاء أسود شديد السَّواد، مفلفل الشَّعر[٧].

رآه بعض أهل العلم أنه أشل وأفطس وأعرج وأعمى، عُدَّ مفتي مكة الأول في زمانه[٨]. فهناك رواية تقول أن شلله كان بسبب أن يده «ضُربت أيام ابن الزُّبير»[٩]. نُقل عن بعضهم: «كنت في فناء الكعبة، إذ مرَّ بنا رجلٌ أصلع أرسح،

(١) الجاحظ، الرسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٧٩ .
(٢) شُيد معاذ بن جبل مسجد فيها، ثم جدد عمارته بعد حين ابن سلامة النوبي (انظر: الحموي، معجم البلدان ٢ ص١٦٩).
(٣) ابن سَعد، الطَّبقات الكبرى ٥ ص٤٦٧ .
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه ٥ ص٤٦٨ .
(٦) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٧ ص١٦٥ .
(٧) الصَّفدي، نكت الهميان في نكت العميان، ص١٩٩ .
(٨) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٥ ص٤٧٠. ابن الجوزي. المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٧ ص١٦٥ .
(٩) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٤٠ ص٣٧٤ . الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٥ ص٨٠ .

كأن أنفه بعرة، أشدّ سواداً من أست القدر، عليه ثوبان قطريان. فقلت: مَن هذا؟ قالوا: سيد فقهاء الحجاز. هَذا عطاء بنَ أبي رباح»[١].

يذكر أحد معاصريه: «حججتُ أنا ورجل، فأتيتُ عطاء بن أبي رباح لأسأله عن مسألة، فقعدتُ إليه، فإذا أسود يُخضب بالحنَّاء، فجاءه رسول صاحب مكة فأقامه، فلم اعد إليه»[٢]. وقال آخر لشدة سواده: «دخلتُ المسجد الحرام، والنَّاس مجتمعون على رجل، فاطلعتُ فإذا عطاء بن أبي رباح جالس كأنه غراب أسود»[٣]. فقد كان أبوا عطاء أسودين، واسم أُمِّه بركة[٤].

ارتقى إلى منزلة رفيعة في الفقه والحديث، وكان يقول إذا ما حدَث بشيء«علمٌ أو رأي؟ فإن كان أثراً قال علم، وإن كان رأياً قال: رأي»[٥]. «فاق في العلم والنُّسك، وانتهت إليه فتوى أهل مكة»[٦]. في علمه أيضاً وصف أنه «كان فصحياً عالماً فقهياً، روى عن ابن عمر وأبي هريرة، وابنَ عباس وابن الزُّبير، وروى عنه عمر بن دينار، والزُّهْري . . . وحج سبعين حجة»[٧].

حتى «كان يُنادى في زمن بني أُميَّة بمكة: لا يُفت النَّاس إلا عطاء بن أبي رباح»[٨]. وينقل أيضاً عن أبي عاصم الثَّقفي أنه قال: «سمعتُ أبا جعفر الباقر[٩] يقول للناس، وقد اجتمعوا، عليكم بعطاء، هو والله خير لكم»[١٠]. وهناك مَن

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار ٤ ص٢٣٠ .
(٢) ابن سعد، المصدر نفسه ٥ ص٤٦٩ .
(٣) ابن خلّكان، وفيات الأعيان ٢ ص٤٢٤ .
(٤) ابن عَساكر، تاريخ مدينة دمشق ٤٠ ص٣٧٣ .
(٥) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٥ ص٤٦٩ .
(٦) السيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٩٤ .
(٧) ابن الجوزي، المنتظم فيَ تاريخ الأُمم والملوك ٧ ص١٦٥ .
(٨) المصدر نفسه.
(٩) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وصف بباقر العِلم، توفي ١١٧هـ (ابن الجوزي، المنتظم ٧ ص١٦١).
(١٠) الذهبي، سير أعلام النُّبلاء ٥ ص٨١ .

ينقل عن ابن عباس أنه قال: «يا أهل مكة، أتجتمعون عليَّ وعندكم عطاء»[١]. من فضل ذلك أن محمد بن أدريس الشَّافعي (ت ٢٠٤هـ)، صاحب المذهَب المعروف، قال فيه: «عطاء بن أبي رباح الثِّقة عنده وعند النَّاس»[٢].

كذلك يُذكر في ما رواه ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ): أن سُليمان بن عبد الملك، وهو خليفة، أتى هو وولداه إلى عطاء بن أبي رباح، وجلسوا بين يديه يسألونه عن مناسك الحج، ثم حول وجهه عنهم فقال سليمان لولديه: «يا بَنيَّ لا تنيا في العِلم فإني لا أنس ذُلنا بين يدي هذا العبد الأسود»[٣].

فهذا الذي أهابه الخليفة، يُروى في زهده وتواضعه: أن أحدهم صحبه أبوه معه إلى عطاء، فقال: «فلما قربنا فإذا بشيخ أسود على حمار، عليه قميص دنس، وجُبَّة دنسة، وقلنسوة لاطية دنسة، وركاباه من خَبَ، فصحتُ وقلتُ لأبي: مَن هذا الأعرابي؟ قال: اسكت، هذا سيد فقهاَء أهل اًلحجاز، هذا عطاء بن أبي رباح»[٤].

كان ينصح الخلفاء ويطالبهم بحقوق الآخرين، حق أهل المدينة ومكة والحجاز عامة وأهل نجد، والجيوش المرابطة في الثغور، وبحق أهل الذِّمة، وفي الأخَيرين وقف لهشام بن عبد الملك (ت ١٢٦هـ) قائلاً له: «أهل ذمتكم لا يُجبى صغارهم ولا يتعتع كبارهم، ولا يُكلفون إلا ما يُطيقون»[٥].

توفي الفقيه عطاء بن صَفوان بن أبي رباح السَّنة ١١٤ وقيل ١١٥ بعد الهجرة، عن عمر ناهز الثَّامنة والثَّمانين[٦].

---

(١) الذهبي، سير أعلام النُّبلاء ٥ ص٨١ .
(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٤٠ ص٣٩٥ .
(٣) المصدر نفسه ٤٠ ص٣٧٥ . ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٧ ص١٦٦- ١٦٧ .
(٤) ابن الجوزي، المصدر نفسه ٧ ص١٦٧، وابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٥٦ .
(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٤٠ ص٣٦٨ .
(٦) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٥ ص٤٧٠ .

يَزِيدَ بنِ أَبِي حَبِيب:

يَزيد بن سويد الأزدي بالولاء[١]، عُرف بيَزيد بن أبي حبيب كان «نُوبياً أسودَ»[٢]، ويُلقب بالمصري[٣]، فأصله من مصر من دنقلة، قيل عنه «مفتي أهل مصر في صدر الإسلام، وأول مَن أظهر علوم الدِّين والفقه بها»[٤]. لكنَّ في عبارتي «صدر الإسلام» ، وأنه «أول مَن أظهر علوم الدِّين» ما لا يتفق مع تحديد صاحب «الأعلام« لسنة وفاته (١٢٨هـ)، فمعنى ذلك أنه عاش عهد الخلافة الراشدية (١١-٤١هـ). يمكن القول إنه عاش العهد الأموي (٤١ -١٣٢هـ) في عقوده الأولى.

تردد اسمه كثيراً في ما ورد من الرُّوايات، وعلى وجه الخصوص ما نقل عنه ابن إسحاق (ت ١٥١هـ) في كتاب السِّيرة، هذا ما ينقله ابن هشام (ت ٢١٣هـ) وبقية المؤرخين. على سبيل المثال: ورد في خبر حفر بئر زمزم، عن ابن إسحاق «وكان أول ما أُبتدئ به عبد المطلب من حفرها، كما حدثني يَزيد بن أبي حبيب المصري عن مرثد بن عبد الله اليَزني عن عبد الله بن زُرير: أنه سَمع عليَّ بن أبي طالب رضى الله عنه يحدث حديث زمزم حين أُمر عبد المطلب بحفرها. . . »[٥].

كذلك كان ابن أبي حبيب مصدراً لابن إسحاق في قصة بيعة العقبة الأُولى وعدد المبايعين كان اثني عشر رجلاً[٦]. ورواية نزول النَّبي في بيت أبي أيوب بالمدينة عندما هاجر إليها من مكة[٧]. ومنها رواية ما فعلته السَّرية التي بعثها النَّبي

(١) الزَّركلي، الأعلام قاموس تراجم ٩ ص٢٣٦ .
(٢) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٥٩ .
(٣) ابن هشام، السِّيرة النَّبوية ١ ص١١٧-١١٨ .
(٤) الزَّركلي، الأعلام قاموس تراجم ٩ ص٢٣٦ - ٢٣٧ .
(٥) ابن هشام، السِّيرة النَّبوية ١ ص١١٧-١١٨ .
(٦) المصدر نفسه ٢ ص٥٢ . الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٢ ص٢٦٠ .
(٧) انظر: ابن هشام، المصدر نفسه ٢ ص١٠٧- ١٠٨ .

¤ إلى قوم فقامت بحرقهم بالنَّار، فقال النَّبي: «لا ينبغي لأحد أن يُعذب بالنَّار إلا الله، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما»[١]. وكان أحد ساندي روِّاية قصة إسلام عمرو بن العاص (ت٤٠هـ)، بعد الانصراف من معركة الخندق (٥هـ)[٢].

أخيراً نأتي على رواية مهمة وهي أن يزيد بن أبي حبيب قد «وجد كتاباً فيه ذكر مَن بعث رسول الله ¤ إلى البلدان والملوك العرب والعجم، وما قال لأصحابه حيث بعثهم. قال وبعث به إلى محمد بن شهاب الزُّهري»[٣]. نقول عن هذه الرّواية أنها مهمة، لأن فيها إيماءة إلى كتابة التَّاريخ أو السِّيرة قبل ابن إسحاق، ولها تأثير في تحديد تاريخ التَّدوين، وبدايته في العهد الأموي، وربَّما قبل ذلك. إذا علمنا أن الزُّهْري (ت ١٢٤هـ) عاصر العهد الأموي من بدايته تقريباً.

ذُكر يَزيد بن أبي حبيب كأحد خزنة العلم، بما يتوافق مع ما نُقل عن أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) فيه: «العلم خزائن يُقسم الله، عزَّ وجلَّ، لمَن أحب»[٤]. ووصفه ابن الجوزي قائلاً: «كان عالماً كبيراً»[٥]. كذلك ورد اسم ابن أبي حبيب كراوية لأحاديث عديدة في الصَّحاح وغيرها، منها على سبيل المثال حديث «إفشاء السَّلام من الإسلام» في رواية أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ): «حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيب عَنْ أَبِي الخَيْرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ¤ أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ قَالَ تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[٦]. مثلما تقدم كانت وفاة أبي رجاء يَزيد بن أبي حبيب السَّنة ١٢٨ بعد الهجرة.

(١) ابن هشام، السِّيرة النَّبوية ٢ ص٢٢٦، وينظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٣٣٢.
(٢) المصدر نفسه ٢ ص٢١٨. الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٢ ص٥٠٧. ابن هشام.
(٣) ابن هشام، المصدر نفسه ٤ ص١٩٣. الطَّبري، المصدر نفسه ٢ ص٤٧٨.
(٤) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٥٩.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان (٢٨)، ومسلم في كتاب الإيمان (٣٩)، وأبو داود في كتاب الأدب (٥١٩٤).

حَبِيب بْنِ أَبِي ثَابِت

اسمه حَبيب بن قيس بن دينار، وكان اسم أبي ثَابت قيساً، يُكنى بأبي يحيى، من أهل الكوفة ومن موالي بني أسد فيها[١]. كان عالماً ومحدثاً عن كبار كعبدالله ابن عباس (ت ٦٨هـ) وعبد الله بن عمر (٧٣هـ)، وسمع عنه كبار أيضاً في زمنهما كسليمان بن مهران الأعمش (ت ١٤٨هـ) والثَّوري[٢] وربَّما هو سعيد بن مسروق (ت ١٢٨هـ) والد سفيان الثَّوري (ت ١٦١هـ)[٣]، وطائفة من الكبار[٤].

عُدَّ أحد الثلاثة من فقهاء الكوفة، وكان جليل القدر عند أهل الطَّائف، على وجه الخصوص[٥]. كان يُطيل السُّجود، لشدة ورعه وتعبده، فلو رأيته ساجداً «قلت ميت»[٦]. ينقل الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، ليس في رسالة «فخر السُّودان على البيضان» قوله: «وكره حبيب بن أبي ثابت أنْ يُقالَ للحائظ طامث»[٧].

من جملة ما روى من أحاديث، أو كان أحد أسانيدها، حديث أتى به أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجَة (ت ٢٧٣هـ): «حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ حَبِيب بْنِ أَبِي ثَابت عَنْ مَيْمُون بْن أَبِي شَبِيبَ عَنْ الْمُغِيرَةِ بْن شُعْبَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ¤: مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبَيْنِ»[٨].

هذا، ولم نعثر على انتمائه للسُّود، في ما وصلنا إليه من كتب التَّراجم العامة أو الخاصة في طبقات السُّود، إلا قول ابن الجوزي فيه: «كان أسود

(١) ابن الجَوزي، تنوير الغَبَش في فضل السُّودان والحَبش، ص١٥٨ . الذهبي، سير أعلام النُّبلاء ٥ ص٢٨٩ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٥ ص٣٥٢ .
(٤) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٥ ص٢٨٩ .
(٥) المصدر نفسه ٥ ص٢٩٠ .
(٦) المصدر نفسه ٥ ص٢٩١ .
(٧) كتاب الحيوان ١ ص٣٤٢ .
(٨) أخرجه الترمذي في كتاب العلم (٢٦٦٢)، وابن ماجه في المقدمة (٤١).

اللَّون»[١]، ولهذا عده ضمن كتابه «الغبش. . . « كانت وفاة حَبيب بن أبي ثابت السَّنة ١١٩ بعد الهجرة[٢].

سعيد بن مِسجَح:

أبو عثمان سعيد بن مسجح، وقيل يُكنى بأبي عيسى، ويُلقب بالقرشي الأسود المكي، مولى بني جُمحَ، وعلى رواية كان مولى بني نوفل بن الحارث بن عبد المطلب[٣]. يُعد من أبرز المغنين في عصره، وهو أُستاذ عُبيد بن سُريح في هذا الفن[٤]. يذكر ابنَ عساكر (ت ٥١٧هـ) ناقلاً عن كتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ): كيف اتصل ابن مسجَح بالخليفة عبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ)، وذلك عن طريق عامل عبد المَلك على مكة، وكان قد وصله خبر المغني الذي يفسد فتيان قريش بمكة، وانفقوا عليه أموالهم. فكتب الأشقر إلى الخليفة يخبره بهذا الأمر، ولو لم يكن هؤلاء الفتيان من علية القوم لتصرف العامل (الأمير) مع المغني، لكن يبدو أن الأمر بحاجة إلىَ إخبَار الخليفة به، فجاء جواب من دار الخلافة: «أقبض ماله وسيِّره إليَّ»[٥].

فحصل ذلك وتوجه ابن مسجَح إلى دمشق بصحبة رجلٌ قيل لديه جوار مغنيات؛ ودخلا المسجد ليتعَارفا على مَن له صلة بالخليفة فيوصل ابن مسجَحً إليه، وأشاروا إلى نفر من قريش على أنهم بنو عمَّ الخليفة، فذهبوا به إلىَ مكان فيه غناء، ولما قدموا الطَّعَام قال ابن مسجَح لهم، كي لا يحرج نفسه: «إني رجلٌ

(١) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٥٨ .
(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٥ ص٢١٥ .
(٣) الصَّفدي، الوافي بالوفيات ١٥ ص١٦٠ .
(٤) المصدر نفسه.
(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٢١ ص٢٩٣- ٢٩٥ . جاءت عند الأصفهاني، كتاب الأغاني ٣ ص١٩٧ وما بعدها.

أسود ولعلَّ فيكم مَن يقْذرني، فأن أجلس وأكل في ناحية، فقاموا وقام فاستحيوا منه وبعثوا إليه بما أكل»[١].

فلما بدأ الغناء، وتمثل ابن مسجَح ببيت من الشِّعر، غضبت الجارية المغنية منه وقالت: «أيضرب مثل هذا الأَسود لي الأمثالَ»! إلا أنه زاد على ذلك وقام يُخطئ المغنية، فتثاقل القوم منه. يقول ابن مسجَح في قصته عن نفسه: «ثم اندفعتُ فغنيتُ الصَّوت، فوثبت الجارية وقالتَ لمولاها: هذا أبو عثمان سعيد بن مسجَح. فقلتُ: أي والله أنا هو، لا والله لا أُقيم عندكم»[٢]. فتغير الموقف تجاهه وأخذ القوم يتنافسون على قربه وضيافته.

كان أحد الجلساء، في ذلك المجلس على صلة بمجلس الخليفة عبد الملك بن مروان؛ فرغب أن يوصله بالخليفة، فطلب من سعَيد بن مسجَح أن ينتظر كي يستطلع الوضع هل يناسب الدُّخول والاستئذان علىَ الخليفة أم لاَ، ولما رأى كلَّ شيء على ما يُرام، أرسل إليه أن يبدأ بالحداء، من وراء شرفة القصر، فحدا بهذه الأبيات:

إنك يا معاوي المفضلُ
إن زلزلَ الأقوامُ لم تُزلزلِ
عن دينِ موسى والكتاب المنزل
تُقيمَ أصداغ القرون المُيَّلِ

بعدها سأل عبد الملك بن مروان عن صاحب هذا الحداء؛ فقيل له: إنه رجلٌ حجازي، فأمر باحضاره فحضر. فقال له الخليفة: احدْ، فحدا، وسأله: هل تُغني غناء الرُّكبان؟ فغنى. ثم سأله: هل تُغني الغناء المتقْن؟ فغنى[٣]. فظهر أنه صاحب باعٍ في هذا الفن، مثلما قال له الخليفة: «أقسم إن لك في القوم اسماً

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٢١ ص٢٩٣- ٢٩٥. جاءت عند الأصفهاني، كتاب الأغاني ٣ ص١٩٧ وما بعدها.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

كبيراً. مَن أنت ويلك؟». فحكى له قصته، وما قبض والي الحجاز من ماله. فكتب برد المال عليه. هذه قصة اتصال سعيد بن مسجَح بعبد الملك بن مروان بدمشق. مثلما أوردها الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) في «الأغاني» وعنه نقلها ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق».

روى الأصفهاني في أغانيه: أن ابن مسجح كان من «فحول المغنين وأكابرهم وأول مَن صنع الغناء منهم، ونقل غناء الفرس إلى غناء العرب، ثم رحلَّ إلى الشَّام وأخذ ألحان الرُّوم»[١]. ذلك أنه مرَّ بالفرس وهم بمكة، وسمع غناءهم بالفارسية، فقلبه إلى الشِّعر العربي، وتبعه الآخرون[٢].

نقرأ في قصة عتقه من العبودية بأن مولاه سمعه يغني بهذا الشِّعر فاعتقه[٣]:

ألمم على طللٍ عَفا متقاه
بين اللَّكيكِ وبين غَيْب النَّاعمِ
لولا الحياء وأن رأسي قد عثا
فيه المشيب لزرتُ أُم القاسمِ

دُعا ابن مسجح إليه المغني عُبيد بن سُريح فعلمه الغناء[٤]، وهو الآخر من أكابر المغنين، فقيل «أخذ عنه ابن سُريح، وتعلم منه حتى ساواه وفاقه وبرز عليه، وأخذ الغَريض عن ابن سُريح»[٥]. مع هذه الشُّهرة والموهبة كان ابن مسجَح قليل الغناء[٦].

كان أبو يزيد المكي[٧] المعروف بالغَريض هو الآخر ملحناً ومغنياً مشهوراً، ذُكرت له حكايات عديدة في أمهات التُّراث الأدبي والفني، وهنا تأتي أهمية ابن

(١) كتاب الأغاني ٣ ص١٩٤.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه ٣ ص١٩٥.
(٤) المصدر نفسه ٣ ص١٩٦.
(٥) الصَّفدي، الوافي بالوفيات ١٥ ص١٦٠.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٩ ص٢١١.

مسجح كونه أنشأ من الفنيين المغنين والملحنين جيلاً عن جيل، وحسب أبي الحسن المسعودي (ت ٣٤٦هـ) أنه عاش إلى زمن الوليد بن يزيد (قُتل ١٢٦هـ)[١]. هذا ولإسحاق الموصلي كتاب تحت عنوان «أخبار الغريض»[٢].

طال العمر بابن مسجَح حتى «لقيه المغَنِّي الشَّهير معبدٌ»[٣]، وأخذ عنه في أيام الوليد بن عبد الملك»[٤]. وصنف به إسحاق بن إبراهيم الموصلي[٥] كتاباً تحت عنوان «أخبار سعيد بن مسجح»[٦]. على ما يبدو لم يكن ابن مسجَح مغنياً بقدر ما كان ملحناً، فكثيراً ما نجد في سيرته أنه غنى من ألحانه، أو إذا غنى آخرون قيل من ألحانه[٧].

عاش ابن مسْجَح، حسب رواية الأصفهاني، إلى خلافة الوليد بن عبد الملك، فعندما يقول أيام الوليد يعني خلافته، وبهذا يكون الزِّركلي قد أخطأ بتحديد سنة وفاته (٨٥هـ)[٨]، فالوليد قد تسنم دست الخلافة بعدها (٨٦- ٩٦هـ).

(١) انظر في حياة الغريض: الجاحظ، الحيوان ١ ص٣٠٢ و٦ ص٢٠٨، المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر ٤ ص٥٠، النَّديم، كتاب الفهرست، ص١٥٨. يُذكر أنه كان مولى أيضاً ولا نعلم هل كان من السُّود أم لا، وقيل كان خياطاً قبل تعلمه الغناء من على يد ابن سُريح، وكف عن الغناء وأخذ ينوح في المراثي بصوته الشَّجي (انظر ترجمته: ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٩ ص٢١١-٢١٢).
(٢) النَّديم، الفهرست، ص١٥٨.
(٣) معبد بن وهب، نابغة في الغناء العربي في العصر الأموي، وكان أديباً أيضاً، توفى ١٢٦ هـ (الزِّركلي، الأعلام ٨ ص١٧٧).
(٤) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٣ ص١٩٧.
(٥) كان مغنّياً شهيراً، وراوية للشعر، له كتب في الأخبار المغَنِّين والغناء كثيرة، توفي ١٨١ هـ (النديم، الفهرست، ص١٥٨).
(٦) الحموي، معجم الأدباء ٢ ص٦١٥.
(٧) انظر مثلاً: الأصفهاني، كتاب الأغاني ٣ ص١٩٦.
(٨) الزِركلي، الأعلام قاموس تراجم ٣ ص١٥٤.

عُكيم الحبشي:

يذكره الجاحظ أنه كان من الحبشة، أخذ علماء الشَّام عنه، ينظر له بالفصاحة، أفصح من العَّجاج[١]، وَيقابله بالمنتجع بن نبهان[٢]، الذي أخذ عنه علماء العراق، والأخير كان سندياً وقع إلى البادية فصار أفصح من رؤبة[٣]. يبرز اسم عُكَيم الحبشي برده على قول حكيم بن عياش الكلبي[٤]:

لا تفخرنَّ بخال من بني أسد
فإن أكرم منها الزِّنج والنُّوبُ[٥]

فاعترض عليه عُكيم منتصراً إلى أبناء جلدته مفاخراً بهم العرب:

ويوم غمدان كنَّا الأُسد قد علموا
ويوم يثرب كنَّا فحلة العربِ
وليلة الفيل إذ طارت قلوبكم
وكلُّهم هاربٌ مُسوف على قَتبِ
منَّا النَّجاشي وذو العقصين صُهركم
وجدُّ أُبرهة الحامي أبي الطَّلبِ
هبني غفرتُ لعدنان تَهكمكم
فما الحمير والمقوال في النَّسبِ

(١) أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة العجاج بن رؤبة بن حنيفة شاعر راجز أموي معروف، توفى ٩٠ هـ عاصر الأخطل التغلبي (انظر: الأصفهاني، الأغاني ٥ ص١١ و ٢٠ ص٢٢٠ . ابن خلكان، وفيات الأعيان ٢ ص٦٣).

(٢) أحد البلغاء عاش العهد الأموي له أخبار مع ذي الرِّمة (الجاحظ، البيان والتبيين ٢ ص٣٢٠ . ابن الجوزي، المنتظم ٧ ص٧٧).

(٣) رؤبة بن العجاج أحد الفصحاء، مخضرم الدولتين الأموية والعباسية، توفى ١٤٥ هـ، ووالده أب الشهثاء عبد الله العجَّاج (ابن خلّكان، وفيات الأعيان ٢ ص٦٣).

(٤) الشَّاعر الأموي حكيم بن عياش المعروف بالأعور الكلبي، سكن بدمشق وانقطع للأمويين، ويتعصب لليمن على مضر (الحموي، معجم الأدباء ٣ ص١١٩٥).

(٥) الجاحظ، الرسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٩٨- ١٩٩ .

يشرح الجاحظ العجز الأول من البيت الأول قائلاً: «فإن مُسرف بن عقبة المريِّ حين كان أباح المدينة زعموا أنه كان أمرٌ قبيح من السُّودان والجُند»[١]. ذلك اعتماداً على ما قاله شاعر من مُضر يتهم الزِّنج بما حصل[٢]:

فسائلُ مُسرف المريُّ عنهم
غَداة أباح الجند العَذاري

فما زجكم على حنق زنوجٌ
وفزَّ الشَّام كالأُسد الضَّواري

لا نعلم أكثر مما أورده الجاحظ عن عُكيم الحبشي، ووضعناه ضمن أعلام السُّود في العهد الأموي قياساً على صلته بأهل الشَّام، فتلك العبارة أحسب أنها تعني ذلك العهد.

شخصيات متفرقة:

نجد في رسالة الجاحظ «فخر السُّودان على البيضان» أسماء أُخر من السُّود، ربَّما تفاوتت في الزَّمن، ونحصرها هنا خارج الترتيب الزَّمني، على الظَّن الغالب منها يعود إلى الفترة الأمويَّة، وعلى ما يبدو أنه فرزها من قصائد شعرائهم، التي ردوا فيها على مَن تعرض لهم بسبب لونهم، وأسماءَ أُخر سمعها منهم، فهو بصري وإن للزَّنج بالبصرة وجوداً ملموساً، من ذلك اليوم وإلى وقتنا الحَاضر. من هذه الأسماء:

الغذاف: صاحب عبيدالله بن الحرِّ، كان مقاتلاً شديداً، ومن قُطاع الطُّرق[٣].

(١) الجاحظ، الرسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص٢٠١ . .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه ١ ص١٩٣ .

المغلول وبنوه: كانوا من العارفين بالبادية ويصفهم الجاحظ قائلاً: «ليس في الأرض أعرف ولا أثقف وَلا أعلم بالبادية منهم»[١].

كباجلا: كان مقاتلاً مبارزاً، «ولا قاتل في المخارجات (المبارزات) أحدٌ قطُ يشبهه»[٢].

مربح الأشرم: غلام أبي بحر القائد، قدم من الشَّام أيام قُتيبة بن مسلم[٣]، وكان مقاتلاً شرساً «لا يُرام لقاؤه وأمره مشهور»[٤].

الجحَّاف بن حُكيم[٥]: وقيل إنه من بني ذكوان «وكان مِن شياطينهم وفُرسانهم»[٦]، وهو الذي عُني به الأخطلَ[٧]:

ولقد أوقع الجحَّاف بالبِشر وقعةً
إلى الله فيها المشتكى والمعَّولُ

عمير بن الحباب وأخوته[٨]: قال فيهم سُنيح بن رباح (ستأتي ترجمته) رداً على الشَّاعر الشَّهير جرير الخطفي، بعد قصيدة الحيقطان ضد جرير عندما هجا بني تغلب: «لا تطلبنَّ خؤولةً في تغلب/ فالزِّنجُ أكرم منهم أخوالا»[٩]:

وبنو الحُبَاب مطاعن ومطاعم
عند الشَّتاء إذا تهبُ شمالا

(١) الجاحظ، الرسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٩٣ .
(٢) المصدر نفسه ١ ص١٩٤ .
(٣) أبو حفصة قُتيبة بن مسلم الباهلي، فتح بخارى وسمرقند وخوارزم وفرغانة بعد ردتهم، والي خراسان للوليد بن عبد الملك (ت ٩٦ هـ)، وبعد وفاة الأخير نزع الطاعة عن الأمويين، وقُتل السنة ٩٦هـ (الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٤ ص٤١١).
(٤) الجاحظ، الرسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٩٣ .
(٥) المصدر نفسه ١ ص١٩٢ .
(٦) ابن دُريد، الأشتقاق، ص٣٠٨ .
(٧) المصدر نفسه.
(٨) الجاحظ، الرَّسائل، (رسالة فخر السودان على البيضان) ١ ص١٩١- ١٩٢ .
(٩) المصدر نفسه ١ ص١٩٠ .

الفصل الثالث

أعلام العهد العباسي

فَرج الحجَّام:

لم يكن فرج الحجَّام من أهل الأدب والكتابة أو السِّياسة، إنما واضح من لقبه كان حجَّاماً وحسب ما يأتي كان حلاقاً أيضاً، ولا نجد في ذلك مانعاً من ذكره مع أعلام، أو طبقات السُّود، فهو يكون قد أدى دوراً في حياة الأمراء والنَّاسَ. كان مولى الأمير العباسي جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس (ت نحو ١٤٧هـ) والي البصرة، وقد عتقه بعد أن خدمه دهراً، «يُصلح شاربه ولحيته». كان فرج الحجَّام[١] «من أهل العدالة، والمقدمين في الشَّهادة»[٢].

أُعجب به الأمير أيما إعجاب، فقال: «والله لأمتحننَّه، فإن كان الذي هو فيه من عَقل لأعتقنَّه، وإن كان كالطَّبيعة والخلقة لأحمدنَّ الله على ذلك»[٣]. روى الجاحظ ذلك في مكان آخر مع زيادة: «لأعتقنه ولأزوجنه ولأغنينه»[٤].

فجرى معه ذات يوم هذا الكلام: «ما اسمك يا غُلام؟ قال: فرج. قال: وما كُنيتك؟ قال: لا أكتنى بحضرة الأمير. قال: فهل تحتجم؟ قال: نعم. قال: متى؟ قال: عند هيجه (يقصد الدَّم). قال: وهل تعرف وقت الهيج؟ قال: في أكثر ذلك. قال: فأي شيء تأكل على الحجامة؟ قال: أما في الصَّيف

(١) الجاحظ، الرَّسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٨١ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه، كتاب الحيوان ٧ ص٢٦١ .
(٤) المصدر نفسه، الرَّسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٨١ .

فـ«سكباجه»[١] محمَّضة عذبة، وأما في الشَّتاء فديجيراجة (في فخر السُّودان جاءت: داكبراه) خاثرةٌ حلوة، فاعتقه وزوَّجه ووهب له مالاً»[٢]. على أن الدِّيجيراجة مفردة فارسية[٣].

يُذكر عن طعام الدِّيجيراجة أو «الديكريكة» حسب «كتاب الطبيخ» لمحمد بن الحسن البغدادي الذي صنفه في نهاية العصر العباسي العام ٦٢٣هـ. جاءت في هامش الكتاب المذكور يأتي محلاً بالسكر، وعلى احتمال أنها مفردة آرامية معناها الدِّيك المبارك[٤]. جاء النَّص نفسه في «رسالة فخر السَّودان على البيضان» للجاحظ مع اختلاف في الألفاظ[٥].

قال فيه الشَّاعر المُقل أبو فرعون الشَّاشي، وقيل الشَّاسي[٦]:

خَلُّوا الطَّريقَ زَوجتي أمامي
أنا حميم فرجِ الحجَّام[٧]

فعلى ما يبدو كان معروفاً، فمن غير ما جاء فيه من الشَّعر «كان أهل المربد يقولون: لا نرى الإنصاف إلا في حانوت فرج الحجَّام، لأنه كان لا يلتفت إلى مَن أعطاه القليل، ويُقدَّم الأول ثم الثَّاني ثم الثَّالث أبداً، حتى يأتي على آخرهم، على ذلك يأتيه مَن يأتيه، فكان المؤخر لا يغضب ولا يشكو»[٨].

(١) السكباج: طعام عباسي يطبخ من اللحم والكسبرة الخضراء والدارسين «القرفة» وباذنجان أو جزر وبصل ويغلي بقدر محدد مع إضافة عسل أو دبس (انظر: البغدادي، كتاب الطبيخ، ص٩ والتوحيدي، الرسالة البغدادية، ص١٥٩).
(٢) الجاحظ، كتاب الحيوان ٧ ص٢٦١ - ٢٦٢.
(٣) شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص٩٢.
(٤) انظر البغدادي، كتاب الطبيخ ص١٢ والتوحيدي، الرسالة البغدادية ص١٦١.
(٥) الجاحظ، الرَّسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٨١- ١٨٢.
(٦) النَّديم، الفهرست، ص١٨٧.
(٧) الجاحظ، كتاب الحيوان ٧ ص٢٦٢.
(٨) المصدر نفسه.

ليس لنا دليل على سواد فَرج الحجَّام سوى ما أورده الجاحظ في رسالته «فخر السُّودان على البيضان»، وقال: «ومنهم فرج الحجَّام وكان من أهل العدالة»[١]. والمقصد من العبارة الأخير أنه «كان قاطع الشَّهادة، ولم يكن أَحد مِن مواليه يطمع أن يشهد إلَا على شيءٍ لا يختلف فيه الفقهاء»[٢].

كعبويه الزِّنجي:

لا تفيدنا المصادر بشيء عن كعبويه سوى أنه كان مولى للمغيرة بن الفزر أو الفزع[٣]، أحد قادة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (قُتل ١٤٥هـ)، ومن أوائل المجيبين له[٤]، عندما أخذ البيعة لأخيه بالبصرة، ثم ثار هناك[٥]، وقُتلَ بباخمرا[٦]، قرب الكوفة، عقب فشل ثورة أخيه محمد النَّفس الزَّكية (قُتل ١٤٥هـ) بالمدينة، في خلافة أبي جعفر المنصور (ت ١٥٨هـ).

أنفذه إبراهيم إلى الأحواز، وكان كعبويه يخوض المعارك معه. جاء في الرّواية: «دخل المغيرة الأهواز، وصعد المنبر فجعل يخطب ويسكن النَّاس، إذ قيل له هذه الأغنام تُرمى بالنِّشاب في سكة باب إزار، فصاح المغيرة بعبد أسود له يُدعى كعبويه: اكفني هؤلاء، فخرج فردهم»[٧]. بعدها انهزم المغيرة في المعركة وعاد إلى البصرة، وكان صاحبه إبراهيم بن عبد الله قد قُتل[٨].

(١) الجاحظ، الرسائل (رسالة فخر السُّودان) ١ ص١٨١ .
(٢) المصدر نفسه، كتاب الحيوان ٧ ص٢٦٢ .
(٣) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٥ ص٥٦٣ .
(٤) المصدر نفسه.
(٥) انظر في تفاصيل ثورتي محمد وأخيه إبراهيم: المصدر نفسه ٥ ص٥٢٦ وما بعدها.
(٦) موضع قرب الكوفة، حيث المعركة الحاسمة مع إبراهيم بن عبد الله (الحموي، معجم البلدان ١ ص٣١٦)، وحسب المنازل أو المدن العراقية التي يتقدمها حرف الباء، وتعني بيث بالآرامية والسريانية، وتلفض بالعربية بيت.
(٧) الأصفهاني، مقاتل الطَّالبيين، ص٢٨٣- ٢٨٤ .
(٨) انظر: المصدر نفسه، ص٢٨٤ .

قال الجاحظ عن كعبويه: «صاحب المغيرة بن الفزر، كان مثالاً في الشِّجاعة»[١]. وقال في ابنته، مما يؤكد سواده، «دنانير بنتَ كعبويه الزِّنجي»[٢]، هذا كلّ ما جاء عن كعبويه، ويظهر أنه قُتل مع مَن قتلوا مِن أصحاب إبراهيم بن عبد الله السَّنة ١٤٥هـ.

نافِع بن عبد الرَّحمن المدني:

كان نافع بن عَبد الرَّحمن بن أبي نُعَيم المدني قارئاً من أبرز القراء السَّبعة[٣]، يُكنى بأبي رُويَم، وقيل بأبي الحسن[٤]، وأبي عبد الله وأبي عبد الرَّحمن مولى جَعونة بن شُعوب الشَّجعي المقرئ المدني[٥]. يُعد إمام أهل المدينة في القراءة، حتى صاروا إلى قراءته، ومِن الطَّبقة الثَّالثة بعد الصَّحابة[٦].

نجد من الفائدة أن نأتي على ذكر السِّتة الباقين من أصحاب القراءات: أبو معبد عبد الله المكيَ الدَّاراني المعروف بابنَ كثير (ت ١٢٠هـ)، عبد الله بن عامر الشَّامي (ت ١١٨هـ)، أبو عمرو بن العلاء البصري (ت ١٥٤هـ)، عاصم بن أبي النُّجود بن بهدلة الكوفي (ت ١٢٧هـ)، حمزة بن حبيب الفرضي الكوفي (ت ١٥٦هـ)، وعلي بن حمزة النَّحوي الكسائي الكوفي (ت ١٨٩هـ)، عُدَّ رواتهم بأربعة عشر رجلاً[٧].

إذا قيل «الحَرميان فهما: ابن كثير ونافع»[٨]، فابن كثير، مثلما ذُكر أعلاه، إمام الحرم المكي ونافع إمام الحرم النَّبوي بالمدينة. وقيل في أصله إنه مِن أصفهان أو

(١) الرَّسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٩٣ .
(٢) المصدر نفسه ١ ص٢١٤-٢١٥ .
(٣) الأندلسي، العنوان في القراءات السَّبع، ص٤٠ .
(٤) النَّديم، الفهرست، ص٣١ .
(٥) ابن خلِّكان، وفيات الأعيان ٥ ص٣٦٨- ٣٦٩ .
(٦) المصدَر نفسه .
(٧) انظر: الأندلسي، العُنوان في القراءات السَّبع، ص٤٠ . انظر أيضاً: النَّديم، الفهرست، ص٣٠ وما بعدها .
(٨) الأندلسي، المصدر نفسه .

أصبهان[١]، وهما واحد. «قرأ على طائفة من تابعي أهل المدينة»[٢]، واشتهرت تلاوته[٣]. وكان له باع في القراءة حتى قيل: «نافع إمام النَّاس في القراءة»[٤].

قيل أيضاً: «إمام أهل المدينة ثبت في القراءة»[٥]، أو مثلما قيل كان «حبراً في القرآن»[٦]. روي عنه «إذا تكلم توجد من فيِّه ريح مسك، عللَّها برؤية النَّبي ¤ في النَّوم...»[٧]. أما في الحديث فهناك مَن ثبته وهناك مَن «لينه»[٨]. ويوصف بأنه كان «محتسباً فيه دُعابة»[٩].

ذُكر في أكثر من مصدر أنه من طبقات السُّود المسلمين، وأن تحدره من أصفهان لا يعني أن تلك المناطق كانت خالية من الحبشان الموجودين هناك في الأصل، أو قصدوها مع الإسلام. يقول ابن خلِّكان (ت ٦٨١هـ) في سواده: «كان أسود شديد السَّواد»[١٠]، كذلك أثبته الذَّهبي (ت ٧٤٨هـ) قائلاً: «كان أسود اللَّون حالكاً»[١١]. هذا ولعلَّ خير الدِّين الزَّركلي (ت ١٩٧٦م) أثبت سواده عند آخرين من غير ابن خلِّكان[١٢].

لم تُذكر ترجمةٌ له بين مَن تُرجم من السُّود في المصنفات الخاصة بهؤلاء، مثل: «تنوير الغبش في فضل السُّودان والحَبش» لابن الجوزي، و«رفع شأن الحِبشان»

(١) النَّديم، الفهرست، ص٣١. الذَّهبي، معرفة القُراء الكبار على الطَّبقات والأعصار ١ ص١٠٧.
(٢) الذَّهبي، المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه، سير أعلام النُّبلاء ٧ ص٣٣٨.
(٤) المصدر نفسه، معرفة القُراء الكبار على الطَّبقات والأعصار ١ ص١٠٨.
(٥) العسقلاني، لسان الميزان ٧ ص٤٤٩-٤٥٠.
(٦) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٧ ص٣٣٦- ٣٣٨.
(٧) المصدر نفسه.
(٨) المصدر نفسه.
(٩) ابن خلِّكان، وفيات الأعيان ٥ ص٣٦٨- ٣٦٩.
(١٠) وفيات الأعيان ٥ ص٣٦٨- ٣٦٩.
(١١) سير أعلام النُّبلاء ٧ ص٣٣٨ ومعرفة القُراء الكبار ١ ص١٠٧.
(١٢) الأعلام قاموس تراجم ٨ ص٣١٧- ٣١٨.

للسَّيوطي، و«الطِّراز المنقوش في محاسن الحبوش» للبخاري، و«الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان» للأزهري. توفي نافع بن عبد الرَّحمن بن أبي النَّعيم المَقرئ السَّنة ١٦٩ بعد الهجرة[١].

ذو النُّون المصري:

كان ذو النُّون لقبه، واسمه ثوبان بن إبراهيم الأخميمي، مولى لقريش، وقيل اسمه الفيض بن إبراهيم[٢]، أو كنيته أبا الفيض[٣]، وقيل اسمه الفيض بن أحمد أبو الفيض[٤]، ومعلوم أن الفَيض لقب من الألقاب الصُّوفيَّة[٥]، فربَّما عُرف بالفَيض لهذا السَّبب.

المتفق في معظم الرّوايات أن أصل ذي النُّون من النُّوبة، و«كان أبوه إبراهيم نوبياً»[٦]. يذكره ابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، ضمن مَن ترجم لهم في موسوعته، أنه «طاف جبل لبنان من أعمال دمشق، ودخل دمشق»[٧].

زار بغداد أيضاً «حين أُشخص إلى سُرَّ مَن رأى (سامراء) أيام المتوكل، ثم زار جماعة من إخوانه فأقام ببغداد أياماً يسيرة ثم رجع إلى مصر»[٨]. أصله من النُّوبة، عُرف بالأخميمي نسبة إلى قريته اخميم بصعيد مصر، وكان حيكماً فصيحاً عالماً[٩]. ويُنقل أنه أول صوفي «تكلم ببلده في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية»[١٠].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٦ ص٩٥.
(٢) السُّلمي، طبقات الصُّوفيَّة، ص١٦.
(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ١٧ ص٣٩٩.
(٤) ابن تغرى بردى، النُّجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢ ص٣٢٠.
(٥) انظر: الجرجاني، التَّعريفات، ص١٦٩.
(٦) السُّلمي، طبقات الصُّوفية، ص١٦. ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٩٥.
(٧) تاريخ مدينة دمشق ١٧ ص٣٩٨.
(٨) المصدر نفسه ١٧ ص٤٤٠-٤٤١.
(٩) المصدر نفسه ١٧ ص٣٩٩.
(١٠) ابن تغرى بردى، النُّجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢ ص٣٢٠.

حَدث عن كثيرين، من الكبار في الحديث، بينهم: سُفيان بن عُيينة[١]، وفُضيل بن عياض[٢]، وسالم الخَواص[٣]، وكذلك روى عنه كثيرون[٤].

فعُد من «أعيان الموالي من جُند مصر من الفقهاء والمحدثين والزُّهاد»[٥]. وهناك مَنَ اعتبره «شيخ الدِّيار المصرية»[٦]، ولعلَّه بسبب أحواله الصُّوفية قيل «كان أهل ناحيته يسمُّونه الزِّنديق»[٧]، وربَّما كان هذا قبل توبته، فهناك مَن سأله عن سبب توبته، وقص عليه قصته[٨].

رويت عنه أقوال كثيرة في الورع والزُّهد، منها: «إياك أن تكون بالمعرفة مدَّعياً، أو تكون بالزُّهد محترفاً، أو تكون بالعبادة مُتعلقاً»[٩]. وقوله: «مَن إذا نطق أبان نُطقه عن الحقائق، وإن سكت نطقت عَنه الجوارح بقطع العلائق»، و«الأُنس بالله من صفاء القلب مع الله، والتَّفرد بالله، والانقطاع من كلِّ شيء سوى الله»[١٠].

هذا، ونجد اسمه في إسناد حديث: «الدُّنيا سجن المؤمن وجنَّة الكافر»[١١]. غير أن هذا الحديث أخرجه أكثر من واحد، منها إخراج مسلم بن الحَجَاج (ت٢٦١هـ) له: «حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيد حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيز يَعْنِي الدَّرَاوَرْدِيَّ عَنْ الْعَلَاء عَنْ أَبِيه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ¤: الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»[١٢].

(١) أبو محمد سفيان بن عيينة كوفي أحد أئمة الحديث، توفى ١٩٨ هـ (ابن خلِّكان، وفيات الأعيان ٢ ص١٢٩).
(٢) أبو علي الفُضَيْل بن عياش التميمي، أحد الزُّهاد والعباد المشهورين، توفي ١٨٧ هـ (المصدر نفسه ٣ ص٢١٥).
(٣) سالم بن مبمون الخواص، ورد اسمه سلم، زاهد ومحدث، كان حيا في ٢١٣ هـ (الذَّهبي، سير أعلام النبلاء ٨ ص١٨٠).
(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ١٧ ص٣٩٨.
(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ١٧ ص٣٩٩.
(٦) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ١١ ص٥٣٢.
(٧) المصدر نفسه ١١ ص٥٣٣.
(٨) انظر: المصدر نفسه ١١ ص٥٣٣- ٥٣٤.
(٩) السُّلمي، طبقات الصُّوفية، ص١٨.
(١٠) المصدر نفسه، ص١٩.
(١١) المصدر نفسه.
(١٢) الكتب السِّتة، ص١١٩١ صحيح مسلم، كتاب الزُّهد والرَّقائق، باب: الدُّنيا، رقم الحديث: (٢٩٥٦).

يُنقل أن له شعراً في زهده وورعه، وما يُعبر عنه بالحبِّ الإلهي، ومنه[١]:

أمـوتُ ومـا مـاتت إليكَ صَـبـابتي
ولا قَـضَّـيتَ مِن صِـدق حُـبك أوطاري

مُـنـاى المنى كـلُّ المنى أنت لي المنى
وأنت الغنى كلُّ الغنى عند قـتـاري

وأنت مـدى سُـؤلي وغـاية رغـبـتي
ومَـوضع آمـالي ومكنون أضـمـاري

تحـمل قلبي فـيك مـا لا أبثـه
وإن طال سُـقـمي فـيَّك أو طال إضـراري

إلى قوله:

ألستَ دليل الرَّكبِ إن هم تحـيَّـروا
ومُنقـذَ مَن أشـفى على جُـرف هاري؟

أنرت الهـدى للمـهـتـدين ولم يكن
مِن النُّور في أيديهم عُـشـرَ مـعـشـاري

فلني بعـفـوٍ مِنك أحـيَّـا بقـربه
أغـثني بيـسـرٍ منك يطرد إعـسـاري

أوضح مَن عبر عن صوفية ذي النُّون المصري هو ابن الملقن (ت ٨٠٤هـ)، عندما قال عنه: «أبو الفيض أحد رجالات الحقيقة»[٢]. غير أن الأخير يوهمنا أمر آخر في سواد ذي النُّون ثوبان عندما يقول: «تعلوه الحمرة»، مع ذكر على أن أباه إبراهيم «كان نوبياً»[٣]، وهو في المصادر معدود مِن السُّود، ويستبعد أن تكون

(١) السلمي، طبقات الصوفية، ص٢١-٢٢ .
(٢) طبقات الأولياء، ص٢١٨ .
(٣) المصدر نفسه.

الحمـرة المقـصـودة بمعناها «اللَّون» إنما قـد تكون بمعنى المرض «ورم مِن جنس الطَّواعين»[١]، والله أعلم.

يُذكـر له أخ اسـمـه زُرقـان، ويحتـملها ابن الملقن «لعلها أخـوة مـؤاخـاة لا نسب»[٢]، وأخـوة آخرون مـذكـورون من أولاد أبيـه إبراهيم: ذو الكفل، وعبـد الهادي، والهميسع»[٣]. توفى ذو النُّونَ السنَّة ٢٤٥ وقيل ٢٤٨ بعد الهجرة[٤].

عمرو بن بحر الجَـاحِظ:

لا نسجل هنا ترجمة لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، بقدر ما نحاول إيجاد ما يؤكد على إدراجه ضمن طبقات السُّود؛ وهذا ما لم يضمنه مصنفو الكتب الخاصة بالسُّود والحبشان أو الزِّنج، ولا أشار إليه الجاحظ نفسه في رسالته «فضل السُّودان على البيضان»، مع أن رسالته جاءت بالمديح لأصحاب البشرة السَّوداء. فالمؤلفون على ما يبدو انشغلوا عن السِّيرة الشَّخصية لهذا البحر الزَّاخر في الأدب والكتابة، والحاضر في كلِّ الأزمنة.

نعـثـر على رواية تنسب إلى ابن اختـه يموت بن المُزرِّع بن يموت العـبـدي (ت٣٠٣هـ)[٥]، ويُذكـر أن يموت سـمى اسـمـه مـحـمـداً[٦]، وهناك مَن روى أن الجاحظ كـان خال أُمـه، وكـان يموت إذا ذكـر الجاحظ قـال: «خـالي»[٧]، تشـير الرّواية إلى انحـدار الأخـيـر مِن أصل أسـود. قـال يموت: «وكـان جـد الجـاحظ

(١) انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٣٧٩.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٩٥.
(٤) السُّلمي، طبقات الصُّوفية، ص١٦.
(٥) البغدادي، تاريخ بغداد ٤ ص٤٩٦ و١٦ ص٥٢٣-٥٢٤.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) الحموي، معجم الأدباء ٥ ص٢١٠١ و ٢١٠٥.

أسود»[١]. أما كارل بروكلمان (ت ١٩٥٦م) فيأخذ الرُّواية ويبني عليها العبارة: «كان جده زُنجياً أسود»[٢]. وقيل كان الجد جمالاً لأحد الكنانيين[٣]، فصارت موالاة الجاحظ لأبي قلمس عمرو بن قلع الكناني[٤]، وهو لم يُذكر في نسبه صلة بفرس أو ترك، كي نقول أن موالاته كانت لذلك السَّبب، ناهيك عن عدم ذكَر لآراميته أو سريانيته، وكان أغلب سُكان العراق عليهما، لهذا يُرشح وبقوة أن تكون مولاته على أساس سواده أو زُنجيته.

ينقل رواية انتماء الجاحظ للجنس الأسود الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)؛ وربَّما عنه نقلها ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) وآخرون، وهذا لا يستبعد إذا علمنا أن الجاحظ يتحدر من البصرة[٥]، وولد ونشأ حتى صار أحد أبرز أدبائها[٦]، والزِّنج أو أصحاب البشرة السَّوداء بالبصرة غير قليلين، بحكم أنها منطقة ساحلية، ومثلما تقدم اندلعت ثورة ضد الخلافة العباسية، في عهد المعتز بالله (قُتل ٢٥٥هـ) وامتدت إلى خلافة المهتدي بالله (قُتل ٢٥٦هـ) ثم المعتمد على الله (ت ٢٧٩هـ)، ولما شارك الزِّنج فيها عُرفت بثورة الزِّنج (٢٥٥ - ٢٧٠هـ)[٧]، وكان قد اندلعت في سنة وفاة الجاحظ، ولو عاش أيامها لأتى بشيءٍ عن حوادثها في ما كَتب.

كانت شخصية أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب[٨] الجاحظ أوفر الشَّخصيات حظاً، في البحوث والدِّراسات والاهتمام العام. فقد ذاع صيته في

(١) البغدادي، تاريخ بغداد ١٢ ص٢١٤ . الحموي، معجم الأدباء ٥ص ٢١٠١ - ٢١٠٥ . الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص١٤٨ . الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ١١ ص٥٢٧- ٥٢٨ .
(٢) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ٣ ص١٠٦ .
(٣) الحموي، معجم الأدباء ٥ص ٢١٠١ - ٢١٠٥ .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) المرزباني، معجم الشُّعراء، ص٣٧٥ .
(٧) انظر في حوادثها من الأقدمين: الطبري، تاريخ الأمم والملوك ٨ ص٣٨٤ وما بعدها، ومن المتأخرين: فيصل السَّامر، ثورة الزِّنج، دمشق: دار المدى ٢٠٠٠ .
(٨) ما يمكن قوله هنا: إن اسم محبوب، وهو جد الجاحظ ما زال حتى اليوم موجود بين الزّنوج.

الآفاق، وعرفه الدَّاني والقاصي، عبر كتاب مقروء أو رواية عنه أو فكرة تداولها المتناظرون. وبلا مبالغة، يعدُّ الجاحظ نسيج وحده من بين رجالات الفكر والأدب بين مجايليه والمعاصرين. كتب في شتى مجالات المعرفة، ففي طيات كتابه الحيوان ورسائله المختلفة يظهر الكثير من المعارف، التي استعان بها، في ما بعد، مؤلفو الموسوعات المعرفية.

لكن مع ذلك لا يخلو من النَّقد على ما أورده في كتبه، من ذلك قول أبي الحسن المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، وهو يتحدث عن حيوان الكركدن: «زعم الجاحظ أن الكركدن يُحمل في بطن أُمِّه سبع سنين، وأنَّه يخرج رأسه من فرج أُمِّه فيرعى، ثم يدخل رأسه في بطنها، وهذا القول أورده في كتاب الحَيوان على طريق الحكاية والتَّعجُّب، فبعثني هذا الوصف على مسألة مَن تولَّج تلك الديار من أهل سيراف وعُمان ومَن رأيتُ بأرض الهند من التجَّار، فكلٌّ يتعجَّب من قَولي إذا أَخبرته بما عندي من هذا وسألته عنه، ويَخبرونني أنَّ حمله وفصاله كالبقر والجاموس، ولستُ أدري كيف وقعت هذه الحكاية للجاحظ؟ أمن كتاب نقلها أم مخبر أخبره بها»[١]. لكنَّ المسعودي يغفل عن قول الجاحظ في هذه المسألة عندما علَّق قائلاً: «بل كثيرٌ من العلماء يُدخلونه في باب الخرافة»[٢].

قال المؤرّخ المسعودي ذلك، مع أنه كان يشيد بموهبة الجاحظ الفذة ويعظم تأليفه، وأن وصفه بالانحراف ربَّما قصد انتماءه إلى المعتزلة! قال: «كتب الجاحظ مع انحرافه المشهور تجلو صدأ الأذهان، وتكشف واضح البرهان، لأنه نظمها أحسن نظم، ورصفها أحسن رصيف، وكساها من كلامه أجزل لفظ، وكان إذا تخوف ملل القارئ وسآمة السامع، خرج من جدّ إلى هزل، ومن حكمة بليغة إلى نادرة ظرفية»[٣].

---

(١) المسعودي، مروج الذَّهب ومعادن الجوهر ١ ص٢٠٥. انظر: الجاحظ، كتاب الحيوان ٧ ص٧١ و١٢٤.
(٢) انظر: الجاحظ، كتاب الحيوان ٧ ص١٢٣.
(٣) المسعودي، مروج الذهب ٥ ص١٠٤.

قال الجاحظ ناصحاً الكُتاب: «ينبغي لمن يكتب كتاباً ألا يكتبه إلا على أن النَّاس كلُّهم له أعداء، وكلُّهم عالم بالأمور، وكلُّهم متفرغ له، ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غُفلاً، ولا يرضى بالرَّأي الفطير، فإن لابتداء الكتاب فتنةً وعُجباً، فإذا سكنت الطَّبيعة، وهدأت الحركة، وتراجعت الأخلاط، وعادت النَّفس وافرة، أعاد النَّظر فيه، فيتوقف عند فصوله توقف مَن يكون وزن طمعه في السَّلامة أنقص من وزن خوفه من العيب»[١].

أجاب الجاحظ على سؤال أبي العباس المبرد (ت ٢٨٦هـ) عن حاله عند عيادته له، وهو على فراش الموت، وقد أصابه الفالج: «كيف يكون منْ نصفه مفلوج[٢]، ولو نُشر بالمناشير ما شعر به، ونصفه الآخر منقرس، لو طار الذُّباب بقربه لآلمه، وأشد من ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها»[٣]. توفي الجاحظ بالبصرة في محرم السنة ٢٥٥هـ، عن ستة وتسعين عاماً، جال بذاكرته نحوها قائلاً[٤]:

وكان لنا أصدقاء مضوا
تفانوا جميعاً فما خُلِّدوا

تساقوا جميعاً كؤوس المنون
فمات الصديق ومات العدو

جرت على ألسنة النَّاس رواية وفاة عمرو بن بحر الجاحظ بسقوط الكتب عليه، ولم نعثر على الخبر، على حدِّ إطلاعنا، إلا عند أبي الفداء (ت ٧٣٢هـ)، ولا تستبعد ما حصل وهو المهموس بالكتب، وقد تعدى التسعين عاماً وبه الفالج[٥] (الشَّلل)، «وقد روي أن موته كان بوقوع مجلدات عليه، وكان مِن

(١) الجاحظ، كتاب الحيوان ١ ص٨٨ .
(٢) حسب ما جاء في الوصف يكون الشَّلل في وقتنا الحاضر .
(٣) الحموي، معجم الأدباء ٥ ص٢١٢١ .
(٤) ابن خلّكان، وفيات الأعيان ٣ ص١٤٤ .
(٥) حسبَ ما جاء في الوصف يكون الشَّلل في وقتنا الحاضر .

عادته أن يصفَّها قائمة كالحائط، محيطة به، وهو جالس إليها، وكان عليلاً فسقطت عليه وقتلته، في محرم من هذه السَّنة»[١]. أي مثلما تقدم (٢٥٥هـ).

كان ذلك في خلافة المعتز بن المتوكل (قُتل في رجب ٢٥٥هـ)، ويكون الجاحظ الذي تجاوز التسعين عاماً قد عاصر تسعة خلفاء عباسيين، واعياً على أيامهم، من المهدي بن المنصور (ت ١٦٩هـ) وحتى المعتز، وورد خبر موته على الخليفةَ، فعزوه بالقول: «لأمير المؤمنين طول البقاء ودوام النَّعماء»[٢].

عدَّ له كارل بروكلمان في موسوعته نحو سبعة وستين بين كتاب ورسالة، وماذكره هو بين كتبه ورسائله ناف على مئة كتاب ورسالة، منها الموجَود ومنها المفقود[٣]، مع ذكر الكُتب التي نُسبت إليه، وهي سبعة كتب في عدة مجلدات[٤].

بالتأكيد، أن مثل الجاحظ لا يختصر بهذه التَّرجمة، فإذا تحدثنا عن كُتبه وفكره وعلاقته بالمعتزلة، وتلمذته لشيخ المعتزلة إبراهيم بن سيار النَّظام (ت٢٢١ - ٢٣١هـ)[٥] فلا ننتهي، ومَن له كتاب «فضيلة المعتزلة»[٦] لابد أن يكون من أعيان المذهب.

كان هذا الكتاب سبباً في تصنيف كتاب «فضيحة المعتزلة»[٧]، من قبل أبي الحسين أحمد بن يحيى المعروف بابن الرَّوندي (الرَّاجح أنه توفي ٢٥٠هـ)، وكتاب الأخير بدوره كان سبباً في تصنيف كتاب «الانتصار والرَّد على ابن الرَّوندي الملحد» لشيخ معتزلة بغداد أبي الحسين عبد الرَّحيم الخيَّاط (ت٢٩٠هـ)، الذي

(١) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر ١ ص٣٦٤.
(٢) الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص١٥٠. الحموي، معجم الأدباء ٥ ص٢١٢٢.
(٣) تاريخ الأدب العربي ٣ ص١١٠-١٢٦.
(٤) المصدر نفسه ٣ ص١٢٦- ١٢٨.
(٥) كنا توسعنا في علاقة الجاحظ بالمعتزلة وإبراهيم النَّظام في كتابنا: معتزلة البصرة وبغداد، الفصل الخاص بالجاحظ والفصل الخاص بأستاذه النَّظام (دار مدارك، الطبعة الرابعة ٢٠١١).
(٦) الخياط، كتاب الانتصار، ص١٠٣.
(٧) المصدر نفسه، ص٢٦ وص١٠٣.

لولاه لضاع كتاب الفضيحة مثلما ضاع كتاب الفضيلة. نكرر القول: كانت الغاية من الكتابة عن الجاحظ لفت النَّظر إلى احتمال تحدره من أُسرة سوداء.

ما يُستغرب له أن المصنفات الخاصة بالسُّود لم تذكره، لا من بعيد ولا من قريب، مع أنها حوت بعض مَن يُشك في انتسابهم لهذا اللَّون، وأنَ رواية البغدادَي في سواد جده كانت واضحة، وأن تلك المؤلفات ماعدا ما صنفه الجاحظ نفسه «فضل السُّودان على البيضان» صُنفت بعد صاحب كتاب «تاريخ بغداد» بكثير.

حَماد التِّيناتي:

اشتهر حَماد بن عبد الله باسم منطقته التِّينات، وكان أسود من العُباد والزُّهاد المشّهورين، أقام بجبل لبنان، ودخل طرابلس[١] وأصله من المَغرب[٢]. يُكنى بأبي الخير ويُلقب بالأقطع صوفي «له آيات وكرامات»[٣]. كان كبير الشَّأن وصاحب فراسة[٤]. قيل عَمَّر نحو مائة وعشرين عاماً، ولم تفارق لسانه «عُجمة الحبش»[٥]، مع أنه «مغربي أسود»[٦].

قيل في سبب شهرته بلقب الأقطع: كان يعيش بأنطاكية، معتزلاً بين جبالها، وإنه لا يأكل من ثمار أشجار الجبال إلا ما أسقطته الرِّيح، يومها رأى لصوصاً قطعوا الطَّريقَ، وجلسوا يقتسمون ما سرقوا «فوقع عليهم السُّلطان فأخذهم وأُخذ معهم، فقُطعت أيديهم وأرجلهم، وقُطعت يده معهم، فلما هموا بقطع رجله عرفه رجلٌ، فقال للأمير: أهلكت نفسك، هذا أبو الخير، فبكى الأمير، وسأله أن يجعله في حلٍّ ففعل، وقال (أبو الخير): أنا أعرف ذنبي»[٧].

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٦ ص١٦٠.
(٢) السُّلمي، طبقات الصُّوفية، ص٣٧٠.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) القشيري، الرِّسالة القشيرية ١ ص١٨٩.
(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٦ ص١٧٣.
(٦) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ١٦ ص٢٢.
(٧) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص٢٠٠.

أما ذنب أبي الخير فهو، على ما جاء في الرّواية، وبطبيعة الحال لا تخلو من المبالغة والتَّهويل كي تنسجم القصة مع أصحاب الكرامات، هو أنه كان قد «عاهد الله أن لا يأكل من ثمر الجبال شيئاً، إلا ما طرحته الرِّيح، فبقى أياماً لم تطرح له الرِّيح شيئاً، فرأى يوماً شجرة كمثري فاشتهى منها، فلم يفعل، فآمالتها الرِّيح إليه، فأخذ واحدةً»[١]. وآخر يذكرها على وجه مختلف بأنه «اشتهى زعروراً فقطع غصناً، وكان عاهد الله أن لا يتناول لنفسه شَهوة. قال: فذكر عهده فرمى الغصن، ثم كان يقول: يدٌ قطعت عضواً فقُطعت»[٢]. ومعروف هذا بتحدي الذَّات وقتل الشَّهوات.

في رواية أخرى أنه لما ألقي القبض عليه مَثلَ أمام أمير تُركي، وتظهر الرواية أن اللُّصوص كانوا من السُّود، فقال الأمير «للسُّودان: تعرفونه؟ قالوا: لا. قال: بلى هو رئيسكم، وإنما تفدونه بأنفسكم»[٣] وقُطع معهم.

كذلك من عجائبه أن هذا الأقطع «كان ينسج الخوص بيده الصَّحيحة، ولا يدري كيف ينسجه»[٤] بيد واحدة، وهناك مَن دخل عليه في غفلة ورآه «ينسج زنبيلاً»[٥]. ويُذكر من كرامته أيضاً «تأوى السِّباع إليه وتأنس به»[٦]. كان له ولد اسمه عيسى بن أبي الخير يقول في أبيه: «كان أبي مملوكاً فأُعتق، وكان يحتطب بالأسكندرية بيده، ثم سكن ثغر طرطوس، فكان يُجاهد بسيف وحَجفة، ثم أُخذ مع لصوص بات معهم في غار فقُطع»[٧]. أكثر من هذا كان لشدة زهده يعتاش

(١) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص٢٠٠.
(٢) الذَّهبي، سير أعلم النُّبلاء ١٦ ص٢٣.
(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٦ ص١٦٦.
(٤) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص٢٠٢. الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ١٦ ص٢٣.
(٥) ابن الجوزي، المصدر نفسه. السُّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٣٠٧
(٦) الذهبي، المصدر نفسه ١٦ ص٢٣.
(٧) المصدر نفسه.

على ما يُرمى في القمامة، حتى قال: «أزاحم الكلاب»[١]، ويتغذى، صيفاً وشتاء، على ما ينبتَ من بردي حول كوخه[٢].

نُقل عنه أقوال كثيرة في الزُّهد والورع، منها ما أوردها مؤرخ أهل التَّصوف أبو عبد الرَّحمن السُّلمي (ت ٤١٢هـ): «الدَّعوى رعونة، لا يُحتمل القلب إمساكها فيلقيها اللِّسان، فتنطق بها ألسنة الحمقى، ولا يعرف ما يبصره البصير من محاسنه وقبائحه»[٣]. وقال: «مَن لم يكن له مع الله صُحبة دائمة، بمعرفة إطلاَعه عليه، ومُراعاته لتصريف الموارد به، ومشاهدة منه قاطعة اعترضت عليه الأحزان من ظهور المحن وتَغير الزَّمان»[٤].

يُنقل له شيء من الشِّعر الصُّوفي[٥]:

أنحلَ الحَبُّ قلبه والحنين
ومَحاه الهوى فما يستبين
ما تراه الظُّنون إلا ظنُونا
وهو أخفى من أن تراه الظُّنون

وينقل عنه أبو القاسم القشيري (ت ٤٦٥هـ) قوله: «ما بلغ أحدٌ إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة ومعانقة الأدب، وأداء الفرائض، وصُحبة الصَّالحين»[٦].

جاء في بلدته التِّينات، التي ينتسب إليها أبي الخير التِّيناتي: كأنه جمع التِّينة من الفواكه، فرضة على بحر الشَّام (الأبيض المتوسط) قرب المصيصة، تُجهز منها المَراكب بالخشب إلى الدِّيار المصريَّة»[٧]. ويذكر ياقوت الحَموي (ت ٦٢٦هـ) اسم

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٦ ص١٦٤.
(٢) المصدر نفسه ٦٦ ص١٦٥.
(٣) طبقات الصُّوفية، ٣٧٢.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه، ص٣٧١.
(٦) الرِّسالة القُشيرية ١ ص١٨٩.
(٧) الحَموي، معجم البلدان ٢ ص٦٨.

التِّناتي عباد بن عبدالله[١]، ولعلَّ عباد تصحيف لحماد، هذا بعد أن جهلَ ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) اسمه وقال: «لا يُعرف اسمه»[٢]. فقد ذكره، في كتابيه «المنتظم» و«الغبش» بكنيته ولقبه فقط.

أُختلف في تحديد تاريخ وفاته، قيل: السَّنة ٣٤٧هـ وقيل ٣٤٩هـ[٣]، وعلى العموم ففي كلِّ الأحوال أنها كانت بعد ٣٤٠ بعد الهجرة[٤].

ثقيف الحبشي:

لم نجد لثقيف الحبشي ترجمةً، ضمن تراجم السُّود، سوى عند جلال الدِّين السَّيوطي (ت ٩١١هـ)، قال: كان «من كبار الصُّوفيَّة، سافر ولقى المشايخ، ومن كلامه: الحرُّ على نفسه خدمة الأَحرار، والغنى لا يرى لنفسه استغناء عَن أحد»[٥]. قيل: جاور بمكة، وتوفى هناك السَّنة ٣٨٣ هـ[٦].

ريحان الحبشي:

أبو محمد ريحان الحبشي أحد الزُّهاد والفقهاء المصريين، من أعلام القرن السَّادس الهجري، يُلقب إضافة إلى الحبشي بالسُّبيعي[٧]. كان منَ فقهاء الإماميَّة الكبار، يمتاز بقوة الحافظة، فيُنقل عنه أنه قال: «ما حفظت شيئاً فنسيته»[٨]. من زهده كان يصوم جميع الأيام المندوب إليها[٩]، أو المسنونة[١٠]. كان طلائع بَن

(١) الحَموي، معجم البلدان ٢ ص٦٨ .
(٢) المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ١٤ ص٩٦ .
(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٦ ص١٧٣ . الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ١٦ ص٢٣
(٤) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص٢٠٣ .
(٥) السُّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٣١١ .
(٦) المصدر نفسه.
(٧) الصَّفدي، الوافي بالوفيات ١٤ ص١٠٧ . العسقلاني، لسان الميزان ٢ ص٥٧٨ .
(٨) المصدر نفسه.
(٩) المصدر نفسه.
(١٠) السُّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٣١١ .

رزيك وزير الفائز (قتل ٥٥٦هـ)[١] يعظمه ويقول فيه: «يقولون ما ساد من بني حام إلا اثنان لقمان وبلال، وأنا أقول: ريحان ثالثهما»[٢]. توفي ريحان الحَبشي بحدود ٥٦٠ هـ[٣].

يأتي اسم زاهد آخر بالاسم نفسه ريحان الحبشي، يوصف بالصَّابر على الفقر، اسمه الكامل وكنيته: ريحان بن عبد الله أبو نزوح الحبشي. كان مولى لأبي المعالي المكي البغدادي فعتقه، وكان ملازماً للعبادة وسماع الحديث. توفي السَّنة ٥٦٣هـ[٤] على ما يظهر أنهما شخصان باسم واحد، مَع اختلاف الكنية واللقب والمكان أيضاً، واختلاف المذهب أيضاً، فالأول كان إمامياً والثَّاني، على ما يبدو، سُنياً مِن أهل الحديث.

أبو المسك كافور الأخشيدي:

تبدأ قصة كافور الأخشيدي، والذي يُعرف بصاحب مصر الخادم الأستاذ؛ ويُكنى بأَبي المسك[٥]، مع مولاه الإخشيد[٦] أبي بكر محمد بن طُغج بن جُفّ الفرغاني، الذي تولى ولاية مصر السنة (٣٢٣هـ) بتعيين من الخليفة الرَّاضي بالله العباسي (ت ٣٢٩هـ)، على الصَّلاة والخراج، بعد عزل أَحمد بن كيغلغ عنها[٧]. كان كافور «أسود اللّون، شديد السَّواد»[٨]. اشتراه الأخشيد مِن بعض رؤساء المصريين بثمانية عشر ديناراً[٩].

(١) السُّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٣١١.
(٢) المصدر نفسه. الصفدي، الوافي بالوفيات ١٤ ص١٠٧.
(٣) السُّيوطي، المصدر نفسه. الصفدي، المصدر نفسه.
(٤) السيوطي، المصدر نفسه.
(٥) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ١٦ ص١٩٠.
(٦) الإخشيد مرتبة سلطانية كبيرة، تعني: ملك الملوك (ابن تغرى بردى، النَّجوم الزَّهرة ٣ ص٢٥٦).
(٧) المصدر نفسه ٣ ص٢٠١.
(٨) ابن خلّكان، وفيات الأعيان ٣ ص٢٦١.
(٩) الصَّفَدي، الوافي بالوفيات ٢٤ ص٢٣١.

ولولا شجاعته وحصافة رأيه لم يُنصبه من كبار قواده ثم يحارب سيف الدَّولة[١]، لقد «تقدم عنده لعقله ورأيه وسعده (حظه)»[٢] . ثم صار أتابك[٣] لولده أبي القاسم أُنوجُور، وكان الأخير صبياً فغلب كافور على الأُمور، «مدبر مملكته»[٤]. تقدم كافور سريعاً في المجد السِّياسي. يقول أحد الذين عمل معه وكيلاً: «خدمتُ كافوراً وراتبه في اليوم ثلاثة عشر جرابة، وقد بلغت على يدي ثلاثة ألف جرابة»[٥]. جعل ابن خلّكان اسم أبيه عبد الله[٦]، مثلما سمَّى أبا جوهر القائد العبيدي عبد الله (تَ ٣٨١هـ)[٧]. مما يوهمنا أن عدم وجود اسم الأب، وتَحدث في الغالب مع الرَّقيق، يُسمى عبد الله، وهذا ما جاء في تسيمة ريحان الحبشي أيضاً[٨].

بعد وفاة أنوجور (٣٤٩هـ) جعل كافور أخاه عليّاً مكانه، فكان يجعل مَن يريده في السُّلطة، فهو المدبر والمهيمن، وبعد ست سنوات صار الأمر له، قيل في مشهد تتويج كافور سلطاناً: «تسلطن وركب الأسود بالخلعة السَّوداء الخليفتية[٩]، فأشار عليه الكبار بنصب ابناً لعليٍّ صورةً في اسم ملكَ، فاعتل بصغره، وما

(١) علي بن عبد الله بن حمدان أمير حلب اتصل به المتنبي، توفى ٣٥٦ هـ (ابن خِلكان، وفيات الأعيان ٣ ص٧٩).
(٢) الصَّفدي، الوافي بالوفيات ٢٤ ص٢٣١ .
(٣) الأب أو الشَّيخ، والأمير أو الوالد، أُطلق على مماليك السلاجقة(الشَّهابي، معجم ألقاب أرباب السلطان، ص١٥).
(٤) الصَّفدي، المصدر نفسه. الذَّهبي، سير أعلام النبلاء ١٦ ص١٩٠ . ابن تغرى بردى، النُّجوم الزَّاهرة ٣ ص٢٩١ .
(٥) ابن خلّكان، وفيات الأعيان ٣ ص٢٦٠ . الذَّهبي، المصدر نفسه.
(٦) ابن خَلّكان، المصدر نفسه.
(٧) مولىَ المعز العبيدي، الذي استولى على مصر للعبيديين وبدأت الدولة الفاطمية (المصدر نفسه ١ ص٣٢٥).
(٨) الصفدي، الوافي بالوفيات ١٤ ص١٠٧ . السيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٣١١ .
(٩) لون راية ولباس العباسيين الرسمي، أمر بلبسه أبو جعفر المنصورَ رسمياً (انظر: الأصفهاني، الأغاني ١٧ ص٢٤٠).

ألتفت على أحد، وأظهر أن التَّقليد والأهبة جاءته من المطيع[١]، وذلك في صفر سنة خمسٍ وخمسين (وثلاثمائة)، ولم ينتطح فيها عَنزان»[٢].

فكان سلفه أنجور (ت ٣٤٩هـ) قد ولي مصر والشَّام بعقد الخليفة العباسي الرَّاضي بالله[٣]. يوصف كافور بأنه كان أهلاً للسُّلطة «مهيباً سائساً حليماً جواداً وقوراً لا يشبه عقله عقول الخدام»[٤]. كذلك وصف بشجاعته وحذقه في الحروب، فقيل «كان شديد اليدَ، ولا يكاد أحدٌ يمدُّ قوسه فيُعطى الفارس قوسته، فإن عجز ضحك واستخدمه»[٥].

يُضاف إلى ذلك أنه «كان ملازماً لمصالح الرعيَّة، وكان يتعبد ويتهجد، ويمِّرغ وجهه ويقول: اللّهم لا تسلط عليَّ مخلوقاً»[٦]. مع «حلم زائد وكفٌّ عن الدِّماء، وجودة في التَّدبير»[٧]. فتوسع حكمه فدعي له على منابر الشَّام ومصر، والحرمين، أي الحجاز، وطرسوس، والمصَّيصة، والثُّغور، واستقل بمُلك مصر سنتين وأربعة شهور[٨]. ومع ذلك ظل يحسب حساب الخلافة العباسية فيهاديها ويعلن خضوعه لها، ومن جانب آخر كان يُرضي العبيديين بالمغرب، وبالجملة «يخدع هؤلاء وهؤلاء»[٩]، وهذه هي السِّياسة. مع ذلك لم تخل أيامه من الشَّدائد، ليس بسببه إنما في آخر أيامه حصل القحط لنقص ماء النِّيل، فبيع الخَبز كلِّ رطلين بدرهم[١٠]. وإلا فأيامه على العموم كانت «سديدة جميلة»[١١].

---

(١) الخليفة العباسي الفضل بن المقتدر تولى الخلافة (٣٣٤ هـ)، وتوفى ٣٦٤ هـ(ابن الكازروني، مختصر التَّاريخ، ص١٨٩).
(٢) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ١٦ ص١٩١ .
(٣) الصَّفدي، الوافي بالوفيات ٢٤ ص٢٣١ .
(٤) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ١٦ ص١٩١ .
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه ١٦ ص١٩١- ١٩٢ .
(٧) المصدر نفسه ١٦ ص١٩٢ .
(٨) المصدر نفسه ١٦ ص١٩١ . الصَّفدي، الوافي بالوفيات ٢٣١ .
(٩) المصدر نفسه ١٦ ص١٩٢ .
(١٠) المصدر نفسه ١٦ ص١٩٣ .
(١١) ابن خلِّكان، وفيات الأعيان ٣ ص٢٦٤ .

بعد وفاة أبي المسك كافور الإخشيدي (٣٥٧هـ) تولى الأمر بمصر حفيد الإخشيد طُغج أحمد بن علي بن الإخشيد، وعمره كان إحدى عشرة سنةً، فصار ابن عمِّ أبيه وصياً عليه، لكنَّ المملكة الإخشيدية أخذت بالضّعف والانحطاط، فما هي إلا فترة عام، بعد وفاة كافور بعام، أي (٣٥٨هـ)، دخلت رايات العبيديين، بأكثر من مائة ألف فارس، من المغرب بقيادة القائد جوهر بن عبد الله الرُّومي المُعزِّي المذكور سلفاً، مولى المعُزّ بن المنصور بن القائم بن المهدي صاحب إفريقية[١]، فكانت بداية الدَّولة الفاطمية[٢]. دامت الدَّولة الإخشيدية أربعة وثلاثين عاماً وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً[٣] بالتَّمام والكمال.

كان أكثر جيش مصر في زمن قيادة كافور من السُّود، فقد تخيل هذا المشهد شاعر عندما غزا كافور دُنقلة، فقال[٤]:

ولما غـــزا كـــافـــور دُنقلة غـــدا
بجيش كطول الأرض في مثله عُرض
غزا الأسود السُّودان في رونق الضُّحى
فلما ألتقى الجمعان أظلمت الأرضُ

صحيح أن كافوراً كان قائداً وأميراً على مصر والشَّام، وله مواقع، لكنَّ شيئاً من شهرته، إن لم تكن كلُّها، وعلى وجه الخصوص بين أرباب الأدب كانت بسبب صلة المتنبي به، ومدائحه وأهاجيه له. عندما كان قائداً للجيش قبل أن يتولى أمر مصر، فهو قد ركب بالخلع السَّنة ٣٥٥ هـ[٥]، بينما أبو الطَّيب المتنبي قد اغتيل السَّنة ٣٥٤ هـ، وقد قال يمدحه في العام ٣٤٠ هـ[٦]:

(١) ابن خلّكان، وفيات الأعيان ١ ص٣٢٦- ٣٢٧.
(٢) انظر في شأن قيام الدولة الفاطمية والطمع بمصر بعد موت كافور: ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٨ ص٥٩٠.
(٣) انظر: ابن تغرى بردى، النُّجوم الزَّاهرة ٤ ص٢٢ وما بعدها.
(٤) الصَّفدي، الوافي بالوفيات ٢٤ ص٢٣٤.
(٥) ابن تغرى بردى، النُّجوم الزَّهرة ٤ ص٢.
(٦) ابن خلِّكان، وفيات الأعيان ٣ ص٢٦١.

قــواصــدُ كــافــورٍ توارثُ غــيــره
ومَن قـصـد البـحـرَ اسـتـقَلَّ السَّـواقـيـا

فــجــاءت بنا إنســانَ عينَ زمــانه
وخلّلَت بيـاضـاً خَلفْـهـا ومـآقـيـا

كذلك أنشده العام ٣٤٧ هـ مادحاً[١]:

وأخـلاقُ كـافـورٍ إذا شـئت مـدحـه
وإن لـم أشــأ تملّي عليَّ فــأكــتبُ

إذا تـرك الإنســان أهـلاً وراءه
ويَمَّمَ كــافــوراً فــمــا يتــغــرَّبُ

إذا كانت للمتنبي المدائح الكثيرة والجزيلة في كافور، أو كما قيل: «قصائده الطَّنانة»[٢]، وظل على صلة به خلال ما كان يدبر أمر المملكة الأخشيدية، قبل أن يتفرد بملكها، فله فيه أهاجٍ كثيرة أيضاً، ولعلَّها اشتهرت أكثر من المدائح، واشتهر كافوراً بها، ومنها وأقساها، وأشدها قولاً عنصرياً في مفاهيم عصرنا الحاضر[٣]:

مَن عَلم الأسـود المخـصيَّ مَكرمـةً
أقــومــه البــيض أم آباؤه الصِّــيــدُ

قال ذلك فيه بعد أن جعل منه الدِّنيا وما فيها، وذلك العام (٣٤٩هـ)[٤]:

ومــا كنت لولا أنت إلَا مُــهــاجــراً
لـه كـلُّ يـومٍ بـلدةٌ وصِــحــابُ

ولكنَّك الدُّنيــا إليَّ حــبــيــةً
فــمــا عـنك لِـيْ إلاَّ إليْك ذَهابُ

(١) ابن خلّكان، وفيات الأعيان ٣ ص٢٦١ .
(٢) الصفدَي، الوافي بالوفيات ٢٤ ص٢٣٢ .
(٣) ابن خلّكان، وفيات الأعيان ٣ ص٢٦٣ .
(٤) ديوانَ المتنبي بزياداته، ص١٤٣ .

إلا أن ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) يرى، كتقليل من شأن كافور حتى دأب يسميه بالخادم، بأن المتنبي لم يمدح كافوراً في قرارة نفسه، قال: «تأملتُ مدائح المتنبي له، فرأيت الخادم، فإن قوله: قواصدُ كافور توارِكَ غيره، لا شك لأن مَن يقصد شيئاً فقد ترك غيره، ولا شك أن مَن قصد البحرَ استقل السَّواقيا . . . ويقوي هذا الظَّن أنه كان يخرج من عنده فيهجوه»[١]. هذا، وانتقد القدماء موقف المتنبي من كافور، بأنه كان لآمةً وكفراً لنعمته[٢].

جاء ذكر كافور في «رفع شأن الحبشان» للسَّيوطي، بينما لم يذكره ابن الجوزي في «تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش»، ولربَّما للسبب المذكور سلفاً. مات السَّنة (٣٥٧هـ) ودفن في القرافة الصُّغرى، وحتى عصر ابن خلِّكان (ت٦٨١هـ) كانت «قبته مشهورة هناك»[٣].

الحسين بن سَلامة النُّوبي:

اشتهر الوزير الحسين بن سلامة النُّوبي بإعمار وإصلاح المدن والمساجد، وهو مولى لآل زياد، الذين ملكوا اليمن لنحو مئتي عام (٢٠٣- ٤٠٧هـ)[٤]، وقد بدأ حكمهم باسم الخليفة العباسي عبد الله المأمون (ت ٢١٨هـ). وبما أن سيرة ابن سلامة مرتبطة بدولة آل زياد فجدير بنا الإشارة إلى تاريخها سريعاً، ففيه ما يُعتبر به في شأن السِّياسة.

من المعلوم أن ما بين الأمويين والعباسيين حصلت مقاتل؛ والضَّغائن قد وصلَت إلى حدِّ نبش القبور والتَّمثيل بالجثامين وما تبقى من عظام الموتى. لكنَّ

(١) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والمُلوك ١٤ ص١٩٩- ٢٠٠.
(٢) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ١٦ ص١٩١.
(٣) ابن خلِّكان، وفيات الأعيان ٣ ص٢٦٤.
(٤) الذَّهَبي، سير أعلام النُّبلاء ١٧ ص١٨٠. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر(تاريخ أبي الفداء) ١ ص٣٣٣.

على غرة من الزَّمن يُكلف الخليفة العباسي عبد الله المأمون(ت ٢١٨هـ) أحد أبناء أو أحفاد قَادة الأمويين البارزين الأوائل وأولاد بني أُمية ليضبط له اليمن. كُلف محمد (قيل) حفيد عبيد الله بن زياد (قُتل ٦٧هـ)، والي الأمويين على العِراق، وقبله كان والده زياد (ت ٥٣هـ)[١].

كان أحفاد الأمويين معتقلين عند وزير المأمون، الفضل بن سهل (قُتل ٢٠٢هـ)، وقيل عند أخيه الحسن بن سهل (ت ٢٣٦هـ)، فلما اختل الوضع باليمن أثنى الوزير على محمد الزَّيادي، فأرسله المأمون أميراً على اليمن، وبعد أن حج وصل اليمن وفتح تهامة واستقر له الأمر فيها، واختط مدينة زبيد، ووصلت هداياه الثَّمينة إلى بغداد، فعظم أمره وملك اليمن بأكملها، وتقلد أولاده الأمر بعده، حتى وصلت إلى مولاهم أو عبدهم الحسين بن سلامة، وبعد ذلك تولى طفل من آل زياد الحكم وأشرف عليه عبد من عبيد حسين بن سلامة، اسمه مرجان، ومن عبيد مرجان هذا ظهرت دولة آلَ نجاح، وتلك قصة أُخرى سنأتي على بعض حُكامها في موضع آخر، فهم من الأصل الحبشي أيضاً.

نعود إلى أخبار الحسين بن سلامة، وسلامة أمَّه وبها يُعرف[٢]. كان لأبي الجيش وهو من آل زياد أستاذ يُدعى رشيداً، ولدى رشيد هذا «وصيف من أولاد النُّوبة يُدعى حَسين بن سلامة»[٣]. كان ابن سلامة «حازماً عفيفاً، فلَما مات مولاه رشيد وزَّر لولد أَبي الجيش ولأخته هند»[٤]. فحينها أخذت الدَّولة الزَّيادية بالضِّعف وتغلب الولاة على أطرافها في الحصون والجبال، فنهض الحسين بن سلامة يحارب لإعادة هيبتها فدان له المنشقون عنها، فأعاد المملكة على ما كانت عليه»[٥].

(١) انظر: أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر ١ ص٣٣٢ وما بعدها.
(٢) اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ص٦٨ - ٧٠.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر ١ ص٣٣٢.
(٥) اليمني، المصدر نفسه.

كان وزيراً معمراً مصلحاً، فاختط مدينة الكدرا على وادي سهام، ومدينة المعْقر على وادي ذوال[١]. كذلك زاد في مسجد الجند، الذي بناه معاذ بن جبل، حَتى قيل فيه لحسن عمارته التي جعله عليها وزير أبي الجيش ابن سلامة: «النَّاس يحجون إليه كَما يحجون إلى البيت الحرام، ويقول أحدهم لصاحبه: اصبر لينقضي الحجُّ، يُراد حجُّ مسجد الجُند»[٢].

فيُذكر من محاسن ابن سلامة وعمرانه أنه «أنشأ الجوامع الكبار والمنارات الطُّوال من حضرمَوت إلى مكة، حرسها الله، وطول المسافة التي بنى فيها ستون يوماً وَحفر الآبار الروية والقلب العادية (الآبار العادية القديمة) في المفاوز المنقطعة»[٣].

يقول مصنف «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد» نجم الدِّين عمارة الحكمي المعروف باليمني (قُتل ٥٦٩هـ): «فمن ذلك ما رأيته عامراً ومستهدماً، ومنها رواه النَّاس روايةَ إجماع، فأوله شبام وتَريم مدينتا حضرموت، اتصلت عمارة الجوامع منها إلى عدن، والمَسافة عشرون مرحلة في كلِّ مرحلة جامع ومأذنَة وبئر، فاما عدن ففيها جامع من عمارة عمر بن عبد العزيز، وجدده حسين بن سلامة. ثم تفترق الطَّريق من عَدن إلى مكة، فطريق تصعد الجبال، وطريق تسلك في تهامة. فأما طريق الجبَال فرأيتُ فيها جامع الجؤة، وهو كبير، رأيته عامراً بعمارة حسين بن سلامة»[٤].

أما طبيعة منصبه ونفوذه فقد كان الوزير، والحاكم الفعلي لمملكة آل زياد، عادلاً في الرَّعية «كثير الصَّدقات والصِّلات في الله تعالى، مقتدياً بسيرة عمر بن عبد العزيز في أكثر أحواله، وعَمر في المُلك ثلاثين سنة»[٥].

(١) اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ص٦٨ - ٧٠. الحموي، معجم البلدان ٤ ص٤٤١ و ٥ ص١٥٧.
(٢) الحموي، المصدر نفسه ١ ص١٦٩.
(٣) اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ص٧١- ٧٢.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.

توفي الوزير حسين بن سلامة السَّنة ٤٠٢ بعد الهجرة، بعد حكم دام مثلما تقدم ثلاثين عاماً، قضاها في بسط الأمن وتحسين أوضاع النَّاس والتَّعمير، في وقت كان هناك دعاة للقرامطة باليمن[١]، والمقصود الإسماعيلية، كالدَّولة الصّليحية باليمن. قلنا بدأ أمر دولة آل زياد خاصعة للخلافة العباسية ببغداد، لكنَّ ضعف الخلافة واختلالها بعد مقتل جعفر المتوكل (٢٤٧هـ) استقل الزَّيادون بشأن اليمن، مع الإبقاء على الخطبة للعباسيين، وهو ارتباط شكلي لا أكثر.

ملوك دولة آل نجاح:

بدأ أمر آل نجاح الأحباش بزبيد، من اليمن، العام (٤١٢هـ)، خلفوا آل زياد على ملكهم، بعد معارك جرت بين السُّود من القواد. نلخص قصة صعودهم على دست السلطة بالآتي: انتقل مُلك آل زيادَ إلى طفل قيل اسمه إبراهيم وقيل عبدالله[٢]، وآل زياد مثلما تقدم من بقية الأمويين الذين استعان بهم الخليفة عبد الله المأمون لبسط النُّفوذ باليَّمن، وقدَ تم ذلك، وكانت عمة الطفل وصيةً عليه، فصار النُّفوذ وتدبير الدَّولة بعد موت الوزير حسين بن سلامة، صاحب التَّرجمة السَّابقة، إلى عبده مرجان، وهذا بدوره له عبدان هما: نفيس[٣] ونجاح، وكانا متغلبين على أمر مولاهما مرجان، فتنافسا على الوزارة، والأخير كان يميل إلى نفيس، بينما تميل عمة الملك الطِّفل إلى نجاح.

فشكا نفيس لمرجان ذلك فقبض الأخير على الملك وعمته وسلمهما إليه، فقتلهما ببناء جدار عليهما، حصل ذلك السَّنة (٤٠٧هـ)، وهي نهاية دولة آل زياد، وانتقالها إلى مواليهم مِن السُّود، فـ«استنفر نجاح الأسود والأحمر»[٤] ضد

(١) اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ص٧١- ٧٢. الذهبي، سير أعلام النُّبلاء ١٧ ص١٨٠- ١٨١.
(٢) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء) ١ ص٣٣٢.
(٣) ورد اسمه عند أبي الفداء قيساً (المصدر نفسه)، والأرجح أنه نفيس حسب ما ورد في «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد».
(٤) اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ص٨٥-٨٦.

نفيس، وبعد حروب فتح نجاح زبيد، وقُتل في نهايتها نفيس على باب زبيد، وكان مرجان لا زال حيَّاً، لكنَّ نفيساً كان قد تغلب على أمره ولم يترك بيده حيلة، فسأل نجاح مرجانَ قائلاً: «ما فعلت بموالينا» (يقصد الأسياد الجدة والملك من آل زياد) قال: هم في ذلك الجدار، فأخرج نجاح إبراهيم وعمته ميتين، وصلىَ عليهما ودفنهما، وبنى عليهما مشهداً، وجعل نجاح سيده مرجان مكانهما، ووضع معه جثة نفيس، وبنى عليهما ذلك الجدار، وتملك نجاح وركب المظلة، وضرب السّكة باسمه، واستقل بملك اليمن»[١].

في مصدر آخر نجد أحد معاوني مرجان، الذي تولى الوزارة بعد الحسين بن سلامة، يسمى نفيساً، وليس قيساً، والآخر نجاحاً، وهما من الحبشة، كان مرجان قد رباهما صغيرين وولاهما الأمر بعد الكبر[٢]. وبعدَ انتصاره وبسط سيطرته على زبيد كاتب نجاح «العراق (الخلافة العباسية) وبذل الطَّاعة، فنُعت بالمؤيد نصير الدَّين، وفُوض إليه تقَليد، والنَّظر في الجزيرة اليمنية، ولم يزل نجاح مالكاً لتهامة، قاهراً لأكثر أهل الجبال، وخُوطب وكُتب بالملك وبمولانا، ومِن أولاده سعيد وجياش ومعارك والذَّخيرة ومنصور»[٣].

مَلك نجاح اليمن، ومركزه بزبيد، لأربعين عاماً (٤١٢- ٤٥٢هـ)، من غير ما كان له من وظيفة في زمن وزارة سيده مرجان في السِّنين الأخيرة منَ آل زياد. لكنَّ بعَد تولي ابنه سعيد الأحول المُلك، وبمرور سنتين على مَوت الأب (٤٥٥هـ)، انهار مُلك آل نجاح وسيطر آل الصّليحي على زبيد[٤]، بعد أن دانت اليمن كافة لعلي بن القاضي محمد بن علي الصّليحي، وكان الأخير سُني المذهب ثم تحول إلى الشَّيعة[٥] (الإسماعيلية)، وهذا ليس مِن موضوعنا.

(١) اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ص٣٣٣.
(٢) المصدر نفسه، ص٨٣- ٨٤.
(٣) المصدر نفسه، ص٨٥- ٨٦.
(٤) انظر: ابن الدَّيبع، بُغية المستفيد في تاريخ مدينة زَبيد، ص٤٥- ٤٦.
(٥) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر ١ ص٥٣٨.

غير أنَّ بني نجاح قصدوا الصَّليحي، وهو في طريقه إلى الحج، وقتلوه السَّنة ٤٧٣هـ. قتله سعيد الذي هرب مع أخوته إلى الحبشة وعاد بخمسمائة آلاف حربة[١]، فعاد المُلك لسعيد بن نجاح على التَّهائم. أما صنعاء فظلت بيد آل الصّليحي[٢]. وصارت زوجة الصّليحي المقتول أسماء بنت شهاب أسيرةً عنده بزبيد. كان سعيد الأحول ظالماً منتقماً، حسب شهادة شقيقه جياش الذي كان متسامحاً، يميل إلى التَّهدئة والعفو والمسامحة، فقد نصحه بالقول: «شمخ أنفه حتى عليَّ، وأنا ابن أبيه وأُمِّه، وذلك أني أشرتُ عليه أن يحسن إلى السَّيدة أسماء، ويعفو عمَّن معها من بني الصّليحي، وهم مائة وسبعون سلطاناً»[٣].

ويضيف جياش قائلاً: «كان الصّليحي خائفاً منهم أن ينافقوا بعده، ويعفو عمَّن معها ملوك قحطان، وهم خمسة وثلاثون سلطاناً، وأن يكتب على يديها إلى ولدها المكرم بن علي الصّليحي (حاكم صنعاء): إنا أدركنا ثأرنا، واسترجعنا مُلكنا، وقد أحسنا إليك، وحملنا إليك بصيانة أُمِّك، والعفو عمّ بني عمَّك. وقلتُ والله يا مولانا لئن فعلت ذلك لا نازعتك قحطان في مُلك تهامة، ولئن كرهت ذلك ليهيجن حفائظها، ولتطلبنَّ ذخولها»[٤]. لكنَّ سعيد الأحول أجاب أخاه جياش بقول الشَّاعر[٥]:

لا تقطعنَّ ذَنب الأفعى وترسلها
إن كنتَ شهماً فاتبع رأسها الذَّنبا

(١) انظر ابن الدَّيبع، بُغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص٤٧- ٤٨.
(٢) انظر: أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر ١ص٥٣٩ وما بعدها.
(٣) اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار زبيد، ص٢٠٠.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه. البيت من قصيدة انتقامية لأبي أُذينة اللخمي، حرض فيها الأسود بن المنذر على قتل أعدائه، ومطلعها: «ما كان يومٌ ينالُ المرء ما طلبا / ولا يسوغه المقدار ما وهبا» (انظر: أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر ١ ص١١٧. الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّعراء والبُلغاء ١ ص٢٤٣).

حسبَ سعيد الأحول حسابَ قتل أبيه نجاح بدس السّم له عن طريق جارية أهداها الصّليحي له[١]؛ فأمرَ بالصّليحيين فقتلوا عن آخرهم، وهم كانوا أسرى عنده، وحمل زوجة الصّليحي أسماء على هودج وجعل رأس زوجها ورأس أخيه أمامها[٢].

يقول شقيقه جياش في تلك الواقعة وقسوتها: «لقد رأيت شيخاً منهم أتقى الحربة بولده، فنفذت منهما جميعاً، نعوذ بالله من جهد البلاء»[٣]. لكنَّ أحمد المكرم الصَّليحي غزا زبيد، فهرب سعيد الأحولَ بن نجاح، ثم عاد المُلك لسعيد مرة أخرى (٤٧٩هـ)، وانهزم من جديد أمام المكرم الصّليحي وقتل السَّنة (٤٨١هـ). بعدها مَلك تُهامة أخَوه جياش[٤] بن نجاح الحبشي المعروف بابن الطَّامي (٤٨٢- ٤٩٨هـ)، ومات عن عدة أولاد، فولي مكانه ابنه فاتك، وكانت أُمَّه هندية[٥].

على خلاف شقيقه سعيد الأحول وقسوته قيل في جياش بن نجاح: كان «ملكاً يُلقب بالعادل، ويُكنى بأبي الطَّامي، وكان فاضلاً، وله شعر رائق وترسل فائق، وهو المصنف كتاب المفيد في أخبار زبيد، وهو كتاب متسع الإفادة عزيز الوجود»[٦].

بعد وفاة جياش تولى مكانه ولده فاتك (ت ٥٠٣هـ)، الذي خلفه ابنه منصور ابن فاتك بن جياش بن نجاح، وكان صغيراً، فهيمن عليه عبيد أبيه، وحاصره عمّه إبراهيم، وحصلت المعارك خارج زبيد، فاستغل عمَّه الآخر عبد الواحد بن جياش وسيطرة على دار الإمارة[٧].

(١) ابن الدَّيبع، بُغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص٤٥- ٤٦ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار زبيد، ص٢٠٠ .
(٤) انظر: أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر ١ ص٥٣٩ .
(٥) انظر: اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار زبيد، ص٢٠٧ .
(٦) ابن الدَّيبع، بُغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص٥٤ .
(٧) المصدر نفسه، ص٥٥ .

ظلت الحروب بين الإمراء وأتباع كلّ منهم سجالاً بين هزيمة ونصر؛ حتى حلت السَّنة (٥٣١هـ) تمكن فيها فاتك بن محمد بن منصور بن فاتك بن جياش بن نجاح من حُكم زبيد، وظل يحكمها حتى قتل السَّنة (٥٥٣هـ). قيل قتله عبيده، وذلك بعد أن استنجدوا، وهم محاصرون من قبل علي بن المهدي، بالشَّريف الزَّيدي صاحب صعدة، فشرط عليهم قتل فاتكَ فقتلوه[١].

كانت نهاية دولة آل نجاح بسيطرة الوزراء على مقاليد الحكم، خلال الفترة التي عقبت حُكم أبي الطَّامي جياش[٢]، وكأن الأمر عاد مثلما بدأ عندما أخذ العبيد المُلك من آل زياد فتحكم الوزير مرجان فيه، فصارت لآل نجاح.

انتهت دولة آل نجاح، وكان ملوكها ووزراؤها من الأحباش، وهناك إشارة إلى أن أُصولهم من دَهْلك[٣]، على أن هروبهم عندمَا ضاقت عليهم اليمن كان إليها[٤]. صارَت زبيد تحت حُكم علي بن المهدي، ويُذكر أنه كان من حمير، من سواحل زبيد، ووالده كان رجلاً صالحاً، ظل مقيماً في الجبال، مَقتفَياً طريقَة والده في العزلة حتى السَّنة ٥٤١هـ، بعد أن نشأت له قوة وصار له أتباع، قسمهم على طائفتين، سمَّى واحدة بالأنصار والأخرى بالمهاجرين، فحاصر زبيد، فقتل آخر ملوك آل نجاح[٥]. يُذكر أن زبيد، برئاسة آل نجاح وعبيدهم، قد «قاتلوا ابن المهدي اثنين وسبعين زحفاً، يُقتل فيها منه مثل ما يُقتل منهم»[٦]. لم تسقط بيده حتى أكل أهلها المحاصرين «الميتة من شدة الجهد والبلا»[٧].

(١) انظر: اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار زبيد، ص٢٣٣.
(٢) ابن الدَّيبع، بُغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ٥٦.
(٣) جزيرة تقع بين اليمن والحبشة، ضيقة وحارة، قيل: كانت محلاً لنفي المغضوب عليهم في العهد الأموي (الحموي، معجم البلدان ٢ ص٤٩٢).
(٤) انظر: أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر ١ ص٥٠٣ و٥٠٤.
(٥) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر ٢ ص١٠٨.
(٦) اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار زبيد، ص٢٣٣.
(٧) المصدر نفسه.

على أي حال، شغل آل نجاح من تاريخ الإسلام أكثر من مئة وأربعين عاماً (٤١٢ -٥٥٣هـ)، كانت فترة حروب وحصارات ابتلت بها مدينة زبيد، حتى قيل: «لن تصبر أُمَة على الحصار والقتال ما صبر أهل زبيد»[١]. كان عدد ملوك دولة آل نجاح الأحباش ستة ملوك، حكموا ما يقارب القرن ونصف القرن، والأصل في ملكهم كان وزير دولة آل زياد ابن سلامة النُّوبي، ووزيرها بعده مولاه مرجان الحبشي، وهم حسب التسلسل الزمني كالأتي:

- نجاح مولى مرجان وزير آل زياد (قُتل ٤٥٢هـ).
- سعيد بن نجاح الأحول (قُتل ٤٨١هـ).
- جياش بن نجاح (ت ٤٩٨هـ).
- فاتك بن جياش بن نجاح (ت ٥٠٣هـ).
- منصور بن فاتك بن جياش (ت ٥٣١هـ).
- فاتك بن محمد بن منصور (قُتل ٥٥٣هـ).

كان من أبرز وزرائهم من الأحباش السُّود أيضاً ويعدونهم من العبيد؛ وعادة يأخذون اسم الملك: أنيس الفاتكي حبشي من بطن يُقال لهم «الجَزلَيون»، وملوك بني نجاح كانوا من هذا البطن، لقد هيمن هذا الوزير، وتجاوز الوزارة إلى ضرب السِّكة باسمه، فقتله مولاه خلال وليمة[٢]. وقيل أفضل وزير من وزرائهم هو آخرهم أبو محمد سرور الفاتكي من الحبشة، وتولى زمام الدَّولة، وكان مدبراً «مباركاً»[٣]، متعبداً يخرج إلى المسجد نصف اللَّيل «من أعلم النَّاس بالمنازل»[٤].

(١) اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار زبيد، ص٢٣٣ .
(٢) ابن الدَّيبع، بُغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ٥٧ .
(٣) المصدر نفسه، ص ٦١ .
(٤) المصدر نفسه، ص ٦١-٦٢ .

على الرَّغم من صلاح الوزير حسين بن سلامة ودوره في إعمار المدن والطرق والمساجد؛ واشغال دولة آل نجاح نحو قرن ونصف من تاريخ الإسلام باليمن، ودور مرجان كوزير، إلا أنه لم يُذكر أحد من هذه الجماعة في الكتب التي اختصت في طبقات السُّود، التي صُنفت متأخرة على ذلك الزَّمن، كـ «تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش» لابن الجوزي، و«رفع شأن الحبشان» للسَّيوطي، ولا «الطِّراز المنقوش في محاسن الحبوش» للبخاري، ولا «الجواهر الحِسان في تاريخ الحِبشان» للأزهري.

علي بن رضوان:

كان علي بن رضوان بن علي المصري طبيباً، ويكنى بأبي الحسن[١]، ووصف بالفيلسوف الباهر[٢]، صاحب مصنفات في الطب، وبدأ حياته فقيراً[٣]، كان أبوه فراناً[٤]، إلا أنه أخذ يتعلم الطب ذاتياً فنال شهرةً في هذا العلم، بعد أن كان يتكسب من التَّنجيم[٥]، أكد ابن أبي أُصيبعة (ت ٦٦٨هـ) انتسابه إلي السُّود، بقوله: «كان ابن رضوان أسود اللَّون، ولم يكن بالجميل الصورة وله مقالة في ذلك يرد فيها على من عيره بقبح الخلقة، وقد بيَّن فيها بزعمه أن الطبيب الفاضل لا يجب أن يكون وجهه جميلاً»[٦].

ثم أكد سواده صلاح الدِّين الصَّفدي (ت ٧٦٤هـ) بقوله: «وكان ابن رضوان أسود اللَّون»[٧]، إلا أن شمس الدين الذَّهبي (ت ٧٤٨هـ) لم يأتٍ على سواده في

(١) ابن أبي أُصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣ ص١٦٤ .
(٢) الذهبي، سير أعلام النُّبلاء ١٨ ص١٠٥ .
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣ ص١٦٦ .
(٦) المصدر نفسه، ٢ ص٢٣٩ .
(٧) الصفدي، الوافي بالوفيات ٢٥ ص٣٨٠ .

ترجمته له[١] . كذلك لم يذكرها ابن تغرى بردى (ت ٨٦٧هـ) في ترجمته له وقد عده «من كبار الفلاسفة ي الإسلام، وإماماً في الطب والحكمة، كثير الرَّد على أرباب فنه[٢] .

خدم في الدولة الفاطمية بمصر زمن الحاكم بأمر الله (قتل ٤١١هـ)، فصيَّره رئيساً للأطباء[٣] . عاش القحط الذي أصاب مصر السَّنة (٤٤٥هـ)، وحينها نكبته يتيمة كان قد رباها فسرقت ما كان عنده من النفائس وهربت، فتعثرت حياته واضطرب حاله[٤] .

كان ابن بطلان الطبيب (ت ٤٥٨هـ) يعيبه كثيراً حتى قال فيه[٥] :

فلمـــا تبـــدى للقـــوابلَ وجـــهـــه
نكصَّنَ على أعـــقـــابـهنَّ من الَّندمِ

وقلنَ وأخـــفينَ الكلامَ تســـتـــراً
ألا ليـــــتنا كنَّا تركناه في الرَّحمِ

مثلما تقدم كان ابن بطلان طبيباً من أهل بغداد وله رسالة في شراء الرَّقيق والجواري تحت عنوان «رسالة جامعة نافعة لفنون في شري الرَّقيق وتقليب العبيد»، وكان ابن رضوان قد رد عليه بكتاب «كلام ابن بطلان من الهذيان»[٦] .

لم يكن لابن بطلان معلم في الطب، بل تعلم المهنة من الكتب، وله رسالة في ذلك «التعلم من الكتب أوفق من المعلمين»[٧]، فرد عليه ابن بطلان في كتاب مفرد

(١) انظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٨ ص١٥٠ .
(٢) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ٥ ص٦٩ .
(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٨ ص١٠٥ .
(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣ ص١٦٧ .
(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات ٢٥ ص٣٨٠ .
(٦) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣ ص١٧٤ .
(٧) الصفدي، الوافي بالوفيات ٢١ ص١٠٦ - ١٠٧ .

على أن «المتعلم من أفواه الرِّجال أفضل من المتعلم من الصُّحف إذا كان قولهما واحد»[١]. فرد عليه ابن رضوان بمقالة عنوانها «ابن بطلان لا يعرف كلام نفسه فضلاً عن كلام غيره»[٢].

وبالجملة «كان ابن رضوان كثير الرد على معاصريه الأطباء وغيرهم»[٣]، وأكثر من هذا وصف بالسَفاهة «وتشنيع على من يريد مناقشته»[٤]. يحصي الطبيب ابن أبي أصيبعة لابن رضوان العديد من المؤلفات، ومنها: «شرح كتاب العرق لجالينوس»، «شرح كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس» أيضاً، «الأصول في الطب»، «علاج الجزام»، «تتبع مسائل حنين»، «كتاب في حل شكوك الرازي»، «كتاب الصناعة الصغيرة»، «جواب مسائل في النبض»، وغيرها[٥].

إضافة إلى تركته من الكتب ترك ابن رضوان تلميذاً طبيباً اشتهر في زمانه وهو أفراييم بن الزفان (ت ٤٨٠هـ)[٦] حتى قيل عن تلميذه هذا «مال دنيا عريضة»[٧].

توفي علي بن رضوان الطبيب بمصر (٤٥٣هـ) في خلافة المستنصر بالله الفاطمي.

عنبر الحبشي:

أبو المسك عنبر الحبشي التَّستري، كان خادماً عند بهاء الدَّولة[٨]، وبلغ منزلة رفيعة، حتى صار «أصحاب الأطراف يقبلون يده، ويترجلون عند لقائه، وينفذ

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات ٢١ ص١٠٦ - ١٠٧.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣ ص١٧٤.
(٤) المصدر نفسه ٣ ص١٦٧.
(٥) انظر: المصدر نفسه ٣ ص١٧١ - ١٧٤.
(٦) انظر ترجمته في المصدر نفسه ٣ ص ١٧٤.
(٧) الصفدي، الوافي بالوفيات ٢١ ص١٠٦.
(٨) أبو نصر ابن عضد الدَّولة البويهي تولى السلطنة ٣٧٩ هـ، وتوفي ٤٠٣ هـ ببغداد (انظر: ابن الأثير ٩ ص٦١ و ٢٤١).

حكمه في ما ينفذ فيه حكم الملوك»[١]. قيل كان له طموح في السُّلطة فانحدر «إلى بغداد طمعاً في تملكها، معونة للملك كاليجار»[٢]. يُذكر أنه توفي السَّنة ٤١٣هـ[٣].

يبرز بالاسم نفسه حبشي آخر هو: أبو المسك عنبر الحبشي التَّستري، ويوصف بالخادم أيضاً، مع إضافة النَّجمي للقبه[٤]. ونسبة التَّستري جاءت من حمل «أستار الكعبة في كلِّ سنة إلى مكة»[٥]. كذلك نجده أحد أعيان دارَ الخلافة ببغداد. ثم يأتي الاختلاف بأن النَّجمي انصرف إلى سماع الحديث وجاور بمكة لسنوات؛ وكان صالحاً كثير المعروف[٦]، لا يبدو له طمع في المُلك. يُذكر أنه توفي السَّنة ٥٤٣هـ، في وقت رحيل الحج مِن الأبطح[٧].

أبو دَبُّوبة الزِّنجي:

نجد في رواية عمرو بن بحر الجاحظ وجهاً فنياً بين السُّود، لم يسُلط عليه الضَّوء، وعلى حد بحثنا لم يتعد ذلك روايَّة الجاحظ، والجاحظ نفسه ذكره بشكل عرضي في حديثه عن الأصوات والحروف، التي تدخلها اللَّثغة، فقال «وتحضرني»[٨]، وساق عشرات الأمثلة واحدة منها تقليد أو محاكاة أبو دَبُّوبة الزِّنجي، وعلى ما يبدو أنه إما شاهده أو أُخبر عنه بروايَّة حيَّة من معاصر له، وذلك إذا علمنا أن أبا دَبُّوبة الزِّنجي هو مولى آل زياد، وهم الَّذين سبق أن ذكرناهما باعتماد الخليفة العباسي عبد الله المأمون (ت ٢١٨هـ) عليهم لاخضاع اليمن بعد ما أصابها مِن كثرة الاضطرابات.

(١) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ١٥ ص٢١٠.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الصَّفدي، الوافي بالوفيات ٢٣ ص٩٦.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) المصدر نفسه. السُّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٣١٢.
(٨) الجاحظ، البيان والتَّبيين ١ ص٦٩.

يُعد أبو دَبُّوبة الزِّنجي فناناً، في لغة عصرنا، فكانت لديه موهبة بتقليد أو محاكاة أصوات الحيوانات المختلفة بدقة متناهية، حتى أن هذه الحيوانات كانت تتأثر بصوته، على أنه صادر منها. قال الجاحظ: «كان أبو دَبُّوبة الزِّنجي، مولى آل زياد، يقف بباب الكَرَخ (الجانب الغربي من بغداد) بحضرة المُكارين[١]، فينهُق فلا يبقى حمارٌ مريضٌ ولا هرمٌ حسيرٌ، وَلا مُتعبٌ بهيرٌ[٢] إلا نَهَقَ، وقبل ذلك تسمع نَهيقَ الحمار على الحقيقة، فلا تنبعث لذلك، ولا يتحرَّك منها متحرِّك حتى كان أبو دبُّوبة يُحرِّكه، وقد كان جمع جميعَ الصُّور التي تجمع نهيقَ الحِمار فجعلها في نَهيق واحد»[٣].

أجاد أبو دبُّوبة الزِّنجي محاكاة الكلاب بنباحها أيضاً، وعلى هذا يبني الجاحظ موافقته لمَن قال: «إن الإنسان إنما قيل له العالم الصَّغير سليل العالم الكبير. لأنه يُصوِّر بيديه كلَّ صورة، ويحكي بفمه كلَّ حكاية، ولأنه يأكلُ النَّباتَ كما تأكلُ البهائم، ويأكلُ الحيوان كما تأكلُ السِّباع، وأن فيه مِّن أخلاق جميع أجناس الحيوان أشكالاً»[٤]. ورد عند أبي القاسم محمود الزَّمخشَري (ت ٥٣٨هـ) بأبو ديوبة[٥]، ومؤكد كان تصحيفاً، لأنه نقل خبره عن الجاحظ. عندما نذكر هواية أو فن أبو دبُّوبة نقيسها على العصر الحاضر، يظهر ممارسوها على الشَّاشات وفي المسارح، ويُحتفى بها كشكل مِن أشكال الإبداع الفني، ويشار إلى صاحبها بالنجومية.

شبيل الزِّنجي:

شبيل الزِّنجي، يُقال كان حريفاً، أي صاحب حرفة، لا نعلم ماهي، وكان يجالسه النَّحوي عبد الله بن أحمد بن محمد بن الخَشاب (ت ٥٦٧هـ)، جاء في

(١) جمع مكار مَن يُكري دابته (انظر: الجاحظ، البيان والتبيين ١ ص٧٠ حاشية المحقق).
(٢) مرادف لمتعب، لعلها الضَّعيف بالقياس على معنى البهيرة (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٣٥٥).
(٣) الجاحظ، البيان والتبيين ١ ص٧٠.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ٣ ص١٣٤.

ترجمة الخشاب النَّحوي: «كان رؤساء زمانه ووزراء وقته يودُّون مجالسته، ويتمَّنْون محاضرته، فيتركهم ويمضي إلى حريف له زنجي، قبيح الصُّورة سمج الألفاظ، يُعرف بشبيل فيجلس معه على قارعة الطَّريق في بعض الدَّكاكين، ويلاعبه ويسافهه ويهزأ به»[1].

(١) الحموي، معجم الأدباء ٤ ص١٤٩٧ .

الفصل الرابع

أعلام النساء السّوداوات

أُمُّ أيمن حاضنة النَّبي:

اسمها بركة[١]، وغلبت عليها كُنيتها[٢] «أُم أيمن»، ورثها النَّبي من أبيه مع ما ورث عنه، وقيل كانت مولاة لأمِّه[٣] آمنة، وظلت أَمةً حتى تزوج من خَديجة بنت خويلد فاعتقها[٤]. بعدها تزوجت بعُبَيد بن زيد وولدت له أيمن، الذَي قُتل في معركة حُنين مسلماً، فتزوجها بعده مولى خديجة زيد بن حارثة، الذي وهبته للنَّبي بعد زواجه منها، وولدت بركة منه أُسامة[٥]، وقد مرَّ بنا ترجمة الأخوين أيمن وأُسامة. نُقل عن النَّبي أنه قال فيها: «مَن سَره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أُمَّ أيمن فتزوجها زيد بن حارثة»[٦]. قيل أيضاً لمنزلتها وقربها «كانت تدل على رسول الله ¤ وتخاصمه فيحتملها»[٧]. كانت «حاضنته ومرضعته ومولاته»[٨].

قيل كان النَّبي، لمنزلتها في نفسه وقربها منه، يناديها: «يا أُمَّة، وكان إذا نظر إليها قال: هذه بقية أهل بيتي»[٩]، وأنه قال: «أُمُّ أيمن أُمّي بعد أُمّي»[١٠]. كذلك

---

(١) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٨ ص٢٢٣ .
(٢) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص١٧٩٣ .
(٣) المصدر نفسه.
(٤) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٤٨ .
(٥) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٨ ص٢٢٣ .
(٦) المصدر نفسه ٨ ص٢٢٤ . البخاري، الطِّراز المنقوش في محاسن الحبوش، ص١٠٤، ينظر: الجامع الصغير للسيوطي (٨٧٤٩)، والسلسة الضعيفة للألباني (٢٢٦٠).
(٧) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٤٨ .
(٨) السُّيوطي، أزهار العُروش في أخبار الحُبوش، ص٩٠ .
(٩) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٨ ص٢٢٣ .
(١٠) الأزهري، الجواهر الحِسان في تاريخ الحِبشان، ص٢٩٥ .

لمنزلتها ألف النَّاس تناقل الكرامات عنها، منها لما هاجرت من مكة إلى المدينة «أمست بالمنصرف دون الرَّوحاء[١] فعطشت، وليس معها مَاء، وهي صائمة فجهدها العطش فدُلّي عليها من السَّماء دلو من ماء برشاء أبيض، فأخذته فشربت منه حتى رويت. فكانت تقول: ما أصابنيَ بعد ذلك عطش، ولقد تعرضت للعطش بالصُّوم في الهواجر فما عطشتُ بعد تلك الشِّربة، وإن كنتُ أصوم في اليوم الحار فما أعطش»[٢].

يُنقل في الخبر أن النَّبي مازحها يوماً بالقول: «أحملك على ولد النَّاقة. فقالت: يا رسول الله إنه لا يُطيقني ولا أريده. فقال: لا أحملك إلا على ولد النَّاقة. يعني كان يمازحها، وكان رسول الله ¤ يمزح ولا يقول إلا حقاً، والإبل كلُّها ولد النُّوق»[٣]. يُذكر في الرُّواية كانت «عراء اللّسان»، ففي يوم حُنين قالت: «سبَّتَ الله أقدامكم»[٤]، وتقصد ثّبتَ. كان دورها في هذه المعركة تسقي الماء وتداوي الجرحى[٥]، ونُقل أنها شهدت خيبراً إضافة إلى حُنين[٦].

عندما توفي النَّبي كانت تقول: «أبكي على الوحي إذ انقطع عنَّا من السَّماء»[٧]. وبعد وفاة النَّبي قام أبو بكر وعمر يزورانها[٨]. ظلت منزلة أُمِّ أيمن محفوظة إلى زمن طويل بعد حياتها، فقد روي أن عوقب أحدهم بالجلد، في زمن عمر بن عبد العزيز (ت١٠١هـ)، لأنه أشار بلهجة التَّصغير إلى حفيد لأمِّ أيمن «يا ابن بركة»، فجلد «سبعين سوطاً»[٩]. كذلك تكرر اسمها كثيراً في كتب الحديث النَّبوي، لما لها من صلةٍ ببيت النُّبوة.

---

(١) قيل سميت بالرَّوحاء لانفتاحها وانبساطها، قرية بين مكة والمدينة، والرَّوحاء قرية من قرى بغداد، والمقصودة هي الأولى (الحموي، معجم البلدان ٣ ص٧٦).
(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٨ ص٢٢٤.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه ٨ ص٢٢٥.
(٥) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٤٩.
(٦) السيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٧٦.
(٧) ابن سعد، الطَّبقات الكبَرى ٨ ص٢٢٦، أخرجه مسلم، في فضائل الصحابة (٢٤٥٤).
(٨) ابن الجوزي، تنوير الغبش، ص١٤٩.
(٩) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٨ ص٢٢٦.

يتفق على أن أمَّ بركة كانت سوداء[١] حبشية[٢]، بل روي أنها «أُخذت من الحبشة الذين قدموا إلى مكة بالفيل»[٣]. وفي عبارة أخرى: «أن عبد المطلَب سباها من عسكر أُبرهة صاحب الفيل»[٤]. بعد قصة انكساره المعروفة في التاريخ. فالمشهور أن عبد المطلب لم يحارب، إنما قال قولته: «إن للبيت ربَّاً سيمنعه»[٥]. غير أنَّ مَن نقل عنهم جلال الدِّين السُّيوطي (ت ٩١١هـ)، هذا الخبر، يكونون قد توقعوا ذلك من قصة انهيار جيش أُبرهة الحبشي تحت وابل أحجار الطَّير الأبابيل «من البحَر أمثال الخطاطيف»[٦]، فلابد، حسب توقع الإخباريين أو القصاصين أنه ترك سبايا.

توفيت أُمُّ بركة في أول خلافة عثمان بن عفان[٧] (قُتل ٣٥هـ). معنى هذا أنها توفيت بين ٢٣- ٢٤ بعد الهجرة. يتكرر الاسم «بركة» نفسه لمولاة أو جارية كانت لأُمِّ المؤمنين أُمِّ حبيبة رملة بنت أبي سفيان (ت ٤٤هـ)[٨]، قدمت معها من بلاد الحبشة، وعُرفت ببركة الحبشية[٩]، ولم تُذكر إلا في حكاية واحدة عزفنا عن ذِكرها.

بُريرة مولاة عَائشة:

كانت بَريرة، أو بُريرة، مولاة لعتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب، وبُيعت بشرط الولاَء، فسألت أُمَّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق قائلة: «مولى مَن أنا»[١٠]؟ ولما أرادت السَّيدة عائشة أن تشتريها منعها من ذلك شرط الولاء، لكنَّ

(١) ابن الجوزي، تنوير الغبش، ص١٤٨ .
(٢) السُّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٧٥ .
(٣) السُّيوطي، أزهار العُروش في أخبار الحُبوش، ص٩٠ .
(٤) السُّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٧٧ .
(٥) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٢ ص٨٥ .
(٦) المصدر نفسه ٢ ص٨٦- ٨٧ .
(٧) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٨ ص٢٢٦ .
(٨) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤ ص١٩٢٩ .
(٩) السُّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٨١ . أزهار العروش في أخبار الحبوش، ص٩١ .
(١٠) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٨ ص٢٥٦- ٢٥٧ .

النَّبي أشار على عائشة الشِّراء ثم العتق، قائلاً: «ودعيهم فيشترطون ما شاؤوا»[١]. فاشترتها بقول النَّبي: «الولَاء لَمن أعتق»[٢].

بعدها ظل السُّؤال عن زوجها هل صار حراً أم ظل عبداً؟ يُذكر في قضية عتقها: «صعد رسول الله ¤ على المنبر فقال ما بال أقوام يشترطون شروطا ليس في كتاب الله من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فليس له وإن اشترط مائة مرة»[٣].

عن عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ): كان زوج بَريرة «عبداً أسود يُسمى مغيثاً، فقضي النَّبي ¤ فيها أربع قضيَّات: إن مواليها اشترطوا الولاء فقضي أن الولاء لمن أعتق، وخُيرت فاختارت نفسها فأمرها النَّبي أن تعتد، فكنتُ أراه - يعني زوجها- يتبعها في سِكك المدينة»[٤]. كذلك خُيرت في زوجها: «أن تُقرَّ عنده أو تفارقه»[٥].

كان مغيث زوج بَريرة يتبعها في طُرق المدينة «ودموعه تتحدر بترضاها فأبت»[٦]. وزوجها كانَ مولىً لشخص يُقال له أبو أحمد بن جحش، وقيل مولى لبني مطيع، وخبر آخر مولى لبني المغيرة بن مخزوم، وهناك مَن ينسبه قائلاً: «مُغيث بن جُحش، مولى لآل بني أحمد»[٧]، وأن السَّيدة عائشة اشترت بَريرة مِن ناس مِن الأنصار[٨].

(١) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٨ ص٢٥٦- ٢٥٧ .
(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب البيوع (٢١٦٨)، ومسلم في كتاب العتق (١٥٠٤).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الشروط (٢٧٢٩)، ومسلم في كتاب الشروط (١٥٠٤).
(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٣٦)، وينظر: مجمع الزوائد للهيثمي (٤/ ٣٤٤).
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة (٥٤٣٠).
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق (٥٢٨٠، ٥٢٨١).
(٧) ابن بشكوال، الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المُسندة ١-٧ ص١٦١ .
(٨) ابن الأثير، أسد الغابة في تمييز الصَّحابة ٥ ص٢٣٤- ٢٣٥ .

يُذكر لما شوهد مغيث يبكي وراء زوجته بَريرة قال النَّبي: «ألا تعجبون من حُبِّ مغيث بَريرة، ومن بغض بَريرة مغيثاً»[١]! وأضاف: «لو راجعته؟ لكنَّ بَريرةَ قطعت ما بينها وبين زوجها، حتى قالت: «يا رسول الله، تأمرني؟ قال: إنما أشفع. قالت لا حاجة لي فيه»[٢]. أُختلف في أمر زوجها، قال أهل المدينة: كان عبداً، وقال أهل العراق: بل كان حراً[٣].

جاء ذكرها في الكتب الخاصة بالسُّود، بلا زيادة على ما ذكرنا في خبرها، مثلما هو عند ابن الجوزي في «تنوير الغبش»[٤]، والسُّيوطي في كتابيه: «رفع شأن الحبشان»، و«أزهار العُروش»[٥].

وردت قصتها في كتب الحديث، وموالاتها لعائشة. مثلما جاء به الإمام مالك ابن أنس (ت ١٧٩هـ): «وَحَدَّثَنِي مَالك عَنْ عَلْقَمَةَ بْن أَبي عَلْقَمَةَ عَنْ أُمِّه أَنَّهَا قَالَتْ سَمعْتُ عَائشَةَ زَوْجَ النَّبيِّ ¤ تَقُولُ: قَامَ رَسُولُ اللَّه ¤ ذَاتَ لَيْلَة فَلَبسَ ثيَابَهُ ثُمَّ خَرَجَ، قَالَتْ: فَأَمَرْتُ جَاريَتي بَريرَةَ تَتْبَعُهُ فَتبعَتْهُ حَتَّى جَاءَ الْبَقيعَ فَوَقَفَ فِي أَدْنَاهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقفَ ثُمَّ انْصرَفَ فَسَبَقَتْهُ بَريرَةُ فَأَخْبَرَتْني فَلَمْ أَذْكُرْ لَهُ شَيْئًا حَتَّى أَصْبَحَ ثُمَّ ذَكَرْتُ ذَلكَ لَهُ، فَقَالَ: إِنِّي بُعثْتُ إِلَى أَهْلِ الْبَقيعِ لأُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ»[٦].

يُذكر عن بريرة أنها عاشت حتى جالست عبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ)، قبل خلافته، وأنها قالت له: «يا عبد الملك، إني أرى فيك خصالاً، وإنك لخليق أن تلي هذا الأمرَ، فإن وليت هذا الأمر فاحذر الدِّماء، فإني سمعت رسول الله ¤

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق (٥٢٨٣).
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤ ص١٧٩٥ .
(٤) ص١٣٤- ١٣٥ .
(٥) ص٢٨٧ و ص٩١ .
(٦) أخرجه النسائي في كتاب الجنائز (٢٠٤٠).

يقول: إن الرَّجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها ملء محجمة من دم يُريقه من مسلم بغير حق»[١]. جاء اسمها بفتح الباء، وبضمها أيضاً، مثلما وردت عند ابن عبد البرِّ في الاستيعاب[٢].

أُمَّ زُفَرَ:

نجد تضارباً في ترجمة هذه المرأة، التي عاشت في عهد النُّبوة، وأول ما يلفت إلى وجودها ذكرها بأنها أُمرأة طويلة سوداء، كانت تُرى عند الكعبة[٣]. ورد خبرها في صحيح البخاري: «حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ عِمْرَانَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، قُلْتُ: بَلَى قَالَ هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ ¤ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي قَالَ إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا»[٤].

نجد عند السُّيوطي (ت ٩١١هـ) اسمها سُعيرة، قال: «قد أورد ابن الجوزي هذا الحديث، وسمّى السَّوداء المذكورة أُم زُفر، فإن كانت هي سُعيرة فلعله كنيتها»[٥]. أما ابن عبد البرِّ (ت ٤٦٣هـ) فيعدها امرأة مجنونة، قال: «كان النَّبي ¤ يؤتى بالمجانين فيضرب صَدر أحدهم، ويبرأ، فأتى بمجنونة يُقال لها أُم زُفر»[٦].

---

(١) ذكره العقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ١٠٦)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٤/ ٢٩٦.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) الكُتب السِّتة، ص٤٨٤ صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب فضل مَن يُصرع من الرِّيح، رقم الحديث: ٥٦٥٢، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، رقم الحديث (٢٥٧٦).
(٤) المصدر نفسه.
(٥) رفع شأن الحبشان، ص٢٨٩.
(٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤ ص١٩٣٨.

كانت «تحنق في المسجد، فجاء أخوتها النَّبي ¤ فشكوا ذلك إليه، فقال: إن شئتم دعوت الله، وإن شئتم كان كما هي، ولا حساب عليها في الآخرة، فخيرها أخوتها، فقالت: دعوني كما أنا، فتركوهَا»[١]. هذا، ولم يأت ابن الجوزي بأي إضافة على ما ورد من خبرها في الصَّحيحين[٢].

نَبْعَة الحَبشيَّة:

قيل كانت مذكورة في الصَّحابة[٣]، ويرد لدى محمد بن إسحاق بن عباس الفاكهي (ت بعد ٢٧٢هـ) خبر جارية للنَّبي اسمها نَبعة، في قصة زواج النَّبي من خديجة بنت خويلد، قال: «إن النَّبي ¤ كان عند أبي طالب، فاستأذنه أن يتوجَه إلى خديجة فأذن له، وبعث بعده جارية له يقال لها: نبعة فقال لها: انظري ما تقول له خديجة؟ قالت نبعة: فرأيت عجباً، ما هو إلا أن سمعت به خديجة فخرجت إلى الباب فأخذت بيده فضمتها إلى صدرها ونحرها ثم قالت: بأبي وأمِّي، والله ما أفعل هذا لشيء، ولكني أرجو أن تكون أنت النَّبي الذي ستبعث، فإن تكن هو فاعرف حقي ومنزلتي وادع الإله الذي يبعثك لي. قالت: فقال لها: والله لئن كنت أنا هو قد اصطنعت عندي ما لا أضيعه أبداً، وإن يكن غيري فإن الإله الذي تصنعين هذا لأجله لا يضيعك أبدا»[٤].

أما ابن الأثير فيذكرها أنها كانت جارية لأُم هاني[٥] بنت أبي طالب[٦]، جاء ذكرها في حديث الإسراء إلى المسجد الأقصى. قالت: «فقلت لجارية حَبشية يُقال لها نَبْعَة: ويحك! اتبعي رسول الله ¤ تسَّمعي ما يقل للنَّاس، وما يقولون له. فلما خرج رسولَ الله ¤ إلى النَّاس أخبرهم، فعجبوا وقالوا: ما آية ذلك يا

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤ ص١٩٣٨ .
(٢) تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٥٠ .
(٣) السيُّوطي، رفع شأن الحبشان، ص٢٩٠ .
(٤) الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ٥ ص٢٠٦ .
(٥) اسد الغابة في تمييز الصَّحابة ٧ ص٢٦٨ .
(٦) السيُّوطي، أزهار العروش في أخبارب الحُبوش، ص٩١ .

محمد؟»[١]. يقول السُّيوطي، بعد أن يأتي بالخبر السَّابق نفسه: «هذا إسناد ساقط فالكلبي كذاب وأبو صالح ضعيف»[٢]، ويقصد سند الحديث[٣].

أُمُّ مكيَّة الزّنجية:

جاء ذكر أُم مكيَّة الزِّنجيَّة على أنها زوجة الشَّاعر همام بن غالب الفرزدق (ت١١٠هَـ). يقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ضمن حديثه عن صفات النِّساء السَّوداوات من أن يأتي على شخصيات منهن مثلما فعل بذكره للرجال: «وكان الفرزدق أعلم النَّاس بالنِّساء، وكان قد جرَّب الأجناس كلِّها فلم يجد مثلهنَّ، ولذلك تزوج أُم مكيَّة الزّنجية وأقام عليها، وترك النِّساء للذي وجد عندها»[٤]. يقول الفرزدق في زوجته المذكورة[٥]:

يا ربُّ خَـــــــودٍ مِن بنات الزِّنجِ
تمشَي بتَّنور شـــــــديد الوهجِ

ويُكمل أبو فرج الأصفهاني رواية البيت الآخر[٦]:

أُقـــعب مـــثل القـــدحِ الخلنجي
يزداد طيـــبـــاً عند طول الهـــرجِ

هذا ويأتي الأصفهاني بخبر ابنة الفرزدق مكيَّة، التي تكنت بها أُمُّها. قال: «وكان للفرزدق ابنةٌ يُقال لها مكيَّة، وكانت زنجية، وكان إذا حمى الوطيس وبلغ منه الهجاء يكتنى بها»[٧]. فقال هاجياً نفسه[٨]:

(١) أسد الغابة في تمييز الصَّحابة ٧ ص٢٦٨ .
(٢) رفع شأن الحبشان، ص٢٩٠ .
(٣) المصدر نفسهَ، حاشية المحقق.
(٤) الرسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص٢١٤ .
(٥) المصدر نفسه.
(٦) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢١ ص٢٢٤ .
(٧) المصدر نفسه ٢١ ص٢٢٥ .
(٨) المصدر نفسه.

ذاكم إذاً مـــا كنتُ ذا مـــحـــمـــيَّـــة
بـدارميٍّ أُمُّـــــه ضَـــبِّـــيَّـــةً
صـــمـــحـــمح يُكنى أبا مكيَّـــة

كما قال الفرزدق لزوجته النَّوار في أُم مكيَّة[١]:

أغـــرك منهـــا أُدمـــةً عـــربيـــةً
علت لونَهـا إن البـجـاديَّ[٢] أحـمـرُ

ليس لدينا غير تحديد حياة أُم مكية بحياة زوجها الفرزدق (ت ١١٠هـ)، وقد عاش ومات شاعراً خلال العهد الأموي.

دنانير بنت كعبويه:

لقد مرَّ بنا ذكر أبيها كعبويه الزِّنجي[٣]، أو الأسود[٤]، في الفصل الثَّالث من الكتاب، وكانَ مولى لأحد قادة إبراهيم بن عبدالله الحسن في ثورته على أَبي جعفر المنصور، السَّنة ١٤٥هـ، ولعلَّ كعبويه هذا قد خلف بنتاً شاعرة، اسمها «دنانير بنت كعبويه الزَّنجيّ عند أعشى سُليم، وكانت شديدة السَّواد»[٥]. قال فيها أعشى سُليم لما رآها قد خضبت يديها بالحناء، واكتحلت بالإِثمد[٦]:

تُخـــضـب كـــفـــاً بتكت من زندها
فَـتـــخـــضـبت الحِناء مِن مـــسـودها
كـــأنهـــا والكُحل في مـــرودِّها
تُكحلُ عـــينيـــهـــا ببـــعض جلدِها[٧]

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢١ ص٢٢٥ .
(٢) البجاديُّ: نوع مخطط من الأكسية (المصدر نفسه، حاشية المحقق).
(٣) الجاحظ، الرسائل (فخرَ السُّودان على البيضان) ١ ص٢١٤- ٢١٥ .
(٤) الأصفهاني، مقاتل الطَّالبيين، ص٢٨٤ .
(٥) الجاحظ، الرَّسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص٢١٤ -٢١٥ .
(٦) حجر الكحل (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٢٧٠).
(٧) الجاحظ، الرَّسائل (رسالة فخر السُّودان) ١ ص٢١٤- ٢١٥ . الزمخشري، ربيع الأبرار ٤ ص٤١٢ .

فأجابته قائلةً:

وأقــبحُ مِن لوني سَــوادُ عــجــانه
على بشــَـر كـــالقلب أو هـو أنصعُ

يفهم من الخبر أن ذلك قد حدث صبيحةَ عُرسها به، فصاح الصِّبيان به وسمّوه أسودَ، فطَلقها، ثم عاد إليها وطلقها ثانية، ويُفهم مِن قولها التَّالي فيه أنه كان كبيراً في السِّن بعلامة بياض الحاجبين:

بيــاض الرَّأس أقــبحُ مِن ســوادي
وشّــيب الحــاجــبين هو الفــضــوحُ[1]

هذا، ويبقى علينا الاطمئنان إلى أن دنانير هي بنت كعبويه المقصود بما تقدم من روايات؛ وأنها هي التي تزوجها أعشى بني سُليم، ليس هناك ما يشير مباشرة أنَها هي، لكننا نفهم، بما لا شك به، من اقترانها بهذا الأعشى وإنه من شُعراء العهد العباسي، وزامن كعبويه والدها المَقصود في القرن الثَّاني الهجريَ، ذلك إذا علمنا أن كعبويه الزِّنجي قد قُتل مع إبراهيم بن عبد الله السَّنة (١٤٥هـ)، مثلما سبقت الإشارة إلى ذلك في محله.

صَعب علينا العثور على ترجمة لأعشى بني سُليم، مع علمنا أن المعروفين بالأعشى كثيرون، وفي مختلف العصور، لكن هناك ما يثبت أنه عاش في القرن الثَّاني الهجري بدلالة قول الجاحظ فيه: «وهذا الشِّعر عندنا لأعشى بني سُليم في ابن له، وقد رأيتُ ابنه هذا شيخاً كبيراً، وهو يقول الشِّعر وله أحاديث ظريفة»[2].

كذلك نجد أعشى سُليم معاصراً لأبان بن عبد الحميد اللاَّحقي (ت٢٠٠هـ)[3]، وهو شاعر عباسي مِن أهل البصرة وانتقل إلى بغداد وأكثر في

(١) الجاحظ، الرَّسائل (رسالة فخر السُّودان) ١ ص٢١٤- ٢١٥ . الزمخشري، ربيع الأبرار ٤ ص٤١٢ .
(٢) المصدر نفسه، كتاب الحيوان ٢ ص٨٥ . وانظر الأبيات في المصدر نفسه.
(٣) الزِّركلي، الأعلام قاموس تراجم ١ ص٢٠ .

مدح البرامكة[١]، والأخير عارض شعره في مدح المغني دحَمان (ت١٦٥هـ)، فرد عليه اللاَّحقي مادحاً المغني يحيى المكي (ت ٢٢٠هـ)[٢].

يضاف إلى ذلك ضمناً مجايلة المُغنين المذكورين أدناه: عبد الرَّحمن بن عمرو دحَمان، والأشقر مولى بني ليث، ويحيى بن مرزق المكي مولى بني أُميَّة والمنتقل إلى خدمة بني العباس بعدهم[٣].

الحجناء بنت نُصَيب:

إنها الحجناء بنت الشَّاعر نُصيب الأصغر، تكسبت بشعرها كأبيها، تُعد «من شواعر العصر العباسي[٤]، وحصل أن دخلت مع أبيها على الخليفة العباسَي المهدي بن المنصور(ت ١٦٩هـ) فأنشدته[٥]:

ربَّ عيشٍ ولذةٍ ونعيمِ
وبهاءٌ بمشرقِ الميدان

بسط الله فيه أبهى بساطِ
مِن بَهارٍ زاهرِ الحَوذانِ

ثم مِن ناظرٍ مِن العُشُبِ الأخـ
ـضَرِ يزهو شقائق النُّعمانِ

مدَّه الله بالتَّحاسين حتى
قَصَرت دون طوله العَينانِ

(١) انظر: الأصفهاني، كتاب الأغاني ٦ ص١٢٤ .
(٢) انظر: المصدر نفسه ٦ ص١٢٤-١٢٥ .
(٣) انظر في ترجمة دحمان والمكي: المصدر نفسه ٦ ص١٩ وما بعدها و١٢٤ ما بعدها.
(٤) كحالة، أعلام النِّساء ١ ص٢٤٨ .
(٥) أبو فرج الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٣ ص٢٧ .

إلى قولها وهي تقف أمام المهدي، ومن النَّادر، في أخبار الأدب عامةً، أن تقف امرأة، وفي ذلك الزَّمان، تنشد مادحة وفي حضرة خليفة يُعد من بين أشد الخلفاء بأساً:

فبقصرِ السَّلام مَن سَلَّم اللـ
ـهُ وأبقى خليفةَ الرَّحمنِ

ولديه الغزلان بل هنَّ أبهى
عنده من شوادن الغزلانِ

يا له منظراً ويوم سرور
شهدتً لذَّتيه كلُّ حَصانِ

وبعد أن انتهت من إنشاد قصيدتها أمر لها المهدي بعشرة آلاف درهم، ولأبيها نُصيب الأصغر بمثلها[1].

كما دخلت على العباسة بنت الخليفة المهدي ومدحتها قائلةً[2]:

أتيناكِ يا عباسةَ الخير والحيَّا
وقد عجفت أُدمُّ المهاري وكلَّتِ

وما تركت منا السُّنون بقيَّةً
سوى رمَّةٍ منَّا من الجهدِ رمَّتِ

فقال لنَّا مَن ينصح الرأيَ نفسه
وقد ولت الأموال عنَّا فقلَّتِ

عليك ابنة المهديَّ عُوذي ببابها
فإن محلَّ الخير في حيث حلَّتِ

(١) أبو فرج الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٣ ص٢٨ .
(٢) المصدر نفسه .

ولما أمرت العباسة للحجناء بنت نُصَيب بثلاثة آلاف درهم وكسوة وطِيب عادت وقالت فيها[١]:

أغنيـــتني يا ابنةَ المهـــدي أيِّ غنىً
بأعـجـرَين كـثـيـرٌ فـيـهـمـا الورقُ

مِن ضـرب تسعٍ وتسـعين مُـحكَّكة
مِـثلِ المصـابيح في الظَّلمـاء تأتلقُ

أمـا الحـسـود فـقـد أمـسى تُغـيَّظه
غـمـاً وكـاد يرجعُ الرِّيقُ يخـتنقُ

وذو الصَّـداقـةِ مـسـرورٌ بنا فـرِحٌ
بادي البِـشَـارة ضـاحٍ وجـهُـه شَـرِقُ

من شعر أبيها نُصيب الأصغر فيها، إنه لما سُجن باليمن فترة طويلة، وكان أرسلَه المهدي بمهمة هناك، مثلما سيأتي ذلك في ترجمته لاحقاً، ثم جُلب إلى المهدي، دخلت عليه ابنته الحَجْناء، فلما رأت أبيها مقيداً بكت، فقال[٢]:

لقـد أصـبـحت حَـجناءُ تبكي لوالد
بـدرَّةَ عَـينً قـلَّ عـنـه غـنـاؤهـا

أحـجناءُ صـبـراً، كلُّ نفسٍ رهينةً
بموتٍ ومكتـوبٌ عليـهـا بلاؤها

أحـجناءُ أسـبـابُ المنايا بمرصـد
فـإلاَّ يعـاجِلْ غَـدوها فـمـسـاؤها

أحـجناء إن أُفلتْ مِن السـجن تلقني
حُـتَـوف منايا لا يُردُّ قـضـاؤها

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٣ ص٢٨- ٢٩ .
(٢) المصدر نفسه ٢٣ ص١٩-٢٠ .

أحَـــجناء إن أضـــحى أبوك ودلوْه
تعـــرَّت عُـــراً منهـــا ورثَّ رِشـــاؤها

لقـــد كـــان يُدلي في رجـــال كـــثيـــرة
فـــيـــمـــتّح مًـــلأى وهي صـــفـــرٌ دلاؤها

أحَـــجناء أن يصـــبح أبوك ونَفـــسُـــه
قلَيلٌ تَمنِّهـــا قـــصـــيـــرٌ عَـــزاؤها

لقـــد كـــان في دنيـــا تفـــيَّـــأ ظلُّهـــا
عليـــهَ ومـــجلوبٌ إليـــه بهـــاؤُها

هذا، ولا نعرف عن الحَجْناء سوى أنها شاعرة، وخبرها جاء ضمن أخبار أبيها ليس منفصلاً، لكنَّ ما يُعرف من خلال الروايات التي تقدمنا بها أنها عاشت في خلافة المهدي، وبذلك تكون تَخمين تاريخ وفاتها في النِّصف الثَّاني مِن القرن الثَّاني الهجري.

شعوانة الزَّاهدة:

كانت شعوانة امرأة زاهدة من أهل الأُبلة من البصرة[١]، لا دليل لنَّا على أنها من السُّود سوى ذكرها في كتابَ «تنوير الغبشَ في فضل السُّودان والحبش»[٢]، وَما نُقل عنها قولهاَ: «وما شعوانة؟ أَمَّة سوداء عاصيَّة»[٣].

كانت تقول: «بالفارسية: أَنبتَ لكلِّ داء دواء في الجبال، ودواء المحبين في الجبال لم ينبت»[٤]، وإذا تحدثت الفارسية فلَيس معنى هذا أنها من بلاد فارس، فبحكم التَّجاور والتَّداخل، عبر التَّاريخ، يعرف البصريون القدماء اللِّسان

(١) ابن الجوزي، صفوة الصَّفوة ٣ ص٥٣.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٢٤- ٢٢٦.
(٣) المصدر نفسه، صفوة الصَّفوة ٣ ص٥٤.
(٤) المصدر نفسه، تنوير الغبش، ص٢٢٦.

الفارسي. أما أنها سوداء فلا يُستبد ذلك، بحكم وجود السُّود بالبصرة منذ القدم، وما زال لهم وجود بها حتى يومنا هذا.

جاء ذكرها كثيراً في كتاب ابن الجوزي «صفة الصَّفوة»، ولها قصص وأقوال في الزُّهد، ذُكر أنها قالت لابن أخيها مالك بن ضغيم: «أما والله يا بُني إني مشتاقة إلى أبيك، وما يمنعني من إتيانه إلا أني أخاف أن أشغله عن خدمة سيده، وخدمة سيده أولى به من محادثة شعوانة»[١].

قيل كان لها مجلس تستقبل فيه الرِّجال، حسب الرّواية الآتية، والتي وردت على لسان أحد الغاشين مجلسها رجل يدعى يحيى بن بسطام، قال: «كُنت أشهد مجلس شعوانة كثيراً، فكنتُ أرى ما تصنع بنفسها، فقلتُ لصاحب لي يُقال له عُمران بن مسلم: لو أتيناها إذا خلت. قال: فانطلقنا أنا وهو إلى الأُبلة فاستأذنا عليها فأذنت لنا، فإذا منزلٌ رث الهيئة أثر الجذب عليه بيِّنٌ، فقال لها صاحبي: لو رَفقتِ بنفسك فقرتِ عن هذا البكاء شيئاً كان أقوى لك على ما تريدين»[٢].

اشتهرت بالبكاء حتى قيل: «أقوى على كثرة البكاء من شعوانة»[٣]. فقال أحدهم: «بكت شعوانة حتى خفنا عليها العمى»[٤]. كانَت تذكر الموت كثيراً: «نشجت ثم نادت: يا موتى وبني الموتى وإخوة الموتى»[٥]. وكانت تنوح بهذين البيتين[٦]:

يُؤملُ دُنيا لتبقى له
فوافى المنيَّة قَبل الأمل

(١) ابن الجوزي، صفة الصَّفوة ٣ ص٥٤.
(٢) المصدر نفسه ٣ ص٥٥.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) ابن الجوزي، تنوير الغبش، ص٢٢٤.
(٥) ابن الجوزي، صفة الصَّفوة ٣ ص٥٥.
(٦) المصدر نفسه ٣ ص٥٦ وتنوير الغبش، ص٢٢٦.

حـــيَّناً يُروي أُصـــول الفـــســـيل
فـــعـــاش الفـــســـيل ومـــات الرَّجل

يبدو أن هذين البيتين كانا شائعين، فقد روي أن سيبويه (ت نحو ١٨٨هـ)، صاحب النَّحو المعروف، قد أنشدهما في ساعة احتضاره، مع بعض الاختلاف[١]:

يُذكر أن شعوانة الزَّاهدة قد توفيت السَّنة (١٧٥هـ)[٢]، وذلك في خلافة هارون الرَّشيد (١٦٩- ١٩٣هـ).

تَحيَّة النُّوبية:

جاء خبر تَحيَّة عند ابن الجوزي في «صفة الصَّفوة» كزاهدة، وكسوداء في «تنوير الغبش». وفيهما ورد قولها: «إني كنتُ في بلد النُّوبة»[٣]. وحسب ما نُقل عنها أنها كانت قبل إسلامها على المسيحية. قالت: «أبواي كانا نصرانيين، وكانت أُمي تحملني إلى الكنيسة وتجيء بي عند الصَّليب»[٤]. كانت مناجاتها «في مَن يُحبني وأُحبه»[٥].

نتعرف على زمنها من رواية الصُّوفي أبو سعد أحمد بن محمد الأنصاري الماليني المتوفى السَّنة (٤١٢هـ)؛ عندما قال: «دخلت على تحيَّة زائراً فسمعتها من داخل البيت تناجي...»[٦]. بهذا نُقدر أنها عاشت نهاية القرن الرَّابع وبداية القرن الخامس الهجريين.

---

(١) الأنباري، نُزهة الألباء في طبقات الأُدباء، ص٦٤:
يُومِّلُ دنيا ليبقى بها فمات المؤمَّلُ قبل الأملْ
حثيثاً يروى أُصول النَّخيلْ فعاش الفسيل ومات الرَّجلْ
(٢) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٩ ص١١-١٢.
(٣) صفة الصفوة ٣ ص٣٣٢ وتنوير الغبش، ص٢٢٧.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.

جَبرة السَّوداء:

كانت جَبرة السَّوداء مُحدثة بغدادية، جاء ذكرها في «تاريخ بغداد»، قال الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ): «مولاة أبي الفَتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس، حدثت عن شيخنا أبي الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن حماد المعروف بابن المُتيم»[١].

على ما يبدو كانت مشتهرة كمحدثة وسط المؤرخين والمحدثين، نفهم هذا من قول البغدادي فيها: «كتب عنها غير واحد من أصحابنا»[٢]. توهم عمر رضا كحالة (ت ١٩٨١م) في نقله عن البغدادي، عندما ذكر أنها حدثت عن الحسين بن أحمد، إنما حدثت عن أبيه أحمد المعروف بابن المتيم[٣].

كان مولاها ابن أبي الفواس (ت ٤١٢هـ) محدثاً أيضاً، وطلب الحديث من البصرة وبلاد فارس وخراسان، «وكتب وجمع الكثير، وكان ثقةً مشهوراً بالصَّلاح، قرأ عليه البغدادي من أماليه، وكان يسكن الجانب الشَّرقي من بغداد»[٤]. وبهذا تكون المحدثة جَبرة قد تخرجت من بيت كان مدرسة في الحديث، فـ«كان سماعها صحيحاً»[٥].

هذا، ويبدو المصدر الرَّئيس، وربَّما الوحيد، عن حيَّاة جبرة السَّوداء هو الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، وكان معاصراً لها، فقد نقل عنه كحالة في «أعلام النِّساء»، والزِّركلي في «الأعلام»[٦]. عاشت جبرة محدثةً بعد مولاها

(١) البغدادي، تاريخ بغداد ١٤ ص٤٤٦ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) كحالة، أعلام النِّساء ١ ص١٨٨ .
(٤) البغدادي، تاريخ بغداد ١ ص٣٥٣ .
(٥) المصدر نفسه ١٤ ص٤٤٦ .
(٦) ٢ ص١٠١ .

ابن المتيم طويلاً، حتى توفيت السَّنة ٤٤٦ بعد الهجرة[١]. أي خلال خلافة القائم بأمر الله العباسي (٤٢٢- ٤٦٧هـ)[٢].

ميمونة الزَّاهدة:

ذُكرت بميمونة السَّوداء، ليس هناك خبر عنها غير أنها كانت زاهدة تعيش على رعي الغنم بالكوفة، وأن من كرامتها، التي تناقلتها النَّاس عنها، كانت تُصلي «والغنم والذئاب تسرح معاً»[٣].

هناك العديد من الزاهدات، ذكرهنَّ ابن الجوزي في «تنوير الغبش» بلا أسماء، تحت عناوين: عابدة كوفية، وعابدة مكيَّة، وعابدة بصريَّة، وعابدة تائهة، وعابدة أخرى[٤]، وما ذكره أبو فرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) كالمغنية السوداء الحجازية[٥]، وغير هذا كثير. فلعدم وجود هويات لهنَّ سوى لونهنَّ وتدينهنَّ عزفنا عن إدراجهنَّ في هذا الثَّبت. سنأتي في فصل خاص على أبناء الحبشيات، ومع عدم وجود ترجمة لهنَّ، لكنْ يكفي أن أولادهنَّ غدوا أصحاب شؤون مرموقة في المجتمعات والدَّول.

(١) البغدادي، تاريخ بغداد ١٤ ص٤٤٦.
(٢) ابن الطِّقطقي، الفخري في الآداب السُّلطانية، ص٢٩٣.
(٣) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص٢٢٢- ٢٢٤.
(٤) انظر: المصدر نفسه: ٢٢٨-٢٣٢.
(٥) انظر: الأصفهاني، كتاب الأغاني ٦ ص٢٥.

الفصل الخامس

الشُّعراء السُّود

السُّليك بن السُّلكة:

شاعر مخضرم، عاش الجاهلية والإسلام، كان شجاعاً وعَداءً يسبق الخيل، يُعد من أغربة[1] العرب وصعاليكهم. وأغربة العرب خمسة: سُليك، وعنترة، وابو عَمرو بن الحُباب، وخفاف بن نُدبة (ستأتي ترجمته)، وهشام بن عَقبة بن أبي معيط[2]. بل قيل إن أغربة العرب ثلاثة، وهم: «عنترة وأُمه زبيبة، والسُّليك وأُمه سُلكة، وخفاف وأُمَّه نُدبة»[3].

نُسبَ السُّليك إلى أُمِّه سُلكة، وكانت سوداء[4]، وقيل اسم أبيه عمرو بن يثربي، والواضح من اللَّقب النِّسبة إلى يثرب اسم المدينة الأول، ويُقال له عُمر من بني كعب بن سَعد بن زيد مناة بن تميم[5]. وفي رواية يُنسب أبوه عُمير بن يَثربي إلى بني مُقاعس، ويُلقب بالسَّعديِّ[6]. بينما يذكره الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) في «التُّحفة الأبية»: بـ«سُليك بن سنان بن سُلكة، وسُلكة أُمُّه»[7]. ومعنى السُّليك بالتَّصغير «فرخ الحَجلة، والأنثى سَلُكة»[8].

---

(١) البغدادي، خزانة الأدب ١ ص١٢٨ .
(٢) المصدر نفسه ٥ ص٤٤٥ .
(٣) ابن قتيبة، الشّعر والشُّعراء، ص٣٠٥ .
(٤) المصدر نفسه، ص٢٣٠ . الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٠ ص٢٤٠ .
(٥) ابن قتيبة، المصدر نفسه.
(٦) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٩ ص١٧١ .
(٧) التُّحفة الأبية فيمن نُسب إلى غير أبيه، ص١٠٥- ١٠٦ .
(٨) البغدادي، خزانة الأدب ٣ ص٣٤٥ .

يُدعى لغاراته وشجاعته بسُّليك المقانب[١]. كان سبب تسميته بالمقانب[٢] لقول عمرو بن مَعدي كرب[٣] فيه:

وسيري حتى قال في القومِ قائلٌ
عليكَ أبا ثورٌ سُليك المقانب[٤]

غير أن الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) يذكر أن التَّسمية جاءت من قول فرار الأسدي للأبيات المذكورة وكان فرار «قد وجد قوماً يتحدثون إلى امرأته من بني عمِّها فعقرها بالسَّيف، فطلبه بنو عمِّها، ولم يقدروا عليه، فقال في ذلك[٥]:

لَزوار ليلى منكم آل برثُن
على الهولِ أمضى من سُليك المقانبِ

يزورونها ولا أزور نساءَهم
ألهفي لأولادِ الإماء الحواطبِ

قال عمرو بن مَعد في شجاعة وبأس سُليك بن السُّلكة، وهو فارس اليمن: «ما أُبالي أي ظغينة لقيتُ على ماء من أمواه مَعد، ما لم يلقني دونها عبداها أو حُرَّاها»[٦]! كان «يعني بالحرَّين: عَامر بن الطُّفيل، وعُتبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي، وعني بالعبدين: عنترة العبسي والسُّليك بن السُّلكة»[٧].

(١) ابن قُتيبة، الشّعر والشُّعراء، ص٢٣١ . الفيروزأبادي، التُّحفة الأبية، المصدر نفسه.
(٢) المقْنّب: ما بين ثلاثين إلى أربعين من الخيل، وشيء يكون مع الصَّائد يجعل فيه ما يصيد (الجوهري، الصَّحاح ١ ص٢٠٦).
(٣) عمرو بن معدي كرب (ت نحو ٢٠ هـ)، شاعر وفارس من اليمن، اسلم وأرتد ثم عاد إلى الإسلام وشهد اليرموك، وشهد القادسية بالعراق (الزركلي، الأعَلام قاموس في تراجم ٥ ص٢٦٠).
(٤) ابن قُتيبة، الشّعر والشُّعراء، ص٢٣١ .
(٥) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٠ ص٢٤٦ .
(٦) البغدادي، خزانة الأدب ٣ ص٨٠ .
(٧) المصدر نفسه.

كان السُّليك يوصف بالبأس والنِّجدة، وفي معرفة الطُرق «أدل النَّاس بالأرض وأجودهم عَدواً على رجليه، وكان لا تعلق به الخيل»[١]. يذكر أبو فرج الأصفهاني العدائين العرَب قائلاً: «الَّذين كانوا لا يُلحقون، ولا تَعلق بهم الخيل إذا عدو، وهم: السُّليك بن السَّلكة، والشَّنفرى، وتأبط شراً، وعمرو بن برَّاق، ونفيل بن براقة»[٢].

استدل عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) على سواد السُّليك مِن قول سُنيح بن رباح- ستأتي ترجمته لاحقاً- فيه[٣]:

وسُليك اللَّيث الهِـــزبرُ إذا عـــدا
والقَـــرم عـــبـــاس علوك فـــعـــالا

استدل الجاحظ بهذه القصيدة وغيرها على العديد من الشُّعراء المعدودين من السُّـود؛ وهي التي قـالهـا ابن رباح الأسـود أيضـاً، رداً على جـرير الخطفَي (ت١١٠هـ)، التي هجا فيها بني تغلب، لمَا قال فيهم[٤]:

لا تـطـلـبنَ خُـــــؤولـةً فـي تَـغـلـب
فـــالـزَّنج أكـــرم مـنـهـم أخـــوالا

نجد هذا البيت قد وظف في مناسبات أخرى، فأبو القاسم محمود الزَّمخشري (ت ٥٣٨هـ) يذكر أن كُثَّيْراً قد استشهد به ضد الأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ)، مع تغيير في عجز البيت الأول[٥]:

لا تـطـلـبنَّ خـــــؤولـة فـي تـغـلـب
فَـــالـكـلـبُ أكـــرمَ منهم أخـــوالا

(١) ابن قتيبة، الشّعر والشُّعراء، ص٢٣٠ .
(٢) كتاب الأغاني ٢٠ ص٢٤٠ .
(٣) الجاحظ، الرسائل: رسالة فضل السُّودان على البيضان ١ ص١٩٠ .
(٤) المصدر نفسه.
(٥) ربيع الأبرار ٢ ص٥٠ .

والتَّـــغلبـــيي إذا تنحنح للقـــرى
حكَ إســـتـــه وتمثلَ الأمـــثـــالا

اعـتـبـر الجـاحظ السُّليك بن السُّلكة أحـد «أُسـد الرِّجـال، وأشـدهم قلوباً وأشجعهم بأساً، وبهم يُضرب المثل»[١].

كان للسُّليك شعر مغنى، في مجالس الغناء والألحان قديماً، فمما غُني له[٢]:

قَـرِّب النَّحَـام[٣] واعـجل يا غُـلام
واطرح السَّـــرج عليـــه واللُّجـــام

ابلغ الفـــتـــيـــان أني خـــائضٌ
غَـمـــرةَ الضَّـــرب فـــمَن أشـــاء أقـــام

يشكو الإحساس من العبودية حسب ما عبرَ عن ذلك في شعره، قائلاً[٤]:

أشـــــــابَ الـرَّأس أنَّـي كـلَّ يـوم
أرى لـي خـــــالةً وسطَ الـرِّجـــــال

يَعـــزُّ عليَّ أن يُلقينَ ضـــيـــمـــاً
ويَعـــجـــزُ عن تخلصـــهنَّ مـــالي

من أقواله ما شاعَ مثلاً: «اللَّيل طويل وأنت مقمرٌ»[٥]، وفي شجار مع رجل أراد أسرهَ وكان جاثماً فوقه وسُليك تحته، والرَّجل يقول: «يا خبيث استأسِر فلم يعبأ به، فلما آذاه ضمه سُليك ضمَّةً ضرط منها، وهو فوقه، فقال سُليك: أضرطاً وأنت الأعلى، فذهبت مثلاً»[٦]. وفي عَدائه ذاع المثل أيضاً: «أعدى من سُليك»[٧].

---

(١) ربيع الأبرار ١ ص١٩٢ .
(٢) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٩ ص١٧١ .
(٣) النَّحام فرس السُّليك بن السُّلكة السَّعدي (انظر: ابن رشيق، العمدة في صناعة الشّعر ونقده ٢ ص٩٨٠).
(٤) ابن رشيق، المصدر نفسه.
(٥) ابن قتيبة، الشّعر والشُّعراء، ص٢٣٠ . الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٠ ص٢٤٠ .
(٦) ابن قتيبة، المصدر نفسه.
(٧) البغدادي، خزانة الأدب ٣ ص٣٤٥ .

حسب الرّواية التَّالية أنه ظل العداء الأول في زمانه: «إن رأيت أن تُرينا بعض ما بقي من إحضارك؟ فقال: اجمعوا لي أربعين شابّاً وأبغوني ثقيلةٌ، فأخذها وألبسها. وخرج الشَّباب حتى إذا كان على رأس ميل أقبل يُحْضِر، فلاث العدو لوثاً، واهتبصوا في جنيته فلم يصحبوه إلا قليلاً، فجاء يُحْضِرَ منتبذاً حيث لا يرونه، وجاءت الدِّرع تخفق في عنقه كأنها خرقةٌ»[١].

مِن شعره[٢]:

يا صـــاحـــبيَّ ألا لا حيَّ بالوادي
إلا عَـــبـــيـــدٌ وآمٌ بين أذوادِ[٣]

انتظرنَّ قليـــلاً ريث غـــفلتـــهم
أم تعـــدوان فـــإن الرِّيح للعـــادي

انتهت حياة السُّليك بن السُّلكة بالقتل على يد أنس بن مُدرك الخثعمي[٤]، فقد تسنم امرأة شابة مِن خثعم، فطلبه وقتله، وقال لمَن كان يُجيره مقابل أتاوة يدفعها له سُليك[٥]:

إنِّي وقـــتـــلي سُلَيكاً يوم أعـــقـــله
كـــالثَّـــورِ يُضـــربُ لما عـــافتْ البـــقـــرُ

إلى قوله:

إني لتـــاركُ هامـــات بمجـــزَرة
لا يزدهيني سَـــوادُ اللَّيل والقـــمـــرُ

(١) ابن قتيبة، الشّعر والشُّعراء، ص٢٣٠ .
(٢) المصدر نفسه، ص٢٣١ .
(٣) جاء العجز من البيت الأول عند الأصفهاني: «سوى عبيدٍ وآمٍ بين أذوادِ» (كتاب الأغاني ٢٠ ص٢٤١).
(٤) أبو سفيان أنس بن مدرك بن كعب الخثعمي (قُتل ٣٥ هـ)، شاعر فارس من المعمرين، كان سيد خثعم في الجاهلية وفارسهم، أدرك الإسلام وأسلم (الزِّركلي، الأعلام قاموسَ تراجم ١ ص٣٦٦).
(٥) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٠ ص٢٤٩ . ابن قُتيبة، الشّعر والشُّعراء، ص٢٣٢ .

أغشى الحروبَ وسربالي مضاعفةً
تغشى البنانَ وسيفي صارمٌ ذكرُ

قُدر تاريخ قتل سُّليك بن السُّلكة قبل الهجرة النَّبوية بسبع عشر ة سنةً[١]. نجد له حضوراً في التراث العربي الإسلامي، شعراً وسيرةً، فعن طريق سيرته تعرفنا على الكثير من طبيعة حياة البادية آنذاك، ولا غرابة بذكر ترجمته في كتابنا هذا الخاص بالسوَد في الإسلام فهو أحد أغربة العرب، الذين سيأتي ذكر بعضهم، ومنهم عنترة بن شداد، لكن لشهرة ترجمة الأخير وشيوع أخباره، وما روي عن معلقته، في الكتب الخاصة بالشّعر وحياة ما قبل الإسلام، وحتى الكتب التي اختصت بالسُّود[٢]، جعلنا نكتفي بما كُتب.

خُفاف بن نُدْبَة:

عدَّ من أغربة العرب، وعُرف بأُمِّه نُدْبَة، وكانت أمَّة سوداء حبشية[٣]، وإليها قد نُسبَ[٤]. اسمه الكامل خُفاف بن عُمير بن الحرث بن الشَّريد السُّلمي[٥]، وقيل ابن الشَّريد اسمه عمرو بن رُباح وخُفاف أحد أجداده، وأمُّه نُدبة ابنة الشَّيطان قنَّان سبية[٦]. و«كانت العرب في الجاهلية إذا كان لأحدهم ولدٌ من أمَّة استعبده»[٧]. قيل: «سرى السَّواد فيه من قبل أُمَّه وبلدته، لأنه من حرَّة بنيَ سُليم»[٨]. ذكره ابن حبيب (ت ٢٤٥هـ) معَ أبناَء الحبشيات[٩]، ويُذكرَ أنه كان ابن عمِّ الشَّاعرة الخنساء بنت عمرو الشَّريد[١٠]. قال في ذلك[١١]:

---

(١) الزركلي، الأعلام قاموس تراجم ٣ ص١٧٦.
(٢) انظر: ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٦٣.
(٣) البغدادي، خزانة الأدب ٥ ص٤٤٤.
(٤) ابن قتيبة، الشِّعر والشُّعراء، ص٣٠٠-٣٠١.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٤ ص٢٧٥.
(٧) البغدادي، خزانة الأدب ١ ص١٢٨.
(٨) الثَّعالبي، ثمرات القلوب في المضاف والمنسوب، ص١٣٤.
(٩) كتاب المحبر، ص٣٠٨.
(١٠) ابن قتيبة، الشِّعر والشُّعراء، ص٣٠٠- ٣٠١. البغدادي، خزانة الأدب ٤ ص١٥-١٦.
(١١) المصدر نفسه.

كِـــــلانا يُســـــوَّده قَـــــومُـــــه
عـــلـــى ذلـــك الـــنَّـــســـب المـظـلـم

يعني النَّسب الأسود، وكان حالك السَّواد، ويكنى بأبي خراشة[١]، وكان بينه وبين عباس بن مرداس[٢] هجاء، فقال فيّه الأخير[٣]:

أبا خـــراشـــة إمـــا كُنتُ ذا نفـــر
فـــإنَّ قـــومي لم تأكلهم الـضَّـــبعُ

قَتل خُفاف مالك بن حمار سيد بني شمخ بن فزارة، وفي ذلك قال[٤]:

إن تَكُ خيلي قد أُصيب صَميمُها
فـعْـداً على عـيني تيـمَّـمْت مـالِكا
رفـعتُ له مـا جَـرَّ إذ جَـرَّ مـوته
لأبْني مـــجْـــداً أو لأثأر هالِكا[٥]
أقـــول له والرُّمحُ يأطرُ مَـــتنه
تَأمَّلْ خُـــفـــافـــاً إنَّني أنا ذلكا

كان عباس بن مرداس قد مال إلى السِّلم، وكره الحرب، إلا أن قوله التَّالي يُشير إلى أن خُفاف بن نُدبة جعله يرجع ويوقد الحرب، هذا ما يُفهم من قوله في خُفاف[٦]:

ألم تر أني كـــرهتُ الحـــروب
وإني نـدمت عـلـى مـــا مـــضى

(١) البغدادي، خزانة الأدب ٤ ص١٥ .
(٢) أبو الفضل عباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة، أسلم قبل فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم، وممَن أحسن إسلامه منهم، حضر حُنين، وقيل كان أشجع النَّاس في الشِّعَر لقوله: «أقاتل في الكتيبة لا أُبالي/ أحتفي كان فيها أم سِواها» (انظر: ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص٨١٧- ٨٢٠).
(٣) ابن قتيبة، الشِّعر والشُّعراء، ص٣٠٠-٣٠١ .
(٤) المصدر نفسه. الحموي، معجم الأدباء ٤ ص١٥٥٧ .
(٥) يُضاف من: الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٨ ص٥٣ .
(٦) ابن قتيبة، الشِّعر والشُّعراء، ص٣٢٣ .

نـدامـــــة زارٍ عـلـى نفـــســـــه
لـتـلـك الـتـي عـــــارهـا يُـتَّـــــقـى

فـلـم أوقـــد الحـــربَ حـــتى رمى
خُـــفـــافُ بأســـهـــمـــه مَـن رمى

فـــألهب حـــرباً بأصـــبـــارها
فلم أك فـيـــهـــا ضـــعـــيف القُـــوى

أجابه خُفاف قائلاً:

أعـــبَّـــاسُ إمـــا كـــرهتَ الحـــروب
فـــقـــد ذقت من عـضـــهـــا مـــا كـفى

أ لقـــــحتَ حـــــرباً لهـــــا دَرَّةٌ
زَبُـوناً تُسـتـــــعـــــرها بـاللَّظى

فلمـــا تَرقـــيتَ في غـــيـــهـــا
دحـــــــــضتَ وزَلَّ بـك المـرتـقـى

فـــأصـــبـــحتَ تبكي على زَلَّة
ومـــــــــاذا يَـردُ عـلـيـكَ الـبُـكـى

فـــإن كنت أخطأت في حـــربنا
فـلـسـنـا مُـــــقـــــيـلـيك ذاك الخطا

وإن كـنـتَ تـطـمـع فـي سـلـمـنـا
فـــَزاول ثـبـــيـــراً ورُكني حـــرى

قبل دخولهما الإسلام «كان العباس يُهاجي خُفاف بن نُدبة السُّلَمي، ثم تمادى الأمر بينهما إلى أن احتربا، وكثرت القتلى بينهما، فقال الضحَّاك بن عبد الله السُّلمي، وهو صاحب أمر بني سُليم: يا هؤلاء، إني أرى الحلم يُعصى والسَّفيه يُطاع، وأرى أقرب القوم إليكما مَن لقيكما بهواكما، وقد علمتم ما هاج الحرب

على العرب حتى تفانت»[١]. وقد أتى الأصفهاني بسبب النزاع بينهما، وكانت بدأت بكلام الخفاف ضد عباس فيه ما يُقلل من مروءته وحميته، وحتى تكاد تقتصر ترجمة خُفاف على قصة نزاعه مع العباس بن مرداس[٢].

يذكر الجاحظ خُفاف بن نُدبة ضمن ما جاء في قصيدة الشَّاعر الأسود الحيقطان في رده على جرير لما هجا بني تغلب[٣]:

لا تطلبنَّ خؤولةً في تغلب
فالزِّنج أكرمُ منهم أخوالا

فقال الحيقطان مما قال في قصيدته:

كان ابن نُدبة فيكم من نجلنا
وخُفَاف المتحمِّل الأثقالا

قال الجاحظ شارحاً ما جاء في قصيدة الحيقطان: «ثم ذكر أبناء الزِّنجيات، حين نزعوا إلى الزِّنج بسالةً فذكر خُفاف بن نُدبة . . .»[٤].

يُعد خفاف من الشُّعراء المخضرمين، فقد عاش الجاهليَّة والإسلام، فشهد فتح مكة مع المسلمينَ، وكان يحمل لواء بني سُليم[٥]، فهو على حدِّ ما ورد من رواية «كان شاعراً شجاعاً، وقلَّ ما يجتمع الشِّعر والشِّجاعة في واحد»[٦]. وقيَل اللواء الآخر كان بيد خصمه السَّابق عباس بن مرداس[٧]، وعدَّ من الصَّحابة شهد فتح مكة وحنيناً والطَّائف، وقد ثبت على إسلامه في الرِّدة[٨].

(١) ابن قتيبة، الشِّعر والشُّعراء، ص٧٢٢ .
(٢) انظر: كتاب الأغاني ١٨ ص٥٣- ٥٤ .
(٣) الجاحظ، الرَّسائل (فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٩١ .
(٤) المصدر نفسه ١ ص١٩٢ .
(٥) ابن قتيبة، الشِّعر والشُّعراء، ص٧٢٣- ٧٢٤ .
(٦) الثَّعالبي، ثمرات القلوب في المضاف والمنسوب، ص١٣٤ .
(٧) البغدادي، خزانة الأدب ٥ ص٤٤٤ .
(٨) المصدر نفسه ٤ ص١٥- ١٦ .

جاء ذكره في حروب الرِّدة، ويُفهم مِن شعره التَّالي أنه حارب ضد هوازن وسُليم عند الرِّدة، قال[١]:

لم يأخذون سلاحه لقتاله
ولذاك عند الإله إثام

لا دينهم ديني ولا أنا منهم
حتى يصير إلى الصِّراة شمام

رثى خُفاف بن نُدبة الخليفة أبا بكر الصِّدِّيق (ت ١٣هـ) قائلاً[٢]:

أبلجُ ذو عُرفٍ وذو مُنكرٍ
مقسمٍ المعروف رحب الفناءْ

للمجدِ في منزله بادياً
حوضٌ رفيع لم يخنه الإزاءْ

والله لا يُدرك أيَّامه
ذو مئزرٍ حافٍ ولا ذو رداءْ

مَن يسعَ كي يُدرك أيَّامه
يجتهدُ الشَّدَّ بأرضٍ فضاءْ

قيل عاش خُفاف إلى خلافة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ)[٣]، وهناك مَن عد وفاته نحو (٢٠هـ)[٤].

(١) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٣ ص١١٩ .
(٢) المصدر نفسه ٣ ص٢٥١ .
(٣) ابن قتيبة، الشِّعر والشُّعراء، ص٣٠٠ - ٣٠١ .
(٤) الزِّركلي، الأعلام قاموس تراجم ٢ ص٣٥٦ .

عبدة بن الطَّبيب:

يعُدُّ عبدة بن الطَّبيب، واسم الطَّبيب يزيد بن عمرو، من الشُّعراء المخضرمين بين الجاهليَّة والإسلام[١]، ينتمي إلى بني عبْشمس بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم[٢]، وقيل يزيد بن عمرو بن وعْلة[٣]. أدرك الإسلام فأسلم، وكان أحد المحاربين بالمدائن عند فتح العراق[٤] (١٣- ١٤هـ). لكنَّ هناك مَن يروي بأن ذهابه إلى المدائن كان لمهاجرة حليلة له، وعلى ما يبدو اسمها خَولة، وهو القائل فيها[٥]:

هل حبْلُ خَولَة بعد البين موصولُ
أم أنت عنها بَعيدُ الدَّار مشغولُ

وللأحِبِّة أيامٌ تذكَّرها
وللنَّوى قبل يوم البين تأويلُ

حَلَّنْ خُويلَةُ في حيٍّ عهدتُهم
دُون المَدائنِ فيها الدِّيكُ والفيلُ

يُقارعون رؤوس العُجْم ضاحيةً
منْهُم فوارس لا عُزل ولا مِيلُ

لكنَّ الرِّواية تشير إلى أنه كان أحد الشُّعراء الذين انتدبوا للحماسة في الحرب؛ أرسلهم قائد الجيش، وحينها كان سعد بن أبي وقاص (ت٥٥هـ)، قائلاً لهم: «انطلقوا فقومُوا في النَّاس بما يحقُّ عليكم ويحقُّ عليهم عند مواطن البأس، فإنَّكم مِن العرب بالمكان الذي أنتم فيه شعراء العرب وخُطباؤهم، ذوو رأيهم

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢١ ص٢٢ .
(٢) ابن قتيبة، الشِّعر والشُّعراء ٧٠٥ . الأنصاري، النَّوادر في اللغة، ص١٥٥ .
(٣) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢١ ص٢٢ .
(٤) المصدر نفسه.
(٥) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٣ ص٢٣٩ . الأصفهاني المصدر نفسه.

ونجدتهم وسادتهم، فسيروا في النَّاس، فذكروهم وحرضوهم على القتال»[١]. حينها كان عبدة بن الطَّبيب في جيش النُّعمان بن المُقرِّن[٢].

لم نجد رواية تشير إلى سواده عند المؤرخين الأولين، حتى كدنا لا نعده ضمن الشُّعراء السُّود، لولا أن الإشارة إلى سواده تأتي متأخرة، بعض الشَّيء، من أحد أعلام القرن الخامس والسَّادس الهجريين، وهو أبو القاسم محمود بن عمر الزَّمخشري (ت ٥٣٨هـ)، جاء في كتابه المخطوط، قال: «عبدة بن الطَّبيب وكان حبشياً من لصوص الرَّباب»[٣]. هذه الرِّواية لم تأت في الكتاب المطبوع، الذي بين يدينا، لأنه على ما يبدو كان ناقصاً، فهو يقف عند الباب الخامس والسَّبعين.

كذلك يظن ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) أنه كان حبشياً، جاء ذلك في حديثه عن نسب «الأبناء»: «وقيل الأبناء خمسة من ولد سعد بن زيد مناة، وهم: عبشمس ومالك وعوف وعوانة وجشم، منهم إياس بن قتادة حامل الدِّيات حين قاتل الأحنف بن قيس للأزد، وهو ابن أخت الأحنف، وعبدة بن الطَّبيب الشَّاعر، ويُقال إن عبدة كان حبشياً»[٤]. وجاء ابن الأثير بقول ابن الطَّبيب بالآباء الذين ينتسب إليهم[٥]:

لو أن حياً من الأبناء إذ فرغوا
رأوا سبيلاً إلى طيرورة طاروا

كذلك قال ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ): «وقال عبدة بن الطَّبيب، ويعجبني قوله على الحال التي كان عليها؛ فإنه كان أسود لصاً من لصوص بن سعد بن زيد مَناة بن تميم»[١]. قد يكون الأخير أقتبسها من الزَّمخشَري أو ابن الأثير، فكلاهما

(١) الطبري، المصدر نفسه ٣ ص٣٤٠- ٣٤١. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٤ ص١٧١.
(٢) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢١ ص٢٢.
(٣) ربيع الأبرار ونصوصالأخيار، كتاب مخطوط، الباب الحادي والثمانين ص٦٣٧.
(٤) ابن الأثير، اللُّباب في تهذيب الأنساب ١ ص١٩- ٢٠.
(٥) المصدر نفسه.

سبقاها في الرُّواية، وجعل قوله «كان حبشياً» إلى «كان أسودَ». وجاء ذكر ذلك في رواية قول ابن الطَّبيب لبناته[٢]:

ولقد علمتُ بأن قصري حفرةٌ
غَراءُ يحملني إليها شرجعُ

فبكى بناتي شجوهنَّ وزوجتي
والأقربون إليَّ، ثم تصدعوا[٣]

وتركتُ في غبراء يُكره وردها
تسفي عليَّ الرِّيح ثم أودعُ

إن الحوادث يخترمنَّ وإنما
عُمر الفتى في أهله مستودعُ

لكنَّ وجودَ البيتين الأخيرين في زيادة على ما ورد لدى الزَّمخشري، نفهم أن ابن أبي الحديد استلها من مصدر آخر، أو يكون استل رواية سواده وأكمل عليها البيتين مما اختاره المفضلَ بن يعلي بن عامر (ت نحو ١٧٨هـ) لعبدة بن الطَّبيب نحو ثلاثين بيتاً يوصي بها بناته وبنيه، ومنها البيتين التَّاليين[٤]، ما قد يلغي كونه كان عبداً أو يؤكده إذا فسرنا البيتين على أنه هو الذي صنع هذا الحسب:

فلئن هلكتُ لقد بنيتُ مساعياً
تبقى لكم منها مآثر أربع

ذكرٌ إذا ذكر الكرام يّزينكم
ووراثة الحَسبِ المُقدَّمِ

(١) شرح نهج البلاغة ١١ ص٩٨ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) هذا ماجاء به الزَّمخشري فقط (ربيع الأبرار ونصوص الأخيار - مخطوط- ص٦٣٧).
(٤) انظر: الضَّبي، المفضليات، ٥٤- ٦٥ . اختار له الضب قصيدتين، المذكورة أعلاه، وأخرى قالها في القادسية عند القتال في المدائن، وكانت ٨١ بيتاً (انظر: المصدر نفسه، ص١٣١).

أما ما ورد عن تأكيد سواده في كتب المحدثين أو المعاصرين فهي عديدة ومنها: «الأعلام معجم تراجم» للزّركلي[١]، ويحيى الجبوري في «شعر عبدة بن الطَّبيب»، ويجعل «كان حبشياً» إلى «كان أسود حبشياً»[٢]. كما ذكر سواده أحمد محمد شاكر (ت ١٩٥٨م) وعبد السَّلام محمد هارون (ت١٩٨٨م) في تحقيقهما لكتاب «المفضليات» للمفضل بن يعلي الضَّبي (ت ١٧٨هـ) بالعبارة: «وكان عبداً أسود وهو من لصوص الرَّباب»[٣]، ويغلب على الظَّن أن شاكر دون شريكه في التَّحقيق هارون أورد ذلك، والحجة أن هارون في تحقيقه لكتاب «البيان والتبيين» للجاحظ أتى على تعريف بعبدة بن الطَّبيب ولم يذكر سواده[٤].

كذلك ذكره عزمي سُكر في «معجم الشُّعراء في تاريخ الطَّبري»، اعتماداً على المصادر الحديثة، فالطَّبري نفسه لم يتحدث عن حياته، ولم يشر إلى لونه. قال سُكر: «أشتهر بالشِّجاعة، وما إلى التَّلصص حتى اعتبر من سودان العرب ولصوصهم، أسلم واشترك في حروب الفتح»[٥]. لكنَّ عبارَة «حتى اعتبر من سودان العرب» جاءت كأنها رابطة بين اللُّصوصية والسَّواد! هذا ما يُفهم مِن العبارة، وإن كان المؤلف لا يقصدها.

أما عبدة بدوي في «الشُّعراء السُّود» فخلط بين المصادر في اقتباسه للعبارة: «وكان عبدة أسود من لصوص الرَّباب»، وأتي بـ«المفضليات»، أي من هامش المحققين لا من المتَن، و«الأغاني»، و«الشِّعر والشُّعراء»، و«الإصابة»، و«الأعلام»، فيوهمنا أن هذه المصادر كافة ذكرت سواده، لكنَّ ليس منها ما ذكر ذلك سوى المعاصرَين: أحمد محمد شاكر، وخير الدِّين الزِّركلي لا أكثر مِن

(١) ٤ ص٣٢٢، ولم يعتمد على ربيع الأبرار ولا شرح نهج البلاغة في ترجمته له، بما يبدو أنه نحلها من معاصرين.
(٢) ص٥ . ويقتبس ذلك من ربيع الأبرار، مخطوط في مكتبة الأوقاف بغداد رقمها ٣٨٦
(٣) ص١٣٤ الهامش.
(٤) ١ص١٢٢ الهامش.
(٥) ص٢٨٤ .

ذلك، ولم يأت بـ«ربيع الأبرار» ولا «شرح نهج البلاغة» كمصدرين أساسين في تأكيد سواد ابن الطَّبيب. أكثر من هذا يقول: «إن هناك إجماعاً على سواده»[١]. مع أنه، أي بدوي، لم يصل إلى أي مصدر سوى أنه نقل عن المعاصرين مثلما تقدم توضيحه.

بعد أن عُرف عبدة بن الطَّبيب في مشاركته في حرب المدائن، وفتحها كشاعر محرض على القتال مع المسلمين، مثلما تقدمت الرُّواية، جاء اسمه بين كبار شعراء العرب ما قبل الإسلام أيضاً[٢]، عُرف بعلاقته ورثائه لقيس بن عاصم بن سنان المنقري[٣]، وتعود صلتهما إلى فترة ما قبل الإسلام، وهو أن عبدة بن الطَّبيب قد حمل دماً ويسأل عن تسديد ديته، فسددها له ابن عاصم، مع أن الأخير كان هاجراً له، وتأخر الشَّاعر في مصالحته عقب ما أسداه إليه من فضل، وأخذ إبل الدِّيَّة وسمع بموت ابن عاصم فرثاه بقصَيدة اشتهر منها هَذا البيت كأفضل ما قيل في الرَّثاء، فسارت به الرُّكبان[٤]:

فما كان قيسُ هُلكه هُلكَ واحد
ولكنَّه بنيانٌ قومٌ تهدَّما

كذلك اشتهر ابن الطَّبيب في قصة رويت عن عبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ)، بعد وفاة الأول بكثير، وهو ما يخص وصفه للمناديل، وقصة ذلك: أن عبد الملك سأل عن أشرف المناديل؟ فقيل له: مناديل مصر ومناديل اليمن «كأنها نور الرَّبيع». فقال عبد الملك: «مناديل أخي بني سعد عبدة بن الطَّبيب»[٥]، التي وردت في قوله:

---

(١) الشُّعراء السُّود، ص٨٦ . .
(٢) انظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ١ ص٢٦٤ .
(٣) أبو طلحة أو أبو قبيصة والمشهور بأبي علي قيس بن عاصم بن سنان بن منقر المنقري التِّميمي(ت نحو ٢٠هـ)، قدم في وفد تميم العام ٩هـ، وقيل عنه: هذا سيِّد الوبر كان عاقلاً حليماً (ابن البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب٣ ص١٢٩٤- ١٢٩٦).
(٤) انظر: الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٤ ص٥٤ (ترجمة قيس بن عاصم). و ٢١ ص٢٢ .
(٥) المصدر نفسه ٢١ ص٢٣ . الزَّمخشري، ربيع الأبرار ونصوصالأخيار ٣ ص٢٠٩ . ابن عبد ربه، العقد الفريد ١ص١٤٣ .

لما نزلنا نصبنا ظلَّ أخبيةٍ
وفارَ للقَّومِ باللحمِ المراجيلُ

وَرْدٌ وأشقرُ ما يؤنيه طابخه
ما غيرَ الغليُ منه فهو مأكولُ

ثُمَّتَ قمنا إلى جُردٍ مسوَّمةٍ
أعرافهنَّ لأيدينا مناديلُ

هناك ميزةٌ أخرى يمتاز بها القليل من الشُّعراء، ومنهم عبدة بن الطَّبيب، وهي عدم الميل للهجاء، بما يعني التَّرفع عنه، حتى روي عن خالد بن صفوان (ت١٣٥هـ)، أن رجلاً قال له: «كان عبدة بن الطَّبيب لا يُحسن أن يهجو، فقال: لا تقل ذلك، فوالله ما أبى عن عيٍ، ولكنه كان يترفع عن الهجاء، ويراه صنعةً، كما يرى تركه مروءةً وشرفاً»[١].

غير أن الجاحظ يذكرُ له هجاءً بالقول: «وعلى ذلك المعنى هجا ابن الطَّبيب حُيَّى بن هَزَّال وابنيه»[٢] في قوله:

تدعو بُنَيَّيك عَبَّاداً وحذيمةً
ففأرَةٍ شجَّها في الحُجرِ محفارُ

كذلك تمثل الجاحظ بشعر عبدة بن الطَّبيب كثيراً في كتابه «الحيوان» بما يتوافق مع أبوابه، فمن غير ما ورد في باب الفئران والجرذان، استشهد له في باب «القنفذ»[٣]:

قومٌ إذا دَمَس الظَّلام عليهم
حَجدوا قنافذ بالنَّميمةِ تمزعُ

(١) الحموي، معجم الأدباء ٣ ص١٢٣٣ .
(٢) الجاحظ، البيان والتَّبيين ١ ص١٢٢- ١٢٣ . كتاب الحيوان ٥ ص٢٦٣- ٢٦٤ .
(٣) الجاحظ، كتاب الحيوان ٦ ص٤٦٢ .

كذلك تمثل له في باب «الثَّور»[١]:

مُستقبل الرِّيح يهفو وهو مُبترك
لسانه عن شمال الشَّدق معدولُ

يروى أيضاً أن الخليفة عمر بن الخطاب كان يردد قول ابن الطَّبيب، و«يعجبُ من جَودة ما قَسم»[٢]: «والعيشُ شُحٌ وإشفاقٌ وتأميلُ». فقال عمر: «على هذا بُنيت الدُّنيا». والبيت كاملاً[٣]:

والمرءُ ساعٍ لأمرٍ ليس يدركه
والعيشُ شحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ

على ما يبدو، من سيرة ابن الطَّبيب، أنه أسلم بعد وفاة النَّبي، ذلك أنه لم يظهر اسم له في حيَاته، بينما طُلب منه أن يُحرض المقاتلين في حرب العِراق مع شعراء عصره، مثلما ذكرنا ذلك.

عرفنا مما تقدم أنه كان حيَّاً في خلافة عمر بن الخطاب، على ما جاء من خبر مشاركته في حرب العراق، لذا تكون وفاته بعد (١٤هـ)، وهناك مَن قدر تاريخَها نحو السَّنة ٢٥ بعد الهجرة[٤]. ومع أنه كان مقلاً في الشِّعر[٥] إلا أنه ترك «أرثى بيت قالته العرب»[٦]، وهو من ضمن ما رثى به قيس بن عاصم، وربَّ بيتٍ عادلَ ديواناً.

سُحَيم عبد بني الحَساس:

كان سُحيم بن الحَساس عبداً حبشياً، شديد السَّواد[٧]، وقيل كان أسود

(١) الجاحظ، كتاب الحيوان ٥ ص٥١٤.
(٢) المصدر نفسه ٣ ص٤٦.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الزِّركلي، الأعلام معجم تراجم ٤ ص٣٢٢.
(٥) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢١ ص٢٢.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) البغدادي، خزانة الأدب ولُب لباب لسان العرب ١ ص٢٦٧. و٢ ص١٠٢.

نوبياً[١]، وجاء في معنى «سُحيم»: السُحمة السَّواد والأسحم الأسود والسَّحم شجر[٢]، وهو القائل في نسبه الأسود[٣]:

أشعار عبد بني الحَساس قُمْنَ له
عن الفخار مَقام الأصل والورقِ
إن كنتُ عبداً فنفسي حرةٌ كَرماً
أو أسود اللَّون إني أبيض الخلقِ

وهو القائل في سواده أيضاً[٤]:

وما ضرَّ أثوابي سوادي وإنَّني
لكالمسك لا يسلو عن المسكِ ذائقه
كُسيتُ قميصاً ذا سواد وتحته
قميصٌ من القُوهي[٥] بيض بنائقُه

نجد البيت الأخير منسوباً لنُصيب الأكبر، الذي ستأتي ترجمته، وسنذكر ذلك في حينه[٦].

قد يحدث التباس بين ثلاثة سحيمين: ابن وثيل[٧] وابن الأعرف[٨] وعبد بني حساس، حتى ألتبس الأمر على أحدهم واعتبر ابن وثيل الرِّياحي هو الحبشي[٩]. قيل كان اسم سُحيم عبد بني الحَساس «حيَّة، ومولاه جندل بن معبد من بني

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٢ ص٢١٣ .
(٢) الجَوهري، الصَّحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٥ ص١٩٤٧- ١٩٤٨ .
(٣) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٢ ص٢١٤ . القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب ١ ص٣٩١ .
(٤) الأصفهاني، المصدر نفسه ٢٢ ص٢١٣ .
(٥) منسوب إلى قوهستان، والثوب الأبيض، والبنائق: جمع بنيقة، ما يحيط بالعنق(المصدر نفسه، الحاشية).
(٦) القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب ١ ص٣٩١ .
(٧) شاعر مخضرم اسمه سحيم بن وثيل بن عمرو الرياحي توفى السنة ٦٠ هـ(الزركلي، الأعلام ٣ ص١٢٤).
(٨) سحيم بن الأعرف ويُعرف بأبي سدرة شاعر نجدي أعرابي، وتوفى ١٠٠ هـ(المصدر نفسه).
(٩) البغدادي، خزانة الأدب ١ ٢٦٧ .

الحساس، وكان سُحيم حبشياً أعجمي اللِّسان، ينشد الشِّعر ثم يقول: أهْشند والله، يُريد أحسنت والله، وكان عبد الله بن ربيعة قد اشتراه، وكتب إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه إن ابتعت لك غلاماً شاعراً حبشياً. فكتب إليه عثمان: لا حاجة لي به فأردده، فإنما قصارى أهل العبد الشَّاعر إذا شبع أن يشبب بنسائهم، وإن جاع أن يهجوهم»[١].

عاش في خلافة عمر بن الخطاب، وقد ذكره الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) مع «اللُّكن ممَّن كان خطيباً أو شاعراً أو كاتباً داهياً». قال: «سُحيم عبد بني الحساس، قال له عمر بن الخطاب (رحمه الله) وأنشد قصيدته التي يقول في أولها: عُمَيرَة وَدَّع أن تجهزت غادياً/ كفى الشَّيب والإسلام للمرء ناهيا»[٢]. فقال له عمر: «لو قدمت الإسلام على الشَّيب لأجزتك، فقال له: ما سعرت، يريد ما شعرت، جعل الشِّين المعجمة سيناً غير معجمة»[٣].

لعلَّ ما اشتهر به سُحيم قصة عشقه لابنة مولاه «عُميرة»[٤] ثم قتله بسببها، وهو القائل فيها[٥]:

عُـمَـيـرَة وَدَّع أن تجـهـزت غـادياً
كـفى الشَّـيب والإسـلام للمـرء ناهيـا

وقال أيضاً[٦]:

ألكني إليـهـا عَـمـرك الله يا فـتى
بآيـةِ مـا جـاءت إلينا تهـديا

(١) الأصفهاني، الأغاني ٢٢ ص٢١٤ . ابن الجوزي، تنوير الغبش، ص١٦٤ . البغدادي، خزانة الأدب ٢ ص١٠٤ .
(٢) البيان والتبيين ١ ص٧١ .
(٣) المصدر نفسه.
(٤) ابن الجوزي، تنوير الغبش، ص١٦٥-١٦٦ . البغدادي، خزانة الأدب ٢ ص١٠٤ .
(٥) ابن الجوزي، المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه، البغدادي، خزانة الأدب ٢ ص١٠٤ .

وبتنا وسادانا إلى عَلجانة[١]
وحقفً تَهاداه الرِّياح تهاديا

وهبت شمالٌ آخر اللَّيل قرةٌ
ولا ثوبَ إلا بُردها ورداليا

توسدني كفاً وتثني بمعصم
عليَّ ونحوي رجلها مِن ورائيا[٢]

فما زال بُردي طيباً من ثيابها
إلَى الحَول حتى أنهج البُردَ باليا

قال محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) عن عبد بني الحساس: «كان صاحب تغزُّل، فاتهمه مولاه بابنته، فجلس له في مكان إذا رعى سحيمٌ قال فيه، فلما اضطجعا تنفَّس الصُّعداء ثم قال»[٣]:

يا ذِكرةً مالكِ في الحاضرِ
تَذكرُها أنت في الصَّادرِ

مِن كلِّ بيضاء ولها كعثبٌ
مثل سَنام الرُّبع المائرِ

جاء في قصة عشقه: بعد أن قال البيتين السَّابقين سأله سيده: «مالك! فتلجلج في مَنطقه، فلما رجع أجمع على قتله، وخرجت إليه صاحبته فحدَّثته وأخبرته بما يُراد به، فقام يَنفض بردَه ويعفِّي أثره، فلما انطُلق به ليُقتل ضحكت امرأة كان بينها وبينه هوىَ شماتةً»، فقال:

إن تضحكي منِّي فيارُبَّ ليلة
تركتكِ فيها كالقباء المفرَّجِ[٤]

(١) الحقف: ما تراكم من الرَّمل، والعلجانة: شجرة معروفة (المصدر نفسه).
(٢) يأتَي الأصفهاني بهذا البيت من القصيد المذكور فقط (كتاب الأغاني ٢٢ ص٢١٤).
(٣) ابن حبيب، أسماء المغتالين مِن الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء مَن قُتل من الشُّعراء، ص٢٧٢ .
(٤) المصدر نفسه.

هذا، وأشتهر عبد بني الحساس بما قاله في لحظة قتله صبراً، أي إعدامه[١]:

شـــدُّوا وثاقَ العـــبـــد لا يُفلتكم
إنَ الحـَـيـــاة مِن المـمـــات قـــريبُ

فلقـــد تحـــدَّرَ مِن جـــبين فـتـــاتكم
عَـــرقٌ على ظهـــرِ الفـــراشِ رطيبُ

وذُكـر لما قُـدم للقـتل «حُـفـر له أُخـدود وألقي فـيـه، وأُلقي عليـه الحطب فأُحرق»[٢]. أما ابن سلام محمد الجميحي (ت ٢١٣هـ) فيأتي برواية أخرى في قتله «فأخذوه شارباً ثملاً، فعرضوا عليه النُّسوة حتى إذا مرت عليه التي يظنوننها به أهوى بها، فقتلوه لما تحقق عندهم»[٣]. وجاءت في قتله رواية ثالثة، لكنها لا تختلف مِن حيث الحادثة، بأنه قُتل بسبب امرأة[٤].

تأتي رواية رابعة بأن سيده مالك قَدم على بيعه، فذهب به إلى المدينة، فقال سُحيم ما جعل مولاه يرق له ويتراجع عن بيعه في سوق النَّخاسة[٥]:

أشـــوقـــاً ولما تمضي لي غـــيـــرُ ليلة
فكيف إذا سـَـــار المطي بنا شـــهـــرا

ومـا كنتُ أخـشى مـالكاً أن يبـيـعني
بشيء ولو أمـــست أنامله صـــفـــرا

أخـوكم ومـولى مـالِكم وحلفُـيكم
ومَن قـد ثوى فـيكم وعـاشـركم دهرا

(١) ابن حبيب، أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء مَن قُتل من الشُّعراء، ص٢٧٢ . الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٢ ص٢١٧ وردت «وطيبُ».
(٢) الأصفهاني، المصدر نفسه.
(٣) ابن سلام، طبقات الشُّعراء، ص٧٦ .
(٤) انظر: الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٢ ص٢١٨ .
(٥) المصدر نفسه ٢٢ ص٢١٥ .

ويحتمل الاحساس بهذا الشَّوق لَمَن عاش في كنفهم، أو أنه كان عاشقاً، وقَدم حياته ثمناً.

قيل كان ذميم الوجه، فهو القائل في نفسه[١]:

أتيتُ نساء الحارثِّين غُدوةً
بوجهٍ يراه اللهُ غيرَ جميلِ
فشبَّهني كلباً ولستُ بفوقه
ولا دونه إن كان غيرَ قليلِ

يروى كان استهلاله للشعر، أول مرة، في البيت التَّالي[٢]:

أنعتُ غيثاً حَسناً نباتُه
كالحبشيِّ حوله بناته

كان سُحيم «حلو الشِّعر رقيق حواشي الكلام»[٣]، مطبوعاً في الشِّعر[٤]. قيل عاش عصر الجاهلية وأدرك الإسلام، مثلما تقدم، ويُذكر أن النَّبي استشهد في بيت من شعره، المار ذكره: «كفى بالإسلام والشَّيب ناهيا»[٥].

قُتِل سُحيم عبد بني الحَساس وترك شعراً يُغنى بعده، ويُذكر في مجالس الطَّرب واللَّهو، فقيل مما كان يُغنى له، «من النَّاس مَن يروها لغيره»[٦]:

تَجمَّعنَ من شتَّى ثلاثاً وأربعاً
وواحدة حتى كمَلنَ ثَّمانيا

(١) انظر: الأصفهاني، كتاب الأغاني، ٢٢ ص٢١٥.
(٢) المصدر نفسه ٢٢ ص٢١٧.
(٣) ابن سلام، طبقات الشُّعراء، ص٧٥. الأصفهاني، المصدر نفسه ٢٢ ص٢١٣.
(٤) الأصفهاني، المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه ٢٢ ص٢١٨.

وأقـبلنَ مِن أقـصى الخـيـام يَعـدنَني
بقـــيَّـــةَ مـــا أبقينَ نَصـــلاً يمانيـــا
يُعـــدنَ مـــريضـــاً هنَّ قـــد هجنَ داءَهُ
ألا إنَما بـعـضُ الـعـــــوائـد دائيـــــا

لكن لم يُترك عبد بني الحساس بلا فخر به، فهذا الشَّاعر رَوْح بن الطَّائفيَّة العبد أيضاً، ولا يبدو أنه كان من بين السُّود، وكان عبداً لأخت أنس بن أبي شيخ الكاتب (قُتل ١٨٧هـ)[١]، يفخر بَه، ويقول ضمن قصيدة فخر بأترابه العبيد على العرب[٢]:

وعَبـد بني الحَسحـاس والشَّيخُ مورق
وذي الرُّكـبـةً العَـوجـاء والسَّابل المُثـري

مثلما تقدم، وردت أخبار عبد بني الحساس في عهدي الخليفتين عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ)، وعثمان بن عفان (٢٣- ٣٥هـ) وقد نهى الأخير عن شرائه، لذا نقول: لعلَّ وفاته كانت السَّنة (٤٠هـ)[٣] هي الأقرب للواقع، مع علمنا أنه يُعد ضمن المخضرمين، شهدوا الجاهليَّة والإسلام، وظل مولىً غير معتوق حتى قُتل، ويتضح من بيته «كفى الشَّيب والإسلام لمرء ناهياً» أنه قُتل مسلماً، لكنَّه ظل عبداً، وقد قُتَل للسَّبب المتقدم.

سُنيح بن رياح:

جاء ذكره عند الجاحظ وأبي تمام (ت ٢٣١هـ): سُنيح بن رياح[٤]، وعند المُبرد: رياح بن سُنيح الزَّنجي[٥]. على ما يبدو أن المصادر التي أوردت اسم هذا

(١) الجاحظ، كتاب الحيوان ٦ ص٤٩٠. يبعد قول سيدة ابن الطَّائفية التَّالي فيه بأنه كان أسود: «يساوي على حُسن وجهه وجودة قدِّه وحداثة سنِّه دون صناعته مائة دينار» (المصدر نفسه).
(٢) النَّشابي، المُذاكرة في ألقاب الشُّعراء، ص٢٥٣. وكان مطلعها:
فخرتم علينا بالقيافة والشِّعر وبالنَّسب المحفوظ في سالفِ الدهري
(٣) الزِّركلي، الأعلام قاموس تَراجم ٣ ص١٢٤.
(٤) الرَّسائل (فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٩٠-١٩٢. نقائض جرير والفرزدق، ص٨٨..
(٥) الكامل في اللغة والأدب ٢ ص٥٠٣.

الشَّاعر الزَّنجي ما كان لها ذكره لولا هجاء جرير (ت ١١٠هـ) للأخطل التَّغلبي (ت٩٠هـ) لما قال فيه[١]:

لا تطلبنَّ خؤولةً في تغلب
فالزَّنجِ أكرم منهم أخولا

والبيت من قصيدة عدد أبياتها (٥٨) بيتاً، حسب ما وردت عند أبي تمام، ومطلعها[٢]:

حَيِّ الغَداةَ برامةَ الأطلالا
رسماً تحمَّل أهله فأحالا

فبعد أن هجا الحيقطان جريراً «غضب سُنيح بن رياح فهجا جريراً، وفخر عليه بالزَّنج»[٣]، فقال حسب ما وردت في رسالة «فخر السُّودان على البيضان» و«الكامل في اللُّغة والأدب»[٤]، و«نقائض جرير والأخطل»[٥]:

وما بالُ كلبٍ من كُليبٍ سبَّنا
إن لَم يوازن حاجباً وعِقالا[٦]

إن امرأً جعل المراغةَ[٧] وابنَها
مثل الفرزدق جائر قد فالا

(١) الجاحظ، الرسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان ١ ص١٩٠ . أبو تمام، نقائض جرير والأخطل، ص٨٨ .
(٢) أبو تمام المصدر نفسه، ص٨٣ .
(٣) الجاحظ، الرَّسائل (فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٩٠ .
(٤) المصدر نفسه ١ ص١٩٠- ١٩١ . المُبرد، الكامل في اللُّغة والأدب ٢ ص٥٠٣ .
(٥) أبو تمام، ص٨٨ .
(٦) أتى الجاحظ بهذا البيت أيضاً في: كتاب الحيوان ١ ص٢٧٠ .
(٧) المراغة الأتان، وهو لقبٌ لقبَ به الفرزدقُ جريراً، عندما قال فيه «يا ابن المراغة . . .» (الزَّمخشري، أساس البلاغة ٢ ص٢٠٧)، والبيت: «يا ابن المراغة أنَّ تغلبَ وائل/ رفعوا عناني فوقَ كلِّ عنانِ» (المصدر نفسه، الحاشية).

والزِّنجُ لو لاقيتهم في صفِّهم
لاقيتَ ثمَّ جَحاجحاً أبطالا

فسلِ ابن عمرو[١] حينَ رامَ رماحهم
أ رأى رماح الزِّنج ثمَّ طولا

فجعوا زياداً بابنه وتنازلوا
لما دعوا لنوالِ ثمَّ نزالا

ومربطيَّن خيولهم بفنائهم
وربطتَ حولك شيهاً وسِخالا

كان ابن نَدبةَ فيكم من نجلنا
وخُفافٌ المتحمِّل الأثقالا

وابنا زُبيبةَ عنترٌ وهراسةٌ
ما أن نرى فيكم لهم أمثالا

سلْ ابن جيفر حين رام بلادُنا
فرأى بغزوتهم عليه خبالا

وسُليكٌ اللَّيث الهزبرُ إذا عدا
والقومُ عبَّاس علوكَ فَعالا

هذا ابن خازمِ ابن عجلى منهم
غلبَ القائلَ نجدةً ونَولا

أبناءُ كلِّ نجيبة لنجيبة
أسدٌ تُربّت عندها الأشبالا

(١) زياد بن عمرو العتكي قتله رياح بن منكي الزَّنجي زمن الحجاج بن يوسف الثَّقفي، والي العراق المعروف (٧٥- ٩٥ هـ) انظر (أبو تمام، نقائض جرير والأخطل ٨٩).

فلنحنُ أنجبُ مِن كُليبَ خـــؤولةً
ولأنـتَ ألامُ مـنـهـم أخـــــــوالا

وبنو الحُـــبـــاب مطاعنَ ومطاعمَ
عند الشِّـــتـــاء إذا تهبُ شـــمـــالا

جاءت في رواية ابي تمام أبيات أخرى لم يروها الجاحظ، في القضية نفسها: «لما قال جرير هذا البيت غضب العبيد من الزِّنج، وقالوا: مَن يعذرنا من ابن الخطفي، مَن لا يرد عليه، فقال رجلٌ منهم يُقال له: سُنيح بن رياح، مولى لبني ناجيَّة»:

إن الفـرزدق صـخـرةٌ ملمـوسـةً
طالت فليس تنالهـا الأوعـالا[1]

قد قست شعرك يا جرير بشعره
فـقـصـرتَ عنه يا جـرير وطالا

ووزنتَ فـخـرك يا جـرير وفـخـره
فـخـفـفتَ عنه حين قُلتَ وقـالا

يقول أبو العباس المبرد (ت ٢٨٦هـ) في قصيدة سُنيح بن رياح: «ذكر أكثر مَن ولدته الزِّنج مِن أشراف العرب في قصيدة مشهورة معروفة»[2].

لكن ما يلفت النَّظر، أن البيت الذي جعل سُنيح الزِّنجي يرد به على جرير الخطفي قد جاء بهجاء جرير للأخطل وليس للفرزدق، فلابد أن يكون هناك ما يمنع مَن مدح الأخطل، وإلا البيت كان موجهاً إليه، وفي قبيلته «بني تغلب» بالاسم: «لا تطلبنَّ خؤولةً في تغلبٍ...».

(١) ورد أيضاً: «طالت فليس تنالها الأجبالا» (المُبرد، الكامل في اللُّغة والأدب ٢ ص٥٠٣).
(٢) المصدر نفسه.

ورد في القصيدة اسم «عمرو» في البيت الآتي: «فسل ابن عمرو حينَ رامَ رماحهم/ أرأى رماح الزِّنج ثمَّ طولا»، وابن عمرو هذا، هو «زياد بن عمرو العتكي قتله رياح بن منكي الزِّنجي زمن الحجاج بن يوسف»[١].

نجد عند ابن الأثير قصة ابن عمرو الذي فخر عليه سُنيح بن رياح، أو جعله شاهداً على شجاعة بني جلدته الزِّنج في قصيدته المذكورة، وكان على شرطة الحَجَّاج أُرسل لإخماد ثورة الزِّنج الثَّانية بالبصرة، مثلما تقدم الحديث عنها في الفصل الرَّابع من الباب الأول، ونعيد الرّواية هنا بما يتعلق بابن عمرو. قال: «فلما فرغ الحجاج من ابن جارود أمرَ زياد بن عمرو، وهو على شرطة البصرة، أن يرسل إليهم جيشاً عَليه ابنه حفص بن زياد، فقاتلهم فقتلوه وهزموا أصحابه، ثم أرسل إليهم جيشاً آخر فهزم الزِّنج وقتلهم واستقامت البصرة»[٢].

اشتهر سُنيح في قصيدته بالدِّفاع عن أبناء جلدته، والتي بث فيها الألم من المعاناة التي كانوا يعانون منها بسبب اللَّون، وعلى وجه الخصوص بعد العهدَين النَّبوي الرَّاشدي، وظهور العصبيات من جديد قوية، فمثلما تقدم في الفصول السَّابقة، أن السُّود ما أن أسلموا صاروا أحراراً، ولا يشار إليهم بانتقاص مثلما جاء على لسان أحد أعظم شعراء العربية في زمانه جرير الخطفي.

وإذا علمنا أن أواخر أيام مصعب بن الزُّبير كانت أوائل العقد الثَّامن من القرن الأول الهجري، فهو قد قُتل السَّنة (٧١هـ)، وأن ابن الأثير قد وضع ثورة الزِّنج ضمن حوادث (٧٥هـ)، وأن عبد الله بن الجارود قُتل في هذه السَّنة، بعد أن جمع الجموع لإخراج الحَجَّاج من البصرة، وثورته كانت ضده لا ضد عبد الملك بن مروان (ت٨٦هـ)[٣]، ومن هذه الحوادث نفهم أن سُنيح بن رياح قد عاش بعدها، وأنه عايش جرير الخطفيَ الذي توفى (١١٠هـ)، هذا كلُّ ما يمكن قوله في تحديد حياة ابن رباح ووفاته.

(١) ابن تمام، نقائض جرير والأخطل، ص٨٩.
(٢) الكامل في التَّاريخ ٤ ص٣٨٨.
(٣) انظر: المصدر نفسه ٤ ص٣٨٠ وما بعدها.

الحَيقطان الزِّنجي:

جاء في رواية الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): «ومنهم (يقصد السُّود) الحَيقطان الشَّاعر، الذي كان يُفَضَّل في رأيه وعقله وهمته، وهو الذي يقول في الإخوان: «لا تعرف الأخ حتى تُرافقه في الحضر، وتزامله في السَّفر»[١]. وقال عنه في مكان آخر «عبدٌ أسود وكان خطيباً لا يجارى»[٢] كذلك كان جرير وراء شهرة الحَيقطان مثلما كان سبباً في شهرة سُنيح بن رياح، نقصد غضبهما على انتقاصه من أبناء جلدتهما، أما الحَيقطان فقد قصد شخصه في الوصف عندما قال فيه، وَ«كان قد رآه يوم عيد في قميص أبيض وهو أسود»، فقال فيه[٣]:

كأنه لما بدا للنَّاسِ
أيرُ حمارٍ لُفَّ في قرطاسِ

ونضيف إليها من المجد النَّشابي (ت ٦٥٧هـ) ما ذَكره على شكل رجز[٤]:

كأنه لما بدا للنَّاس
أسودَ في بيضٍ من اللِّباسِ
أير حمارٍ لُفَّ في قرطاس

فردها الحَيقطان له مدافعاً عن لونه وعلى شكل رجز أيضاً:

إن يكُ لوني حائلاً في النَّاسِ
فذاك فيَ قومي وفي أجناسي
فلك يُنكِّس ذكره في براسي
ولي لسانٌ وحَجابي آسِ

(١) الرَّسائل (رسالة فضل السُّودان على البيضان ١ ص١٨٠ .
(٢) الجاحظ، كتاب البيان والتَّبيين ١ ص١٣٠ و ٣٢٨ .
(٣) الجاحظ، الرَّسائل (رسالة فضل السُّودان على البيضان ١ ص١٨٠ .
(٤) المذاكرة في ألقاب الشُّعراء، ص٢٦٨ .

لكلِّ مـــا أعـــيـــا عَلى النَّطاس[١]

في قصيدة أخرى، قيل لما هجا جرير الحَيقطان كان الأخير باليمامة، فدخل منزله وقال منتصراً لسواده ومفاخراً بأبناء جلدته[٢]:

لئن كنتُ جعد الرَّأس والجلدُ فاحمُ
فـإني لسـبط الكفِ والعـرضُ أزهرُ

وإن ســـواد اللَّون ليس بضـــائري
إذا كنتُ يوم الرَّوع بالسَّـــيفِ أخطرُ

فإن كنتَ تبغي الفخر في غيرَ نكهه
فرهط النَّجَاشي منك في النَّاسِ أفخرُ

تأبى الجَلندي وابن كسرى وحارثٌ
وهوذةُ القبطي والشَّيخُ قيصرُ

وفـاز بهـا دون الملوك سـعـادةً
فـــدام له المُلك المنيعُ الموفَّـــرُ

ولقـــمـــان منهم وابنه وابنُ أمَّـــه
وأبرهـةُ المَلـك الـذي لـيس يُـنـكـرُ

غـــزاكم أبو يكســـوم في أمِّ داركم
وأنتم كـقـبضِ الرَّملِ أو هو أكـثـرُ

وأنتم كطيـــر الماء لما هوى لهـــا
ببلقـعـةٍ حُـجن المخـالبِ أكـدرُ

(١) النِّطاسي: بالفتح العالم والمُتطب (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٥٧٧)
(٢) الجاحظ، الرَّسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٨٣- ١٨٤ . الزمخشري، ربيع الأبرار ٤ ص٤٠٩ .

إلى قوله:

ولا مـــرتعٌ للعينِ أو مـــتـــقنَّص
ولكنَّ تجـــراً والتَـــجـــارةُ تحـــقـــرُ

ألستَ كُليـــبـــاً وأمَّك نعـــجـــةٌ
لكم في سِـمـان الضَّـان عـارٌ ومَـفـخـرُ

يشرح الجاحظ القصيدة المذكورة بأن الحيقطان في رده على هجاء جرير له بسبب لونه؛ قد أشار إلى الرَّسائل التي بعثها النَّبي إلى الملوك والسَّلاطين ولكنَّ النَّجاشي قبلها، ومعروف ما كان منه مع المهاجرين المسلمين إلى بلاده، فدام له ملكه[١].

يصعب اعتبار قصيدة الحَيقطان، أو قصيدة الذي سبقه سُنيح بن رياح، ضمن النَّشاط الشُّعوبي ضد العرب، ما حصل بينهم وبين الأعاجم، في العهد العباسي الأول، وذلك لما في القصيدتين من هجاء للعرب بسبب جرير الخطفي، أو قصائد الشُّعراء السُّود، بقدر ما جاءت رَداً على إساءة مباشرة حتى تكاد تكون شخصيَّة، كالبيت الذي قاله جرير في هجاء الأخطل، السَّابق الذِّكر. على اعتبار أن قصيدة الحَيقطان، على وجه الخصوص، حسب الجاحظ: «تحتج بها اليمانيَّة على قريش ومضر، ويحتجُ بها العجم والحبش على العرب»[٢].

أقول هذا، لأني وجدت مَن أخذ ذلك عن الجاحظ، بلا إشارة، واعني عبدة بدوي الذي ذهب إلى القول بأن الحَيقطان كان «صاحب الصَّوت الأول الحقيقي، الذي يؤرخ للنَّبرة الجديدة، التي بدأ يتحدث بها الشُّعراء السُّود في الحياة العربية، والتي كانت المدخل لما يُعرف بالشُّعوبية»[٣].

(١) الجاحظ، الرَّسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص١٨٥ .
(٢) المصدر نفسه ١ ص١٨٢ .
(٣) بدوي، الشُّعراء السُّود وخصائصهم في الشِّعر العربي، ص١٥٠ .

يمكن أن يُفهم الأمر هكذا، لكن الشُّعوبية مواجهة بين الموالي والعرب، ونزاع متكافئ تقريباً، بعد شدة قوة غير العرب في الخلافة العباسية، بينما الشَّاعران: سُنيح والحَيقطان، تحدد ردهما بخصوص اللَّون وضد جرير لا غيره، أما استخدام شعرهما، أو التَّمثل به، فهذا لا يعني شيئاً، ولا يوجب أن يوصف الحيقطان بالصَّوت الأول للشُّعوبية.

وضرب أحد الشُّعراء المثل بالحّيقطان وخالد بن سَلمة المخزومي[١]، الذي يُدعى بذي الشَّفة[٢] قائلاً[٣]:

فما كان قائلهم دَغفلٌ[٤]
ولا الحَيقطان ولا ذو الشَّفة

كأغلب العبيد، السُّود على وجه الخصوص، إما يُذكرون بأسماء الأمهات، أو بالاسم الأول، وهو يكون اسماً ولقباً، ومعنى الحيقطان: ذكرُ الدَّراج، قال الطِّرمَّاح بن حكيم (ت ١٢٥هـ)[٥]:

مِن الهوذِ كَدراءُ السراة ولونها
خَصيفٌ كالَّون الحَيقُطانِ المُسيَّحُ

ليس لدينا من رواية تحدد وفاة الحَيقطان، أو حياته، لكنَّ هجاءه لجرير قد يُحدد لنَّا وجوده، والأخير، مثلما هو معلوم، توفى (١١٠هـ)، وهذا ما يؤكد أن شاعرنا قد عاش في العهد الأموي.

(١) خالد بن سلمة المخزومي (قُتل ١٣٢هـ) أحد الخطباء (الجاحظ، البيان والتَّبيين ١ ص٣٢٨ الحاشية).
(٢) المصدر نفسه. النَّشابي المذاكرة في ألقاب الشعراء، ص٢٦٩.
(٣) الجاحظ، المصدر نفسه. النَّشابي، المصدر نفسه.
(٤) النسابة دغفل بن حنظلة الشَّيباني، أحد الأذكياء، توفى ٦٥هـ غرقاً (الزِّركلي، الأعلام ٣ ص١٨).
(٥) الجوهري، الصَّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية ٣ ص١١٢٠.

نُصَيب بن رباح الأكبر:

كان نُصيب عبداً أسودَ، لرجل من أهل وادي القرى[١]، وروي أنه كان لبني كعب بن ضمرة، وشعره في الذَّروة[٢]، شاعراً مفلقاً، وشعره ديباجة[٣]، وعدَّ من فحول الشُّعراء الإسلاميين[٤]. يُدعى من قبل أهل البادية بالنُّصيب تفخيماً، ويروون شعره، وكان عفيفاً كبير النَّفس[٥]. اتصل بوالي مصر عبد العزيز بن مروان بن الحكم (ت ٨٦هـ)، فنقل إليه ولاءه، وصار مولى لابنه الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ)[٦].

كُني بأبي محجن، أو أبي الحَجناء[٧]، وأُمُّه سوداء فاستعبده عمَّه بعد وفاة أبيه، وقيل باعه لعبد العزيز بن مروان[٨]، أو أن الأخير اشتراه من بني كنانة واعتقه[٩]، أو أدى عنه ما قد كاتب به[١٠]. بمعنى عتقه، وقيل قَدم نفسه لعبدالعزيز أنه عبدٌ يُحسن رعاية إبل، ويبرئ النِّبل، ويُحسن الرِّماية، وراوية أشعار، فقوموا سعره بخمسمئة دينار، فأعطاه ألف دينار عَتق بها أمَّه وأهله[١١]. بعدها صار «مقدماً عند الملوك»[١٢].

يروى أيضاً أنه بعد تغير أحواله «تتبع مَن كان بينه وبينَه مودة يشتريه، أو من العبيد أقاربه يبتاعه، وجعل يبتاعهم ويعتقهم، فكان ممَن اشتراه ابن عمٍّ له، يُقَال

(١) ابن قتيبة، الشِّعر والشُّعراء، ص٣٧١ . الأوني، سمط الآلئ في شرح أمالي القالي، ص٢٩١ .
(٢) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٥ ص٢٦٦ .
(٣) الثَّعالبي، ثمرات القلوب في المضاف والمنسوب، ص١٨٦ .
(٤) الحموي، معجم الأدباء ٦ ص٢٧٥٢ .
(٥) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١ ص٢١٤ .
(٦) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٥ ص٢٦٦ . ابن قتيبة، الشّعر والشُّعراء، ص٣٧١ .
(٧) الأوني، سمط الآلئ في شرح أمالي القالي، ص٢٩١ .
(٨) ابن قتيبة، المصدر نفسه.
(٩) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٢ ص٥٢ .
(١٠) الأوني، سمط الآلئ في شرح آمالي القالي، ص٢٩١ .
(١١) ابن تغرى بردى، النُّجوم الزَّاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١ ص٢٦٢ .
(١٢) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١ ص٢١٤ .

له سُحيم بأغلى ما يكون من الثَّمن. فمرَّ به يوماً، والنَّاس مجتمعون عليه، وسُحيم بينهم، وهو سكرانَ يُزمِّر ويرقُص، فلما رآه نُصيب ناداه: وَيْك يا سُحَيْمٌ ما هذا لعنك الله وخزَّاك؟ ويَكْ لهذا اشتريتك واعتقتُك؟ فقال: إنْ كنت اعتقتني لما أحبُّ، فهذا الذي أحبُّ»[١]. فأنشد نُصيب في ذلك قائلاً في ابن عمه سُحيم[٢]:

نستُ إعمالي لك الرَّواجلا
وقَرعيَ الأبواب فيك سائلا

وليتني منك القفا والكاهلا
أخُلُقاً شكساً ولوناً حائلا

فسوف أعدوا لسُحيم قائلا
إنَّ سُحيماً لم يُثبْني طائلا

ويروي: «أن النُّصيب كان ابن نوبيَّين سبيَّين كانا لخزاعة، ثم اشترت سَلامة أمَّ نُصيب امرأة من خزاعة ضمريَّة حاملاً بالنُّصيب، فأعتقت ما في بطنها»[٣]. ودلالة كُنيته، وكذلك سواده، جاءا بقول كُثَيِّر عَزَّة (ت ١٠٥هـ) فيه، على أن الشِّعر يُعد أوثق من الرّواية في بعض الأحيان[٤]:

رأيتُ أبا الحجناء في النَّاس جائزاً
ولونَ أبي الحجناء لون البهائم

تراه على ما لاحه من سواده
ولو كان مظلوماً له وجه ظالمِ

(١) النّشابي، المذاكرة في ألقاب الشُّعراء، ص٢٥٥ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١ ص٢١٤ .
(٤) ابن قتيبة، الشّعر والشُّعراء، ص٣٧١ .

وردت قصة سواده أيضاً وعُشقه لامرأة بيضاء، في الرّواية الآتية، قال أحدهم: «رأيتُ رجلاً أسودَ معه امرأة بيضاء، فوقفتُ أتعجب من شدة سواده وشدة بياضها، فقلت: مَن أنتَ؟ فقال: أنا الذي أقول: أيا ليت شَعري ما الَّذي تجدين لي/ غداً غُربة النَّأي المفرقُ والبعدُ»[١]، كان اسم معشوقته أُمَّ بكر[٢]، ولعلَّها زينبَ التي سيأتي ذكرها معه. لكنَّ روايةً تفيد أنه تزوج مِن امرأة بيضاء، غير أُمِّ الحَجناء أو محَجن التي كانت سواء[٣].

قيل بدأ حياته الشِّعرية أن يقول وينسب شعره لآخرين، كي يختبر نفسه، ولما عرف باستحسانه استشار أُخته أُمامة في خروجه إلى والي مصر عبد العزيز بن مروان (ت ٨٥هـ)[٤] لمدحه، كي يعتق نفسه وأُخته من العبودية في ما يقول من الشِّعر، فقالت له: «يا ابن أُمٍّ تجتمع عليك الخِصلتان: السَّواد وأن تكون ضحكةً لَلنَّاس»[٥].

كذلك عرض شعره بالمدينة على همام بن غالب الفرزدق (ت ١١٠هـ) ولم يستحسنه، ومع ذلك مضى ودخل مصر بنيَّة الوصول إلى مجلس واليها عبدالعزيز بن مروان، واتصل أولاً برجل يوصله إليه، فطلب منه أن يقول أبياتاً يُذكر فيها منطقة «الحَوْف»[٦]، فقال[٧]:

سرى الهمُّ تثنيني إليك طلاعه
بمصرَ وبالحوفَ اعترتني روائه

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٢ ص٦٣.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٧ ص١٣٠.
(٤) أخو عبدالملك بن مروان، ولد بالمدينة ولاه أبوه مروان بن الحكم على مصر العام ٦٥هـ استقلالاً، أي لا يتدخل أحد في شؤونه غير تابع لأحد، وظل والياً هناك وولي عهد أخيه حتى وفاته وهو والد الخليفة عمر بن عبدالعزيز (الزركلي، الأعلام قاموس تراجم ٤ ص١٥٤).
(٥) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١ ص٢١٥.
(٦) الحَوْف من نواحي عُمان، وقيل الحَوْف بمصر حوفان الغربي والشرقي (الحموي، معجم البلدان ٢ ص٣٢٢).
(٧) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١ ص٢١٦.

وبات وسادي ساعدٌ قلَّ لحمه
عن العَظمِ حتى كاد تبدو أشاجعه

فدخل مع الرَّجل الحوفي إلى مجلس الأمير وأُعجب به، وصار من شعراء الملوك بعدها. لكنَّ الفرزدق ظل رأيه فيه أنه أسود لا يُحسن الشِّعر، حتى التقيا معاً في حضرة الخليفة سليمان بن عبد الملك (ت ٩٩هـ) كشاعرين، وقرأ الفرزدق من شعره، إلا أنه مدح أباه غالب وليس الخليفة، عندما قال:

سروا يركبون الرِّيح وهي تلفهم
إلى شعبِ الأكوار ذات الحقائبِ
إذا استوضحوا ناراً يقولون: ليتها
وقد خصرت أيديهم نار غالب

فغضب الخليفة، وأمر نُصيب أن ينشد ما عنده، فأنشد الأخير معارضةً لأبيات الفرزدق:

أقولُ لركبٍ صادرٍ لَقيتهم
قِفا ذات أوشالٍ ومولاك قاربُ
قفوا خبروني عن سُليمان أنني
لمعروفه مِن أهلٍ ودَّانِ طالبُ
فعاجوا فاثنوا بالَّذي أنتَ أهله
ولو سكتوا أثنت عليه الحقائبُ

فاستحسن الخليفة ما أنشده وأمر له بصلةٍ، ولم يأمر للفرزدق بشيءٍ، فخرج الأخير وهو يقول معرضاً بنُّصيب:

وخير الشِّعرِ أكرمه رجالاً
وشرُّ الشِّعرِ ما قال العبيدُ[1]

(١) انظر الرواية كاملةً عند ابن قتيبة، الشِّعر والشُّعراء، ص٣٧٢- ٣٧٣.

لكنَّ هذا الَّذي لم يرض شعره الفرزدق قد نحل منه بعد حين شاعرٌ كبيرٌ، في زمانه، إسماعيل بن القاسم المشهور بأبي العتاهية (ت ٢١٣هـ)، وقال[١]:

إن المطايا تشـــــتكيك لأنهـــــا
قطعت إليك ســبــاســبــا ورمــالا

فـــإذا وردنَ بنا وردنَ مُـــخـــفَّـــةً
وإذا رجـــعنَ بنا رجـــعنَ ثقـــالا

يقول الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ): وهذا المعنى مِن قول نُصيب[٢]:

فـــعـــاجـــوا فـــأثنوا بالذي أنت أهله
ولو سكتـــوا أثنت عليك الحـــقـــائبُ

مع ذلك هناك مَن ينقل عن الفرزدق أنه قال في شعره لما سُئل عنه: «سِهامٌ صَوائب»[٣].

هذا أبو حرزة جرير الشَّاعر، وهو المعدود من فطاحل الشِّعر العربي، كان قد تمنى يوماً بيتاً من نُصيب، ويُنقل عنه أنه قال: «لأن أكون سبقتُ الأسود إلى هذا البيت أحبه لي»[٤] أو قال: «وددتُ أن هذا البيت مِن شعرِ هذا العبد كان لي بكذا بيتاً مِن شعري»[٥]. والبيت:

بزينبَ ألمْ قـــبل أن يرحلُ الركبُ
وقلْ إن تملينا فـــمـــا ملَكِ القلبُ[٦]

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٤ ص٣٢.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) النّشابي، المذاكرة في ألقاب الشُّعراء، ص٢٥٥.
(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٢ ص٦٠.
(٥) المبرد، الكامل في اللغة والأدب ١ ص١٤٢.
(٦) المصدر نفسه. ابن عساكر، المصدر نفسه ٦٢ ص٦٠.

إلا أنه لما سُئل عن نُصيب حصر جزالته بين السُّود فقط، عندما قال: «إنه أشعر أهل جلدته»[١]. بينما يقول أبو منصور الثَّعالبي (ت ٤٢٩هـ): «قد يُقال لمثله إنه أشعر النَّاس، وإن كان فيهم مَن هو أشعرُ منه»[٢].

كذلك، جاء في الرّواية، كان الشَّاعر الكوفي الكميت الأسدي (ت ١٢٧هـ) معجباً به، وحصل أن اجتمعا «في حمام، فقال الكميت لنُّصيب انشدني قصيدتك: بزينبَ ألمم أن يرحلَ الرَّكبُ/ وقلْ إن تملينا فما ملك القلبُ. قال: والله ما أحفظها، قال: لكنّي أحفظها فأنشدك إياها، قال: نعم، فأقبل الكميت ينشده وهو يبكي»[٣].

قيل تغزل بابنة عمٍّ نوبية له، قائلاً فيها[٤]:

ومضمرُ الكشح يطويها الضَّجيع به
طي الحمالةِ لا جاف ولا قصرُ
وذو روادف لا يُلفى الإزار بها
يلوي ولو كان يسعى حين يأتزرُ

كان اسم صاحبة نُصيب، الذي قال فيها شعره متغزلاً، زينب، وقد وقف أحدهم على امرأة بمنطقة الأبواء فأعجب بها وتمثل بقول نُصيب، ولما سألها عن اسمها قالت: زينب! وربَّما الرُّواة أرادوا جعلها زينبَ صاحبته، لتكون قصة مثيرة. قال نُصيب في زينبه[٥]:

بزينبَ ألمْ قبل أن يرحل الركبُ
وقلْ إن تملينا فما ملكِ القلبُ

(١) المبرد، الكامل في اللغة والأدب ٦٢ ص٥٩ . الثَّعالبي، ثمرات القلوب في المضاف والمنسوب، ص١٨٦ .
(٢) ثمرات القلوب، المصدر نفسه.
(٣) اليزيدي، كتاب الأمالي، ص٨٠ .
(٤) انظر : ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق٦٢ ص٥٣ .
(٥) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٦٨ .

خليليَّ مِن كعبٍ ألَمَّا هديتما بزينبَ
لا يُفقدُ كما أبداً كعبُ

وقولا لها ما في البعاد لذي الهوى
يُعاد وما فيه لصدع النَّوى شعبُ

فمَن شان أم الصَّرم أو قال ظالما
لصاحبه ذنبٌ وليس له ذنبُ

لما اشتهرت القصيدة «بزينب» قال نُصيب: «ما كنتُ أتوهم إني أقول الشِّعر حتى قلتُ: بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ»[١].

عُدَّ النُّصيب الأكبر من الطَّبقة الثَّامنة من شعراء الإسلام[٢]، عاش متعففاً ولم يهج أحداً تديناً، فلما قيل له: أنت «لا تُحسن أن تهجو. قال: وأقروا لي أني أحسُن أن أمدح... قال: فترى لا أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله»[٣]؟

مثل بقية الشُّعراء السُّود كانت معاناة نُصيب الأكبر بسواده، فقد سبق أن ذكرنا ما قال فيه الفرزدق، ثم نجد جرير يقول له مع إعجابه بشعره: «اذهب فأنت أشعرَ أهل جلدتك»[٤]! قال هذا مع إعجابه بشعره، وإذا صدقت الرّواية، السَّابقة، أن جرير تمنى أن يكون له شيءٌ مما قال نُصيب.

من جانبه استشهد الجاحظ بالكثير من شعر نُصيب، ولم يُحدد الأكبر أم الأصغر، إلا أنه الأكبر، أخذ له في طباع الحيوان، ومنها في تقسيم الأجسام إلى

(١) اليزيدي، كتاب الأمالي، ص٨٠.
(٢) انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق٦٢ ص٥٢- ٥٣.
(٣) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٧٠- ١٧١.
(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٢ ص٥٨.

«فصيح وأعجم»، وفصاحة «الأجسام الخُرس بالدَّلالة»، كالبيت الذي سبقت الإشارة إليه في مدح سليمان بن عبد الملك[١]:

فـعـاجُـوا فـاثنوا بالذي أنت أهله
ولو سكتـوا أثنتَ عليكَ الحـقـائبُ

وأخذ الجاحظ أيضاً من شعر نُصيب شاهداً في شرحه لطِباع طير الحمام[٢]:

ولو قـبلُ مـبكاها بكيتُ صـبـابةً
بسُـعـدى شـفـيتُ النَّفس قـبل التَّندمِ

ولكنْ بكت قـبلي فـهـيَّج لي البُكا
بُكاها فـقلتُ الفـضلُ للـمـتـقـدِّمِ

قال مدافعاً عن لونه، وبالتَّالي عن أبناء جلدته كافة، وكأن الأسود، آنذاك، عليه أن يجد ما يسد به العيب من لونه[٣]:

ليس السَّـواد بناقـصي مـا دام لي
هـذا الـلِّسـان إلى فـؤادٍ ثابتِ

مَن كـان ترفع منابتَ أصله
فـبـيـوتَ أشـعـاري جُـعلن منابتي

إني ليـحـسـدني الرَّفـيع بناؤه
من فـضلِ ذاك وليسَ بيَّ من شـامتِ

كذلك ينسب له، في شأن الدِّفاع عن نفسه كأسود اللَّون، ما نسب بعضه من قبل لسّحيم عبد بني الحَساس، حسب ما أورد ذلك أبو الفرج الأصفهانَي

(١) الجاحظ، كتاب الحيَّوان ١ ص٣٤ .
(٢) المصدر نفسه ١ ص٢٠٦ .
(٣) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٧ ص١٢٦ . الحموي، معجم الأدباء ٦ ص٢٧٥٤ .

(ت٣٥٦هـ) وأثبتناه في ترجمة سُحيم[١]، والأبيات هي[٢]:

كُسيتُ ولم أملك سواداً وتحته
قميصٌ من القوهي بيضٌ بنائقه
فما ضرَّ أثوابي سَوادي وأنني
لكالمسك لا يَسلو من المسك ذائقه

كانت لنُّصيب بنات لم يتزوجن، لأنه يضن بهنَّ على الموالي، والعرب لا يرغبون بهنَّ، وبهذا قال لعمر بن عبد العزيز: «إن لي بنات سويداوات أرغب بهنَّ عن السُّودان، ويرغب عنهنَّ البيضان، فإن رأيت أن تفرض لهنَّ، ففعل»[٣]. وفي هذا يقول الثَّعالبي: «لنُصيب بنات نفض عليهنَّ من لَّونه، فهنَّ يشبهنه في الأدمة والدَّمامة، وكان يحبهنَّ . . . يربأ فيهنَّ عن العجَم، ولا يرغب فيهنَّ العرب، فبقينَ معنسات»[٤]. ومن قلقه على مصير بناته كان يقول[٥]:

ولولا أن يُقال صبا نصيبُ
لقلتُ بنفسي النَّشأ الصَّغارُ
بنفسي كلُّ مهضوم حشاها
إذا ظلت فليس له انتصارُ

حتى صرنَ يُضرب بهنَّ المثل «بناتً نُصيب»، ولعلَّ ناحت هذا المثل هو أبو تمام حبيب بن أوس (ت ٢٣١هـ)، حين قال وأتى على ذكره عنوستهنَّ[٦]:

أما القوافي فقد حصَّنتُ عُذرتها
فما يُصابُ دمٌ منها ولا سَلبُ

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٢ ص٢١٣ .
(٢) القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب ١ ص٣٩١ .
(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٢ ص٥٤ -٥٥ .
(٤) ثمرات القلوب في المضاف والمنسوب، ص١٨٦ .
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.

منعتُ إلا مِن الأكـفـاء منكحـهـا
وكـان منك عليـهـا العطفُ والحَـدبُ
ولو عـضلتَ عن الأكـفـاء أيَّمـهـا
ولـم يـكـن لـك فـي إطـارهـا أربُ
كـانت بناتُ نُصـيبٍ حين ضنَّ بهـا
عن الموالي ولم تحـفل بهـا العـربُ

أخبار نُصيب كثيرة، في كتب الأدب والتَّراجم، فقد خصه الأقدمون بمؤلفات في أخباره، منها «أخبار نُصيب» للزُّبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ)، و«أخبار نُصيب» لإسحاق بن إبراهيم الموصلي (ت ٢٣٥هـ)[١]. كي لا نستغرب تشابه العناوين تحت «أخبار نُصيب»، فمن المعلوم أن الكتابة عند الأوائل تأخذ مثل هذا العنوان، إذا نظرنا في تصنيف «كتاب الأغاني» لأبي فرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) نجد عناوين ترجمات الشُّعراء أو المغنين كافة وضعها تحت «أخبار . . .».

تنقل نُصيب الأكبر بين الحجاز ومصر وأقام بالكوفة[٢]، وقيل إنه عاصر، ووفد على خمسة خلفاء أمويين: عبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ)، وسليمان بن عبد الملك (ت ٩٩هـ)، وعمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ)، ويزيد بن عبد الملك (ت ١٠٥هـ)، وهشام بن عبد الملك(ت ١٢٥هـ)[٣]، وكانت الصِّلة الأولى بهؤلاء بسبب والي مصر الأمير عبد العزيز بن مروان (ت ٨٥هـ). بعدها توفى نُصيب السنة (١٠٨هـ)[٤].

(١) الحموي، معجم الأدباء ٢ ص٦١٥ .
(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦٢ ص٥٨ .
(٣) المصدر نفسه ٦٢ ص٥٢ .
(٤) ابن تغرى بردى، النُّجوم الزَّاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١ ص٢٦٢ .

عبد بني جعدة:

لم نجد له ترجمةً أو خبراً، مع تفتيشنا عنه في المصادر المتوافرة، وليس لنا الكمال في ذلك، فربَّما له في ما لم نوفق بالوصول إليه، سوى ماجاء في رسالة الجاحظ «فخر السُّودان . . .»، على أنه قد عابه بعض البيضان بلونه فقال[١]:

قد عاب لوني أقوامٌ فقلتُ لهم
ما عابَ لوني إلا مُفرطُ الحُمقِ
إن كان لوني فيه دُعجةٌ كَلفٌ
حَزْن الإهاب فإني أبيض الخُلقِ
أُرضي الصَّديق وأحمي الظَّعنَ معترضاً
صدر القناةِ وأكنى كنه السَّرقِ

سُدَيْف بن إسماعيل:

ارتبط اسمه بالانتقام، فله أشهر أبيات في التَّحريض على الثَّأر، عندما دخل على أبي العباس السَّفاح (ت ١٣٦هـ)، وحرضه على قتل الأمويين، مثلما سيأتي ذكره، لكنها سنوات ويقتله العباسيون لتحريضه على الثورة ضدهم، واشترك فيها. كان سُديْف بن ميمون مولى لخزاعة، ثم ادعى ولاء بني هاشم، بسبب زواجه من مولاة لآل أبي لهب[٢]. أما محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) فيقطع بالقول بأَنه مولى آل أبي لهب[٣].

ما يدل على سواده رواية دخوله على أبي العباس السَّفاح، حين أنشده القصيدة المحرضة على الثّأر. «دخل الحاجب فقال: يا أمير المؤمنين بالباب رجلٌ

(١) الرَّسائل (رسالة فخر السُّودان على البيضان) ١ ص٢٢١ - ٢٢٢ .
(٢) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٦ ص٩٠ .
(٣) أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء مَن قُتل من الشُّعراء، ص٢٧١ .

حجازي أسود، راكبٌ على نجيبٍ متلَّثم يستأذن ولا يُخبر باسمه، ويحلف ألا يحسر اللِّثام عن وجهه حتى يراك. قال: هذا مولاي سُدَيْف، يدخل، فدخل»[١]. كذلك اسمه يُشير إلى سواده «سمَّي سُديفاً للونه شبه السَّدف، وسُديْف تصغير السُّدفة: الظَّلمة، وهذا من الأضداد، لأن السُّدفة في الضِّياء والظُّلمة، وقال ابن الأعرابي: السُّدفة ظُلَمة يُخالطها ضوء»[٢]. ففي اللِّغة «السُّدْفَة في لغة نجد: الظُّلمة، وفي لغة غيرهم الضَّوء، وهو من الأضداد... والسَّدف اللَّيل. قال الشَّاعر: نَزُور العدوَّ على نَأيهِ/ بأرعنَ كالسَّدف المُظلم»[٣].

كان يقول في عهد الأمويين «بريء من جورهم وظلمهم وعدوانهم؛ اللهم صار فيئنا دولة بعد القسمة، وإمارتنا غلبةَ بعد المشورة، وعهداً ميراثاً بعد الاختيار للأمة، واشتريت المعازف والملاهي بمال اليتيم والأرملة، وحُكم في أبشار (جمع بشر) المسلمين أهل الذِّمة...»[٤]. هذا مجمل موقفه إزاء العهد الأموي، كي نتفهم وقوفه مع العباسيين بتلك القوة، مع أن سُدَيْف لا يستقر على حالٍ، ينتقل من موقف إلى آخر، مع بني هاشم، حيث وقفوا ومالوا.

شدَّ رحاله إلى الكوفة «لما تناهت أيام بني أُميَّة، وافضت الخلافة إلى بني العباس، ولَّما ولي منهم السَّفاح، وهو ابن الحارثيَّة، اتصل الخبر بسُدَيْف وهو إذ ذاك بمكة، وأستوى على راحلته، وتوجه نحو أبي العباس»[٥]، وأنشده قصيدته[٦]:

أصبح المُلكُ ثابتَ الآساس
بالبهاليل من بني العباس

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٤ ص٢٤١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٧ ص٧٤.
(٢) النَّشابي، المذاكرة في ألألقاب الشُّعراء، ص٤١.
(٣) الجوهري، الصَّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية ٤ ص١٣٧٣.
(٤) ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص٣٨. ابن قتيبة، الشِّعر والشُّعراء، ص٥١٤..
(٥) المصدر نفسه، ص٣٩.
(٦) المصدر نفسه، ص٣٩. الاصفهاني، كتاب الأغاني ٤ ص٢٤١.

لا تُقلينَّ عـبـد شـمس عـثـاراً
وقَـطَـعْـن كـلَّ رَقَـلـةٍ وغِـراس

ولقـد سـاءني وسـاءَ سـوَائي
قـرُبـهم مِن منابرٍ وكـراس[١]

فـاذكـروا مـصـرعَ الحـسين وزيد
وقـتـيـلاً بجـانب المهـراس

والقـتـيل الذي بحـران أضـحى
رهْـنَ رمـسٍ وغُـربـةٍ وتـنـاس

ذُلهـا أظهـر التـوددَ منهـا
وبـهـا منكـم كـحـزِّ المـواس

انزلـوها بحـيث أنـزلهـا الله
بـدار الإتـعـاسِ والإنـكـاس

إلا أن أبا العباس المُبرد (ت ٢٨٥هـ) جعلها لمولى آخر من موالي بني هاشم الشُّعراء؛ يُدعى شَبَل بن عبد الله[٢]، وأنه دخل على عمِّ أبي العباس السَّفاح عبد الله بن علي[٣]، «وقد أجلس ثمانين رجلاً من بني أميَّة على سُمط الطَّعام، فمثل بين يديه فقال»[٤] القصيدة المذكورة. ظلتَ مقدمة القصيدة تغنى، كان يُغنيها عطرّد المغني[٥].

(١) منابر= نمارقَ (الأصفهاني، كتاب الأغاني ٤ ص٢٤١).
(٢) الكامل في اللُّغة والأدب ٣ ص٢٨٩ . انظر:
(٣) عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس (ت ١٤٧هـ)، عم الخليفتين أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور، تولى الحرب على آخر الخلفاء الأمويين حتى قتله، ودخل الشَّام، ولما ولي المنصور دعا إلى نفسه، ثم اختفى بالبصرة، وحُمل بعدها إلى بغداد وحبس في بيت سقط عليه (البغدادي، تاريخ بغداد ١١ ص١٧٦- ١٧٧).
(٤) الكامل في اللُّغة والأدب ٣ ص٢٨٩ .
(٥) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٤ ص٢٤٦ .

نجد جماعة إخوان الصَّفا (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) قد انتقدوا الانتقام بالشِّعر، وما سيؤججِ من عداوات وضغائن لا تنتهي، ستعيشها الأجيال متحملة مسؤولية حوادث لم تدَركها، وأتى أخوان الصَّفا ببيت سُديف مثالاً، من دون أن يذكروا اسمه، جاء في رسائلهم: «ومن الأبيات الموزونة أيضاً ما يثيَر الأحقاد الكامنة، ويحرك النّفوس السّاكنة، ويلهب نيران الغضب مثل قول القائل: واذكروا مصرع الحسين وزيد/ وقتيلاً بجانب المهراس[١]. فإن مثل هذه الأبيات وأخواتها أيضاً، أثارت أحقاداً بين أقوام، وحركت نفوسهم، والتَّهبت فيها نيران الغضب، وحثهم على قتل أبناء الأعمام والأقرباء والعشائر، حتى قتلوهم بذنوب آبائهم ووزر أجدادهم، ولم يرحموا منهم أحداً»[٢].

يُذكر أن سُدَيفاً ألح على أبي العباس في قتل بني أُمية الجالسين عنده، فقال ما هو أمضى من ذلك[٣]:

جَـرِّدِ السَّـيف وارفع السَّـوطَ حـتَّى
لا ترى فـــوق ظهـــرها أُمـــوِيَّا

لا يَغُـــرَّنك مـــا ترى من رجـــال
إنَّ تحـــت الَّـــضُّـــلـــوع داء دويَّـــا

بَطن البَـعضُ في القـديم وأضـحى
ثَـاويـاً فـي قـلـوبـهـم مـطـوِيَّـا

يُذكرنا شعر سُديف وتحريضه على الانتقام من بني أُمية بشاعر عاش قبل الإسلام، في أيام الملوك اللخميين بالحيرة، يُقالَ له أبو أُذينة اللخمي، عندما

(١) المقصودون: الحسين بن علي (قتل ٦١هـ)، وحفيده زيد بن علي (قتل ١٢٢هـ)، أما القتيل بجانب المهراس فهو الحمزة بن عبد المطلب (انظر: الحموي، معجم البلدان ٥ ص٢٣٢).
(٢) الرسالة الخامسة من القسم الرياضي، في الموسيقى ١ ص١٨٤ نسخة صادر. ١ ص٨٥ نسخة بومباي (١٨٨٧م).
(٣) المبرد، الكامل ٣ ص٢٨٨. الأصفهاني، كتاب الأغاني ٤ ص٢٤٤. ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص٤٠.

حرض على قتل آل غسان، ونظرنا في قصيدته ووجدناه كأنه ألهم سُديف موقفاً وشعراً، ومنها[١]:

مـــا كـــان يوم ينال المرءُ مـــا طلبـــا
ولا يســـوغـــه المقـــدار مـــا وهبـــا

وأحـزم النَّاسِ مِن إن فـرصـةً عَـرضت
لم يجـعل السَّـبب الموصـول منقـضـبـا

وأنـصف الـنَّـاس في كـلِّ المـواطن مَـن
ســقى اَلمعـــادين بالكأس الذي شـــربا

إلى قوله:

لا تقطعنَّ ذنبَ الأفـــعى وترسلهـــا
إنْ كنتَ شـهـمـاً فـاتبع رأسـهـا الذَّنبـا

هم جـردوا السَّـيفَ فـاجـعلهم له جـزراً
واوقـــد النَّار فـــاجـــعلهم لهـــا حطبـــا

إن تعفُ عنهم يقـــول النَّاس كلُّهم
لـم يعفْ حلمـــاً ولكن عـــفـــوه رهبـــا

ويُذكر من تحريض سُديف أيضاً ضد الأمويين بعد ضياع خلافتهم[٢]:

عَـــلام وفـــيمَ تتـــرك عـــبـــد شـــمس
لـهـــــا في كـلِّ راعـــــيـــــةٍ ثغـــــاءُ

فـــمـــا في القـــبـــرِ في حـــرَّان[٣] منهم
ولـو قُـــتلت بأجـــمـــعـــهـــا فـــداءُ

(١) الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّعراء والبُلغاء ١ ص٢٤٣ . أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر (المعروف بتاريخ أبي الفداء) ١ ص١١٧).
(٢) الصُّولي، كتاب الأوراق شعراء أولاد الخلفاء، ص٢٩٨- ٢٩٩ .
(٣) الدفين المقصود في حرَّان: إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الإمام (قُتل ١٣١هـ).

فقُتل بهذا التَّحريض سليمان بن هشام بن عبد الملك، وكان على صِلة مع أبي العباس السَّفاح قبل خلافته[١].

يُذكر لسُديف هذا أكثر من قصيدة تحريض وحض على الانتقام بقتل ما تبقى من آل أُميَّة؛ وهذا واحد منَ أدوار الشَّاعر أو المثقف مع السُّلطة حينما يملأ جوفه بَالضَّغينة وعاطفة الثَّأر، معَ الملاحظة أنه لم يكن متكسباً إنما بقدر ما كان ناقماً.

جاء في الخبر أن سُديْف عندما كان يعيش بمكة عُرف بشدة التَّعصب لبني هاشم، وقيل كان يخرج إلى أحجار في ظهر مكة ويخرج معه مولى لبني أُميَّة يُقال له صفي السَّباب، «فيتشاتمان ويتسابان ويذكران المثالب والمعايب، ويخرج معهما من سفهاء الفريقين مَن يتعصب لهذا ولهذا، فلا يبرحون حتى تكون بينهم الجِراح وَالشَّجاج»[٢].

بعد مدحه للعباسيين، وفخره بهم كأنه أحدهم، وتحريضه على قتل الأمويين، تدور الدَّوائر ويعود سُديف معترضاً وظل متعصباً لبني هاشم، لكنَّ هذه المرة مع البيت العلوي منهم ضد البيت العباسي الذي تمثلت به الخلافة؛ فما أن قُتل محمد ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، المعروف بالنَّفس الزَّكيَّة(١٤٥هـ) بالمدينة بعد ثورته على العباسيين، التحق سُديف بثورة أخيه إبراهيم بن عبد الله (قتل ١٤٥هـ) بالبصرة «وأظهر عداوة لبني العباس، وصعد (إبراهيم) يوماً إلى المنبر يخطبُ فقام سُديْف مقبلاً عليه بوجهه وقال[٣]:

إيه أبا إسحاق مُليِّتها
في صحةٍ منك وعمرٍ طويل
أذكر هداك الله ذحل الأُلى
يُسرى بهم في مصمتات الكبول

(١) ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص٤٠ . اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٢ ص٣٥٨ .
(٢) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٦ ص٩٠ .
(٣) ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص٤١ . الأصفهاني، مقاتل الطَّالبيين، ص٢٧٢ .

وبعد قتل إبراهيم بن عبد الله هرب سُدَيْف، وكتب راجياً العفو عنه بهذه الأبيات إلى المنصور[١]:

أيها المنصور يا خَير العرب
خيرَ مَن يَنميه عبد المطلب
أنا مولاكم وأرجو عفوكم
فاعفُ عني اليوم من قبل العَطب

إلا أن أبا جعفر المنصور أمضى في كتابه: «لم يلدني محمد بن عليٍّ إن تسمَّيتَ بعدها بوليّ، ثم كتب إلى عبد الصَّمد بن عليٍّ عمَّه يأمره بقتله، فيقال إنه قطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه، وقيل أيضاً حُمل إلى المنصور فدفنه حيّاً»[٢].

لكنَّ هناك مَن حدث ابنَ المعتز (قُتل ٢٩٦هـ) بأن سُديف لم يُقتل، و«ما فارقَ أبا العباس ثم بعده المنصور إلى أن مات»[٣]. جاء هذا مع اتفاق الرّوايات على مقتله، وإذا صح ذلك يكون بين أمرين: إما أن المنصور قد عفا عنه، وإما أنه لم يدخل في شأن إبراهيم بن عبد الله من الأساس، وهذا لم يفدنا به مصدر من المصادر.

تأتي سيرته عند محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤هـ) في كتاب له تحت عنوان «أخبار شُعراء الشِّيعة»[٤] إلا أنه لا نجد ذكراً له في كتابه المشهور «معجم الشُّعراء»، وهو الأهم، ومعلوم أن العداء للأمويين عادة يُصنف بالتَّشيع لآل علي، ففي ذلك الوقت كان الخلاف سياسي بين العلويين والأمويين، وهذا ما لا ندخل فيه كي لا نخرج عن موضوعنا.

---

(١) ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص٤٢.
(٢) ابن المعتز، المصدر نفسه. ابن حبيب، أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، ص٢٧١- ٢٧٢.
(٣) ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص٤٢.
(٤) انظر: المرزباني، أخبار شعراء الشِّيعة، ص٨١- ٨٣.

أقول: مع تداخل ترجمته بالتَّحريض والموقف من الأمويين والتَّعصب للهاشميين؛ إلا أن الرّواة قد ذكروا له بعض الغزل، مع صعوبة أن يكون لقلب مملوء بالتحريض والثَّأر والضَّغينة والانشغال بتأييد الثَّورات مكاناً للنَّسيب الرَّقيق، فقيل «ومما يُستحسن من قول سُدَيْف في الغزل»[١]:

أعِيبُ التي أهوى وأُطري جواريا
يَرَينَ لها فضلاً عليهنَّ بيِّنا

بِرغمي أطيل الصدَّ عنها إذا بدت
أحاذرُ آذاناً عليها وأعينا

لم نجد أثرَ شكوى لسُدَيف من لونه، مثلما نجده عند الغالب من شُعراء السُّود، فعلى ما يبدو لانشغاله بالمهام الكبرى وما تعنيه السِّياسة آنذاك، كذلك بما تذكره المصنفات التي اختصت بالسُّود، وليس معنى هذا أنه ليس أسودَ، لكنَّ مثلما تقدم أن قضية سواده قد غابت وراء انشغال الروايات بقصة تحريضه على بني أُميَّة، وكأنه لولا ذلك الشِّعر وتلك القضية ما روي عنه إلا النّزير من أخباره. فهي بالفعل قضية كبرى في حياته حتى قيل: «ما نزل ببني أُميَّة ما نزل إلا بسُديْف»[٢]. وإلا كان يوصف بالشَّاعر المفلق والأديب البارع والخطيب المصقع[٣].

قيل في شعره أيضاً: «ما كان من زمان سُديْف أشعر منه، ولا أطبع منه، ولا أقدر على ما يريده من الشِّعر»[٤]. يُحدد تاريخ قتله، أو وفاته، إذا صحت رواية مَن روى، السَّنة (١٤٦هـ)[٥].

(١) ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص٤٠- ٤٢ .
(٢) المصدر نفسه، ص٤٢ .
(٣) المصدر نفسه، ص٣٧ .
(٤) المصدر نفسه، ص٤٢ .
(٥) الزركلي، الأعلام قاموس تراجم ٣ ص١٢٦ .

زَند بن الجون أبو دُلامة:

يُقال له زَند بن الجون، والأغلب يُصحف اسمه فيجعله زيداً[١]، وتحاشياً للتَّصحيف قيل «واسمه زند بالنُّون[٢]»، ويُكنى بأبي دُلامة، وقيل كانت كنايته باسم جبل بمكةَ يُقال له «أبو دلامة، كانت قريش تئد فيه البنات في الجاهليّة، وهو بأعلى مكة»[٣]. كان عبداً مولوداً حبشياً، فصيح اللِّسان[٤]، أو عبداً حبشياً[٥]، أو قيل: كان كوفياً أسود[٦]. صحب أبي العباس السَّفاح (ت ١٣٦هـ)، وأبي جعفر المنصور (ت ١٥٨هـ)، ثم محمد المهدي (ت ١٦٩هـ)، وهناك مَن يروي أنه بلغ أول خلافة هارون الرَّشيد (ت١٩٣هـ)، ومَن يقول لم يبلغها[٧]. وما يُذكر أيضاً أن أبا دلامة «كان أسود من موالي بني أسد، أدرك آخر أيام بني أُميَّة، ونبغ في أيام بني العباس، وانقطع إلى السَّفاح والمنصور والمهدي، ومات في خلافة المهدي»[٨].

كان ذلك بعد عتقه من عبوديته لرجل من أهل الرِّقة من بني أسد، ثم رجل يُقال له نصر، وقد حذرَه أبو جعفر المنصور، بعد أن صَيره من خاصته، من التوسط لشخص عنده، وكان أبو دلامة «كلمه في مولاه»[٩]. انَظر في أمر تجاوَز العبودية، فقد ارتفعت بأبي دُلامة الحال إلى التوسط لسيِّده السَّابق عند الخليفة، ومَن يدري، فلعلَّ ذلك من شرط العتق. كان شاعراً مطبوعاً، ومفلقاً ظريفاً كثير النَّوادر في الشِّعر، وصاحب ظرافة، انفرد في وصف الشَّراب والرِّياض، مع مدح الخلفاء[١٠].

---

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٠ ص١٨٨ .
(٢) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٧٥ .
(٣) الاصفهاني، كتاب الأغاني ١٠ ص١٩١ .
(٤) البغدادي، تاريخ بغداد ٨ص٤٨٨ . الحموي، معجم الأدباء ٣ ص١٣٢٧ .
(٥) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٧٥٨ .
(٦) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٠ ص١٨٨ .
(٧) البغدادي، تاريخ بغداد ٨ ص٤٨٩ .
(٨) الحموي، معجم الأدباء ٣ ص١٣٢٧
(٩) المصدر نفسه .
(١٠) المصدر نفسه . ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص٥٤

إذا اشتهر سُديْف بن ميمون (قُتل ١٤٦هـ) وذاع صيته بالتَّحريض على الثَّار والانتقام، وشاعت أسماء شعراء سود آخرين بدفاعهم عن وجودهم وآدميَّتهم ضد مَن قللَّ من شأنهم بسبب لون بشرنهم، ومَن اشتهروا بصلاتهم مع امرأة كسُحيم عبد بني الحَساس، فإن أبا دُلامة اشتهر بظرافته، حتى اتخذ من لونه وأسرته سبباً أو موضوعاً، وكان تكسبه من هذا الطَّريق.

هناك مَن أشار لزندقة أبي دُلامة، لكنه «كان بعيداً منها، وإنما عبث وتماجن»[١]. ذلك عندما أُخذ عليه أنه تأخر عن رفقة أحد الأمراء العباسيين إلى الحج، وسرى إلى حانوتٍ من حوانيت الحيرة يطلب فيه الشَّراب، ولما عُثر عليه، قال متظرفاً[٢]:

إني أعـــوذ بداود وحـــفـــرته
من أن أكلف حَـــجـــاً يا ابن داود
والله مـــا فيَّ من أجـــرٍ فـــتطلبـــه
ولا الثَّناء على ديني بمحـــمـــودِ

من ظرافته ما قاله على قبر زوجة المنصور حمادة بنت عيسى «وقف المنصور والنَّاس معه على حفرتها ينتظرون الجنازة، وأبو دلامة فيهم، فأقبل عليه المنصور فقال: يا أبا دلامة ما أعددت لهذا المصرع؟ قال: حمادة بنت عيسى يا أمير المؤمنين. قال: فضحك القوم»[٣]. أقول: قد لا تغتفر هذه الطُّرفة، في هذا الموقف، لغير أبي دلامة!

(١) الحموي، معجم الأدباء ٣ ص١٣٢٧.
(٢) المرزباني، معجم الشُّعراء، ص٢٨٧. وردت الأبيات ببعض الاختلاف (البغدادي، تاريخ بغداد ٨ ص٤٨٩).
(٣) المصدر نفسه. المبرد، الكامل في اللغة والأدب ١ ص٩٤.

كان المنصور لما فيه شيء من الحرص يلقب بأبي الدَّوانيق أو الدَّوانيقي[١]، فضن على أبي دلامة بما كان يعطيه أبي العباس السَّفاح؛ فقال راثياً السَّفاح في مجلس المنصور وبحضوره، وهو لازال بالأنبار[٢]، قبل الانتقال إلى بغداد، مما اغضب عليه الخليفة الجديد فكان في الرثاء شيء من الهجاء له[٣]:

أمسيتَ بالأنبار يابن محمد
لا تستطيع إلى البلاد حَويلا

ويلي عليك وويل أهلي كلُّهم
ويلاً يكون إلى الممات طويلا

مات النَّدى إذ متَ يابن محمد
فجعلته لك في التّراب عديلا

إني سألتُ النَّاسَ بعدكَ كلُّهم
فوجدتُ أسمحَ مَن رأيت بخيلا

ألشقوتي أُخرتَ بعدكَ للَّذي
يدعَ السَّمين من العيال هزيلا

فتأثر النَّاس بالقصيدة، حتى أبكتهم، لكنها أغضبت أبا جعفر المنصور أشد الغضب عليه؛ فحذره إذاَ ما عاد لمثلها سيقطع لسانه، فتعذر أبو دلامة قائلاً: «إن أبا العباس كان لي مكرماً، وهو الَّذي جاء بيَّ من البدو كما جاء يوسف عليه السَّلام بأخوته»[٤].

(١) الثَّعالبي، لطائف المعارف، ص١٦، السُّيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٧، الدَّانق عملة نقدية صغيرة، استخدمت قديماً قبل الإسلام وبعده، والدِّرهم المعروف بالطَّبري يعادل ثمانية دوانيق، والدِّرهم المعروف بالبغلي يُعادل: أربعة دوانيق، وقيل العكس، ووزن الدَّانق يعادل: ثمان حبات وخمس حبة من حبات الشَّعير المتوسطة بلا تقشير(المقريزي، النُّقود الإسلامية، ص٤-٦). وفي عهد المنصورَ كانت الأربعة دوانيق تُعادل ثلثي الدِّرهم (انظر: القيسي، النُّقود في العراق، ص١٣١).
(٢) الأنبار المنطقة العراقية المعروفة، تقع غرب العراق، وكانت عاصمة العباسيين قُبيل الانتقال إلى بغداد.
(٣) ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص٥٤- ٥٥ .
(٤) المصدر نفسه.

من طرائفه، حصل أن أمرَ المنصور أصحابه بلبس السَّواد، وهو لون راية العباَسيين وشعارهم[١]، مع اعتمار قلانس طوال على الرُّؤوس، ودراريع كُتب عليها: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٢] وأن يعلقوا السُّيوف في أوساطهم على المناطق. فلما دخل أبو دلامة بهذا الزَّي، قال المنصور: «كيف أصبحت يا أبا دلامة؟ فقال: بشر حال يا أمير المؤمنين، قال كيف ذلك ويلك؟ قال: وما ظننت يا أمير المؤمنين، بمَنَ أصبح وجهه في وسطه، وسيفه على أسته، ونبذ كتاب الله وراء ظهره، وصبغ بالسَّواد ثيابه! فضحك المنصور، ووصله، وأمر بتغيير ذلك الزِّي، وفي ذلك قال أبو دلامة»[٣]:

وكنَّا نرتجي مِن إمـــــام زيادةً
فـــجَـــادَ بطولٍ زادهُ في القـــلانسِ

تراها على هام الرِّجـــال كـــأنهـــا
دنانُ يهـــــودٍ جُللت بالبـــــرانس

يُنقل أنه كان يستخدم هجاء نفسه لإضحاك الخليفة، فقيل: إن أبا دلامة قد دخل على المهدي وعنده كبار القوم من بني هاشم، فقال له المهدي: اهج أيَّنا شئت. فنظر وسيجد نفسه ضحية الهجاَء، فهم بين خليفة وكبار أمراء أشداء، فلم يجد مخرجاً سوى أنه هجا نفسه، وهو الحل الأسلم، قال[٤]:

ألا أبلغ لديك أبا دلامـــــــة
فلست مِن الكرام ولا كـــــرامـــــة

جمعتَ دمامةً وجمعتَ لؤماً
كـــذاك اللُّؤم تتبـــعـــه الدَّمـــامـــة

---

(١) سبقت الإشارة إلى سبب اتخاذ العباسيين من اللون الأسود راية لدولتهم (انظر: العسكري، الأوائل، ص٢٥٩، الطبري، تاريخ الأمم والملوك ٧ ص٤٧٤- ٤٧٥).
(٢) سورة البقرة، الآية (١٣٧).
(٣) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٠ ص١٨٩ . الحموي، معجم الأدباء ٣ ص١٣٢٧- ١٣٢٨ .
(٤) ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص٥٦ .

كان يعاقر الشَّراب، وسُجن مرةً عليه، لكنَّ أي سجن؟ في قفص الدَّجاج، فكتب إلى الخليفة شاكياً[١]:

أمن صهباء صافيةً المزاجِ
كأن شعاعها لهب السَّراج

تهشُ لها القلوب وتشتهيها
إذا برزت ترقرق في الزُّجاجِ

أُقاد إلى السُّجون بغير ذنب
كأني بعضُ عمال الخراجِ

فلو معهم حُبستُ لكان ذاكم
ولكنَّي حُبستُ مع الدَّجاجِ

على أني ولو لاقيتُ شراً
لخيرك بعد ذاك الشَّرِّ راجي

ولم يتأخر أبو دلامة من هجاء ابنته وزوجته ونفسه، مع الإشارة إلى أن لقمان كان أسود إلا أنه غير أبي دُلامة، فقال[٢]:

فما ولدتكِ مريمُ أُمُّ عيسى
ولا ربَّاكِ لُقمان الحكيم

ولأبي دلامة شعر في بغلته، والتي صيرت مثلاً، فـ«المثل في البغال بغلة أبي دلامة»[٣]. والجاحظ وإن ذكر له شعراً في كتبه، لكنَّه لم يأت بذكر له بين السُّود، مما يؤكد لنا أنه اعتمد على الأسماء التي وردت في القصائد التي ردَّ بها أصحابها

(١) البغدادي، تاريخ بغداد ٨ ص٤٩٠ .
(٢) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٠ ص١٩١ .
(٣) الجاحظ، الرسائل (كتاب البغال) ٢ ص٣٣٢ .

على مَن تعرضوا لأصحاب البشرة السَّوداء. قال أبو دلامة في بغلته قصيدةً زادت على أربعين بيتاً، ومنها[١]:

أبَعد الخيلِ أركبها ورادا
وشقراً في الرَّعيلِ إلى القتالِ
رُزقتُ بُغيلةً فيها وكالٌ
وخير خصالها فرط الوكالِ
رأيت عيوبها كثرت وعالت
ولو أفنيتُ مجتهداً مقالي
تقومُ فما تريم إذا استحثت
وتَرمح باليمين وبالشِّمالِ
فأبدلني يارب بغلاً
يرين جمالُ مركبه جمالي
كريماً حين يُنسبُ والده
إلى كرم المناسب في البغال

مثلما تقدم كان يكثر من هجاء نفسه وأسرته، وهذا، مثلما يُقال، باب رزقه وكسبه، ومع حيلته في الهَجاء وقوته في الشِّعر إلى أنه لم يرد على مَن كان يهجوه، فقال فيه شاعر من بني أسد، مع أن البيت الأول ورد مثلما تقدم لأبي دلامة نفسه[٢]:

ألا أبلغ لديك أبا دلامة
فلستَ من الكرام ولا كرامة
إذا لبسَ العِمامة كان قرداً
وخنزيراً إذا وضع العِمامة

(١) الجاحظ، الرسائل (كتاب البغال) ٢ ص٣٣٢- ٣٣٧.
(٢) البغدادي، تاريخ بغداد ٨ ص٤٨٩.

وإذا أجاد أبو دلامة الظرافة أو أشعار الأضاحيك، فنجده مجيداً في المديح مع تكسبه المفضوح، فقال يمدح أبا جعفر المنصور[١]:

لو كان يقعدُ فوقَ الشَّمس من كرمٍ
قومٌ لقيلَ اقعدوا يا آل عباسِ
ثم ارتقوا في شُعاع الشَّمس كلّكم
إلى السَّماءِ فأنتم أطهر النَّاسِ

قبل ختام الحديث عن سيرة أبي دلامة، هناك مَن يُشير إلى تأثره في فن الإضحاك، إذا صحت العبارة، بالشاعر الحكم بن عبدل الأسدي، فهما كوفيان وينتميان لقبيلة بني أسد، لكنَّ ابن عبدل كان أسدياً صُلبية، لا بالولاء كأبي دلامة.

يقول الباحث المصري يوسف خليف (ت ١٩٩٥) في هذه المعايشة: «كانت الطَّبيعة قد أعهدت ابن عبدل ليكون شخصاً صالحاً لإضحاك النَّاس، لإنها أعدت أبا دلامة أيضاً للمهمة نفسها، وإذا كانت عقدة العاهة هي التي جعلت من ابن عبدل صاحب فكاهة ونادرة، لأن عقدة اللَّون هي التي جعلت من أبي دَلامة صاحب فكاهة ونادرة أيضاً، فقد كان أسود دميماً، وكان يتخذ هذَا السَّواد مادة لفكاهته، كما كان ابن عبدل يتخذ من عاهته[٢] مادة لفكاهته أيضاً، وكلا الشَّاعرين كان يتخذ من إظهار الفقر والتَّصعلك وسيلة للمدح واستخراج العطاء من أيدي ممدوحيه بمقدَار ما يستخرج من الضِّحك لفكاهته في شعره»[٣].

فلا يستبعد هذا التَّأثر، بحكم المكان والزَّمان أيضاً فربَّما أدرك أبو دلامة ابن عبدل أو أدرك مَن عاصره وسمع شعره من الرُّواة، وليس بالضَّرورة أن يكونا قد التقيا، ذلك إذا علمنا أن ابن عبدل قد توفيَ نحو ١٠٠هـ[٤].

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٠ ص١٩١.
(٢) كان أعرج لا تفارقه عصاه وأحدب وأقعد في أواخر أيامه(انظر: الزِّركلي، الأعلام قاموس تراجم ٢ ص٢٩٦).
(٣) خليف، حياة الشِّعر في الكوفة، ص٤٧٦.
(٤) الزِّركلي، الأعلام قاموس تراجم ٢ ص٢٩٦.

ويُقدم لنَّا الباحث والأكاديمي خليف مقابلة بين الشَّاعرين[١]، ليثبت من خلالها تأثر أبي دُلامة بابن عبدل، ويقول عن أبي دُلامة سلك «السَّبيل نفسها التَي سلكها أستاذه ابن عبدل»[٢].

لم يتعرض أحد لأبي دلامة بسبب لونه، وهو لم يعط مجالاً لأحد، فأخذ يكثر من هجاء نفسه وأسرته، مثلما تقدم. مات أبو دلامة بعد أن عايش ثلاثة خلفاء، حَتى توفي في خلافة المهدي بن المنصور، السَّنَّة (١٦١هـ)[٣]، عاش حياته متنقلاً حيث ينتقل مركز الخلافة العباسية، من الكوفة إلى الأنبار[٤] ثم بغداد.

أبو نُخَيلة السَّعدي:

ولدته أُمُّه تحت نَخلة فكُني بأبي نُخَيلة، فصارت اسمه وكنيته[٥] نجد رواية نسبه إلى السُّود عند أبي عبيد البكري الأوني الوزير (ت ٤٨٧هـ): قال: «كان أسود اللَّون»[٦]، وقيل بل إن أبا نُخَيلة هذا اسمه لا كنيته، ويُكنى أبا الجُنيد، وأبا العرماس وهو ابن حزن بن زائدة بن لقيط بن هَرم بن يثربي[٧]. ولغموض الرَّوايات في نسبه واسمه عُدَّ مع «المشتبه في الرِّجَال»، فقيل عنه: «وأبو نُخيلة شاعرٌ»[٨]، ويضاف لاسمه «السَّعدي»[٩].

(١) انظر: خليف، حياة الشِّعر في الكوفة، ص٤٧٢- ٤٧٩.
(٢) المصدر نفسه، ص٤٧٨.
(٣) الحموي، معجم الأدباء ٣ ص١٣٢٧.
(٤) ليس المحافظة المعروفة اليوم بغربي العراق، إنما الأنبار المقصودة عاصمة للعباسيين قبل بغداد كانت تقع أعلى الفلوجة وبقاياها أطلال، أنشأها سابور الأول، الذي حكم من العام ٢٤١ إلى ٢٧٢ ميلادية، وسماها بزرج سابور (بشير فرنسيس وكوركيس عواد، أصوَل أسماء الأمكنة العراقية، مجلة سومر، المجلد الثامن/ الجزء الأول ١٩٥٢ ص: ٢٥٢). كذلك انظر: التنوخي، الفرج بعد الشدة ٤ ص١٩٠ الحاشية.
(٥) الأوني، سمط الآلئ في شرح أمالي القالي ١ ص١٣٥.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٠ ص٢٥١.
(٨) الذَّهبي، المشتبه في الرِّجال أسمائهم وأنسابهم، ص٦٣٥.
(٩) اليزيدي، كتاب الأمالي، ص١٢٨.

مدح الأمويين ثم العباسيين، وكان أول اتصاله بالأمير «مسلمة بن عبد الملك فاصطنعه وأحسن إليه، وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد، واستماحهم له فأغنوه، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم، انقطع إلى بني هاشم، ولقب نفسه شاعر بني هاشم، فمدح الخلفاء من بني العباس، وهجا بني أُميَّة فأكثر»[١].

مدح مسلمة بن عبد الملك (ت ١٢١هـ) قائلاً[٢]:

أمسلم إنَّي يا ابن كلِّ خليفة
ويا فارس الَّهيجاء ويا جبلَ الأرضِ

شكرتُك إن الشُّكر حبلٌ من التُّقى
ومَا كلُّ مَن أوليته نعمةً يقضي

فأحييتُ من ذكرى وما كان خاملاً
ولكنَّ بعضَ الذِّكرِ أنبهُ من بعضِ[٣]

فلما دارت الدَّوائر على بني أُمَّية، وصار الأمر لبني العباس «دخل أبو نُخَيلة على أبي العباس السَّفاح، فاستأذنه في الإنشاد، فقال: لعنك الله: ألستَ القائل لمسلمة ابن عبد الملك»[٤]، وذَكَّره بالبيت الأول من الأبيات المذكورات سلفاً، أو قال له: «لا حاجة لنا في شعرك، إنما تُنشدنا فضلاتَ بني مروان»[٥]. فأجابه أبو نُخَيلة[٦]:

لما رأينا استمسكت يداكا
كنَّا أُناساً نرهبُ الأملاكا

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٠ ص٢٥١ .
(٢) المصدر نفسه. المسعودي، مروج الذَّهب ٤ ص١٠٨ .
(٣) أستشهد الجاحظ بهذا البيت وهو يتحدث في موضوع الخمول (كتاب الحيَّوان ٢ ص١٠٠).
(٤) القيرواني، زَهر الآداب وثمر الألباب ٢ ص٩٩٦ .
(٥) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٠ ص٢٥٧ .
(٦) الأصفهاني، المسعودي، مروج الذَّهب ٤ ص١٠٨ . القيرواني، زَهر الآداب وثمر الألباب ٢ ص٩٩٦ .

ونركبُ الأعـــجـــاز والأوراكـــا
من كلِّ شيء مـــا خـــلا الأشـــراكـــا
فكلُّ مـــا قـــد قلتُ في سِـــواكـــاً
زورٌ وقـــد كـــفَّـــرَ هذا وذاكـــا
إنا انتظرنا قـــبلـهـــا أباكـــا[1]
ثم انتظرنا بعـــدها أخـــاكـــا[2]
ثم انتظرناك لـهـــا إياكـــا
فكنتَ أنت للرَّجـــاء ذاكـــا

ذُكر من هجائه لشبيب بن شيبة الشَّاعر والأخباري (ت نحو ٢٠٠هـ)[3]، لما أعجبته حِلته فسأله إياها فوعده ولم يف بوعده، فقال فيِّه راجزاً[4]:

يا قـــومُ لا تســـودوا شـــبـــيـــبـــاً
الخـــبـــائـــن ابـن الخـــبـــائـن الـكـذوبـا
هـل تـلـد الـذِّئـبـــــةُ إلا الـذِّيـبـــا

بينما كان يقول فيه مادحاً[5]:

إذا غـدت سـعـدُ على شـبـيـبـهـا
على فـتـاها وعلى خطيـبـهـا
مِن مَطلع الشَّمسِ إلى مـغَـيـبـهـا
عـجـبتُ من كـثـرتهـا وطيـبـهـا

بيد أن ياقوت الحَموي (ت ٦٢٦هـ) ذَكرها لشبيب أنه قالها في أبي نُخَيلة[6]،

(١) انظر: مختصر سيرته عند الحموي، معجم الأدباء ٣ ص١٤١١- ١٤١٢ .
(٢) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٠ ص٢٥١ . الحموي، المصدر نفسه.
(٣) الجاحظ، كتاب الحيوان ٥ ص٥٩٢ . الأصفهاني، الأغاني ٢٠ ص٢٥٢ .
(٤) معجم الأدباء ٣ ص١٤١٢ .
(٥) يقصد والده محمد بن علي بن عبدالله بن عباس.
(٦) يقصد أخاه إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس المعروف بالإمام (ت ١٣١هـ).

وليس العكس. ونجد محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) ينشد له من جيد شعره في القصيد لا الرَّجز[١]:

وقـــــد علـتـني ذرأةٌ بـادي بـدى
ورثيـــــة تـنـهـض فـي تـشـــــددي
مِن بعـــد تمشـــاي وتطواحي يدي
ومـــشـــيـــتي تحت الغُـــداف الأســـود

اشتهر أبو نُخيلة بالرَّجز، «بل كان الغالب عليه الرَّجز، ومع ذلك لا يقصَّر في القصيد»[٢]. قيل «ومما سار رجزه واشتهرت كلمته في أبي العباس (السَّفاح) يهنئه بالخلافة[٣]:

الآن مـس المـنـبـــــــر الـقـــــــرارا
وطـابـت الـدُّنـيـــــــا وصـــــــارت دارا
إذ نـزل الخـلـيـــــــفـــــــة الأنـبـــــــارا

كان شاعراً «مطبوعاً مقتدراً كثير البدائع والمعاني غزيراً جداً»[٤]. إلا أنه وجهَ موهبته، أو اقتصرها على مدح الخلفاء والوزراء فقط[٥]، وهذا ما أدنى منه المنية، وقتل بشعره. تقول الرّواية أنه بشعره غير مسار الدَّولة العباسية في ولاية العهد[٦]،

(١) اليزيدي، كتاب الأمالي، ص٨٠.
(٢) ابن المعتز، طبقات الشّعراء، ص٦٣.
(٣) المصدر نفسه، ص٦٤.
(٤) المصدر نفسه، ص٦٣.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) كان أكثر الخلفاء، من الأمويين والعباسيين، يرسمون مستقبل الخلافة بعد ولي العهد، لأسباب منها الحفاظ على الخلافة نفسها أو ضمان ولاية الأولاد أو الإخوان، وعلى وجه الخصوص بين أخوين، وبهذا جعل مروان بن الحكم (ت ٦٥هـ) ولاية العهد بعد ولي عهده لابنه الآخر عبدالعزيز، فكم يُذكر موقف أبي نخيلة بناصحي خلفاء آخرين دفعوا إلى تبدل ولاية العهد، مثلما حصل لولي عهد عبد الملك بن مروان (ت٨٦هـ)، الذي نُصح بخلع أخيه عبد العزيز بن مروان (ت ٨٥ هـ) عن ولاية لعهد وتولية ابنه الوليد (ت٩٦هـ) مكانه، عندما قيل له: «لو خلعته ما انتطح فيه عنزان» (الطّبري، تاريخ الأمم والملوك ٥ ص٤٧٦)، لكنَّ المراد خلعه قد توفي قبل الخليفة. أما ما حصل بين الأخوين الأمين (قُتل ١٩٨هـ) والمأمون (ت ٢١٨ هـ) فأشهر من أن يُذكّر به، أسفر الخلع عن حرب هزّت الخلافة وأحالت بغداد إلى خراب، وذلك عندما نُصحَ الأمين بخلع أخيه المأمون من ولاية العهد (انظر: المصدر نفسه ٧ ص٣٠٣ وما بعدها).

و«كان طامعاً، فحمله طمعه على أن قال للمنصور أرجوزةً، يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى، وبعقد العهد لابنه محمد المهدي، فوصله أبو جعفر بألفي درهم، وأمره أن يُنشدها بحضرة عيسى ففعل، بعدها طلبه عيسى فهرب منه، وبعث في طلبه مولاً له، فأدركه في طريق خراسان، فذبحه وسلخ وجهه»[١]. كان ذلك بحدود (١٤٥هـ)[٢].

نُصَيب الأصغر:

كان اسمه نُصيب ويُكنى بأبي الحجناء، وقد مر بنا بأنها كانت كُنية نُصيب الأكبر. عُرف بالأصغر تمييزاً عن نُصيب الشَّاعر الأموي، وكان من موالي المهدي ابن المنصور (ت ١٦٩هـ)[٣]. يُذكر أن الرَّشيد (ت ١٩٣هـ) «وَلاه بعض كُور الشَّام، وكان أسودَ... فأفاد من ذلك مالاً جزيلاً، وكان الرَّشيد يُقدمه على أكثر شعرائه، وكذلك الفضل بن يَحيى (البرمكي)، وكانت له صلات بالبرامكة لا تنقطع البتةَ»[٤]. إن رواية ولايته لكور من كور الشَّام، إذا صَحت، تُعد إشارة مهمة تضاف إلى ما يؤكد بأن اللَّون، فيَ الحضارة الإسلامية، لم يكن عائقاً أو مانعاً يحول دون المنصب الرَّسمي، مهما كان رفيعاً.

نفهم مما يأتي كأن نُصيب الأصغر كان الأسود الوحيد مجيداً للشعر في زمانه، فعندما سُئل الإخباري عبد الملك الأصمعي (ت ٢١٣هـ) عنه: «ماذا تقول في شعر الأسود»[٥]. فأجاب قائلاً: «هو في عصرنا هذا أشعر من عبد بني الحسحاس في عصره. قلتُ: فأين شعره من شعر نُصيب (الأكبر)؟ قَال: هما في قرن واحد، لأن نمطهما نمط واحد، ولكنَ ذلك متقدم الزَّمان، وهذا محدث»[٦].

---

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٠ ص٢٥١. البغدادي، خزانة الأدب ١ ص١٦٥.
(٢) الزِّركلي، الأعلام معجم تراجم ٨ ص٣٣١.
(٣) ابن قُتيبة، الشّعر والشُّعراء، ص٣٧١ (هامش المحقق).
(٤) ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص١٥٥.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.

يوماً كان يُنشد المهدي فقطعَ عليه الانشاد قائلاً: «مَن أعتقك يا ابن السَّوداء؛ فأومأ بيده إلى الهادي، وقال: الأمير موسى يا أمير المؤمنين، فقال المهديُّ لموسى: أعتقته يا بُني؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فأمضى المهديُّ ذلك وأمرَّ بحديده ففك عنه، وخلع عليه عدة من الخلع الوشي والخزِّ والسَّواد والبياض. . . »[١]. لعَّل هذه الرّواية أفصحتَ عن التقليد الذي يُعتق أو يُحرر بها العبيد آنذاك، من النَّاحية الرَّمزيَّة أن يفك العاتق الحديد من على المعتوق، فيكون بعدها حراً، أو أنها جاءت خاصة في هذا الموقف، لكن الرَّمزية ظاهرة فيها.

كذلك قيل إنه اختص «ببني برمك، كانوا يتبجحَّون به ويقدمونه، واشترى له الفضل داراً تقارب داره بألف دينار، واشترى له ضيعة تَغلُّ غلةً كثيرة، وكانوا يجرون عليه ويعاشرونه، وكذا كانت عادة آل برمك فيمن يتصل بهم»[٢].

كان نُصيب «مولى المهدي، أصله عبد من بادية اليمامة، عُرض على المهدي وهو إذ ذاك ولي عهد، فاستنشده فأنشده فقال: والله ما هو بدون نُصيب (الأكبر) مولى بني مروان، فاشتراه، فاعتقه، وزوجَّه أمَّةً له يُقال لها: جعفرة، وكناه أبا الحجناء، وأقطعه ضيعةً بالسَّواد، وعُمِّر بعده»[٣].

قيل «وجَّه المهديُّ نُصيباً الشَّاعر مولاه إلى اليمن في شراء إبل مهرَّبة، ووجَّه معه رجلاً من الشِّيعة، وكتب معه إلى عامله على اليمن بعشرين ألف دينار. قال: فمدَّ أبو الحَجناء يده في الدَّنانير يُنفقها في الأكل والشُّرب وشراء الجواري والتَّزويج، فكتب الشِّيعي بخبره إلى المهدي، فكتب المهديُّ في حَملِه مُوثقاً في الحديد، فلما أُدخل على المهدي أنشده شعره»[٤]:

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٣ ص١٨ - ١٩ .
(٢) ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص١٥٧ .
(٣) المصدر نفسه ١٣ ص١٧ . الحموي، معجم الأدباء ٦ ص٢٧٥٥ .
(٤) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٣ ص١٧ . الحموي، المصدر نفسه ٦ ص٢٧٥٦ .

تـأوبـني ثِـقـلٌ مِـن الـهـمِّ مـــــوجعُ
فـــأرَّقَ عـــيني والخَـليُّـــونَ هُـجعُ

هـمـــومٌ تَوالت لو أطافَ يَسـيـــرها
بسلمى لظلَّت شُـــمُّـــهـــا تتـــصـــدعُ

ولكنَّهـــا نيطتْ فَناءَ بحـــملهـــا
جـهـيـرُ المنايا حـائنُ النَّفس مـجـزعُ

وعـــادت بلادُ الله ظلمـــاءَ حندســاً
فـــخَلتُ دُجى ظلمـــائهـــا لا تُقـــشَّعُ

وقال يمدحُ هارون الرَّشيد[1]:

خليـليَّ إنِّي مـــا يزال يشـــوقني
قطين الحِـــمَى والضَّـــاعنُ المتـــحـــملِ

فـــأقـــسـمتُ لا أنسى ليـــالىَ مَنعجٍ
ولا مـــــأسَلٍ إذ منزلُ الحيَّ مـــــأسلُ

أمن أجـلِ آيـاتٍ ورسـمٍ كـــــــأنه
بقـــيـــــةَ وحيٍ أو رداءٌ مـــــسلسلُ

وفيها يُذكر لونه وزنجيته[2]:

فـيـا أيهـا الزِّنجي مـا لكَ والصِّـبـا
أفق عن طِلاب البـيض إن كنتَ تعـقلُ

فـمـثلك مِن أحـبـوشـة الزِّنجِ قُطِّعَت
وسـائلُ أسـبـابٍ بهـا يتـوسلُ

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ص٢٣ص١٦ . الحموي، معجم الأدباء ٦ ص٢٧٥٥ .
(٢) المصدر نفسه. ٢٣ ص١٦ .

قـــصـــدنا أمـــيـــر المؤمنين ودونه
مـهـامـه مَـومـاةٍ من الأرضِ مَـجـهلُ

وله أيضاً في ذكر لونه، وما يعانيه في علاقة عاطفية، أو ما كان يشعر به إزاء مَن كان يحبُ مِنَ البَيض[١]:

وتقـولُ مـيـةُ مـا لمثلُكَ والصِّـبـا
واللَّون أسـودُ حـالـكٌ غـربيبُ

شـابَ الغُـرابُ ومـا أراك تشـيبُ
وطُلابكَ البـيض الحِـسـان عَـجـيبُ

وتجد من النَّوادر أن شاعراً يمدح زوجة خليفة، فإذا ابنته مدحت العباسة بنت المهدي مثلما تقدم الخبر، فهو ترجل عن فرسه لموكب زوجة الرَّشيد وابنة عمه زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور (ت ٢١٦هـ)، وكانت تحج البيت، فأمرت له بعشرة آلاف درهم وفرس[٢]:

سـيـسـتـبـشـر البـيتُ الحـرامُ وزمـزمُ
بأُمِّ ولـيَّ العـهـد[٣] زين المواسمِ

ويَعلمُ مَن وافى المُحـصَّبُ أنهـا
سـتـحـمل ثقل الغُـرم عن كلِّ غـارمِ

بنـو هاشـمٍ زينُ البـريـة كلِّهـا
وأُمُّ وليِّ العـهـد زينٌ لهـاشمِ

(١) الحموي، معجم الأدباء ٦ ص٢٧٥٦ . الغربيب وجمعها غرابيب ورد في الآية: «وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ» (فاطر: ٢٧)، معطوفة على جُدَد، بمَعنىَ الصُّخُور الشديدة السَّوَاد، وإذا قيل أسوَد غربيب يعني كثير السَّواد، وغربيب أسوَد لقليله (المحلي والسُّيوطي، تفسير الجلالين، ص٥٢٩).
(٢) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٣ ص٢٦ -٢٧ .
(٣) يقصد ولدها محمد الأمين ولي عهد أبيه والخليفة من بعده (قتل ١٩٨هـ) ببغداد.

أما قصيدته في الوزير الفضل بن يحيى البرمكي (ت ١٩٣هـ) فيقول عبدالله بن المعتز (قُتل ٢٩٦هـ) عنها: «ما يُختار له كلمته التي طارت له في الآفاق، وقد صارت أبيات من هذه القصيدة فاكهة أهل الأدب، ونقل الملوك في مجالسهم، لجودة الألفاظ وَالمعاني»[١]، ومنها[٢]:

عند الملوك مَضرَّةٌ ومنافعٌ
وأرى البرامكَ لا تضرُّ وتنفعُ

إن كان شرٌّ كان غيرُهم له
أو كان خيرٌ فهو فيهم أجمعُ[٣]

إن العروق إذا استسرَّ بها الثَّرى
أشر النَّباتُ بها وطاب المزْرعُ

وإذا جهلتَ من امرئ أعراقه
وقديمه فانظر إلى ما يصنعُ

فقيل «كان الفضل بن يحيى يقول للشُّعراء: إذا قلتم قولوا مثل هذه الأبيات، وإذا مدحتم فامدحوا بمثل هذا الشِّعر»[٤].

كذلك كان من جميل قول نُصيب الأصغر معاتباً[٥]:

أراني إذا استمطرتُ منك سحابةً
لترويني كان عَجاجاً وسافيا

إذا قلتُ ظلتني سماؤكَ يا منت
شآبيبها أو ياسرت عن شِماليا

(١) ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص١٥٦ .
(٢) المصدر نفسه، ص١٥٦ . الزمخشري، ربيع الأبرار ٤ ص٢٨٨ .
(٣) البيت زيادة عند الأصفهاني، كتاب الأغاني ٥ ص٢٥٧ .
(٤) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص١٥٦ .
(٥) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص١٥٦ .

فـــــلا ترجْ مني أتال مـــــودتي
إذا كنتَ عني بالكرامـــةِ جـــافـــيـــا

لقـد كنتُ أسـعى في هواك وابتـغي
رضـاكَ وأرجـو منكَ مـا لستُ لاقـيـا

إلى قوله وهو البيت الأكثر جزالة:

وأدلوتُ دلوي في دلاءٍ كـثـيـرة
فـأُبْنَ مـلاء غـيـر دلوي كـمـا هيـا

غنى له يحيى المكي (ت ٢٢٠هـ) الأبيات الآتيَّة[١]:

البينُ يا ليلى جـمـالُك تُرحَلُ
ليـقطعُ منَّا البين مـا كـان يوصلُ

تُعللُّنا بالوعـد ثُمَّت تلتـوي
بموعـودها حـتى يموتُ المعلَّلُ

ألم ترّ أنَّ الحَـبلَ أصـبحَ واهناً
وأخلـفُ من ليـلى الذي كنتُ آملُ

فـلا الحـبلُ من ليلى يواتيك وصلَهُ
ولا أنت تنهي القلب عنهـا فـيـذهلُ

تمكن نُصيب الأصغر وأجاد أغراض الشِّعر كافة: الغزل والمدح والهجاء والوصف «ولا يُقصر في شيء من ذلك»[٢]. قال وهو يرى كثرة الشُّعراء على باب الفضل بن يحيى البرمكي، مَا لم يقله غيره ملحةً[٣]:

مـا لقـينا من جـود فـضل بن يحـيى
تـرَكَ النَّاسَ كلَّهم شُـعـراءُ

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٣ ص١٦ .
(٢) ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص١٥٧ .
(٣) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٣ ص٣١ .

كذلك كانت ابنته الحجناء شاعرة مثلما تقدمت ترجمتها، وله شعر فيها. هذا، ويبقى السُّؤال: هل مصادفة أن تكون كُنية نُصيب الأكبر أبا محجن وأحياناً يقولون ابن الحجناء، هي كنية نُصيب الأصغر نفسها، وهي اسم ابنته، أم أن ما كناه به المهدي، مثلما سبقت الإشارة، كي يحل محل الأكبر الأموي، فتختلط على المتأخرين أخبار الأولين بتشابه الاسم والكُنية. هذا، ومعنى الحجن معروف، ليس له علاقة بالسَّواد، كي نقول وردت التَّسمية بسببه، إنما معناه: الاعوجاج، والجذب أيضاً، و غزوة حَجُون ، أي البعيدة، وعقبة حجون أي الطَّويلة[١].

عاش أبو الحجناء نُصيب بالأصغر عهود ثلاثة خلفاء: المهدي والهادي والرَّشيد، وتوفي في عهد الأخير، نحو السَّنة (١٧٥هـ)[٢].

أبو عطاء السِّندي:

قيل اسم أبي عطاء السِّندي مرزوق، مولى لأسد بن خُزيمة[٣]، وقيل أفلح مولى شخص يُدعى عنبر بن سماك بن حُصين الأسدي[٤]، واسم والده يسار[٥]. يُعد من شعراء العهد الأموي، وكان من محبيهم ومُدَّاحيهم «وأدرك بني العباس، فلم تكن له فيها نَباهةٌ فهجاهم . . . قُتل غلامه عداء مع ابن هبيرة، وانهزم هو، بل قيل كان أبو عطاء المقتول معه لا غلامه»[٦].

بل قال الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)أكثر من هذا في أمويَّة أبي عطاء السِّندي: «كان أبو العطاء يُقاتل المسودة[٧]، وقدامه رَجلٌ من بني مرة يُكنى أبا يزيد، وقد

(١) انظر: الجوهري، الصَّحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٥ ص٢٠٩٧ .
(٢) الزِّركلي، الأعلام معجم في التراجم ٨ ص٣٥٦ .
(٣) ابن قتيبة، الشِّعر والشُّعراء، ص٧٤٢ .
(٤) المرزباني، معجم الشُّعراء، ص٤٥٦ .
(٥) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٧ ص٢٣٤ . الأوني، سمط الآلئ في شرح أمالي القالي ١ ص٦٠٢- ٦٠٣ .
(٦) الأصفهاني، المصدر نفسه ١٧ ص٢٣٦ .
(٧) الجيش القادم من خراسان، والذي أقام الدولة العباسية (انظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك ٦ ص٣٣٨ و٣٥٧) والسواد راية العباسيين ولباسهم الرَّسمي، وقد سبق توضيحه.

عُـقـر فـرسـه، فـقـال لأبـي عـطـاء: أعـطـنـي فـرسَك حـتـى أُقـاتـل عـنـي وعنك، وقد كانا أيقنا بالهلاك، فأعطاه أبو عطاء فرسه، فركبه المرِّيُّ، ثم مضى وترك أبا عطاء، فقال أبو عطاء في ذلك: لعمركَ إنني وأبا يزيد/ لكالسَّاعي إلى وضح السَّراب»[١].

قال المرزباني (ت ٣٨٤هـ) في انتماء أبي عطاء لأصحاب البشرة السُّوداء: «كان أسود دميماً قصيراً، وهو كوفي محسن، أدرك الدَّولة العباسية»[٢]. كذلك قال الأوني (ت ٤٨٧هـ): «كان يسار (والده) سنديّاً أعجمياً لا يُفصح، وأبو عطاء أنبه أسود منشؤه الكوفة»[٣]. بعد عتقه كثر مالَ أبي عطاء السِّندي فطمع به موالوه، و«ادّعوا رقَّه»[٤]، أي عبوديته. فمدح الحر بن عبد الله القُرشي فأعطاه أربعة آلاف فأداها في مكاتبته وعتقه، قال[٥]:

أتيـــتُك لا مِن قُـــربة هي بيننا
ولا نعـمـة قـدَّمـتـهـا أسـتـثـيـبـهـا
ولكنْ مع الرَّاجين إن كُنت مـــروراً
إليـــه بُغـــاةُ الدّيْن تهـــفـــوا قلوبُهـــا
اغـــثني بِســـجْلٍ مِن نداك يَكفُّني
وقـاك الرَّدى مُـرْدُ الرِّجـال وشِـيـبُـهـا
تسـمَّى ابن عـبـد الله حـرّاً لوَصـفـه
وتلك العُـلا يُعنى بهـا مِم يُصـيـبـهـا

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٧ ص٣٣٦ .
(٢) معجم الشُّعراء، ص٤٥٦ .
(٣) الأوني، سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي ١ ص٦٠٢-٦٠٣ .
(٤) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٧ ص٢٣٤ .
(٥) المصدر نفسه.

اشتهر بلكنته الأعجمية، فكان لا يفصح الكلام، به لُثغة ولُكنة مفضوحتان[١]، مع ذلك وصف بأنه كان شاعراً فحلاً[٢]، وهو لم يمنع من تندر الآخرين عليه، فينقل عن حماد الرَّاوية (ت ١٥٥هـ)[٣]، أنه قال: «جاء أبو عطاء، فقال: مرهباً مرهباً، هياكم الله! قلنا ألا تتعشى؟ قال: قد تأشيت، فهل عندكم نبيذ؟ قُلنا نعم، فقال حماد: كيف بَصرك بالغُز يا أبا عطاء؟ قال: هسن. قال: فما صفراء تُكنى أُمَّ عوف/ كأنَّ رُجليتها منجلانً؟ قال: زَرادة قال: «أصبت»[٤]. ويعني جرادة. فقيل إنً لكنته كانت وراء تبنيهَ غلام فصيح اللِّسان هو عطاء «وتكنى به، وقال: قد جعلتك ابني، وسميتك بكنيتي، فكان يرويِّه شعره»[٥].

وقيل في رفقة الغلام عطاء له أنه أتى إلى سليمان بن سُلَيم، يشكو له من عجمة لسانه، وقد اجتمع عليه إزدراء النَّاس للونه وعجمته، فأمر له بغلام فصيح فسماه عطاء، فقال[٦]:

أعـــوزتني الرُّواة يا ابن سُليم
وأبى أن يُقيم شعري لساني

وغَلى بالذي أُجمجمُ صدري
وجَفاني لعُجمتي سُلطاني

وأزدرتني العيونُ إذ كان لوني
حالكاً مجتوى مِن الألوانِ

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٧ ص٢٣٤ .
(٢) الأوني، سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي ١ ص٦٠٢-٦٠٣ .
(٣) حماد لُقب بالرَّاوية لعلمه بأنساب العرب، وكان قد صحب الوليد بن يزيد(الزركلي، الأعلام ٢ ص٣٠١).
(٤) الجاحظ، كتاب الحيوان ٥ ص٥٨٨ . ابن قُتيبة، الشِّعر والشُّعراء، ص٧٤٣- ٧٤٤ .
(٥) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٧ ص٢٣٤ .
(٦) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٧ ص٢٣٥ .

فـــضـــربتُ الأُمـــور ظهـــراً لبطن
كـــيف أحـَـتـــالُ حـــيلةً للســـاني

قال «لما أمر أبو جعفر المنصور النَّاسَ بلبس السَّواد لبسَه أبو عطاء»، فقال[١]:

كُـسـيت ولم أكـفـر من الله نعـمـةً
ســـواداً إلى لوني ودنَّاً مُلهـــوجـــا
وبايعتُ كُـرهاً بيـعـةً بعـد بيـعـة
مُـبـهـرجـةٌ إن كـان أمـرٌ مُـبـهـرجـا

مدح أبو عطاء السِّندي بني أُميَّة وبني العباس أيضاً، فهو من مخضرمي الدَّولتين[٢]، لكنَّ هناك مَن يروي أنه هجا بني هاشم العباسيين، حتَى أنه قال لأبي جعفر المنصور (ت١٥٨هـ)، عندما دخل عليه «يسحب الوشي والخزَّ، فقال له المنصور: أنَّى لك هذا يا أبا عطاء؟ فقال: كنتُ ألبس هذا في الزَّمن الصَّالح، فلم تنكره في الزَّمن الطَّالح؟ ثم ولى ذاهباً، فاستخفى فما ظهر حتى مات المنصور»[٣].

كان ينزل عند أبرز ولاة بني أُميَّة نصر بن سيار[٤]، والي خراسان، ولما وفد عليه طلب منه الإنشاد، فتعذر له على أنه أشعر منه، قال: «ما عسى أقول وأنت أشعر العرب غير أني قُلت بيتين»، قالهما ووهبه مالاً كثيراً، «ووصائف ووصفاء» فلابد أن ذلك وغيره جعله في حنين للعهد الأموي، وجفاء للعهد العباسي، والبيتان هما[٥]:

يا طالب الجـــود إمـــا كنتَ تطلبـــه
فطلب على نأيه نصـــر بن ســـيـــارِ

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٧ ص٢٤٠ .
(٢) المصدر نفسه ١٧ ص٢٣٤ .
(٣) الأوني، سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي ١ ص٦٠٢-٦٠٣ .
(٤) نصر بن سيَّار بن رافع الكناني (ت ١٣١ هـ)، أمير خراسان لهشام بن عبد الملك، وكان من الفاتحين(الزِّركلي، الأعلام قاموس تراجم ٨ ص٣٤١).
(٥) الزمخشري، ربيع الأبرار ٤ ص٣٨٩ .

الواهب الخـيل تعـدو في أعنتـهـا
مع القـيـان وفـيـهـا ألف دينارِ

وقال أبو عطاء السِّندي في عهد بني هاشم (العباسيين) بما فيه حنيناً إلى العهد الأموي، بيته الشَّهير[١]، الذي صار على كلَّ لسان، بما يشبه المثل عندما يُراد التَّمييز بين دولة وأخرى أو نظام وآخر، قديماً وحديثاً:

يا ليتَ جَـور بني مـروان عـاد لنا
وأن عـدلَ بني العـبَّـاس في النَّار

وقال هاجياً العباسيين أيضاً[٢]:

بني هاشمٍ عـودوا إلى نخـلاتكم
فـقـد قـام سِعـرُ التَّـمـرِ صـاعـاً بدرهم

فـإن قلتُم رَهطَ النَّبي وقَـومـه
فـإن النَّصـارى رهطَ عـيـسى ابن مـريمِ

لكنَّ في أول حكم العباسيين قال مادحاً أبي العباس السَّفاح (ت ١٣٦هـ)، وبني هاشم على العموم، بينما هجا بني أُميَّة[٣]:

إنَّ الخّـيـارَ مِن البـريَّة هاشمٌ
وبـنو أُمـيَّـة أرذل الأشـرارِ

وبنو أُمـيَّـة عـودهم من خـروعٍ
ولَهـاشمٍ فَي المجـدِ عـودُ نُضـارِ

أمـا الدُّعـاة إلى الجنان فـهـاشمٌ
وَبـنو أُمـيَّـة مِن دعـاة النَّارِ

(١) ابن قتيبة، الشِّعر والشُّعراء، ص٧٤٦ . الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٧ ص٢٣٨
(٢) ابن قتيبة، المصدر نفسه.
(٣) ابن قتيبة، المصدر نفسه . الزمخشري، ربيع الأبرار ٤ ص١٢٣ .

وبهاشم زكت البلاد وأعشبت
وبنو أُميَّة كالسَّراب الجاري

وقال مادحاً الخليفة العباسي الثَّالث محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور[١]:

دعاكَ الشَّوقُ الأدبُ
ومات بقلبك الطَّربُ
ومثلكَ عن طلاب اللهـ
و إن فكرت مُنقلبُ
ألا تنهاكَ واضحةٌ
تلوحُ كأنها العُطبُ

فما هذا التَّحول، هل كان بسبب المال؟ فقيل لما جاء إلى أبي جعفر المنصور ولم يصله بشيء[٢]، انقلب المدح هجاءً! وهذه خصلة معروفة في أغلب الشُّعراء، وعلى وجه الخصوص المتكسبين منهم.

هذا، ولعلَّ أصدق ما في شعره ذلك الرِّثاء الذي رثى به الأمير يزيد بن عمر بن هُبيرة (قُتل ١٣٢هـ)، آخر ولاة الأمويين على العراق، ومَن قُتل معه، فما كان ينتظر خيراً بل شراً، فبيت من هذا القصيد يكفي قتَله[٣]:

ألا إنَّ عيناً لم تَجد يوم واسط
عليك يجاري دَمعها لجَمودُ
عشية قام النَّائحات وشُقت
جيوبٌ بأيدي مأتمٍ وخُدودُ
بأن تُمسي مهجور الفناء فربَّما
أقام به بعد الوفود وفودُ

(١) المرزباني، معجم الشُّعراء، ص٤٥٦ .
(٢) ابن قتيبة، الشِّعر والشُّعراء، ص٧٤٦ . انظر: الأصفهاني، الأغاني، ص٢٣٨ .
(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك ٦ ص٤٠١ . ابن قتيبة، المصدر نفسه.

فـإنكَ لم تبـعـد على مـتـعـهـد
بلى كلُّ منٍ تحت التُّـراب بعـيـدُ

كذلك قال أجمل العتب الممزوج بالمديح في يزيد بن أبي هبيرة أيضاً، لما كان يُشيد مدينته على شاطئ الفرات، فأعطى الصِّلات ولم يعط أبا عطاء السِّندي[1]:

قـصـائدُ حكتـهنَّ ليـومِ فـخـر
رجـعنَّ إليَّ صـفـراً خـاليـاتِ
رَجـعنَ ومـا أفـأن ليس شـيـئـاً
سـوى أني وعـدتُ التَّـرهاتِ
أقـام على الفـرات يزيد حـولاً
فـقـال النَّاس أيهـمـا الفـراتي
فـيـا عـجـبـاً لبـحـرٍ بات يُسـقي
جـمـيع الخلقِ لم يبلل لهـاتي

يظهر من ترجمته أنه نبغ في الشِّعر في أواخر الدَّولة الأمويَّة، فكان واضحاً من مدحه وصلته بآخر أمير أمويٍّ على العراق، وهو يزيد بن أبي هُبيرة، والأخير تولى إمارة العراق (١٢٨ -١٣٢هـ)، ثم ظهر شعره في سيرة أبي العباس السَّفاح (١٣٦هـ) وأبي جعفر المنصور (ت ١٥٩هـ)، وهناك مَن ذكرَ أنه مدح محمد المهدي (ت ١٦٩هـ)، لكن لم يظهر شيء له مع هارون الرَّشيد(ت ١٩٣هـ) مثلاً، فيصعب الموافقة بأن وفاته كانت بعد (١٨٠هـ)[2]، أو يكون ترك الشِّعر لشيخوخة أو موقف.

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٧ ص٢٣٩ .
(٢) الزِّركلي، الأعلام معجم في التراجم ١ ص٣٢٤ .

أما رواية قتله مع ابن أبي هُبيرة (١٣٢هـ)[١]، فهذا ما ينقضه شعره في العباسيين. غير أن المرجح كان موته «في آخر أيام المنصور»[٢]، أي بحدود (١٥٨هـ). تبقى أبياته في المهدي حسب روايَّة المرزباني (ت ٣٨٤هـ)، ولم نجدها عند غيره، وإذا كان من الصَّعب أن يبقى السِّندي حيَّاً حتى بعد المنصور فلربَّما، وهو مجرد ظن لا أكثَر، فيُحتمل أن الأبيات كانت في عمِّ المهدي أبي العباس السَّفاح، ففيها ما ينطبق على سلوكه، وغلبة زوجته عليه، فقيل لم يقترب لحرةٍ أو جارية سواها[٣].

عليُّ بن جَبَلة العكوك:

يُعرف عليُّ بن جَبلة بن مسلم بن عبد الرَّحمن بالعكوك[٤]، ويُكنى بأبي الحسن مولى ولد أعمى «وكان أسود أبرص»[٥]، و وصف بالفطنة والدِّقة وسهولة الكلام، وبالجملة «كان مدَّاحاً مجيداً ووصافاً محسناً»[٦]. قيل ولد ببغداد (١٦٠هـ)[٧]، وهناك مَن ذكره بالكوفي[٨].

ولأنه ضرير وأبرص وأسود أو مثلما ورد في الرُّواية «ما به من الوضح»[٩] قال أبو غانم حُمَيْد الطُّوسي[١٠] لابنه وقد أدخل العكوك عليه: «مَا أصنع به، جئتني يابني تقابلني بوجهه في أول يوم مِن هذا الشَّهر»[١١]. وهذا ما عوضه بموهبته،

(١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٧ ص٢٣٦ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) انظر: المسعودي، مروج الذَّهب ومعادن الجوهر ٤ ص١٠٥ .
(٤) معنى العكوك: «السَّمين القصير مع صلابة» (الجوهري، الصَّحاح ٤ ص١٦٠١).
(٥) ابن خلِّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان ٣ ص٣٥٠ .
(٦) البغدادي، تاريخ بغداد ١١ ص٣٥٩ .
(٧) الصَّفدي، نكت الهميان في نُكت العميان، ص٢٠٩ .
(٨) الدُّولابي، كتاب الكُنى والأسماء ١ ص١٤٧ .
(٩) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٩ ص٣١١ .
(١٠) حُمَيْد الطُّوسي (ت ٢١٠ هـ) من كبار القائد في عهد المأمون، وكان يُندب للمهمات (الزِّركلي، الأعلام ٢ص٣١٨).
(١١) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٩ ص٣١٣ .

فقد نسب الصَّفدي قولاً للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) فيه: «كان أحسن الله إنشاداً، ما رأيت مثله بدويّاً ولا حضريّاً»[١].

سمِّي علي بن جبلة أيضاً بالأنباوي نسبة إلى أصله «من أبناء الشِّيعة الخراسانيَّة من أهل بغداد وبها نشأ، وولده بالحربية من الجانب الغربي (الكرخ)، وكان ضَريراً»[٢]. بعد أن أتينا على رواية إنه ولد أعمى تأتي روايَّة أخرى، تشير إلى أن العمى أصابه بعد الولادة، يقول عنه ابن أخيه: «كان لجدي أولاد، وكان عليٌّ أصغرهم، وكان الشَّيخ يرقُّ عليه، فجُدرَ فذهبت إحدى عينيه في الجدري، ثم ينشأ فأُسلمَ في الكُتَّاب فحذق بعض ما يحذقه الصِّبيان، فحمل على دابة ونُثر عليه اللَّوز فوقعت على عينه الصَّحيحة لوزةٌ فذهبت»[٣].

له قصص مع شخصيات مرموقة في زمانه، مثل أبي دُلف العجلي (ت٢٢٥هـ)[٤] وأبو غانم حُمَيْد الطُّوسي المذكور سلفاً، وربَّما الأخيران اشتهرا به، مثلما أشتهر العديد من أهل السِّياسة والثَّراء بصلات الشُّعراء بهم. مدح العكوك أبا دَلف قائلاً[٥]:

إنِّما الدُّنيا أبو دُلف
ولَّت الدُّنيا على أثره

فلما قال له الطُّوسي: «ماذا أبقيت لنا»؟ فقال:

إنَّما الدُّنيا حُميد/ وأياديه السَّلام
فإذا ولَّى حُميد/ فعلى الدُّنيا السَّلام[٦]

(١) الصَّفدي، نكت الهميان في نُكت العميان، ص٢٠٩ .
(٢) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٩ ص٢٨٧ .
(٣) المصدر نفسه ١٩ ص٢٨٨ .
(٤) القاسم بن عيسى أبو دلف العجلي، قائد عباسي في أيام المأمون والمعتصم (ابن الجوزي، المنتظم ١١ ص١٠٢).
(٥) ابن خلّكان، وفيات الأعيان ٣ ص٣٥١ .
(٦) المصدَر نفسه ٣ ص٣٠٢ .

يُذكر أيضاً أن مدحه المذكور لأبي دُلف قد نغص عليه مع الخليفة عبد الله المأمون (ت ٢١٨هـ)، وهي قصيدة طويلة[١]، قال فيها ابن المعتز: «وقد سارت هذه في أبي دُلف مسير الشَّمس والرِّيح، وأخذ منه مالاً جليلاً»[٢]، ومنها:

كلُّ مَن في الأرضِ مِن عَرَبِ
بين باديه إلى حضره
مستعيرٌ منك مَكرمةً
يكتسيها يوم مفتخره

فقيل إن المأمون قد توعده لهذين البيتين، و«استشاط من ذلك وغضب، وقال: ويلي على ابن الفاعلة، يزعم أنَّا لا نعرف مكرمةً إلا مستَعارة من أبي دُلف! وطلبه فهرب إلى الجزيرة، فكتب في طلبه: خذْه، فحُمل إليه، فلماَ صار بين يديه قال: يا ابن الخناء، أنت القائل للقاسم بن عيسَى...»[٣]. وذَكَّره بما قال.

فقال العكوك: «يا أمير المؤمنين، عَنيت أشكال قاسم وأشباهه من النَّاس، فأما أنتم فقد أتاكم الله بالفضل عن سائر عباده، لانه أختصكم بالَفضل والنُّبوة والكتاب والحكمة، وجمع لكم إلى ذلكَ الخلافة والصَّلاة والمُلك». قيل: «وما زال يستعطفه حتى عفى عنه»[٤].

لكنَّ هناك مَن يروي أنه قتله، ليس على هذا، إنما على ما قاله في مكان آخر في أبي دُلف أيضاً. قال له المأمون: «أما إنّي لا استحلُ دمكَ بهذا القول، ولكنْ استحله بكفرك وجرأتك على الله، إذ تقول في عبدٍ مهينٍ تسوي بينه وبين ربِّ العالمين»[٥]، يقصد قوله فيه:

(١) انظرها كاملةً (ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص١٧٣- ١٧٨.
(٢) المصدر نفسه، ص١٧٨.
(٣) المصدر نفسه، ص١٧٢.
(٤) المصدَّر نفسه، ص١٧٠- ١٧١.
(٥) انظرها كاملةً (ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص١٧٢- ١٧٣.

أنت الَّذي تنزلُ الأيَّام منزلها
وتنقلُ الدَّهرَ من حالٍ إلى حالِ
وما مددتُ مَدى طرف إلى أحد
إلاَّ قضيت بأرزاقٍ وآجالِ

وتقول الرّواية: «فأمر وأخرج لسانه من قفاه ثم قتله»[١]. لكنَّ مَن يقرأ سيرة وسلوك الخليفة عبد الله المأمون (ت ٢١٨هـ) قد يستبعد حصول ذلك، ويميل إلى ما قاله ابن المعتز في نهاية العكوك: «والأولى عندنا أثبت، إنما مات علي بن جَبلة حتف أنفه»[٢].

مع أن العكوك كان يعني ما قال في أبي دُلَف، فيقول عبد الله بن المعتز: «حدثني محمد بن يزيد المُبرد، قال: قال علي بن جبلة: زُرت أبا دُلف، وكنت لا أدخل عليه إلا تلقَّاني ببشره، ولا أخرج من عنده إلا أتبعني ببره، فلما كثر ذلك هجرته أيَّاماً حياءً منه، فبعثَ إليَّ أخاه مَعقَلاً فقال: يقول لك الأمير: لمَ هجرتنا وقعدتَ عنا؟ إن كُنت رأيتَ تقصيراً في ما مضى فاعذرنا، فإنا نتلافاه في ما استقبل، وأزيد في ما تحب من برّك. فكتب معه إلى أبي دُلف هذه الأبيات»، بما يشير أنه ليس صاحب طمع[٣]:

هَجرتُكَ لم أهجرُكَ من كفر نعمة
وهل يُرجى نيل الزِّيادة بالكفرِ
ولكنني لما أتيتُك زائراً
وأفرطتَ في برّي عجزتُ عن الشّكر
فمَ الآن لا أتيكَ إلا مُسَلماً
أزورك في الشَّهرين يوماً أو الشَّهرِ

(١) انظرها كاملةً (ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص١٧٣ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

فـــإن زدتني بِراً تَزيَدتُ جـــفـــوةً
فـلا نلتـقي طول الحـيـاة إلى الحَـشـرِ

كذلك له مدائح في القائد العباسي حُمَيْد الطُّوسي، ومنها[1]:

بطاعـــــة الله طُلتَ النَّاسَ كلُّهمُ
ونصحِ هادِ أمين المُلكِ مـــأمـــونِ

بحُـمَـيْـد يا قـاسم الدُّنيـا بنائله
وســيـــفُـــه بين أهل النَّكثِ والدِّينِ

أنتَ الزَّمـان وقـد يجـري تصـرفـه
عـلى الأنـامِ بتـــشـــديدٍ وتـليـينِ

لو لـم تكن كـانت الأيام قـد فَنيت
بالمكرمـاتِ ومـات المجـد مُـذ حينِ

طويت كلَّ حشَاً منها على أملٍ
إلى قـرينةٍ خـوفٌ منك مـقـرونِ

يقـول ابن المعتـز: «وتكلم النَّاس في هذه الأبيات واستجهلوه، لأنه جعل للمخلوق قدرة الخالق، إلا أنه ابتدأ فقال: بطاعة الله فعلتَ وصنعتَ، فكأنه أراد أنك بلغتَ بالله عزَّ وجلّ ما بلغت. وهذا صحيح»[2].

وأجمل ما قال مادحاً الطُّوسي أيضاً[3]:

دِجلـة تسـقـي وأبـو غـانم
يُطـعـمُ مَـن تسـقـي مِـن الـنَّاسِ

(١) انظرها كاملةً عند ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص١٨٤ - ١٨٥ .
(٢) المصدر نفسه، ص١٨٥ .
(٣) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٩ ص٢٥٣ .

النَّاسُ جسمٌ وإمام الهدى
رَأسٌ وأنت العينُ في الرَّأسِ

يروي محمد بن يزيد المُبرد (ت ٢٨٦هـ) عن صلة العكوك بوزير الخليفة عبدالله المأمون الحسن بن سهل (ت ٢٣٦هـ)، قال: «حدثني الحسن بن رجاء: قَدمَ علينا عليٌّ بن جَبلة إلى عسكر الحسن بن سهل والمأمون هناك بانياً على خَديجة بنت الحسن بن سهل، المعروفة ببُوران. فقال: الحسن ونحن إذ ذاك نُجري على نيف وسبعين ألف ملاح، وكان الحسن بن سهل يسهر مع المأمون، يَتصبَّح فيجلس الحسن للنَّاس إلى وقت انتباهه، فلما ورد عليٌّ (العكوك) قلتُ: قد ترى شغل الأمير، قال: إذن لا أضيعُ معك. قلتُ: أجل. فدخلتُ على الحسن بن سهل في وقت ظهوره، فأعلمته مكانه، فقال: ألا تَرى ما نحن فيه؟ قلتُ: لسْت بمشغول عن الأمر له، فقال: يُعطى عشرة آلاف درهمٍ إلى أن نتفرَّغ له، فأعلمتُ ذلك عليَّ بن جَبَلة، فقال في كلمة له»[1]:

أعطيتني يا وليَّ الحق مُبتَدئاً
عطيَّة كافأتَ مدحي ولم تَرني
ما شِمتَ بَرْقكَ حتى نَلتُ رَيِّقه
كأنما كُنتَ بالجدوى تُبادرني

قيل تمنى حبيب بن أوس أبو تمام (ت ٢٣١هـ)، أن يكون له بيت العكوك التالي بثلاث من قصائده[2]:

وردَّ البيضَ والبيضَ
إلى الأغمادِ والحُجبِ

(١) المُبرد، الكامل في اللُّغة والأدب ١ ص٢٣١- ٢٣٢ .
(٢) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٩ ص٢٩٦ .

وما كنا نحسب أن الشّعَرَ يُقترض، إلا ما نقرأه في سيرة العكوك، لما طلب منه أبو يعقوب الخريمي[١]، هجاء الهيثم بن عَدي بن عبد الرَّحمن الطَّائي (ت٢٠٧هـ) مكانه[٢] قائلاً: «وما لك أنت لا تهجوه وأنت شاعر؟ فقال: قد فعلت فما جاءني شيء كما أريد، فقلتُ له: كيف أهجو رجلاً لم يتقدم إليَّ بإساءة، ولا له إليَّ جرم يُحفظني؟ فقال: تقرضني فإني مليٌّ بالوفاء والقضاء، قلت: نعم، فإمهلني اليوم، فغدوتُ عليه فأنشدته»[٣]:

للهيثم بن عَدي نسبةُ جمعت
آباءه فأراحتنا مِن العددِ
اعدد عَدِيَّاً فلو مُدَّ البقاءُ له
ما عُمِّرَ النَّاس لم ينقص ولم يزدُ

لم ينقص شعر العكوك الغزل أو النَّسيب، فيختار منه ابن المعتز ما قاله في معشوقته شكلةَ أو هكذا سماها هو[٤]:

إنَّي ليُقنعني تهَّد شكلة
إن حالَ دوَن لقاء شكلةَ حائلُ
ويزدني كلفاً بها هجرانها
ويسرَّني عنها الحديث الباطلُ
وإذا تكلمَ عاذلٌ في حبِّها
أغرى الفؤاد بها وزق العاذلُ
مِن أين ما أُمتُحنت محاسنُ وجهها
بَهرَ العيونَ بها هلالٌ مائلُ

(١) إسحاق بن حسَّان الصغدي القُوهي الخُريمي شاعر عباسي، عاش القرن الثاني الهجري (البغدادي، تاريخ بغداد ٧ ص٢٣٥).
(٢) أبو عبد الرَّحمن بن زيد مؤرخ كوفي، عمر طويلاً (الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٠ ص١٠٤).
(٣) الحموي، معجم الأدباء ٦ ص٢٧٩١ .
(٤) طبقات الشعراء، ص١٨٤ .

شَـجِـيَتْ خـلاخلهـا بسـاق خَـدلة
وشَـجِـيتُ عـمـداً بالَّذي هو قـائل

أما قصيدة «دعد» التي نسبها إليه بعضهم، ودونها عبده بدوي كاملة على أنها من شعره، وجعلها من أحاسيسه «ليقدم صورة لصاحبته دعد يعجبُ الإنسان كَيف راقت جزئياتها الحسيَّة الدَّقيقة لهذا الشَّاعر الأعمى»[١]، وبهذا الكلام أكدها له بلا أي احتمال آخر. مع أن كبار مؤرخي الشَّعر والشُّعراء، لم يذكروها في سيرته وشعره، من الذين اقتبسنا منهم سيرته، ومطلعها ما قاله في دعد، وهي في الشِّعر على ما يبدو أصبحت مثل ليلى اسم بلا مسمى[٢]:

لهـفي على دعـد ومـا خُلقت
إلا لطولَ تلـهـفي دعـدُ

بينما نجد ما يشبه ذلك تماماً، ففي دعد أيضاً يُنسب لنصيب الأكبر، حين قال[٣]:

أهيمُ بدعـد مـا حَـيـيتْ وإنْ متُ
فـوا حَـزَناً مَن ذا يَهـيمُ بهـا بعـدي

نجد العكوك لم يواجه مَن ينتقص منه بلونه، وملأت سيرته أخباره مع الأُمراء مثلما تقدم، سواء كان قد قُتل[٤] أم مات حتف أنفه[٥]، فإن ذلك كان السنة (٢١٣هـ)[٦].

(١) الشُّعراء السُّود وخصائصهم في الشِّعر العربي، ص٢٢٥- ٢٢٧ .
(٢) المصدر نفسه، ص٢٢٦ .
(٣) المُبرد، الكامل في اللُّغة والأدب ١ ص١٤٢ .
(٤) ابن خلِّكان، وفيات الأعيان ٣ ص٣٨ (ترجمة: ٤٣٤)، الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٩ ص٢٥٤ .
(٥) ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص١٧٣ .
(٦) ابن خلِّكان، وفيات الأعيان ٣ ص٣٤ (ترجمة: ٤٣٤).

أحمد بن أبي فنن:

عاصر أحمد بن صالح بن أبي فنن عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، بدلالة أن الأخير ذكر في أكثر من مكان أنه أنشده. قال: «وأنشدني أحمد بن أبي فنن في محمد بن حمدون بن إسماعيل»:

ولقد رأيتُ ببابِ دارِكَ جَفوةً
فيها لحسنِ صنيعةٍ تكديرُ
ما بالُ دارِكَ حين تُدخلُ جنةً
وببابِ دارِك مُنكر ونكيرُ[١]

كان ابن أبي فنن مولىً لبني هاشم، أسود اللَّون[٢]، شاعر نقي اللَّفظ، أكثر مدحه في الوزير الفتح بن خاقان[٣]. وقال في سواده[٤]:

لئن حسبتَ سَواد اللَّيل غيرني
فإن قلبي في حسني أبي دُلفِ

ويروى أيضاً أنه مدح الخليفة المعتز بن المتوكل[٥] في قصيدة منها[٦]:

أجدُ بكاءً حين جد التَّفرقُ
وأرقه طيف الخيَّال المؤرقُ

فيُذكر أن المعتز قد قال بشيء من الاستخفاف بلونه: «هذا الشَّاعر الأدلم! فقال ابن أبي فنن: لا يضره سواده مع بياض أياديك»[٧].

---

(١) الجاحظ، الرَّسائل (رسالة الحجاب) ٢ ص٥٠.
(٢) البغدادي، تاريخ بغداد ٤ ص٢٠٢ (دار الغرب الإسلامي ٥ ص٣٣٠). الصَّفدي، الوافي بالوفيات ٦ ص٢٦١. ابن شاكر، فوات الوفيات ١ ص٧٠.
(٣) البغدادي، تاريخ بغداد ٤ ص٢٠٢ (دار الغرب الإسلامي ٥ص٣٣٠).
(٤) المصدر نفسه (دار الغرب الإسلامي ٥ ص٣٣١).
(٥) أبو عبد الله محمد بن جعفر المتوكل، بويع بالخلافة ابن عمه المستعين العام ٢٥٢ هـ، خلع نفسه بضغط الأتراك، ثم قُتل السنة ٢٥٦ هـ (ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص١٥٤- ١٦٠).
(٦) الزمخشري، ربيع الأبرار ٤ ص٤١٠.
(٧) المصدر نفسه. وردت أياديك وربَّما الأصح: يديك.

يُكنى بأبي عبد الرَّحمن[١]، وقيل عبد الله، ووصف بأنه شاعر مفلق مطبوع[٢]. صحيح قيل إنه أكثر بالمدح لابن خاقان الوزير، لكنَّه بشكل عام «رجل لا يمدح أحداً، ولا يستميح ولا يضع نفسه موضعاً يقبل فيه براً لأحد»[٣]. فقد حصل أن له ضيعة وكان عامل العشور يتردد عليه لجبايته، فكتب شعراً لمحمد ابن عبد الله بن طاهر[٤]، وكانت الضَّيعة مقطوعة له من أرضه، فتقدم الأخير لقضاء الخراج عنه، وقيمته «ثمانية آلاف درهم»[٥]، فقَال ابن أبي فنن: «لما أتاني التَّوقيع مع الصِّلة، وقد حلفَ عليها بالغموس لأقبلنَّها، لم أجد بداً من ذلك، فأنا أشكر له بالشَّعر ما صنع، واحتجتُ إلى أن أمدحه في كلِّ عامٍ بقَصيدةٍ، فصرتُ بذلك السَّبب شاعراً»[٦].

فمما كتبه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر، في شأن الخراج[٧]:

أبني حُسين إنني
أصبحتُ في كنف الأمير
ولنَّا معاشيٌ في قطيـ
ـته على الماءِ النَّمير
وإذا حضرتُ فناءه
وشَربتُ من حَلبِ العصير
فكأنني في نعمتي
ربُّ الخورنق والسَّدير

(١) الشَّابُشتي، الدِّيَارات، ص٨١.
(٢) ابن المعتز، طبقات الشّعراء، ص٣٩٦.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) أبو العباس الخزاعي أمير بغداد في عهد المتوكل، من أسرة أمراء كان شاعراً، توفى ٢٥٣ هـ (البغدادي، تاريخ بغداد ٣ ص٤٢١).
(٥) الشَّابُشتي، الدِّيَارات، ص٨١.
(٦) ابن المعتز، طبقات الشّعراء، ص٣٩٧.
(٧) المصدر نفسه. الشَّابُشتي، الدِّيَارات، ص٨١.

لـولا تَـرددُ حـــــــاشـــــــر[١]
كـــــالكلبُ في اليـــــوم المطيـــــرِ

غـــــــــــــاد عـلـيَّ ورائـح
يَـصـــلُ الـرَّواح إلـــى الـبـكـــورِ

فـــــــإذا بـدا لـي وجُـــــــهـــــــه
أُخـــرجتُ صـــغـــراً مِن ســـروري

فـــــهـل الأمـــيـــــر بفـــضـله
مِن قُـــبحْ طلعـــتـــه مُـــجـــيـــري

يُذكر أن الفتح بن خاقان قال لابن أبي الفنن، كتأكيد على قلة مدحه: «اعمل أبياتاً حسناً تُمدحُ بها سيدي أمير المؤمنين، واذكر في آخرها أنني شفيعك، حتى آخذ لك منه ما يسد خلتك، فما أسرع فقدك لي. فبكى ابن أبي فنن، وقال: سيدي على الدُّنيا بعدك لعنة»[٢].

اختلف بترفعه عن المدح والتكسب عن العديد من الشُّعراء، «فدواعي المدح عند ابن أبي فنن تختلف عن دواعيه المعروفة عند الشُّعراء المتكسبين، وحتى وهو يمدح تحس أنه لا يفقد ذاته»[٣].

نعود إلى ما سمعه الجاحظ شخصياً مِن ابن أبي فنن، ومنه في زهده[٤]:

مـــا ضـــاقت الأرضُ على راغب
يَـــطـــلـــب الـــرزقَ ولا ذاهـــبِ

(١) في الأصل «الخاسر»، التصحيح من المحقق (الشَّابُشتي، المصدر نفسه) ومعناها عامل العشور (المحقق كوركيس عواد).
(٢) الحموي، معجم الأدباء ٥ ص٢٠١٦٢ .
(٣) بدوي، الشُّعراء السُّود، ص١٩٩ .
(٤) الجاحظ، الرّسائل (رسالة الحجاب) ٢ ص٧٠ .

بل ضـــاقت الأرضُ على صـــابر
أصـــبح يشكو جَـــفـــوةَ الصَّـــاحبِ

مَن شَـــتمَ الحـــاجب في ذَنْبـــه
فـــإنَّمـــا يَقـــصـــدُ للصَّـــاحبِ

فـــارغب إلى الله وإحـــســـانه
لا تـطـلـب الـرزقَ مـن الـطَّـالـبِ

كذلك له معبراً عن عزَّة نفسه مما أنشده للجاحظ[1]:

الموتُ أهونَ من طول الوقـوف على
بابٍ عـليَّ لبـــــوابٍ عـليـــــه يدُ

مـالي أُقـيم على ذلِّ الحـجـاب كـأن
قـــد ملَّني وطنٌ أو ضـــاق بيَّ بلدٌ

نجد بين شعره غزلاً رقيقاً أيضاً، يكفي شاهداً ودليلاً عليه هذا البيت[2]:

صبٌ بحبٍ مـــتـــيم صب
حـــبـــيـــه فـــوق نهـــاية الحبِ

أدمـــيت باللَّحظات وجنتـــه
فـــاقـــتصَ ناظره من القلبِ

قيل أنه أخذ البيت الأخير من قول إبراهيم بن المهدي بن أبي جعفر المنصور (ت٢٢٤هـ)[3]:

يا من لقلبٍ صـــيغ من صـــخـــرة
في جَـــسـٍــــد من لؤلؤٍ رطبِ

(١) الجاحظ، الرّسائل (رسالة الحجاب) ٢ ص٧٣- ٧٤ .
(٢) البغدادي، تاريخ بغداد ٤ ص٢٠٣ (الغرب الإسلامي ٥ ص٣٣١).
(٣) المصدر نفسه .

جـــرحتُ خـــديه بلحظي فـــمـــا
برحت حـــــتى اقـــــتص مِن قلبي

وله في الهجاء أيضاً[١]:

ســـــتـــــعلم أن لـؤمَ بـني تميـمٍ
ســـيظهـــر منه لـلنَّاسِ الخـــفيُّ

ومـــــــــا إن ذاكَ أنـكَ مـن تمـيـمٍ
ولـكـنْ ربَّمـــــــا جـــــرَّ الـدعـيُّ

قيل عاش أحمد بن أبي فنن عمراً طويلاً، فبرز أيام المأمون (ت ٢١٨هـ) شاعراً، وألتقى بالجاحظ(ت ٢٥٥هـ) حتى توفي السَّنة (٢٦٠هـ) أو (٢٧٠هـ)[٢]. أي خلال خلافة المعتمد بالله العباسي (٢٥٦ - ٢٧٩هـ)[٣].

كافور النَّبَوي:

ذُكرَ باسم كافور النَّبوي[٤]، وعُدَّ من خُدام الحضرة النَّبويَّة بالمدينة المنورة، وأكثر المؤرخين، الذين أوردوا سيرته، كَانوا قد اقتبسوها من العماد الأصفهاني الكاتب (ت ٥٩٧هـ) صاحب كتاب «خريدة القصر وجريدة العصر».

ذَكر السَّخاوي (ت ٩٠٢هـ) عدة خدام للحضرة النَّبويَّة باسم كافور. منهم: كافور الطَّواشي (ت قبل ٧٠٠هـ)، وكافور الجلدكي ويُدعى بشبل الدَّولة «أحد خُدام المسجد النَّبوي»، وكافور شبل الدَّولة المظفري، وكافور التّكريتي، وكان الطَّواشي خادمه، فتركه على الحضرة يقوم مقامه، وكافور المحسني «نائب مشيخة الخدام في المسجد النَّبوي»[٥].

---

(١) الحموي، معجم الأدباء ٥ ص٢٠١٠ .
(٢) الصَّفدي، الوافي بالوفيات ٦ ص٢٦١ . ابن شاكر، فوات الوفيات ١ ص٢٧٠ .
(٣) ابن الكازروني، مختصر التَّاريخ من أ ول الزَّمان إلى منتهى دولة بني العباس، ص١٦٢ .
(٤) العماد، خريدة القصر وجريدة العَصر (نص الكتاب عن موقع المكتبة الشَّاملة على النت) .
(٥) انظر: السَّخاوي، التُّحفة اللَّطيفة في تاريخ المدينة الشَّريفة ٣ ص٤٢٤- ٤٢٦ .

أما كافور المقصود فهو السَّوي الصَّلاحي، سيد أسود مجَود، وكان أسود طويلاً، لا لحية له مخصياً[١]. يروى من شعره[٢]:

حـــتـــامَ همُّك في حلٍ وترحـــال
تَبـغي العُـلاَء والمعـالي مـهـرها غـالي
يا طالب المجـد دون المجـد ملحـمـةٌ
فيَ طيـــــهـــــا تَـلفٌ بالـنَّفس والمالِ
ولليـــالي صـــروفٌ قلمـــا انجـــذبت
إلى مُـــرادِ امـــرئٍ يســـعى لآمـــالِ

يقول العماد الأصفهاني عن كافور النَّبوي، أحد خدام الحضرة النَّبويَّة، في ما تقدم من شعر له، ويظهر أنه كان معجباً به مع قلته: «أقولُ هذا شعر ثبت على محكَ النَّقد، وعيار السَّبك، لا شعر ببهرجه محكُ الحق بعد الانتقاد باللجاج والمحك، أرق من النَّسيم وأذكى من العبير، وأطيب من المسك، ولا عَجب أن تفيد تربة النَّبيَ ¤ الذي كان أفصح العرب والعجمَ، خادمها الأسود نظك الكلم، وكافور نظمه في الطَّيب كافور، ولقطة لقلوب المعاني تامور، وقد استغنى بحيلة الفضل عن اللحية، فإن الفضل للرِّجال أحسن حيلة، وسواده مع العلم أحسن من البياض مع الجهل، سارت شوارده في الحزن والسَّهل، ونقلتها رواَة الحضر إلىَ حُداة البدو، ولحنتها القيان بأغاريدها في الشَّدو»[٣].

للأسف لم نحصل على معلومة مفيدة أكثر مما قدمناه، فعلى ما يبدو كان مصدره الفريد هو العماد الأصبهاني مثلما تقدم.

(١) السخاوي، المصدر نفسه. الصَّفدي، الوافي بالوفيات ٢٤ ص٢٣٥.
(٢) الصَّفدي، المصدر نفسه. السَّخاوي، المصدر نفسه.
(٣) الصَّفدي، المصدر نفسه ٢٤ ص٢٣٥ عن العماد، خريدة القصر وجريدة العصر.

أبو المسك كافور اللَّيثي:

يُعرف بأبي المسك، وقيل أبي الحسن[١]، كافور بن عبد الله اللَّيثي الصُّوري[٢]، حبشي من الخصيان، نشأ بمصر، وسكن مدينة صُور اللُّبنانيَّة «ثم ارتحل عن صُور وطافَ البلاد، ودخل خراسان، وأقام ببُست تابعة لكابل[٣]، ووصل إلى غَزنة وما وراء النَّهر»[٤]. وسمع الحديث من الفقيه نصر المقدسي[٥]، ومالك البانياسي[٦]، وروى عنه ابن عساكر (ت٥٧١هـ)[٧]، الفقيه الشَّافعي المعروف والمشهور بمصنفه «تاريخ مدينة دمشق».

كان عارفاً في اللُّغة، ويحفظ الكثير من النَّوادر والمُلح[٨]، و«يزف إليك ما شئتَ من بنات الخواطر»[٩]، وبعد التَّطوافَ أقام ببغداد حتى وفاته[١٠] قال فيه صاحبَ الخريدة العماد الأصفهاني كلاماً جميلاً: «كلامه أطيب من رائحة المسك، خصيٌّ خُصَّ بما لم يُخَصَّ به الفحول، خادمٌ خَدمَتْه لفضلهَ الألباب والعقول، نظمُه تبرَّ المحك، وإبريز السَّبك، أُوتي المعرفة حتى نسجَ البرُود المُفوَّفة، وأنشأ الحدائقَ المَزخرفة»[١١].

---

(١) العماد، خريدة القصر وجريدة العصر ٢ ص٢١٦ .
(٢) الصَّفدي، الوافي بالوفيات ٢٤ ص٢٣٥ .
(٣) العماد، خريدة القصر وجريدة العصر ٢ ص٢١٦ الهامش أيضاً.
(٤) المَصدر نفسه. العماد، خريدة القصر وجريدة العصر ٢ ص٢١٦ . السُّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٣١٢ .
(٥) أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي النَّابلسي، شيخ الشَّافعية في زمانه بالشَّام، صاحب تصانيف عديدة، عاش بدمشق، وتوفى السنة ٤٩٠ هـ (الصَّفدي، الوافي بالوفيات ٢٧ ص٣٣).
(٦) أبو عبد الله مالك بن أحمد بن علي البانياسي ويعرف بالفراء أيضاً، محدث وراوية، توفى ببلاد الغور قرب فلسطين، في حادث حريق سوق الرياحيين (ابن الجوزي، المنتظم ١٦ ص٣٠٨).
(٧) السُّيوطي، المصدر نفسه، ص٣١٢ .
(٨) الصَّفدي، المصدر نفسه. السيوطي، المصدر نفسه.
(٩) العماد، خريدة القصر وجريدة العصر ٢ ص٢١٦ .
(١٠) المصدر نفسه.
(١١) المصدر نفسه ٢ ص٢١٧ .

كتب إلى الرَّئيس محمد بن منصور البيهقي[١]:

هل مِن قِـرىً يا أبا سـعـد ابن منصـورِ
لخـــادمٍ قـــادمٍ وافـــاك مِن صـــورِ
شـــعـــاره إن دنت دارٌ وإن بُعـــدت
اللهُ يُبـــقي أبا ســـعـــد ابن منصـــور[٢]

ومِن شعره، وعلى ما يبدو، قاله هاجياً مدينة بخارى[٣]:

بـاءُ بـخـــــــــــارى أبـداً زائـدة
والألـفُ الأُخـــــــرى بـلا فـــــــائدة
فـــــهي خـــــرا بحتٌ وسُكَّانهـــــا
آبـدةٌ مـــــــا مـــــــثـلهـــــــا آبـدة

ومِن شعره أيضاً[٤]:

هل مِن لواعجِ هـذا البين مِن جـــــارِ
لمُســتــهــامٍ عــمــيــدٍ دمــعــه جــارِ
أم هل على فـتكات الشَّـوق مِن عـضـد
يُجـيـرني مِنْ يدِ الضّـرغـامـةِ الضَّـاري
فـيضُ الدُّمـوعِ ونيـران الضُّلوعِ مـعـاً
يا قــومُ كـيف اجــتــمــاع الماءِ والنَّارِ

(١) لم نجد له ترجمة وافية، على حد ما توفرت لدينا من مصادر سواء ما أورده الصّفدي: «محمد بن منصور البيهقي الأديب» لا أكثر من هذا (الوافي بَالوفيات ١٠ ص٣٧٠).
(٢) العماد، خريدة القصر وجريدة العَصر ٢ ص٢١٧ .
(٣) المَصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه. العماد، خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر).

قلنا أقام ببغداد حتى «أدركه صرف المنيَّة، وذلكَ في رجب، إحدى وعشرين وخمسمائة»[١] (٥٢١هـ). وحَسبَ ما ذكرناه عن صاحب «خريدة القصر وجريدة العصر» أنه كان محط إعجاب وتقدير، فمثلما تقدم الحديث عن بعض الشُّعراء السُّود، الَّذين واجهوا المجتمع بمواهبهم ومناصبهم معاً، بينما الأخير لم يُذكر أنه كان صاحب منصب، ولا موهبة صارخة، فكان «له شعر متوسط»[٢]. ليس مكثراً، ولم يُذكر أنه كان متكسباً مداحاً، فشعره النَّزير يدخلُ في باب الإخوانيات.

أحمد بن علي الرَّشيد:

تأخذنا الحيرة في أمر الشَّاعر والسِّياسي أحمد بن علي الرَّشيد، فالغالب من المؤرخين، ومترجمي السِّير، لم يذكروا شيئاً عن سواده، إلا لماماً، وعلى هَذا عدّه عبده بدوي من «الشُّعراء السُّود»[٣]، لكنَّ الحيرة الأكثر أن العماد الأصبهاني (ت ٥٩٧هـ)، وهَو لا يذكر شيئاً عن سواده، يأتي على ذكر ولدهَ علي بن أحمد الزُّبير، ولا أحد يعد الأخير من السُّود، وهو ولده وكان شاعراً، ويأتي على ذِكر أخاه المهذب الحسن بن علي بنَ الزُّبير[٤].

كذلك يجعلنا ما يرويه عنه العماد الأصبهاني أن نشك في انتماء هذا الشَّاعر للجنس الأسود؛ عندما يذكر أبو المقالي عبد العزيز بن الحُباب (ت ٥٦١هـ) خاله أبا الحجَّاج الموفق يوسف بن الخلال (ت ٥٦٦هـ) رئيس ديوان الإنشاء في أواخر العهد الفاطمي، قال له في نكبة خاله[٥]:

تسمع مقالي يا ابن الرَّشيد
فأنت حقيقٌ بأَن تسمعه

(١) العماد، خريدة القصر وجريدة العصر ٢ ص٢١٧.
(٢) السُّيوطي، رفع شأن الحبشان، ص٣١٢- ٣١٣.
(٣) انظر: الشُّعراء السُّود في وخصائصهم في الشِّعر العربي، ص٢٦١ وما بعدها.
(٤) العماد الأصبهاني، خريِّدة القصر وجريِّدة العصر، قسم شعراء مصر ١ ص٢٠٢-٢٢٥.
(٥) المصدر نفسه ١ ص١٩١ انظر الحاشية أيضاً.

القصد لو كان خاله أسود لقلنا لحقه السَّواد من أُمَّه، لكن على ما يتضح، أن خاله لم يكن كذلك، وكان الخال «كاتب دست الخليفة ومشورته»، ويُذكر بلقب الأجل أحد رؤساء الدَّولة[١]. على أي حال، أوضحنا شكوكنا، وفي الوقت نفسه نولي ما جاء في سواده الاعتبار، حسب ما وصلناه من المصادر.

اسمه أحمد بن علي بن الزُّبير المعروف بالقاضي الرَّشيد، أصله من أسوان، وسكن مصر[٢]. وقيل «كان على جلالته قبيح المنظر أسود الجلدة جهم الوجه»[٣]. وإذ لم يذكر العماد الأصبهاني سواده في «الخريدة» يذكره في كتاب «السَّيل والذَّيل». قال: «كان أسود الجلدة وسيد البلدة، أوحد عصره في علم الهندسة والرِّياضيات والعلوم الشِّعريات»[٤].

كذلك يمكن أن نفهم من أبيات هجاء أبي الفتح محمود بن قادوس له أنه كان من السُّود[٥]:

يا شبه لقمان بلا حكمة
وخاسراً في العلم لا راسخا
سلختَ أشعار الورى كلَّها
فصرتَ تدعي الأسود السالخا

وقوله فيه أيضاً[٦]:

إذا قُلتَ من نار خُلقتَ
وفقتَ كلَّ النَّاسِ فهما

(١) ابن تغرى بردى، النُّجوم الزَّاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٥ ص٢٩٤ .
(٢) العماد الأصبهاني، خريّدة القصر وجريّدة العصر، قسم شعراء مصر ١ ص٢٠٠ .
(٣) الحموي، معجم الأدباء ١ ص٤٠٢ .
(٤) ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان ١ ص١٤٥ عن العماد.
(٥) المصدَر نفسه ١ ص١٤٧ .
(٦) المصدر نفسه.

قُلنا صدقتَ في الذي
أطفاكَ حتى صرتَ فحما

يُذكْر القاضي الرَّشيد في المصادر اليمنية أنه كُلف بالدَّعوة الفاطمية باليمن؛ فخرج «بتقليد الدَّعوة للأعز علي بن سبأ، سنة أربع وثلاثين وخمسمائة، فوجد علياً قد ماتَ، فقلد الدَّعوة محمد بن سبأ، ونعته المعظم المتوج المكين، نعت وزيره بلال بن جرير الشَّيخ السَّعيد الموفق السَّديد، وكان الدَّاعي محمد بن سبأ كريماً ممدوحاً، يثيب على المدح ويقترحه، ويكرم أهل الفضيلة، وربَّما قال البيت أو الأبيات»[١]. أي «وفد إلى اليَمن رسولاً وأقام بها سنتين»[٢].

لكنَّ تلك المهمة والصِّلة أتت عليه بالنَّحس، فلما «أنفذ إلى اليمن في رسالة، ثم قلد قضاءها وأحكامها ولُقب بقاضي قُضاة اليمن، وداعي دُعاة الزَّمن، فلما استقرت بها داره سَمت نفسه إلى رتبة الخلافة، فسعى فيها، وأجابه قومٌ وسُلِّم عليه بها، وضُربت له السّكة، وكان نقش السّكةَ على وجه الواحد: قلْ هو الله أحد الله الصَّمد. وعلى الوجه الآخر الإمام الأمجد أبو الحسين أحمد، ثم قُبض عليه ونفذ مكبلاً»[٣].

يقول العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ): «ذكر لي محمد بن عيسى ببغداد، سنة إحدى وخَمسين (وخمسمائة)... قال: وهو أستاذي في عِلم الهندسة، وأنشدني لنفسه باليَمن»[٤] يقصد صاحب الترجمة الرَّشيد:

لئن خابَ ظني في رجائكَ بعدما
ظننتً بأني قد ظَفرتُ بمنصفِ

(١) اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ص١٨٦.
(٢) العماد، خريدة القصر وجريدة العصر ١ ص٢٠١.
(٣) الحموي، معجم الأدباء ١ ص٤٠٠.
(٤) خريدة القصر وجريدة العصر ١ ص٢٠١.

فـــــإنك قـــــد قلَّتني كلَّ منة
ملَكتَ لهـــا شُكري لدى كلِّ مـــوقفِ
لأنكَ قـــد حـــذرتني كلَّ صـــاحب
وأعلمـــتنيً أن ليسَ في الأرضِ مَن يفي

اتصل الرَّشيد بالسُّلطة الفاطمية بعد مقتل الظَّافر بدين الله الفاطمي(٥٤٩هـ)؛ وجلوس الفائز بنصر الله (ت ٥٥٥هـ)، فقام وأنشد قصيدة رثى بها الظَّافر، وأولها[١]:

مـــــــــا لـلـرِيـاضِ تمـيـلُ سُـكْـراً
هل سُـــــقِّـــــيت بـالمزنِ خـــــمـــــرا

فلما وصل إلى القول:

أفـكـربـلاءُ بـالـعـــــــــــــرا
ق وكـــــــربلاء بمصـــــرِ أخـــــرى

قيل «فذرفت الدُّموع، وعج القصرُ بالبكاء والعويل، ونثالت عليه العطايا من كلِّ جانب»[٢]. من المعلوم أن مثل هذا البيت يبدو مؤثراً آنذاك، فمصر في ذلك العهد، كانت تَحيي عاشوراء، وهو يوم مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب (٦١هـ)، مثلما فعلت السُّلطنة البويهية ببغداد، وكانت قد دشنت ذلك الاحتفال الرَّسمي العام ٣٥٢هـ، عندما «أمر معزُّ الدَّولة النَّاس أن يغلقوا دكاكينهم، ويبطلوا الأسواق والبيع والشِّراء، وان يظهروا النِّياحة، ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح، وأن يخرج النِّساء مشورات الشُّعور، مسودات الوجوه»[٣].

(١) خريدة القصر وجريدة العصر ١ ص٤٠١ .
(٢) المصدر نفسه ١ ص٤٠١ .
(٣) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٩ ص٥٤٩ .

أما الفاطميون فيظهر من توقيع للمعز لدين الله (ت ٣٦٥هـ)، وهو أول الحاكمين الفاطميين بمصر، أن عاشوراء كان معظماً عندهم، وأُعلن يوماً للحزن[١]. فمن طقوس عاشوراء، التي ظلت متوارثة عندهم: «إذا كان يوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن النَّاس، فإذا علا النَّهار ركب قاضي القضاة والشُّهودَ، وقد غيروا زيَّهم ولبسوا قماشَ الحزن، ثم صاروا إلى المشهد الحسني بالقاهرة»[٢].

لكنَّ العماد الأصفهاني يجعلها في مدح الصَّالح طلائع بن رزيك الأرمني (قُتل ٥٥٢هـ) وزير العاضد بالله (ت ٥٦٧هـ) آخر خلفاء الدَّولة الفاطميَّة[٣]، لا في رثاء الظَّافر مثلما تقدم:

ما للغصون تميدُ سُكرا
هل سُقِّيت بالمُزن خمرا

إلى قوله، وما يؤكد أنها قيلت لابن رزيك، فلم يكن ملكاً، بينما الظَّافر كان ملكاً ولا تُناسب معاني هذا الشِّعر منزلته:

جارى الملوك إلى العُلا
لكنَّهم ناموا وأسْرى

سائلْ به عَصب النفا
ق غداة كان الأمرُ إمرا[٤]

أيام أضحى النَّكرُ معرفاً
وأمسَ العُرْفُ نكرا

(١) القاضي النُعمان، المجالس والمسايرات، ص٣٩٧ .
(٢) ابن تغرى بردى، النُّجوم الزَّاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٥ ص١٥٣ .
(٣) العماد، خريدة القصر وجريدة العصر، شعراء مصر ١ ص٢٠١- ٢٠٢ .
(٤) عصيب أو شديد (المصدر نفسه، الهامش).

وهذا البيت منها لا يترك شكاً بأنها قيلت لابن رزيك لا للظَّافر، فاسمه الصَّالح طلائع[١]:

قسماً بمَن طافَ الحجيج
ببيته شعثاً وغُبرا
لولا طلائعُ لم نكنْ
نرجو لميتِ الدِّين نَشرا

بينما عدَّها ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، في رثاء الظَّافر بدين الله، على الرَّغم مما جاء فيها ولمَن وجهت، وكذلك خلافاً لما ادعاه عبده بدوي[٢] بالاقتباس من ابن خلّكان في «الوفيات»، والعماد الأصبهاني في «خريدة القصر»، فالأول لَم يأت بذَكر لها على الإطلاق، والثَّاني مثلما تقدم عدَّها في مدح الوزير ابن رزيك، وهذا ما دلَّ الشّعر عليه، وهو الصَّحيح.

لكنَّ لا يمنع هذا أن يوظف الشَّاعر قصيدته في أكثر من مناسبة، والشَّواهد كثيرة على ذلك، أو يكون الحموي قد سمعها من أحدهم وأتى بالبيتين فقط[٣]، ولم يسمع بقية الأبيات التي أكدت أنها في الوزير لا الخليفة. ولا يمنع أن تكون هذه القصيدة، مثلما تقدم، أنها سبب اتصال الرَّشيد بعرش الدَّولة الفاطمية، لكنَّ عن طريق مدح الوزير ابن رزيك لا رثاء الخليفة الظَّافر.

يُذكر للرَّشيد قصة شبيه بالقصة التي عرضت لعمرو بن بحر الحاجظ، بما يخص بشاعة وجهه، على أن امرأةً أومأت له أن يتبعها، فتبعها، وشط في أنها ترومه أو تطمع به، فتبعها من سكة إلى أخرى، حتى وصلت إلى دارها، ودخل معها، وكشفت عن وجهها، وكانت في غاية الجمال «ثم صفقت بيديها منادية يا

(١) العماد، خريدة القصر وجريدة العصر، شعراء مصر ١ ص٢٠٢ .
(٢) الشُّعراء السُّود وخصائصهم في الشِّعر العربي، ص٢٦٢ .
(٣) الحموي، معجم الأدباء ١ ص٤٠١ .

ست الدَّار، فنزلت إليها طفلة كأنها فلقة القمر، فقالت لها: إن رجعت تبولين في الفراش تركتُ سيدنا القاضي يأكلك»[١] فعاد خائباً مما كان يتوقعه من تلك المرأة.

أما الجاحظ فيروى أنه حكى ما حدث له مع امرأة بصرية: «أتتني وأنا على باب داري، فقالت لي إليك حاجة، وأريد أن تمشي معي، فقمتُ معها، إلى أن أتت بيّ إلى صائغ يهودي، فقالت له: مثل هذا، وانصرفت! فسألتُ الصَّائغ عن قولها، فقال: إنها أتت إليّ بفصّ، وأمرتني أن أنقش لها عليه صورة شيطان، فقلتُ ياستي ما رأيتُ الشَّيطان! فأتت بك»[٢].

ليس لنا تعليق على الحكايتين فربَّما اختلقتا عن الجاحظ أو الرَّشيد، لأجل طرافة الحديث لا أكثر مع وجود المبرر وهو البشاعة، مع علمنا أن العديد من أصحاب العاهات والمبتلين بالقبح البدني يزيد ظرفهم على أنفسهم، كي يعوضا ما افتقدوه.

ومن شعر القاضي الرَّشيد لأخيه[٣]:

رحلوا فـــلا خلت المنازلُ منهم
ونأوا فـــلا سلت الجـــوانحُ عنهمُ

وسروا وقد كتموا العداةَ مسيرهم
وضـــياءُ نور الشَّـــمس مـــا لا يُكتمُ

وتبـدلوا أرض العـقـيق عن الحـمى
روَّت جـــفـــوني أيَّ أرضٍ يمـــوا

وهي قصيدة طويلة، يقول في خاتمتها:

صمٌّ عن المعـروف حـتى يسـمـعـوا
هُجـرَ الكلامِ فـيـقـدمـوا ويقـدّمـوا

(١) الحموي، معجم الأدباء ١ ص٤٠٢.
(٢) ابن نباتة، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ص٢٥٠.
(٣) الحموي، معجم الأدباء ١ ص٤٠٣.

فـــــالله يُغني عنهمُ ويزيد في
زهدي لهم ويفكَ أســـــري منهمُ

أشار أكثر من مؤرخ إلى أن القاضي الرَّشيد قُتل مظلوماً، على يد وزير العاضد الفاطمي، وقَبل قتله أُشهر عقوبة له «على جمل وعلى رأسه طرطور ووراءه جلواز[١] ينال منه»[٢]. هناك مَن سمعه يقول في ذلكً الموقف[٣]:

إن كـــان عندك يا زمـــانُ بقـــيـــةٌ
مما تُهينُ به الكرام فـــهـــاتهـــا

بعدها صُلب ودفن في الموضع نفسه، ثم نُقل إلى قرافة مصر والقاهرة. قيل بعد أن أعفي مما اتهم به ورد إليه الاعتبار، وذلك لميله باليمن لأسد الدِّين شيركوه (ت ٥٦٤هـ)[٤] عمّ صلاح الدِّين الأيوبي (ت ٥٨٩هـ)، وأصبح شيركوه وزيراً مكان شاور، ثم خلفه ابن أخيه الأيوبي، وبعدها تم أخذ السَّلطة من الفاطميين.

كان قتل القاضي السَّنة (٥٦٢هـ) صبراً[٥]، وقيل (٥٦٣هـ)[٦] من قبل الوزير شاور بن مُجير السَّعدي (قتل ٥٦٤هـ)، وكانت له فيه مدائح[٧]. صنف من الكتب: «جنات الجنان ورياض الأذهان»، و«ذيل على اليتيمة»[٨].

عبد الله بن اليَّاسمين الأشبيلي:

يُعد أبو محمد عبد الله بن الحجَّاج الأشبيلي من طبقات الكُتاب أكثر منه شاعراً؛ «نُسبَ إلى أُمِّه وكانت سوداء، وكان هو أيضاً أسود تَخرج من أشبيلية

(١) جلواز تعني الشّرطي وجمعها جلاوزة أي الشّرطة (الجوهري، الصّحاح ٢ ص٨٦٦).
(٢) الحموي، معجم الأدباء ١ ص٤٠٣ .
(٣) المصدر نفسه.
(٤) العماد، خريدة القصر وجريدة العصر ١ ص٢٠٠ .
(٥) المصدر نفسه ١ ص٢٠١ . ابن تغرى بردى، النُّجوم الزَّاهرة ٥ ص٣٧٣ .
(٦) ابن خلّكان، وفيات الأعيان ١ ص١٤٥ .
(٧) ابن تغرى بردى، النُّجوم الزَّاهرة ٥ص٣٧٣- ٣٧٤ .
(٨) المصدر نفسه.

في فنون العلم»[١]. طرق صنوف المعرفة، فدرس الفقه واهتم به، ويُوصف بأحد «العارفين بالوثيقة، ثم أشتغل بالنَّظم والنَّثر وفنون الآداب، فصار من أعلام الأُدباء والكُتاب»[٢]. ولد بمراكش، وتحدر من أصل بربري، من رجالَ السُّلطان بالمغرب، وقيل كان يُعرف بالياسميني[٣].

تُحكى عنه قصة له مع طبيب بأشبيلية، فشكا له من تلهب في معدته، وكثرة طعامه حتى يكاد لا يشبع من شيء، فشخص بأن لَديه سوءَ هضم، وبعد حين التقاه بمراكش فشكا له من مرَض النَّقرس، وفي شكايته الثَّالثة له صرح الطَّبيب بما كان يسمعه من النَّاس من ريبة في أخلاقه، قائلاً له: «يا فقيه بلغتني على ألسن النَّاس، ولو كانت علة لشكوتَ بها. فضحك أبو محمد، وكان كثير الإجمال والمطايبة والمرح»[٤]. فكان النَّاس يرمونه بما سمع الطَّبيب، وهي خلة سلوك يعاب عليها. قال أبو سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ): «إنما أشار الطَّبيبَ إلى الخلة التي اشتهرت عن ابن ياسين، واللهُ أعلم بالسَّرائر»[٥].

بلغت منزلته بمراكش «المبلغ العظيم من مجالسة المنصور[٦] ومُسايرة له، إذا ركب في أسفاره، لافتتانه بحديث، وما يجد عنده مما لا يجده عند غيره»[٧]. كان على الرَّغم من منزلته في العلم وحظوة عند السُّلطان يتمازح بما «لا يستر بحاله . . . ولا يُضَيَّع بادرةً تقع منَ أجله»[٨].

(١) الأندلسي، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السَّابعة، ص٤٢ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) ابن منقذ، كتاب الوفيات، ص٣٠٣ حاشية المحقق.
(٤) انظر القصة: الأندلسي، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السَّابعة، ص٤٢- ٤٣ .
(٥) المصدر نفسه، ص٤٣ .
(٦) صاحب مراكش، أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي سلطان المغرب، عاش في زمن صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨٩ هـ)، أرسل الأخير له رسالة يخاطبه فيها بأمير المسلمين لا بأمير المؤمنين فلم يجبه، وكان يطلب منه عوناً في حروبه، توفي ٥٩٥ هـ (الصَّفدي، الوافي بالوفيات ٢٨ ص٩٨ وما بعدها.
(٧) الأندلسي، الغصون اليانعة، ص٤٢ .
(٨) المصدر نفسه، ص٤٥ .

فقد ورد في شعره ما يفهم أنه كان يضحك مما يُقال عنه، ولا يهتم به، ويُهجى من قِبل الآخرين، مثل قوله:

يَعيبون حُبي للسَّواد جهالةً
وما عَلموا ما ليَّ فيه من مآربِ

أُهين لقصد ربَّه وهو خادم
إذا علا فوقي بمجذاف قاربِ

إلى قوله وكأنه يضحك ويسخر راداً على ما يُشيع عنه:

فيا معَشر الكُتَّاب أوصيكم به
وَصيَّة مَن يُعْنَى بحاجة صاحبي

هجاه أبو العباس الكورائي[1] قائلاً:

إست الحُبارى ورأس النِّسر بينهما
لون الغُراب وأنفاسٌ من الجُعلِ

خذها إليك بحك الوزن أربعةً
كالنَّعت والعطف والتَّوكيد والبّدلِ

قال فيه عالم فاس أبو الحجَّاج بن نمرىّ (ت ٦١٤هـ)، لما حضر لتكريمه من قبل السُّلطان والخلع خُلعت عليه، فحضر ابن اليَّاسمين فيمَن حضر، فأُعجبَ عالم فاس بحديثه لكنَّه استقبح مظهره، فقال فيه من المجزوء[2]:

أيها اللابس لون اللَّيل ثوباً حين أظلم
ولّذي يضمرُ داءً منه يوماً ما تألم

(١) أبو العباس أحمد بن عبد السَّلام الكُوَّرائي، ويُقال الجَورائي، شاعر من البربر نسبة إلى قبيلته كُوَّرايا، منازلها قرب مدينة فاس، كان شاعراً معروفاً بحفظ الشِّعر، توفي ٥٩٠ وبضع (الذَّهبي، تاريخ الإسلام ٢ ص٤٨٩).
(٢) المصدر نفسه، ص٤٩ .

أنت من أقـــبحُ خلق الله مـــا لم تتكلم
بشـــذَور باهرت ســـاحـــرت لو تُجَـــسَّم
أصبحتَ في كلِّ جيـد حَسنٍ عِقـداً مُنظم

قال ابن اليَّاسمين مادحاً سلاطين زمانه، وهو المنصور، المذكور سلفاً، عندما قطع «الاشتغال بكتب الفروع والاقتصار على ما ثبت مِن الأحاديث النَّبوية»[1]، وعُرفت بقصيدة «المنصورية»:

أســـــيِّـــــدنا قـــــد وردتم بنـا
مـــــواردَ كنا عليـــــهـــــا نحـــــومْ
نبـــــذتم مـــــقـــــالة هذا وذاك
فـــــزَّل المراءُ وقلَّ الخـــــصـــــومْ
وأثْبـــــتُم قـــــولَ مَن لفظه
هو الشَّـــــرعُ والحقُ منه يقـــــومْ
فـــمـــا زُلت لكمـــال الهُـــدى
وإحـــــيَّـــــاء دارسِ درس العلومْ

وقال مادحاً النَّاصر، حتى عُرفت القصيدة بـ«النَّاصريَّة»:

عَـــــجبُ لمَن يراك وبعـــــد هذا
يحـــــاولُ أن يرى ملكاً ســـــواك
وقـــد جـــمع الإله لديك مـــا قـــد
تفـــرقَّ في البـــريَّة مِن حُـــلاكـــا

إلى قوله:

فـــسُـــبـــحـــان الذي أعطاك مُلكاً
على مُـــقـــدار مـــا أعلى عُـــلاكـــا

(١) الذَّهبي، تاريخ الإسلام ٢ ص٤٧.

لابن الياسمين شعر رقيق في الطَّبيعة واصفاً جمالها، ومنه وهو يقف على شواطئ مراكش[١]:

جـــاء الرَّبيع وهذي/ أُلى البـــشـــائرُ منه
كـأنَّمـا هو ثغـرٌ / قـد جـاء يضـحك عَنه
زهـرٌ لـنـارنج دّوحٍ/ انـظُـر إلـيـــــــه وصـنـه
أليس حـيَّـاك عَـرف/ الّذي جَـفـا مَن لَدُنه

كانت نهاية ابن اليَّاسمين مأساوية، فقد وجد مذبوحاً ومطروحاً على باب داره السَّنة ٦٠١هـ؛ ودفعت رسالة فيها أبيات شعر إلى الكاتب أبي الحسن بن عيَّاش (ت ٦١٩هـ)، وكـان مـشـغـولاً بلعب الشَّطرنجً، ولما سُئل عن قـائلهـا قـال: «يا سُبحان الله، وهل صاحبها غير الكورائي، الذي طبعه الله أن لا يُضَيَّع فرصة مِن فُرص الأذاة»[٢]! والأبيات هي:

هذا ابنُ حـــجَّـــاج تفـــاقمَ أمـــرُه
وجـــرى وجـــرٌ لحـــد غـــايتـــه الرسنُ
حـتى غـدا مُلقـاً ذبيـحـاً حـاكـيـاً
للـناس رقـــــدتـه إذا هجـــــرَ الـوسنُ
فـيـحـزن الكُتَّـاب مـا قـد غـالـه
وأُخصّ بينهم الفـــقـــد أبو الحـــسن

كـان ابن الياسـمين، الذي عـاش بمراكش واعـتلى الدَّرجـات والحظوات عند السُّلطان، كـاتباً وفقيهاً وشاعراً، وجدنا أنه في الشِّعر كان أبرزَ، وقد ذكره أهم

(١) الذَّهبي، تاريخ الإسلام ص٤٨ .
(٢) المصدر نفسه، ص٤٣ . نسب بدوي الكلام إلى غير ابن عيَّاش توهماً (الشّعراء السُّود، ص٢٧٥).

مصدر اعتمدنا عليه «الغصون اليانعة»، وعده من طبقات الشُّعراء، فألحقناه بهم. صنف الكتب الآتية، وكان مهتماً بالرِّياضياتَ: «أُرجوزة في أعمال الجذور»، و«أرجوزة في الجذر والمقابلة»[١].

كذلك ذكره ابن منقذ القسنطيني (ت ٨٠٩هـ) مشيراً إلى أن قتله كان السَّنة (٦٠١هـ)، قال: «وفيها توفي الكاتب أبو محمد عبد الله بن الياسمين صاحب كتاب العدد بمراكش ذبيحاً في منزله»[٢].

إبراهيم الكانمي:

يُعرف أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الذَّكواني بالكانمي نسبة إلى بلدة «كانم» من أرض السُّودان؛ وولد بقرية «بلْيهة»، وكانم بلاد تلي صعيد مصر[٣]. ويقول مَحمد بن عبد الله المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٨هـ) كان لون إبراهيم الكانمي «غربيباً (مثل لَّون الجبل الغراب) وأمره غريباً، قَدمَ إلى المغرب قبل الستمائة، وسكن مراكش، وقرأ بها الأدب»[٤]، وقيل دخل منها الأندلس[٥].

قال إبراهيم الكانمي محتجاً على التَّنابز بالألوان، وهو الأسود الغربيب، مثلما تقدم[٦]:

لا تشهدنَّ لغربيب ولا يَقق[٧]
حتى تشَاهد فضلاً غير مردودِ
بكلِّ لَّونٍ ينال الحرُّ سُؤددَه
مهما تَجردَ مِن أخلاقه السُّودُ

(١) ابن منقذ، كتاب الوفيات، ص٣٠٢- ٣٠٣ انظر حاشية المحقق.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٠٢- ٣٠٣.
(٣) ابن الأبار، المقتضب من كتاب تُحفة القادم، ص١٠٩.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه، ص١١٠.
(٧) شديد البياض(المصدر نفسه، حاشية المحقق).

والنَّاسُ لفظٌ كلفظِ العـود مـشـتـركٌ
لكـنْ يُرجـحُ بين الـعُـــود والعُـــود
أمـا ترى المسكَ حُقَّ العـاج يخْـبـؤه
والجَصُ مطَّروحٌ فـوق القَـرامـيـد
ولـم يُبـال ابن عـمـران بأدمـتـه
حين أصطفـاه كليـماً خـيـرُ مـعـبـود

من شعره الذي تجد فيه ميلاً للزُّهد، وما وصلنا منه إلا النزير[١]:

أفي الموتِ شكٌ يا أخي وهـو بُرهـانُ
وفَـيـم هُجـوعُ الخلقِ والموتُ يقظانُ
أتسلو سُلوَّ الطَّيـر تلقطُ حَـبَّـهـا
وفي الأرضِ أشـراكٌ وفي الجـوِ عـقـبـانُ

وحسب البيتين التَّاليين أنه كان يعف عن الهجاء، ويفصح عن نفس طيبة خاليَّة من اللؤم، الذي عادةً ما يخالط نفوس الهجائين:

كـم سـائلٍ لِمَ لا تهـجـو فـقلتُ له
لأنـني لا أرى مَـن خـاف مِـن هاجي
لا يـكـره الـذَّمَ إلا كـلُّ ذي أنـف
وليس لؤم لئـام الخلقِ منهـاجي[٢]

يذكر ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) بلاد كانم وينسب إليها الشَّاعر، قائلاً: «من بلاد البربر، بأقصى المغرب في بلاد السُّودان، وقيل كانم صنف من السُّودانَ، وفي زماننا هذا شاعر بمرَّاكش المغرب يُقال له الكانمي، مشهودٌ له بالإجادة، ولم أسمع شيئاً من شعره، ولا عرفتُ اسمه»[٣].

(١) ابن الأبار، المقتضب، ص١١٠ .
(٢) المصدر نفسه، ص١٠٩ .
(٣) الحموي، معجم البلدان ٤ ص٤٣٢ .

ويضيف الحموي عن أحد البلدانيين قائلاً في كانم وسكانها: «هم سودان مشركون، ويزعمون أن هناك قوماً من بني أُميَّة صاروا إليها عند محنتهم ببني العباس، وهم على زي العرب وأحوالَها»[١].

يقول كاتب سيرته ابن الأبار، وهو المصدر الوحيد الذي اطلعنا عليه، لعدم توافر مصادر أُخر عنه، خلا ما أشار إليه ياقوت الحموي في «معجم البلدان»: أنه توفي السَّنة (٦٠٨هـ) أو (٦٠٩هـ)[٢].

(١) الحموي، معجم البلدان ٤ ص٤٣٢ .
(٢) المقتضب مِن كتاب تُحفة القادم، ص١٠٩ .

الفصل السادس

من أبناء الحبشيات

بعد تدوين تراجم أبرز شخصيات السُّود، وأدوارهم في الحضارة الإسلاميَّة؛ من صحابيين فاعلين في بدء الدَّعوة الإسلاميَّة إلى الفقهاء التَّابعين والشُّعراء والصوفيين والمغنين والحُكام، ولم نغفل مجالاً من المجالات أوصَلنا إليه ما تحت اليد من المصادر؛ رأينا عدم إغفال أبناء السَّوداوات أو الحبشيات، ولو بشكل مختصر. فكثيراً ما نُسب هؤلاء إلى أُمهاتهم، وقد مرَّ بنا أن عُرف الكثير من السُّود بأسماء الأُمهات. فهذا المؤرخ والإخباري محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) يدرج في كتابه «المحبر»[1] عدداً من الذين برزوا في الحياة السِّياسية والعامة، وهم من أبناء الحبشيات.

لكنَّ المصادر تتضارب بين تأكيد ونفي من أن يكون الذي اعتبره ابن حبيب من أُمٍّ سوداء. مثلاً نجد نضلة بن هاشم بن عبد مناف، وجاء ذكره بين أولاد هاشم بن عبد مناف، جد الهاشميين جميعاً، من أمٍّ حبشية عند ابن حبيب بينما نجد عند ابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، هو وأختيه: الشَّفاء ورُقيَّة أبناء أُميمة بنت عّدي بن عبد الله ابن دينار بن مالك من قضاعة[2]، وهذا يعني أن أُمه ليست حبشيَّة أو سوداء في حال من الأحوال.

على أن الكثير من المؤرخين وكُتاب التَّراجم والمهتمين في تواريخ الرِّجال لا يذكرون الأُمهات؛ وعلى وجه الخصوص إذا كنَّ من السَّوداوات أو الحبشيات،

(١) انظر: كتاب المحبر، ص٣٠٦- ٣٠٩.
(٢) انظر: الطبقات الكبرى ١ ص٨٠.

فمعلوم أن التَّقاليد الاجتماعيَّة، مهما خُففت تجاه السُّود، بعد الإسلام، إلا أنها ظلت متوارثة، ليس بمنطقتنا فحسب إنما في العالم الذي قطع شوطاً متقدماً في الحضارة المدنية والتقدم العلمي والثقافي، وهذا ما تعرضنا له في الباب الأول.

نأتي في هذا الفصل على تراجم مختصرة لما أُعتقد أن أُمهاتهم من السَّوداوات؛ وكان لهم شأن في الحياة السِّياسية والاجتماعية، ممَن عثرنا علَى ترجمة له. مع ذلك نضطر إلى أخذ مادونه ابن حبيب بنظر الاعتبار كأساس، فقد جاء حاصراً الأسماء تحت عنوان «أبناء الحبشيات»، ومَن نجد له أُمَّاً غير حبشية في مصادر أُخر نشك في نسب أُمَّه الحبشيَّة ونتركه، ومَن لم نجد له اسم أُمٍّ له يبقى مصنف على أساس مِن أبنائهنَّ.

نفيل بن عبد العُزَّى بن رباح:

يأتي ابن سعد وابن عبد البرِّ (ت ٤٦٣هـ) باسمه الكامل: نُفيل بن عبد العُزَّى ابن رباح بن عبد الله بن قُرط بن رزاح بن عدي بن كعب القرشي العدوي[١]، وهو جد الخليفة عمر بن الخطاب[٢]، وجاء في سيرته المقتضبة خبر سفره إلى أرض الحبشة ومقابلة النَّجاشي، قبل الإسلام، وحصلت منافرة بين عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أُميَّة أمام النَّجاشي؛ وهما جدا البيتين الذين عُرفا بالرئاسة والجاه، قبل الإسلام وبعده، في العهدين الأموي ثم العباسي. وجعلا بينهما نُفيل بن عبد العُزَّى، فقال لحرب بن أُمية: «يا أبا عمرو أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة، وأعظم منك هامة، وأوسم منك وسامة، وأقل منك لامة، وأكثر منك ولداً، وأجزل منك صَفداً...»[٣]. وبعد أن وجد حرب نفيلاً قد مال إلى عبدالمطلب قال له: «إن مِن انتكاث الزَّمان أن جعلناك حكماً»[٤].

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى ١ص٨٧. ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص١١٤٤.
(٢) انظر: ابن عبد البرِّ، المصدر نفسه.
(٣) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ١ ص٨٧.
(٤) المصدر نفسه

بعدها يذكر ابن حبيب أُمَّ الخطاب بن نفيل اسمها حيَّة، أو أُمُّ نفيل، فيمكن اعتبار الجدة أمّاً أيضاً مثلما هو الجد، كانت سوداء، وحصل ضمن التقليد القبلي السَّابق أن عير ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخليفة عمر بن الخطاب فقال له: «يا ابن السَّوداء»[١]، فنزلت الآية: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ** ﴾[٢].

لكنَّ أبا الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ) يذكر القصة، بأن الآية نزلت في ثابت بن شماس، عندما كان إذا أتى يوسع له في مجلس النَّبي، فجاء وتخطى الرِّقاب ليصل إلى محل في الصَّدارة، فقال له رجل: «قد أصبت مجلساً فاجلس». فسأل عن هذا الرَّجل فعيره بأُمٍّ له في الجاهليَّة[٣]. معنى هذا لم يكن المعني عمر بن الخطاب، فمثله كان معروفاً غير مجهول لأحد، قبل الخلافة وبعدها.

لهذا نعتبر رواية ابن حبيب، عند مقابلتها مع رواية صاحب «أسباب النُّزول» ورواية الفضل بن الحسن الطَّبرسي (ت ٥٤٨هـ) صاحب تفسير «مجمع البيان في تفسير القرآن» تبدو ضعيفة. إن لهذه الحادثة، مهما تباين القوم في روايتها وشخوصها، أهميةً كبرى في حياة السُّود، بشكل عام، فيُنقل أن النَّبي عنف ثابت على تصرفه هذا، وقال له: «انظر في وجوه القوم! فنظر إيهام. فقال: ما رأيت؟ قال: رأيت أبيض وأسود وأحمر. قال: فإنك لا تفضلهم إلا بالتقوى والدِّين»[٤]، فقيل عندها نزلت الآية: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ** ﴾[٥]. وهناك مَن يروي أنها نزلت لسبب آخر، له صلة بالمكان والمنزلة والمساواة في المجالس[٦].

---

(١) كتاب المحبر، ص٣٠٦.
(٢) سورة الحجرات: آية ١١.
(٣) انظر: أسباب النُّزول، ص٢٧٩. الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن ٩ ص٢٠٢ وما بعدها.
(٤) الطبرسي، المصدر نفسه ٩ ص٢٠٣.
(٥) سورة المجادلة، آية: ١١. المصدر نفسه.
(٦) انظر: الواحدي، أسباب النُّزول، ص٢٩٤.

أتت روايات أُخر عن ثابت بن قيس بن شماس، منها أن النَّبي أمر أمره أن يجيب وفد تميم عندما دخلوا المسجد، بعد أن صاحبهم الأقرع بن قيس هدد قائلاً: «يا محمد ائذن لي فوالله إن جهدي لزين، وإن ذمي لشين» فأجابه قيس بخطبةٍ وأجاب ثابت بن حسان شاعرهم(١).

الحارث بن عبد الله المخزومي:

كانت أُمُّ الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي المكي حبشية نصرانية؛ اسمها سبحاء(٢)، و«كان هو أسود وكان خطبياً بليغاً دَيِّناً»(٣). يُلقب بالقُباع(٤)، حدث عن عمر بن الخطاب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعن أُمهات المؤمنين: عائشة وأُم سلمة، كما حدث عنه المحدث شهاب الدِّين الزُّهري وآخرون(٥).

يُذكر «كانت أُمَّه نصرانية، فشيعها أصحاب رسول الله، وقيل إنه خرج عليهم فقال: إن لنَّا أهل دينٍ غيركم. فقال معاويَّة لقد ساد هذا»(٦).

صفوان الجمحي:

قُتل أبو أُميَّة بن خلف في بدر مع المشركين، فهرب صفوان بعد فتح مكة(٧)، كانت أمه حبشية(٨). ولعلَّ بدافع القبلية والنَّسب لقريش قاتل مع المسلمين في

(١) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ١ ص٢٩٤
(٢) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص٣٠٦- ٣٠٧ . الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٤ ص١٨١- ١٨٢ .
(٣) الذَّهبي، المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٣ ص٢٤- ٢٦ . الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٢ ص٥٦٢- ٥٦٧ .
(٨) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص٣٠٧ .

معركة حُنين والطائف (٨هـ) وهو مازال مشركاً. ولما أسلم صار من المؤلفة قلوبهم، وهو الذي استعار منه النَّبي سلاحاً وهو لا زال مشركاً[١].

من جانب آخر يروى أن أُمَّه كان جمحيَّة كأبيه، ولم يُذكر أنها كانت حبشية، حسَب سيرته عند ابن عبد البرِّ(ت ٤٦٣هـ)[٢]. بعد إسلامه استمر يشرب الخمرَ فضُرب الحد، في خلافة عمر بن الخطاب، ونفي إلى خيبر، ومن هناك هرب قاصداً أرض الرُّوم وتنصر هناك، وفي خلافة عثمان بن عفان رجع وَجدد إسلامه.

كان له ولأسرته صيتاً في الكرم قبل الإسلام، فهو أحد الذين عُرفوا بالمُطعمين، وسمِّي بسداد البطحاء، إضافة إلى أنه كان من أفصح قريش[٣]. يُذكر أنه توفي السَّنة (٤٢هـ)، في أول خلافة معاوية بن أبي سَفيان، وفي روايَّة أُخرى أنه قُتل في موقعة الجمل أو إثناء المسير إليها، وأن ولده عبد الله قُتل مع عبد الله بن الزُّبير (٧٣هـ)[٤].

هشام بن عَقبة:

أسلم هشام بن عَقبة بن أبي مُعيط الأموي يوم فتح مكة[٥]، قيل كانت أُمه حبشيَّة[٦]. كان أبوه عَقبة في يوم بدر مشركاً، إلا أن الأسرة تولت بعد ذلك مراكز مهمة في الدَّولة، فكان حفيده هشام بن معاوية بن هشام بن عقبة بن أبي معيط والياً على قِنسرين[٧]، وذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ)[٨].

---

(١) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٣ ص٢٤- ٢٦. الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٢ ص٥٦٢- ٥٦٧.
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص٧١٨.
(٣) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٣ ص٢٤- ٢٦. الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٢ ص٥٦٢- ٥٦٧.
(٤) المصدر نفسه. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص٧٢٢.
(٥) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصَّحابة ٦ ص٤٢٦.
(٦) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص٣٠٧.
(٧) بلدة قديمة من أرض الشَّام، وقيل معناها قن النسر، دخلها المسلمون العام ١٧ هـ(انظر: الحموي، معجم البلدان ٤ ص٤٠٣ وما بعدها.
(٨) انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصَّحابة ٦ ص٤٢٦.

عبيد الله بن عبد الله التِّميمي:

نجده عند ابن الجوزي باسمه الثّلاثي عبيد الله بن عبد الله بن معمر[١]، ونكمل من ابن حبيب اسم جده الثَّاني والثَّالث ونسبه لتميم: بن معمر بن عثمان التِّميمي[٢]. كانت أُمُّه حبشية[٣]. حارب الخوارج مع عبد الله بن الزُّبير (قُتل ٧٣هـ)، وبعث أخاه عثمان لقتال الأزارقة منهم في موضع يُقال له دولاب من الأهواز، وقُتل عثمان ثم قُتل زعيم الأزارقة نافع بن الأزرق[٤] السَّنة ٦٥هـ[٥]. كان مصعب بن الزُّبير (قُتل ٧٢هـ)، عامل أخيه عبد الله على العِراق، ويستخلف عبيد الله بن عبد الله التِّميمي على البصرة في غيابه[٦].

قرظة بن عبد عمرو بن نوفل:

يُدعى بأبي فاختة، وهي ابنته، واسمه قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف القرشي النَّوفلي[٧]، كانت أُمه حبشية[٨]. تزوج معاوية بن أبي سفيان ابنته فاختة[٩]. ويُذكر أنها غزت معه غزوة قُبْرُس، ثم تزوج معاوية أختها كنود[١٠]. وفاختة ليست المرأة الوحيدة التي شاركت في هذه الغزوة، فهناك امرأة تدعى أمُّ حرام بنت ملِحان الأنصاريَّة (ت ٢٨هـ) وزوجة عبادة بن الصَّامت، وقد غزت

(١) المنتظم في تاريخ الأُمم والمُلوك ٦ ص٤٠ و١١٠ .
(٢) كتاب المحبر، ص٣٠٧ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) نابع بن الأزرق الحروري من زعماء الخوارج، وإليه تنتسب طائفة الأزارقة منهم، أباح دماء نساء وصبيان المخالفين له، قُتِلَ السَّنة ٦٥ هـ(ابن حجر، لسان الميزان ٦ ص١٧٣).
(٥) انظر: الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٥ صص١١٨ وما بعدها.
(٦) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٦ ص١١٠ .
(٧) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصَّحابة ٥ ص٣٢٨ .
(٨) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص٣٠٧ .
(٩) المصدر نفسه، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصَّحابة ٥ ص٣٢٨ .
(١٠) ابن حجر، المصدر نفسه ٨ ص٢٥٧ .

وماتت هناك[١]، وإن لها قبراً معروفاً بقُبْرُس[٢]. هناك شك في أن قرظة النَّوفلي قد شهد عصر النَّبوة فلم يُذكر في الصَّحابة، ويقول ابن حجر: «فإن كان مات في الجاهليَّة فكمن وقع له ذِكر في العصر النَّبوي، فما قرب له مِن أولاده له صحبة»[٣].

عبد الأعلى بن عبد الله:

كان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز عاملاً على واسط القصب، ويُكنى بأبي عبد الرَّحمن ويُعرف بالبصري أيضاً. جاء ذكره ضمن الحديث عن المستضعفين، مِن الصَّحابة، وكان الحديث قد جرى عن عمار بن ياسر[٤]. كانت أُمُّه حبشيَّة[٥].

عُمير بن الحُباب:

كان عُمير بن الحُباب السَّلمي مِن رجال بني سُليم بن منصور، وأخوه

(١) انظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك ٤ ص٨ وما بعدها. ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤ ص١٩٣١ . ابن حجر، الإصابة في معرفة الصَّحابة ٨ ص٣٧٥ -٣٧٦ . هذا وأتى بخبر أُمُّ حرام الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ): «كان رسول الله ¤ إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ¤ يوما فأطعمته وجلست تفلي في رأسه فنام رسول الله ¤ يوما ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت ما يضحكك يا رسول الله قال ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة يشك إسحق قالت فقلت له يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ يضحك قالت فقلت له يا رسول الله ما يضحكك قال ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة كما قال في الأولى قالت فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت من الأولين قال فركبت البحر في زمان معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت» (المُوطَّأ، كتاب الجهاد، باب التَّرغيب في الجهاد، ص٣٠٥).

(٢) قال الذهبي: «وبلغني أن قبرها تزوره الفرنج» (سير أعلام النُّبلاء ٢ ص٣١٧). ونقول: سمعنا من زائري قبرس أن قبرها مازال معروفاً ويزروه الناس إلى يومنا هذا.

(٣) ابَن حجر، الإصابة في التمييز بين الصَّحابة ٥ ص٢٥٧ . قيل ماتت بعد سقوطها من على الدَّابة اثناء نزولها من البحر(ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤ ص١٩٣١).

(٤) انظر: البلاذرَي، أنساب الأشراف، القسم ١ الجزء ١ ص٣٩٣- ٣٩٤ .

(٥) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص٣٠٧ .

تميم[١]، أُمُّه حبشية تدعى الصَّمعاء[٢]. يُعد من فرسان النَّاس في أيَّام عبد الملك وأيَّام الخلاف الكبير بالشَّام[٣]، وكان «امتنع على عبد الملك بنصيبين، وغَلب عليها وعَصاه»[٤]. قتله شخص يُقال له زياد بن هوبز من وائل[٥].

همام بن مطرف التَّغلبي:

ورد أن ابنة همام بن مطرف التَّغلبي تزوجها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب؛ واسم إحدى بناته أمامة[٦]، وكانت أُمُّه حبشية[٧]. لعلَّ شهرة همام التَّغلبي جاءت لقول الشَّاعر الأخطل التَّغلبي (ت ٩٢هـ) مادحاً له في قصيدة طويلة، ومنها[٨]:

ألا طرقت أروى الرِّحال وصحبتي
بأرضٍ يُناصبني الحزْن منها سُهولها
وقد غابت الشَّعرى العبور وقاربت
لتَنْزل والشَّعرى بطيٌ نزولها

ومنها أيضاً[٩]:

فإن عاش همامٌ لنَّا فهو رحمةٌ
من الله لم تُنْفس علينا فصولها
وإن مات لم تَستبدل الأرضُ مثله
لأخذ نصيبٍ أو لأمرٍ يعولها

(١) ابن دريد، كتاب الإشتقاق، ص٣٣٩ .
(٢) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص٣٠٨ .
(٣) ابن دريد، كتاب الاشتقاق، ص٣٠٨ .
(٤) المصدر نفسه، ص٣٣٩ .
(٥) المصدر نفسه.
(٦) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٥ ص٢٣ .
(٧) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص٣٠٨ .
(٨) الأخطل، ديوان الدِّيوان، ص٢١٨ .
(٩) اليسوعي، شعراء النَّصرانية بعد الإسلام، ص١٨٦ .

سعيد بن عمرو الحرشي:

كان الحرشي قائداً أمويّاً، حارب الخوارج، عُقد له، السَّنة ١٠١هـ، عشرة آلاف مقاتل فغار عليهم بالكوفة، وقَتل قائدهم شذوب الخارجي[١]، العام ١٠٣هـ استعمله والي العراق حينها عمر بن هبيرة على خراسان[٢]، كانت أُمّه حبشية[٣]. يُذكر بالحرشي وبالجرشي أيضاً، ويبدو هناك تصحيف والاسم واحد.

تُذكر عن سعيد الحرشي أحداث مثيرة، فبعد توليه خراسان، أخذ يتعالى على والي العراق، الذي عينه في هذا المنصب، فلا يسميه بالأمير إنما يكتفي بكنيته فقط، وهو أبو المثنى عمر بن أبي هبيرة، فقَدم الأخير على عزله، فبعث الحرشي ببطيخة مسمومة إلى الوالي الجديد، فكانت نهاية الحرشي أن عُزل «ونفخ في بطنه النَّمل وعذبه حتى أدى الأموال»[٤].

بعدها استعمل في إطفاء ثائرة، في جهة الخزر[٥]، وظهر اسمه في الخلافة العباسيَّة، ولا نعلم هل هو نفسه أم شخص آخر، في قيادته العساكر للقضاء على الثَّائر المُقنع، وذلك السَّنة (١٦١هـ)، في أيام المهدي بن المنصور، وهو الذي حمل رأس المقنع إلى المهدي السَّنَّة (١٦٣هـ)[٦]. هناك مَن يُحدد وفاته بعد ١١٢هـ، وهذا تاريخ مفتوح، مِن دون ذكرِ دوره في العهد العباسي[٧].

(١) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٧ ص٦٦- ٦٧ . انظر: ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٥ ص٦٨ وما بعدها.
(٢) المصدر نفسه ٧ ص٨٣ . انظر: ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٥ ص١٠٣ وما بعدها.
(٣) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص٣٠٨ .
(٤) انظر قصته: ابن الأثير الكامل في التَّاريخ ٥ ص١١٥ وما بعدها.
(٥) المصدر نفسه ٥ ص١٥٩-١٦١ .
(٦) انظر: المصدر نفسه ٦ ص٥١- ٥٢ . انظر: الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٧ ص١٠٨ و ١١٦ .
(٧) الزِّركلي، الأعلام معجم تراجم ٣ ص١٥٢ .

لكَّننا نرى الإشارة مفيدة إلى ابن له، وهو عبد الله بن سعيد الحرشي الذي ساهم هو الآخر بإطفاء الثورة ضد المأمون بواسط[١]، فنحن بين أمرين أما يكون الأب قد استعمل في زمن المهدي، أو يكون هو الابن، والرَّاجح الابن.

عمرو بن العاص:

لا نكتب هنا ترجمة لعمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد القرشي السَّهمي؛ فهو مشهور في كتب التَّاريخ والتَّراجم، وذلك لارتباطه بحوادث جسام منها قبل الإسلام، على أنه هو الذي بُعث لإعادة المهاجرين إليها، ومنها بعد الإسلام كفتح مصر، ثم ما حدث بصفين (٣٧هـ)، وإمارته لمصر. ذكر ابن حبيب (ت ٢٤٥هـ) أنَّ أُمَّه كانت حبشية[٢]، أما في ترجمته عند ابن عبد البرِّ (ت٤٦٣هـ) فجرى الحديث عن والدته، بأنها كانت سبية، واسمها النَّابغة بنت حرملة سبية من بني جلان بن عنزَة، على أن النَّابغة لقبها[٣].

جاء في الرَّواية بأنه كان على المنبر وسُئل عن أُمه فقال: «أُمي سلمى بنت حرملة تُلقب النَّابغة من بني عنزة ثم أحد بني جلان، أصابتها رماح العرب، فبيعت بعكاظ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبد الله بن جُدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائلَ فولدت له». إذا صحت الرّواية فأن السَّؤال لم يكن بريئاً، يفهم هذا من قول عمرو بن العاص له، بعد أن انتهى من التعريف بوالدته: «فإن كان جُعلَ لك شيء فخَذه».

عرضنا رواية كون والدته حبشية وكونها غير ذلك، لكنها كانت سبية، ولعلَّ هذا ما جعل ابن حبيب يشير إلى حبشيتها. كان عمرو بن العاص من المترددين

(١) انظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٢ ص٤٤٧ - ٤٤٨.
(٢) كتاب المحبر، ص٣٠٦.
(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣ ص١١٨٤.

على الحبشة، قبل الإسلام، وقيل أنه أسلم في العام الثَّامن الهجري، وخالد بن الوليد (ت ٢١هـ) معاً، وهناك مَن تحدث عن إسلامه وهو بالحبشة، وقيل الصَّحيح أنه أسلم مثلما تقدم العام الثَّامن.

كُلف بقيادة سرية نحو الشَّام، من قبل رسول الله، حيث كان يعيش أخوال أبيه، ثم بُعث إلى السَّلاسل من بلادَ قُضَاعة، أي غزوة ذات السَّلاسل. أما في الفتوح فوجه إلى مصر، وأصَبح أميراً عليها، ثم عزله الخليفة عثمان بن عفان (قُتل ٣٥هـ)، فحصلت جفوة بينهما بهذا السَّبب. بعدها اشتهر في وقوفه مع معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠هـ) في معركة صفين، وقد أشار برفع المصاحف. وصف بالدَّهاء ومن المقدمين في الرَّأي، وبعد انتهاء الأمر لصالح معاوية جعله واليَّاً على مصر، حَتى وفاته هناك، السَّنة ٤٢ هـ[١].

عبد الله بن خازم السُّلمي:

كان قائداً فاتحاً شهيراً في فتوح الشَّرق[٢]، في العهد الأموي والمتغلب على خراسان منذ خلافة يزيد بن معاوية، وحتى مبايعته لعبد الله بن الزُّبير (قُتل ٧٣هـ)[٣]، فصار أميراً عليها[٤]، وقيل أخذها بحيلة في عهد معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠هـ)، وكان حينها بالبصرة فحبذ لواليها عبد الله بن عامر بن كريز على بعثه لخراسان مكان قائد آخر، ونجح بذلك[٥].

بعد ذلك دخل مع ابن الزُّبير رافضاً بيعة عبد الملك بن مروان (ت٨٦هـ) مقابل أن تكون خراسان له لسبع سنين، بعد أن نفذ إليه رأس عبد الله

(١) انظر: الاستصحاب في معرفة الأصحاب ٣ ص١١٨٤- ١١٩١.
(٢) ابن سعد، الطَّبقات الكبرى ٥ ص٤٦.
(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٢ ص٢٧١.
(٤) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ٧ ص٥٣.
(٥) انظر: مسكويه، تجارب الأمم ٢ ص١١ -١٢.

ابن الزُّبير، بيد رسول فأطعم الرَّسول الكتاب، وكفن الرأس وبعثه إلى أهله بالمدينة[١]. ففي ذلك العهد «كان أميراً كبيراً على خراسان، وجرت له حروب كثيرة، وكان ذا علم»[٢].

يُعد من الشِّجعان[٣]، وأُخذ يُضرب المثل بشجاعته. قال ابن حبيب (ت٢٤٥هـ): سُئل أحدهم: «مَن أشدّ النَّاس؟ قال: صاحب البغلة الشَّهباء، يريد عباد بن الحصين الحبطي، فقيل أين ابن خازم؟ قال: إنما سألتم عن أشدّ النَّاس، فأخبرتكم، ولو سألتموني عن أشد الأنس والجن لقلتُ لكم: عبد الله ومصعب ابنا الزُّبير بن العوام وعبد الله بن خازم»[٤]. يُذكر أنه كان أسود اللَّون، يتعمم بعمامة خز سوداء، يعتمرها في مناسبات الأعياد، وفي الحروب أيضاً، ولسواده قيل كان «أحد غربان العرب في الإسلام« يُعد من الشِّجعان[٥]. يُذكر لعبد الله بن خازم أولاد صاروا قادةً[٦].

ورد اسمه ضمن أسماء السُّود في رسالة الجاحظ «فخر السُّودان على البيضان»، إضافة إلى ورود اسمه في «تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش» لابن الجوزي. فقد ذكره الشّاعر الأسود المعروف بالحيقطان (أتت ترجمته في فصل الشُّعراء)، في قصيدته التي ردَّ بها على جرير (ت ١١٠هـ) عندما هجا بني تغلب قائلاً:

لا تطلُبنَّ خُؤولةً في تغلب
فالزِّنج أكرمَ منهم أخوالا

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك ٥ ص٢٧٦ وما بعدها. ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٤ ص٣٤٥-٣٤٦.
(٢) ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش، ص١٦٢.
(٣) ابن تغرى بردى، النُّجوم الزَّاهرة في تاريخ مصر والقاهرة ١ ص١٨٧.
(٤) كتاب المحبر، ص٢٢٢.
(٥) الزَّركلي، الأعلام قاموس تراجم ٤ ص٣٤٥-٣٤٦.
(٦) مسكويه، تجارب الأُمم ٣ ص٧٧.

فجاء على ذكر عبد الله بن خازم في هذا البيت منها :

هذا ابن خـــازم ابن عَـــجلى منهم
غَـلـبَ الـقـــــائلَ نجـــــــدة ونـوالا

كانت عَجلى أُم عبدالله بن خازم امرأة حبشية[١] . ومن المعلوم أن العديد من أبناء الحبشيات، أو السّوداوات، لسوادهم عُدوا من السُّودَ، ويمكن عند الكثيرين الخؤولة تعادل العمومة، مثلما جاء في قصيدة الحيقَطان .

قُتل عبد الله بن خازم، هذا القائد الفاتح الشّجاع، بسبب اخلاصه لعبد الله بن الزُّبير، فقيل إنه وافق مع عبدالملك وولاه خراسان، لكنه على ما يبدو لم يطمئن لجانبه، فـ «كتبَ إلى بُكير بن وساج الصَّريمي أن يقتله أو يخرجه من خراسان، فقتله وأقام واليّاً»[٢] عليها .

محمد بن الحنفية :

عُرف بابن الحَنَّفية أُمُّه، محمد بن علي بن أبي طالب، اسم أُمِّه خولة بنت جعفر[٣] بن قيس، قيل كانت في سبي اليَّمامة (١١هـ)، فصارت لعليٍّ. أما عن سوادها فلم يذكره ابن حبيب ضمن أبناء الحبشيات، على أن الرّواية عن أسماء بنت أبي بكر (ت ٧٣هـ) قالت : «رأيتها سنديّة سوداء»، وكانت في الأصل أَمة لبني حنيفة، لذا عُرفت بالحنفيَّة[٤] .

يُكنى بأبي القاسم، وشارك في حوادث جسيمة، ومنها في الحروب التي خاضها أبوه في خلافته، كحرب الجمل (٣٦هـ)، وحرب صفين (٣٧هـ). يُذكر أن المختار بن عبيد الله الثَّقفي (قُتل ٦٧هـ) قد بعث برؤوس الذين شاركوا أو قادوا

(١) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص٣٠٨ .
(٢) ابن الخيَّاط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٨٦ .
(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٢ ص٢١٣ .
(٤) ابن الجوزي، تاريخ الأُمم والملوك ٦ ص٢٢٨ .

معركة كربلاء التي قُتل فيها أخوه الحسين بن عليٍّ (٦١هـ)، فلما خرج من المسجد الحرام، بعد انتهاء الطَّواف، وجدها منصوبة على الباب[١]. وقيل كان أحد الذين سجنهم عبد الله بن الزُّبير لأنه امتنع عن مبايعته، سجنه مع عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ) وأربعة وعشرين رجلاً من بني هاشم امتنعوا عن البيعة لابن الزُّبير، فأخذهم وحبسهم في حجرة زمزَم، وحلف إذا لم يبايعوا سيحرقهم، بعدها أخرجهم من مكة، ونفى ابن الحنفية إلى ناحيَّة رضوى[٢].

كثرت الرّوايات حول فرقة سياسية ارتبطت به، أو اتخذت اسم محمد بن الحنفيَّة، عُرفت بالكيسانيَّة، قالت بإمامته على أنه الأحقّ بالولاية بعد الحسن والحسين، «لأنه صاحب راية أبيه يوم البصرة دون أخويه فسموا الكيسانيّة، وإنّما سُمّوا بذلك لأنّ المختار بن عبيدة الثقفيّ كان رئيسهم، وكان يُلقب كيسان»[٣]. فقال في ذلك السيّد محمّد بن يزيد الحميريّ، عن إقامة ابن الحنفية برضوى، قائلاً بأنه المهدي[٤]:

وما ذاقَ ابن خَولَة طعمَ موت
ولا وارت لَه أرضٌ عظاما

لقد أوفى بمورق شعب رَضْوَى
تُراَجعه الملائكةُ الكلاما

لكنَّ عدم ظهور خلاف له مع الأمويين بعد صفين، يشك كثيراً في ما ورد عنه وعن مهدويته أو خروجه داعياً لنفسه، فقد بايع عبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ)، ويُنقل أن الحجَّاج بن يوسف الثَّقفي قد هدده فأجابه، وأن عبد الملك منعه عن الحجَّاج، وكتب بجوابه ذلك إلى ملك الرُّوم عندما هدده[٥]. توفى السَّنة (٨١هـ)[٦].

(١) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص٤٩١ .
(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٢ ص٢٦١- ٢٦٢ .
(٣) النَّوبختيّ، فرق الشِّيعة، ص٢٣ .
(٤) الأصفهانيّ، كتاب الأغاني ٩ ص١٢ .
(٥) انظر: ابن الجوزي، المنتظم ٦ ص٢٢٩- ٢٣٠ .
(٦) المصدر نفسه.

محمد بن علي بن موسى :

ولد محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالمدينة؛ وعاش فيها، وانتقل بعدها إلى بغداد، اختار الخليفة عبد الله المأمون والده ولياً للعهد، لكنه توفي في حياة المأمون، وقصة ولايَّة العهد طويلة[١]، جاءت في أعقاب الحرب بين الأخوين، محمد الأمين وعبد الله المأمون، نجلي هارون الرَّشيد، وتزوج محمد الجواد من ابنة المأمون أُم الفضل[٢]. كانت أُمُّه حبشيَّة[٣]، وفي خبر آخر كانت أُمُّه أُم ولد نَوبيَّة الأصل، اسمها سبيكة وقيل سُكينة، أو لعلَّ تصحيف وقع في الاسم، وتُكنى أُمَّ الحسن[٤]. يُلقب محمد بالجواد، ويُكنى بأبي جعفر، وكان شديد الأدمة[٥].

كذلك ورد في الخبر: «زوج المأمون ابنته أُم الفضل محمد بن علي بن موسى على حلكة لونه وسواده، فنقلها إليه ولم تزل عنده»[٦]. كان تزويج عبد الله المأمون ابنته من محمد الجواد كي يكون «جداً لامرئ وَلده رسول الله وعليَّ بن أبي طالب، فلم تَلد منه»[٧]. يُعد محمد الجواد تاسع الأئمَّة الاثني عشر عند الإماميَّة[٨].

توفي السَّنَّة ٢٢٠هـ[٩]، وصلى عليه هارون الواثق بن المعتصم، ففي هذه السَّنة ترك المعتصم بغداد مولياً عليه ولده المذكور[١٠]، ودفن محمد الجواد ببغداد في مقابر قريش، مع جده موسى الكاظم (١٨٣هـ)[١١].

---

(١) انظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٢ ص٤٤٨ وما بعدها. الأصفهاني، مقاتل الطَّالبيين، ص٤٥٥ .
(٢) انظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١١ ص٦٢ .
(٣) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص٣٠٨ .
(٤) الأمين، أعيان الشِّيعة ٤/ ٢ ص١٦١ .
(٥) المصدر نفسه ٤/ ٢ ص١٦٢، عن ابن شهراشوب في المناقب.
(٦) الأصفهاني، مقاتل الطَّالبيين، ص٤٥٦ .
(٧) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٢ ص٤٥٤ .
(٨) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر ١ ص٣٤٣ .
(٩) المصدر نفسه.
(١٠) المصدر نفسه.
(١١) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١١ ص٦٢ .

إبراهيم بن المهدي:

نقرأ لإبراهيم بن المهدي بن المنصور العباسي قصةً عجيبة، كيف أتته الخلافة؟ وكيف أن ميوله لم تكن في السَّياسة بقدر ما كانت في الفن والشّعر والأدب؟ فـ«كانت له اليد الطُّولى في الغناء والضَّرب بالملاهي وحسن المنادمة»[١]، وكيف نجا من القتل بعد عودة ابن أخيه عبد الله المأمون إلى بغداد العام ٢٠٤هـ بعد أن سمعَ ببيعة عمِّه، على أثر تولية علي بن موسى الرِّضى (ت ٢٠٣هـ) ولاية العهد، ولماذا لم يُعد من خلفاء بني العباس وقد حكم بغداد أكثر من عام؟ فكان قد بويع في «الخامس من محرم سنة اثنين ومائتين»[٢].

عُرف بأمِّه «ابن شكلة»[٣]، وهي أُم ولد، وكانت جارية سوداء[٤]، ويُكنى بأبي إسحاق، وكانَ أسود شديد السَّواد، ضخم الجثة[٥]، «ولهذا قيل له التِّنِّين»[٦]. لم يكن له حظ في ولاية عهد أبيه المهدي كأخويه موسى الهادي (ت١٧٠هـ)، وهارون الرَّشيد (١٩٣هـ). إلا أنه انصرف عن هذا الأمر، وانشغل عنه بما هو أقرب إلى نفسه، مثلما تقدمت الإشارة إلى ذلك، فإضافة إلى هوايته في الفن والموسيقى كان شاعراً مميزاً بين الأمراء؛ فقيل «لم يرَ في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لساناً، ولا أجود شعراً»[٧]. وحينها أراد أهل بغداد أخاه المنصور بن المهدي ليكون خليفةً، لكنه أبى ذلك لوجود المأمون خليفةً، فصار أميراً على بغداد وكنائبٍ للمأمون على العراق[٨].

---

(١) ابن خلّكان، وفيات الأعيان ١ ص١٩ .
(٢) البغدادي، تاريخ بغداد ٦ ص١٤٢- ١٤٣ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١١ ص٦٢ .
(٥) المصدر نفسه ١١ ص٨٩- ٩١ . البغدادي، تاريخ بغداد ٦ ص١٤٢ .
(٦) ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان ١ ص٢٠ .
(٧) البغدادي، تاريخ بغداد ٦ ص١٤٢ .
(٨) انظر: المصدر نفسه ٧ ص٤٥١ وما بعدها.

بعدها اجتمع بنو العباس ببغداد لرفض ما قَدم عليه المأمون من فرض ولاية العهد لعلي بن موسى الرضى؛ وأمرهم بخلع السَّواد شعار العَباسيين ولبس الخضرة شعار العلويين، واتفقوا على أن لا يخرج هذا الأمر عن ولديّ المهدي: منصور وإبراهيم[١]، غضباً من مبايعة الرضى ولي عهد، فقالوا: «لا يخرج من أيدينا»[٢]، وبايعوا إبراهيم بن المهدي، وسموه المبارك، وقيل سُمي بالرِّضى[٣].

على أن يكون من بعده في الخلافة ابن أخيه إسحاق بن موسى بن المهدي، كولي لولي العهد، وأنهم قد خلعوا المأمون، ولم تنجح محاولة مَن أراد أن يبقي المأمون خليفةً ويجعل إبراهيم خليفة له في غيابه، ليكون مكان أخيه المنصور المار الذِّكر. وبهذا تمت البيعة لإبراهيم كخليفة ومنح لقب «المبارك»[٤]، وتمكن المبارك من مد نفوذه على الكوفة والسَّواد والمدائن وبغداد كافة.

لكنَّ الثَّورات أخذت تتكاثر عليه، والمأمون قد ترك خراسان قادماً إلى بغداد لينقذ خلافته، ومات ولي العهد علي الرِّضى، فعندها كتب المأمون إلى بغداد يعلم بني العباس بموت ولي عهد، وبذلك ينتهى السَّبب الذي خرجوا به عن طاعته، لكنهم ردوا عليه بغليظ الكلام[٥].

كانت السَّنوات التي سبقت البيعة لإبراهيم بن المهدي شديدة الاضطراب بالعاصمة بغداد، فبعد قتل الخليفة السَّادس محمد الأمين (١٩٨هـ) ووجود عبد الله المأمون بخراسان استغل العديد من الأمراء الفرصة للوثوب إلى دست الخلافة، وكذلك استغلها العامة والجُند في الشَّغب، وكثر الذين نصبوا أنفسهم

(١) البغدادي، تاريخ بغداد ٧ ص٤٥٩ .
(٢) المصدر السابق ٦ ص١٤٢ .
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٧ ص٤٦١ .
(٥) المصدر السابق ٧ ص٤٦٩ - ٤٧٠ .

للأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر لزجر الفُساق، مثل خالد الدَّريوش[١] وسهل بن سلامة الأنصاري[٢].

بعدها ظفر إبراهيم بن المهدي بابن سلامة وعاقبه هو وأصحابه المطوعة[٣]، والسَّبب أن ابن سلامة لم يقف عند قمع الفُساق، في ظل فراغ السُلطة، إنما تشجع إلى أبعد من هذا، أي إلى أمر سياسي، وهو الفرض على السُّلطان، قائلاً: «أقاتل كلَّ مَن خالف الكتاب والسُّنَّة كائناً ما كان سلطاناً أو غيره والحق قائم في النَّاس أجمعين، فمَن بايعني على ذلك قبلتُه، ومَن خالفني قاتلته»[٤]. لذا خالفه الدَّريوش قائلاً: «أنا لا أُعيب على السُّلطان شيئاً ولا أغيِّره، ولا أقاتله، ولا آمره بشيء ولا أنهاه»[٥]. بمعنى أن الدَّريوش تقيد بحدود ملأ فراغ السُّلطة وقمع الفُساق، أما ابن سلامة فذهب بعيداً.

بعدها لم يستقر الحال ببغداد لإبراهيم فُخلع من الخلافة وهرب واختفى عن الأنظار لمدة ست سنوات؛ حتى السَّنة ٢١٠هـ، يتَنقل بين المواضع «فنزل بقرب

(١) يذكر الطَّبري في أمر الدَّريوش أنه في السنة (٢٠١هـ) وخلال الفوضى التي أسفرت عن الحرب بين قوات المأمون وقوات الأمين ببغداد كثر الفساق والفُجار مستغلين فراغ السلطة فـ «قام رجل من ناحية طريق الأنبار يُقال له خالد الدَّريوش، فدعا جيرانه وأهل بيته وأهل محلته على أن يَعاونوه على الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر فأجابوه إلى ذلك، وشدَّ على مَن يليه من الفُساق والشُّطار، فمتعهم مما كانوا يصنعون» (تاريخ الأُمم والملوك ٧ ص٤٥٧).

(٢) كذلك للظرف نفسه وفي العام نفسه، وبعد قيام الدَّرويش بنحو ثلاثة أيام، قام رجل، من أهل خراسان يُقيم ببغداد، يُدعى سهل بن سلامة الأنصاري ويُكنى أبا حاتم «فدعا النَّاس إلىَ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والعمل بكتاب الله جلَّ وعزَّ وسنَّة نبيه ¤، وعلق مصحفاً في عنقه، ثم بدأ بجيرانه وأهل محلته، فأمرهم ونهاهم فقبلوا ذلك منه، ثم دعا النَّاس جميعاً إلى ذلك، الشَّريف منهم والوضيع، بني هاشم ومَن دونهم، وجعل له ديواناً يُثبت فيه اسم مَن أتاه منهم، فبايعه على ذلك، وقتال مَن خالفه وخالف ما دعا إليه كائناً مَن كان، فأتاه خلقٌ كثير فبايعوا، ثم أنه طاف ببغداد وأسواقها وأرباضها وطرقها، ومنع كلَّ مَن يخفر ويجبي المارة والمختلفة، وقال: لا خفارة في الإسلام، والخفارة أنه كان يأتي الرَّجل بعض أصحاب البساتين، فيقول: بستانك في خفري، أدفع عنه مَن أراد السوء، ولي في عُنقك كلَّ شهر كذا وكذا درهماً، فيعطيه ذلك شائياً وآبياً»(الطَّبري، تاريخ الأمم والملوك ٧ ص٤٥٧).

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ٧ ص٤٥٦ و٤٦٥ .

(٤) المصدر نفسه ٧ ص٤٥٧ .

(٥) المصدر نفسه .

أخت له»[١]، وبويع للمأمون، وما حلت السَّنة ٢٠٤هـ إلا والمأمون دخل بغداد وانتهى الأمر إليه، فخلع الأخضر لون اللَّباس العلوي ولبس السَّواد العباسي[٢].

ما يهمنا هو أمر عمّه إبراهيم الذي بويع في محرم ٢٠٢هـ لينتهي به الأمر مختفياً في ذي الحجة ٢٠٣هـ، أي استمر خليفةً نحو عام وأحد عشر شهراً[٣]. ولم يُعد بين سلسلة خلفاء بني العباس البالغ عددهم سبعة وثلاثين خليفةً، ولو عُد لكان الثَّامن بعد خلع المأمون، لأنه كان خليفة مع خليفة، فقال حينها النَّاس عند بيعته «ما رأينا خليفتين حيين»[٤].

قال دعبل الخزاعي (ت ٢٢٠هـ) بعد اختفاء إبراهيم بن المهدي، ذاكراً والدته وهوايته في الفن[٥]:

نَعَـــر ابنُ شكلةَ بالعـــراق وأهله
فـــهـــفـــا كلُّ أطلس[٦] مـــائقِ
إن كـــان إبراهيم مُـــضطلعـــاً بهـــا
فلتـــصلحنَ من بعـــده لمخـــارقِ
ولتـــصلحنَ من بعـــد ذلك لُزُلْزُل
ولتـــصلَحنَ من بعـــده لمارقِ
أنـــىَّ يـكـونُ ولـيـسَ ذاك بـكـائـن
يرِثُ الخـــلافـــةَ فـــاسقٌ عن فـــاسقِ

(١) البغدادي، تاريخ بغداد ٦ ص١٤٣ .
(٢) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٧ ص٤٧٤- ٤٧٥ .
(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان ١ ص٢١ .
(٤) البغدادي، تاريخ بغداد ٦ ص١٤٦ .
(٥) ابن خلّكان، وفيات الأعيان ١ ص٢١ .
(٦) الذئبَ الأسود، وهو يقصد السَّواد، في لونه غبرة إلى السَّواد (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٥٥٥).

ومخارق ومارق وزُلْزُل «هؤلاء الثَّلاثة كانوا مُغنِّين في ذلك العصر»[١].

كذلك المأمون ذَكَّرَ عمه إبراهيم، بعد العفو عنه، بسواده، حسب ما نُقل عن إبراهيم نفسه: «قال لي المأمون، وقد دخلتُ عليه بعد العفو عني، أنت الخليفة الأسود، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، أنا الذي مننتَ عليه بالعفو»[٢]، واستشهد بأبيات عبد بني الحساس، المار ذكره في فصل الشُّعراء:

أشعارَ عَبد بني الحَسْحَاس قُمْن له
عند الفخارِ مقام الأصل والورقِ
إن كنتُ عبداً فنفسي حرةٌ كرماً
أو أسودَ الخَلق إني أبيضُ الخُلُقِ[٣]

إلا أن المأمون خفف عنه بقوله: «يا عمّ أخرجك الهزل إلى الجد»[٤]، وأنشده:

ليس يُزْري السَّوادُ بالرجلِ الشَّهمِ
ولا بالفتى الأديبِ الأريبِ
إن يكن للسَّواد فيكَ نصيبٌ
فبياضُ الأخلاقِ منكَ نصيبي

ظل إبراهيم بن المهدي بعد العفو عنه يعيش في الظِّل، نديماً لابني أخيه الرَّشيد: المأمون ثم المعتصم، يتحمل وزر ما قَدم عليه من قبول البيعة ببغداد، ويُذل في المجالس، فلما أراد تقديم الشُّكر للمعتصم بعدَ وفاة المأمون على رهن فكه له، انبرى له العباس بن المأمون (قُتل ٢٢٤هـ) وكان جالساً، فقال له: «والله

(١) ابن خلّكان، وفيات الأعيان ١ ص٢١ .
(٢) المصدَر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.

لئن لم تشكر أبي على حَقْنِ دمك، مع عظيم جرمك لا تشكر أمير المؤمنين على فك خاتمك»[١].

يذكر القاضي أبو علي التَّنوخي (ت ٣٨٤هـ) قصة طريفة لإبراهيم بن المهدي مع الشَّاعر خالد بن يزيد الكاتب البغدادي (ت ٢٦٢هـ)، وكان الأخير قد عدم القوت لأيام فجاءه إبراهيم متنكراً؛ عليه طيلسان أسود وعلى رأسه قلنسوة طويلة راكباً حمار ومعه خادم، وطلب منه بيع بيت شعر كان قد قاله، ورمى عليه صرة مِن النُّقود، ولم يقبلها لأنه لا يعرفه، ثم عرَّفه بنفسه[٢].

أما البيت فكان الغزل الجيد:

أقـــول للســـقمِ عُـــدْ إلى بدني
حـــبَّـــاً لشيءٍ يكون مِن ســـبـــبك

توفي إبراهيم بن المهدي بسامراء، السَّنة ٢٢٤هـ، وصلى عليه ابن أخيه الخليفة حينها المعتصم بالله[٣].

ما تقدم كان ترجمة لأبرز أبناء الحبشيات، ويبقى الحذر من الرّوايات، واختلافاها في نسب الأمهات على وجه الخصوص، وهناك أسماَء عديدة أُخر منه ما لم نعثر على تراجم وافيَّة لهم، ومنها ما يصعب القبول بحبشية أو سواد أُمهاتهم، لهذا نكتفي بهذه الأسماء.

(١) المصدر نفسه ١ ص٢٢ .
(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٤ ص٨- ٩ .
(٣) البغدادي، تاريخ بغداد ٦ ص١٤٧ .

الخـــاتـــمة

بعد الانتهاء من البحث في موضوع دور السُّود في الحضارة الإسلاميَّة، من حبش ونوب وزنجَ، وما بحثناه بشأن العبودية، وصلتها باللَّون الأسود، نصل إلَى فكرة أن الإنسان المرهق بالعبودية وبالنَّظرة الدُّونية لسَّواده كم احتاج من قوة وإصرار كي يثبت موهبةً أو قدرةً على فعل شيء يؤرخ له، مثل أن يكون شاعراً فذاً ينافس فذاً آخر كهمام بن غالب الفرزدق (ت ١١٠هـ)، أو يرد على شاعر بحجم جرير (ت ١١٠هـ)، أو يقف بوجه شاعر مثل أبي مالك غياث الأخطل التَّغلبي (٩٢هـ). بالتأكيد احتاج هذا الشَّاعر الأسود مثل الحيقطان إلى موهبة وشجاعة كافيتين، وإلى مجتمع ونظام يثمن الموهبة، ويسمح بظهوره وإن كان فيها تفوق على شعراء يُعدون من طبقات المجالس الرَّفيعة، فهم من ندماء ومجالسي الخلفاء.

كذلك الحال بالنِّسبة للأسود المملوك، أن نجده يتدرج في الخدمة والطَّاعة وتنفيذ ما يُطلب منه، ويشق طريقه إلى القيادة وسط زعامات من الأشاوس الأسياد، ويقود الجيوش ويصبح ثقة السُّلطان، ويتبوأ محله عرشه. كم يحتاج هذا إلى جهد مضاعف، كي يرتفع بنفسه، ويقتل في داخله العبودية وما يشار إليه بالسَّواد، فهو يحمل على كاهله خطيئة «حام» التي وظفت لربط السَّواد بالعبودية، أو أن تكون ذرية إنسان من الدَّرجة الثَّانية.

لا نتحدث هنا عن طبيعة هذا القائد الأسود أو ذاك، لكننها أمام ظاهرة العبودية المرتبطة باللَّون وأثره حتى بعد العتق، وعلى هذا العبد أن يتجاوزها بمواصفات تفوق الآخرين بشكل ملفت للنَّظر، الذين لا يشعرون بشعوره ولا ينظر إليهم بالمنظار نفسه.

نلاحظ أن هؤلاء السُّود، الذين ارتفعوا بأنفسهم، وسمح لهم النِّظام العام بالتَّفوق لمواهبهم، لم يأخذوا نصيبهم في تأرخة سيرهم، بل نلاحظ أن العبودية حجبت حتى أسمائهم، ولم يعرفوا إلا بلقب السّيد ضمن التَّبعية، أو باسم يدل على عبوديته أو لونه أو عاهته أو اسم أمِّه فقط، ونرى المؤرخين اختصروا كثيراً، أو يمكن القول لم يبذلوا جهداً في تأليف تراجم هؤلاء، مع استثناء شخصيات معينة، كالتي عاشت زمن صدر الإسلام.

أما ما بعده فالعديد من السُّود مرَّ تأريخهم بسطر أو عبارة، أو بلا اسم أو بعبارة: مولى فلان. يعطينا هذا فكرة عن تأثير العبودية واللَّون نفسه، بعد صدر الإسلام تحديداً، في التَّعامل معهم. نقول هذا مع الحذر من التَّعميم.

الأمر الآخر أن الإسلام كدين لم يُشرع العبودية، ولم يضع شروطها، مثلما ذكر ذلك أكثر من مؤرخ وكاتب في هذا المجال، إنما جاء والحضارات الموجودة كانت تتعامل بالعبودية كشريعة وعُرف اجتماعي مؤصل، بل إن قريشاً نفسها كانت تبيع وتشتري العبيد، وخلاف ذلك وضع الإسلام ضوابطَ لصالح العبد، ومنها الآيات التي جاءت في مبررات العتق «مُلك اليمين»، وسهولة تحقيق ذلك.

فأصبحت حرية العبد مقابل كفارة حنث الأيمان أو مقابل الإخلال بالصَّوم في شهر رمضان، أو القتل الخطأ، بمعنى أنها ثمن الحريَّة. أتى هذا مع أحاديث تؤكد على الحُسنى، بل والمساواة في المعاملة، مع المملوكين. بطبيعة الحال لا يُفهم ذلك ويُثمن إلا بعد قراءة وفهم قسوة القوانين القديمة على العبيد، مثل التي تضمنتها شريعة حامورابي، أو ماجاء في العهد القديم، مع ما تضمنه الأخير من وصايا حُسن المعاملة مع العبيد.

قد يقودنا هذا السُّؤال: إذا كانت نصوص الإسلام ووصياه كلها لصالح المملوك أو العبد؛ وهدم التَّمييز باللَّون بين البشر، وصار مَن يدخل الإسلام من

الأسرى حراً، وللآخرين حقوقهم، وأن الرسّالة جاءت للأحمر والأسود، حسب الحديث: «بُعِثْتُ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ»[١].

بعد كلِّ هذا فلماذا لم يلغ نظام العبوديَّة أو يُحرم دفعة واحدة؟ أشار العديد من الباحثين على التَّرغيب في العتق في الإسلام، ما يدلل على أن الحريَّة هي الأصَل والرِّق استثناء، بحكم ظروف الحرب وعادة ما يكون بديلاً عن قتل الأسير، فهو إذن نظام كان موجوداً دولياً، والتَّعامل به جارياً، وأن إلغاءه دفعة واحدة، ومن طرف واحد طفرة على الواقع، قد لا تكون لصالح الجميع بما فيهم العبيد أنفسهم، بمعنى لا بد من الاحتراز من ردة الفعل، في زمن كانت العبودية نظاماً اجتماعياً واقتصادياً[٢].

ما يمكن استنتاجه أيضاً، من خلال البحث في محاولات السُّود، على التخلص من نظام الرِّق، كحالات فردية، أن يتقدم شاعر بموهبته ويستغلها في طلب عتقه وعتق أسرته، مثلما مرَّ بنا في ترجمة نُصيب الأكبر، أو جماعية كالثورات التي حدثت بالبصرة، لكنَّ لم يكن الزَّمن قد نضج بحيث يفكر هؤلاء بالمطالبة بإلغاء الرِّق كنظام، إنما كانوا يطلبون الحرية كأفراد، والعديد منهم بعد حريتهم وتحسن أحوالهم قاموا بامتلاك العبيد لأنفسهم، وحتى في مفاخراتهم الشِّعرية لم نجد مثل هذه المطالبة الحق، وكأنها غريبة على تلك الأزمنة، اعترافاً بأن العبودية كانت هي النِّظام السَّائد.

لم يحدث هذا حتى جاءت الظُّروف المؤاتية، ضمن التَّحولات الاجتماعيَّة والسِّياسية، والتي أسهمت بالاجماع الدُّولي على إزالة العبودية وتجارة الرَّقيق، على اعتبار أنها أصبحت شرخاً في الإنسانية.

---

(١) أخرجه أحمد في سنده من حديث ابن عباس (٤/ ٢٦١)، وينظر: إرواء الغليل (١/ ٣١٦).
(٢) انظر: الترمانيني، الرِّق ماضيه وحاضره، ص٣٢.

أخلص إلى القول: إن الكتاب حقق هدفه المرسوم، وهو تسجيل ذاكرة السُّود في تاريخ وحضارة الإسلام، قدر المستطاع ليس على صنف معين أو طبقة معينة، إنما جاء جرداً شاملاً، مع بيان اختلاف المعاملة من حضارة إلى أخرى وجيل إلى جيل، وتقديم صورة واضحة عن دور هؤلاء في الإسلام، من مختلف النَّواحي، الاجتماعية والسِّياسية والثَّقافية، والمادة التي بُني عليها الكتاب هي التَّراجم والسِّير، فهي التي تحدثت عن أدوارهم/ أدوارهنَّ المختلفة في الحياة.

انتهى

المصـــادر والمـــراجـــع

المصادر والمراجِع

ـ ابن الأبار، محمد بن عبد الله القضاعي الأندلسي (ت ٦٥٨هـ).

المقتضب في كتاب تحفة القادم. اختيار: إبراهيم البلفيقي. تحقيق: إبراهيم الإبياري. القاهرة: المطبعة الأميرية ١٩٥٦م.

ـ ابن أبي الحديد، عزُّ الدِّين بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦هـ).

شرح نهج البلاغة. تحقيق: محمد عبد الكريم النِّمري. بيروت: دار الكتب العلميّة ٢٠٠٣م.

ـ ابن الأثير، عزُّ الدِّين علي بن أبي أكرم (ت ٦٣٠هـ).

أسد الغابة في معرفة الصَّحابة. تحقيق: علي محمد معوض وعلول أحمد عبد الموجود. بيروت: دار الكتب العلميَّة.

الكامل في التَّاريخ. بيروت: دار صادر، بلا تاريخ نشر.

اللُّباب في تهذيب الأنساب. القاهرة: مكتبة القدسي ١٣٥٧هـ عن نسخة الخزانة التَّيموريَّة ـ دار الكتب المصريَّة العامرة.

ـ ابن أبي أُصيبعة، أبو العباس موفق الدِّين أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ).

عيون الأنباء في طبقات الأطباء. بيروت: دار الثَّقافة ١٩٨٧م.

ـ ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ).

غَوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المُسندة. تحقيق: عِزّ الدِّين عليٍّ السَّيد ومحمد كمال الدِّين. بيروت: عالم الكتب ١٩٨٧م.

ـ ابن بطلان، المختار بن الحسن بن عبدون البغدادي (ت ٤٥٨هـ).

رسالة جامعة لفنون نافعة في شرى الرَّقيق وتقليب العبيد (ضمن نوادر المخطوطات المجموعة الرَّابعة). تحقيق: عبد السَّلام هارون. مصر: الطبعة الثَّانية ١٩٧٣م.

ـ ابن بطوطة، محمد بن إبراهيم اللواتي (ت ٧٧٩هـ).

رحلة ابن بطوطة: تُحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. بيروت: دار صادر ١٩٩٨م.

ـ ابن تغرى بردى، أبو المحاسن جمال الدِّين يوسف الأتابكي (ت ٨٧٦هـ).

النُّجوم الزَّاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة: مطبعة دار الكتب ١٩٢٩م.

ـ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ).

تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش. تحقيق: مرزوق علي إبراهيم. الرِّياض: دار الشَّريف للنَّشر والتَّوزيع ١٩٩٨م.

صفة الصَّفوة. تحقيق: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي. حلب: دار الوعي ١٩٧٣م.

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلميَّة ١٩٩٢م.

ـ ابن حبيب، أبو جعفر محمد (ت ٢٤٥هـ).

كتاب أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهليَّة والإسلام وأسماء مَن قُتل من الشُّعراء. تحقيق: عبدَ السَّلام محمد هارون. مصر: شركة مصطفى البابَي الحلبي وأولاده ١٩٧٣م (ضمن نوادر المخطوطات، المجموعة الأولى).

كتاب المحبر، برواية السُّكري. تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر. بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، بلا تاريخ نشر.

ـ ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).

الإصابة في تمييز الصَّحابة. تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض. بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٥م.

لسان الميزان. تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض. بيروت: دار الكتب العلميَّة ١٩٩٦م.

ـ ابن خلِّكان، شمس الدِّين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ).

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الثَّقافة ١٩٦٩- ١٩٧٠م.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان. تحقيق: محمد محيي الدِّين عبد الحميد. القاهرة: مكتبة النَّهضة المصرية ١٩٤٨م.

ـ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ).

مقدمة ابن خلدون. تحقيق: علي عبد الواحد وافي. مصر: نهضة مصر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع ٢٠٠٤م.

ـ ابن الخياط، خليفة العصفوري (٢٤٠هـ).

تاريخ خليفة بن الخياط. رواية: ابن مُخلد. تحقيق: سهيا زكار. إحياء التُّراث القديم ١٩٦٧ـ١٩٦٩م.

ـ ابن دُريد، محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ).

الاشتقاق. تحقيق: عبد السَّلام محمد هارون. بغداد: مكتبة المثنى ١٩٧٩م.

ـ ابن الدَّيبع، عبد الرَّحمن بن محمد بن عمر (ت ٩٤٤هـ).

بُغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد. تحقيق: عبد الرَّحمن محمد الحبشي. صنعاء: مركز الدِّراسات والبحوث اليمنيَّة ١٩٧٩م.

ـ ابن رَشيق، أبو علي الحسن القيرواني(ت ٤٥٦هـ).

العُمدة في صناعة الشِّعر ونقده. تحقيق: النَّبوي عبد الواحد شعلان. القاهرة: مكتبة الخانجي ٢٠٠٠م.

ـ ابن الرُّومي، علي بن العباس بن جريح أو جرجيس (ت ٢٨٣هـ).

ديوان ابن الرُّومي. شرح: أحمد حسن بسبج. بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٢م.

ـ ابن سعد، محمد المعروف بكاتب الواقدي (ت نحو ٢٣٠هـ).

الطَّبقات الكبرى. بيروت: دار صادر، بلا تاريخ نشر.

ـ ابن سَلام، أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ).

كتاب الأموال. تحقيق: محمد خليل هراس. بيروت: دار الفكر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع ١٩٨٨م.

ـ ابن سَلام، محمد الجميحي (ت ٢٣١هـ).

طبقات الشُّعراء. بيروت: دار الكتب العلميَّة ١٩٨٢م.

ـ ابن الطِّقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٩٨هـ).

الفخري في الآداب السُّلطانية والدُّول الإسلامية. بيروت: دار صادر، بلا تاريخ نشر.

ـ ابن عبد البرِّ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ).

الاستيعاب في معرفة الأصحاب. مصر ـ الفجالة: مكتبة النَّهضة، بلا تاريخ نشر.

ـ ابن عبد ربِّه، أحمد بن محمد الأندلسي (٣٢٨هـ).

العَقد الفريد. تحقيق: عبد المجيد الرَّحيني. بيروت: دار الكتب العلميَّة ١٩٨٧م.

ـ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ).

تاريخ مدينة دمشق. تحقيق: عمر العمروي. بيروت: دار الفكر ١٩٩٥م.

ـ ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمداني (ت بعد ٢٩٠هـ).

مختصر كتاب البلدان. ليدن المحروسة: مطبعة بريل ١٣٠٢هـ.

ـ ابن قُتيبة، عبد الله بن مسلم الباهلي (ت ٢٧٦هـ).

الشِّعر والشُّعراء. تحقيق: أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار إحياء الكتب ١٣٦٤هـ.

الشِّعر والشُّعراء أو طبقات الشُّعراء. تحقيق: مفيد قميَحة. بيروت: دار الكتب العلميَّة ١٩٨٥م.

ـ ابن قم الجوزية، شمس الدِّين محمد(ت ٧٥١هـ).

المنار المنيف في الصَّحيح والضَّعيف. بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٨٨م.

ـ ابن الكازروني، ظهير الدِّين علي بن محمد البغدادي (ت ٦٩٧هـ).

مختصر التَّاريخ من أول الزَّمان إلى منتهى دولة بني العباس. تحقيق: مصطفى جواد، فهرست وإشراف: سالم الآلوسي. بغداد: مطبعة الحكومة ١٩٧٠م.

ـ ابن ماكولا، الأمير علي بن هبة الله العكبري (ت ٤٧٥هـ)

الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي ١٩٩٣م.

ـ ابن المرزبان، محمد بن خلف (ت ٣٠٩هـ).

ذم الثُّقلاء. تحقيق: محمد حسين الأعرجي. كولون: منشورات الجمل ١٩٩٩م.

ـ ابن المعتز، عبد الله بن المعتز (قُتل ٢٩٦هـ).

طبقات الشُّعراء. تحقيق: عبد السَّتار أحمد فراج. مصر: دار المعارف ١٩٥٦م.

ـ ابن المُلقن، سِراج الدِّين عمر بن علي المصري (ت ٨٠٤هـ).

طبقات الأولياء. تحقيق: نور شريبة. القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٧٣م.

ـ ابن مُنَبِّه، أبو عبد الله وهب الأبناوي (ت ١١٤هـ).

كتاب التِّيجان في ملوك حمير. رواية: ابن هشام. صنعاء: مركز الدِّراسات والأبحاث اليمنية ١٩٧٩م (عن طبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م).

ـ ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ).

مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر. تحقيق: مأمون الصَّاغرجي. دمشق: دار الفكر ١٩٨٩م.

ـ ابن منقذ، أبو العباس أحمد بن حسن القسَنطيني(ت ٨٠٩هـ).

الوفيات معجم زمني للصَّحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من ١١ـ ٨٠٧ هـ. تحقيق: عادل نويهض. بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٩٨٣م.

ـ ابن نباتة، جمال الدِّين المصري (ت ٧٦٨هـ).

سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون. تحقيق: أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار الفكر العربي.

ـ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت ٢١٣هـ).

السِّيرة النَّبويَّة. تحقيق: مصطفى السَّقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شبلي. دمشق: دار الخير ٢٠٠٤م.

ـ أبو تمام، (الإمام الشَّاعر الأديب الماهر) حبيب بن أوس (ت ٢٣١هـ).

نقائض جرير والأخطل. تحقيق: الأب إنطوان صالحاني اليسوعي. بيروت: المطبعة الكاثوليكيَّة ١٩٩٢م.

ـ أبو الفداء، الملك المؤيد إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ).

المختصر في أخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الفداء. تحقيق: محمود ديوب. بيروت: دار الكتب العلميَّة ١٩٩٧م.

ـ أبو يوسف، قاضي القضاة يعقوب الأنصاري (ت ١٨٢هـ).

كتاب الخراج. بيروت: دار المعرفة ١٩٧٩م.

ـ الأخطل، غياث بن غوث بن الصَّلت التَّغلبي (ت ٩٢هـ).

ديوان الأخطل. شرح: مجيد طراد. بيروت: دار الجيل ١٩٩٥م.

ـ إخوان الصَّفا وخِلان الوفا (القرن الرابع الهجري)

الرِّسائل. بمباي: مطبعة نخبة الأخيار ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م.

الرَّسائل. تحقيق: بطرس البستاني. بيروت: دار صادر ٢٠٠٦م.

ـ الأزهري، أحمد الحفني (ت بعد ١٩٠٣م).

الجواهر الحِسان في تاريخ الحِبشان. مصر ـ بولاق: المطبعة الكبرى الأميريَّة ١٣٢١هـ.

ـ إسماعيل، محمود

المهمشون في التَّاريخ الإسلامي. القاهرة: رؤية للنَّشر والتَّوزيع ٢٠٠٤م.

ـ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ).

كتاب الأغاني. تحقيق: لجنة من الأدباء. بيروت: دار الثَّقافة ١٩٨٣م.

كتاب الأغاني. تحقيق: إحسان عباس وإبراهيم السَّعافين وبكر عباس. بيروت: دار صادر ٢٠٠٨م.

ـ مقاتل الطَّالبيين. تحقيق: أحمد صقر. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٩٨٧م.

ـ الأصفهاني، أبو القاسم الرَّاغب حسين بن محمد (٥٠٢هـ).

محاضرات الأُدباء ومحاورات الشُّعراء والبُّلغاء. بيروت: منشورات دار الحياة ١٩٦١م.

ـ الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ).

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. بيروت: بلا مكان وتاريخ نشر.

ـ الأمين، محسن العاملي (ت ١٩٥٢م).

أعيان الشِّيَّعة. بيروت: دار المعارف ١٩٨٦م.

ـ الأنباري، كمال الدِّين عبد الرَّحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ).

نُزهة الألباء في طبقات الأُدباء. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٩٨م.

ـ الأندلسي، ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ).

الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السَّابعة. تحقيق: إبراهيم الأبياري. مصر: دار المعارف ١٩٤٥م.

ـ الأندلسي، إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاري (ت ٤٥٥هـ).

كتاب العنوان في القراءات السَّبع. تحقيق: زهير زاهر وخليل عطيَّة. بيروت: عالم الكتب ١٩٨٦م.

ـ الأنصاري، أبو زيد بن أوس بن ثابت (٢١٥هـ).

النَّوادر في اللُّغة. تحقيق: محمد عبد القادر أحمد. بيروت: دار الشُّروق ١٩٨١م.

ـ الأوني، أبو عبيد البكري الوزير (ت ٤٨٧هـ).

سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي. تحقيق: عبد العزيز الميمني. مصر: مطبعة لجنة التَّأليف والتَّرجمة والنَّشر ١٩٣٦م.

ـ الأيوبي، ياسين

معجم الشُّعراء في لسان العرب. بيروت: دار الملايين ١٩٨٠م.

ـ البخاري، إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ).

كتاب التَّاريخ الكبير. بيروت: دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بلا تاريخ نشر.

ـ البخاري، محمد بن عبد الباقي (ت ٩٩٣هـ).

الطِّراز المنقوش في محاسن الحبوش. تحقيق: عبد الله محمد الغزالي. الكويت: مكتبة الآفاق ٢٠١٣م.

ـ بدوي، عبده (ت ٢٠٠٥م).

السُّود والحضارة العربية. القاهرة: وزارة الثَّقافة، المكتبة العربية، يصدرها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ١٩٧٦م.

الشُّعراء السُّود خصائصهم في الشِّعر العربي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

الشِّعر في السُّودان. الكويت: كتاب عالم المعرفة العدد ٤١ مايو (أيار) ١٩٨١م.

ـ بدوي، عبد الرَّحمن (ت ٢٠٠٢م).

موسوعة المستشرقين. بيروت: دار الملايين ١٩٩٣م.

ـ بروكلمان، كارل (ت ١٩٥٦م).

تاريخ الأدب العربي. ترجمة: عبد الحليم النَّجار ورمضان عبد التَّواب والسَّيد يعقوب بكر. القاهرة: دار المعارف ١٩٧٧م.

ـ البغدادي، أحمد بن علي الخطيب (ت ٤٦٣هـ).

تاريخ بغداد أو مدينة السَّلام. بيروت: دار الكتاب العربي، بلا تاريخ نشر.

تاريخ بغداد أو مدينة السّلام. تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامية ٢٠٠١م.

ـ البغدادي، إسماعيل باشا (ت ١٩٢٠م).

هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين. استانبول: طبع في مطبعة وكالة المعارف ١٩٥١م.

ـ البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ).

خَزانة الأدب ولبُّ لباب لسَّان العرب. تحقيق: عبد السَّلام محمد هارون. القاهرة: دار الكتاب العربي للطِّباعة والنَّشر ١٩٦٧م.

ـ البغدادي، محمد بن الحسن بن محمد (صنف الكتاب ٦٢٣هـ).

كتاب الطبيخ. تحقيق داود جلبي. الموصل: مطبعة أم الربيعين ١٩٣٤م.

ـ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٩٧هـ).

جُمل من أنساب الأشراف. تحقيق: سُهيل زكار ورياض زِركلي. بيروت: دار الفِكر ١٩٩٦م.

أنساب الأشراف. تحقيق: عبد العزيز الدُّوري وآخرون. بيروت: دار فرانتس شتاير بفيسبان ١٩٧٨م.

ـ البَلخي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت ٣٢٢هـ).

كتاب البدء والتَّاريخ. بيروت: دار الكتب العلميَّة ١٩٩٧م.

ـ البَلَّخي، (ت ٣١٩هـ)، الأسدأبادي(ت ٤١٥هـ)، الجشمي(ت ٤٩٤هـ).

فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة. تحقيق فؤاد سيد. الدار التونسية للنشر ١٩٧٤م.

ـ بنمليح، عبد الإله

الرِّق في بلاد المغرب والأندلس. بيروت: دار الانتشار ٢٠٠٤م.

ـ التَّرمانيني، عبد السَّلام (ت ١٩٩٠م).

الرِّق ماضيه وحاضره. الكويت: سلسلة عالم المعرفة، الكتاب، نوفمبر (تشرين الثَّاني) ١٩٧٩م رقم: ٢٣.

ـ التَّنوخي، القاضي أبي علي المُحسَّن بن علي (ت ٣٨٤هـ).

ـ الفرج بعد الشِّدة. تحقيق: عبود الشَّالجي. بيروت: دار صادر ١٩٧٨م.

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة. تحقيق: عبود الشَّالجي. بيروت: مطابع دار صادر ١٩٧٣م.

ـ التَّوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت ٤١٤هـ).

الصَّداقة والصَّديق. تحقيق: إبراهيم الكيلاني. دمشق: دار الفكر ١٩٩٦م.

الرِّسالة البغدادية. تحقيق: عبود الشَّالجي. بيروت: مطبعة دار الكتب ١٩٨٠م.

ـ التُّونسي، محمد بن عمر (١٨٥٧م).

تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسُّودان. تحقيق: خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد. القاهرة: المؤسسة المصريَّة العامة للتأليف والأنباء والنَّشر والدار المصريَّة للتأليف والتَّرجمة ١٩٦٥م.

ـ الثَّعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ).

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت ـ صيدا: المكتبة العصريَّة ٢٠٠٣م (مصور عن طبعة ١٩٦٥م).

لطائف المعارف. تحقيق: P. De Jng. بريل ١٨٦٧ (MDCCLXVII).

الشَّكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب. تحقيق: قسم دار الصَّحابة. طنطا: دار الصَّحابة للتراث ١٩٩٢م.

ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ).

البيان والتبيين. تحقيق: عبد السَّلام محمد هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٩٨م.

رسائل الجاحظ. تحقيق: عبد السَّلام محمد هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٦٤م.

كتاب الحيوان. تحقيق: عبد السَّلام محمد هارون. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثَّانيَّة (١٩٦٥ـ١٩٦٨م).

مجموعة رسائل (رسالة طبقات المغنين). القاهرة: مطبعة التَّقدم بشارع محمد علي. بلا تاريخ نشر.

ـ الجبوري، يحيى

شعر عبدة بن الطَّبيب (جمع وتحقيق). بيروت: دار التَّربيَّة ١٩٧١م.

ـ الجرجاني، الشَّريف علي بن محمد (ت ٨١٦هـ).

كتاب التَّعريفات. بيروت: دار الكتب العلميَّة ١٩٩٥م.

ـ الجلالان، الإمامان المحلي (ت ٨٦٤ هـ) والسَّيوطي (ت ٩١١).

تفسير الجلالين. بيروت: دار الكتاب العربي ١٩٨٧م.

ـ الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ).

الصَّحاح تاج اللُّغة وصِحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. مصر: دار الكتاب العربي.

ـ حسن، رشدي

ديوان أبي دُلامة الأسدي (إعداد). بيروت: مؤسسة الرِّسالة ودار عمار ١٩٨٥م.

ـ الحَموي، ياقوت الرُّومي (ت ٦٢٦هـ).

معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. تحقيق: إحسان عباس. تونس: دار الغرب الإسلامي ١٩٩٣م.

معجم البلدان. بيروت: دار صادر ١٩٩٥م.

ـ خليف، يوسف عبد القادر (ت ١٩٩٥م).

حياة الشِّعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثَّاني الهجري. القاهرة: دار الكتاب العربي للطِّباعة والنَّشر ١٩٦٨م.

ـ الخليلي، جعفر (ت ١٩٨٥م).

هكذا عرفتهم. بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠٠٩م.

ـ الخياط، أبو الحسين عبد الرَّحيم المعتزلي (ت ٢٩٠هـ)

كتاب الانتصار والرَّد على ابن الرَّوندي الملحد. تحقيق: نيبزج أستاذ جامعة أبسالة من مملكة السُّويد. بيروت: دار قابس ١٩٨٦م (تصوير عن الطَّبعة القديمة).

ـ الدِّمشقي، شمس الدِّين عبدالله القيسي (ت ٨٤٢هـ).

توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وانتسابهم وألقابهم وكناهم. تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي. بيروت: مؤسسة الرسالة ١٩٩٣م.

ـ الدُّوري، عبد العزيز (ت ٢٠١٠م).

تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرَّابع الهجري. بيروت: مركز دراسات الوحدة ١٩٩٥م الطبعة الأولى ١٩٤٨م.

ـ ديلبيانو، باتريسيا

العبودية في العصر الحديث. ترجمة: أماني فوزي حبشي. أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثَّقافة ـ مشروع كلمة ٢٠١١م.

ـ ديورانت، وليم جيمس (ت ١٩٨١م).

قصة الحضارة (حياة اليونان). ترجمة: محمد بدران. الجامعة العربية ـ الإدارة الثَّقافيَّة، المجلد ٢ الجزء ٢.

ـ الذَّهبي، شمس الدِّين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: عمر عبد السَّلام تَدمري. بيروت: دار الكتاب العربي ١٩٩٧م.

سير أعلام النُّبلاء. تحقيق: شُعيب الأرناؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرِّسالة ١٩٨١م.

معرفة القراء الكبار على الطَّبقات والأعصار. تحقيق: بشار عواد معروف وشُعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس. بيروت: مؤسسة الرِّسالة ١٩٨٤م.

ميزان الاعتدال. تحقيق: علي محمد البجاوي. مصر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ١٩٦٣م.

ـ رشيد، فوزي (ت ٢٠١١م).

القوانين في العِراق القديم. بغداد: وزارة الإعلام ـ دائرة الشّؤون الثَّقافيَّة العام ١٩٨٨م.

ـ الزِّركلي، خير الدِّين (ت ١٩٧٦م).

الأعلام قاموس تراجم أشهر الرِّجال والنِّساء مِن العرب والمستعربين والمستشرقين (١٩٥٤ـ١٩٥٩م).

ـ الزَّمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر (ت ٥٣٨هـ).

أساس البلاغة. تحقيق: محمد باسل عيون السُّود. بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٨م.

ربيع الأبرار في نصوص الأخبار. تحقيق: عبد الأمير مهنا. بيروت: منشورات الأعلمي للطِّباعة ١٩٩٢م.

ـ سالمة بنت سعيد بن سلطان آل بوسعيد الأميرة العمانية (ت ١٩٢٦م).

مذكرات أميرة عربية. ترجمة: عبدالمجيد القيسي. سلطنة عُمان: وزارة التراث القومي والثقافي ١٩٨٥م صدرت طبعة الكتاب العربية الأولى ١٩٧٤، وكانت المؤلفة قد أصدرت مذكراتها في حياتها بالطبعة الأجنبية ببرلين ١٨٨٦م.

ـ السَّامر، فيصل (ت ١٩٨٢م).

ثورة الزُّنج. بغداد: مكتبة المنار ١٩٧١م.

ـ السَّخاوي، أبو الخير شمس الدِّين عبد الرَّحمن (ت ٩٠٢هـ).

التُّحفة اللَّطيفة في تاريخ المدينة الشَّريفة. النَّاشر: أسعد طرابزوني الحسيني ١٩٨٠م، بلا مكان نشر.

ـ سُكر، عزمي

معجم الشُّعراء في تاريخ الطَّبري. بيروت: المكتبة العصريَّة ١٩٩٩م.

ـ السُّلمي، أبو عبد الرَّحمن محمد بن الحسين (ت ٤١٢هـ).

طبقات الصُّوفيَّة. تحقيق: نور الدِّين شريبه. مصر: مطابع دار الكتاب العربي جماعة الأزهر للنَّشر والتَّأليف ١٩٥٣م.

ـ السَّيوطي، جلال الدِّين عبد الرَّحمن (ت ٩١١هـ).

أزهار العروش في أخبار الحُبوش. تحقيق: يحيى عبابنه وهاني هياجنة. الأردن – أربد: دار الكتاب الثَّقافي ٢٠٠٦م.

تاريخ الخلفاء. بيروت: دار ابن حزم ٢٠٠٣م.

رفع شأن الحبشان. تحقيق: محمد عبد الوهاب فضل. القاهرة: ٢٠٠٧ (طبعة مصورة عن طبعة ١٩٩١م).

نزهة العُمر في التَّفضيل بين البيض والسُّود والسُّمر. بيروت: دار الانتشار ٢٠٠٥م.

ـ الشَّابُشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ).

الدَّيارات. تحقيق: كوركيس عواد. بغداد: مطبعة المعارف ١٩٥١م.

ـ الشَّامي، فاطمة قدورة

الرِّق والرَّقيق في العصور القديمة والجاهليَّة وصدر الإسلام. بيروت: دار النَّهضة ٢٠٠٩م.

ـ شقرون، محمد

الإسلام الأسود ـ سلسلة الإسلام واحداً متعدداً. بيروت: دار الطَّليعة، رابطة العقلانيين العرب ٢٠٠٧م.

ـ الشَّهابي، قتيبة

معجم ألقاب أرباب السُّلطان في الدَّولة الإسلامية من العصر الرَّاشدس حتى بدايات القرن العشرين. دمشق: منشورات وزارة الثَّقافة ١٩٩٥م.

ـ شير، السَّيد آدي (قتل ١٩١٥م).

معجم الألفاظ الفارسية المعرَّبة. بيروت مكتبة لبنان ١٩٨٠م.

ـ الصَّفدي، صلاح الدِّين خليل أيبك (ت ٧٦٤هـ).

نكت الهيمان في نُكت العميان. تحقيق: أحمد زكي باشا. مصر: المطبعة الجماليَّة ١٩١١م.

الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التُّراث العربي ٢٠٠٠م.

الوافي بالوفيات. تحقيق: ليلة بنت حشمة والمعافى بن زكريا الجزيري. بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشَّرقية ١٩٩٢م.

ـ الصُّولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ).

كتاب الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء. تحقيق: ج هيورث. دن. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثَّقافة ٢٠٠٤م.

ـ الضَّبي، المفضل بن يعلي بن عامر (ت نحو ١٧٨هـ).

المفضليات. تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السَّلام هارون. القاهرة: دار المعارف ١٩٦٤م.

ـ الطَّبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).

تاريخ الأُمم والملوك. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٩٩٨م.

ـ الطَّهطاوي، رفاعة رافع (ت ١٨٧٣م).

تخليص الإبريز في تلخيص باريز. دمشق: دار المدى للثقافة والنشر ٢٠٠٢م.

ـ الطِّيبي، أمين توفيق

الحَبشة عربية الأُصول والثَّقافة. ليبيا ـ طرابلس: مركز جهاد اللِّيبيين للدِّراسات التَّاريخية ١٩٩٣م.

ـ العبود، رضوان مهدي

شعر سَديف بن ميمون (جمع وتحقيق). النَّجف: مطبعة الغري الحديثة ١٩٧٤م.

ـ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ).

الأوائل. تحقيق: محمد السَّيد الوكيل. القاهرة: دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ١٩٨٧م.

ـ العقيقي، نجيب

المستشرقون. القاهرة: دار المعارف ١٩٨٠ـ ١٩٨١م.

ـ علبي، أحمد

ثورة الزِّنج وقائدها عليُّ بن محمد. بيروت: منشورات مكتبة الحياة.

ـ العلي، صالح أحمد (ت ٢٠٠٣م).

التَّنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري. بيروت: دار الطَّليعة ١٩٦٩م.

ـ العِماد الأصبهاني، محمد بن أحمد (ت ٥٩٧هـ).

خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر). تحقيق: أحمد أمين وإحسان عباس وشوقي ضيف. القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القوميَّة ٢٠٠٥م نسخة مصورة عن طبعة ١٩٥١م.

ـ عويس، عبد الحليم

ـ دولة بني حماد صفحة رائعة مِن التَّاريخ الجزائري. القاهرة: دار الصَّحوة للنَّشر والتَّوزيع ١٩٩١م.

ـ العويَّل، أحمد محمد السَّيد عبد المنعم

الأحابيش ودورهم في العصر الجاهلي وصدر الإسلام. القاهرة: مكتبة الثَّقافة الدِّينيَّة ٢٠١٣م.

ـ الغزالي، عبد الله محمد

السُّود في التُّراث العباسي قراءة في الجاحظ وابن الجوزي. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية (تأسست ١٩٨٦م) الحولية: ٢٠ الرسالة: ١٣٨ السنة ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م عن جامعة الكويت مجلس النَّشر العلمي.

ـ الغزالي، محمد (العهد العثماني).

هدايَّة المريد في تقليب العبيد. ضمن نوادر المخطوطات (المجموعة الرَّابعة)، تحقيق: عبد السَّلام هارون، الطبعة الثانية ١٩٧٣م.

ـ الفاكهي، محمد بن إسحاق بن عباس المكي (ت بعد ٢٧٢هـ).

أخبار مكة في قديم الدَّهر وحديثه. تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. بيروت: دار خضر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع ١٩٩٤م.

ـ الفراء، القاضي أبي الحسين محمد الحنبلي (ت ٥٢٦هـ).

طبقات الحنابلة. تحقيق: عبد الرَّحمن بن سُليمان العُثيمين. الرِّياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

ـ هنتس، فالتر

المكاييل والأوزان الإسلامية وما يُعادلها في النِّظام المتري. ترجمة: كامل العسلي. عمان: منشورات الجامعة الأُردنية ٢٠٠١م. الطبعة الأُولى ١٩٧٠م.

ـ الفيروزآبادي، مجد الدِّين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ).

تحفة الأبية فيمَن نُسب إلى غير أبيه. تحقيق: عبد السَّلام هارون. مصر: شركة مكتبة مصطفى (ضمن نوادر المخطوطات المجموعة الأولى).

القاموس المحيط. مؤسسة الرِّسالة. تحقيق: التُّراث في مؤسسة الرِّسالة ١٩٩٨م (مجلد واحد).

ـ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ).

آثار البلاد وأخبار العباد. بيروت: دار صادر ١٩٩٨م.

ـ القُشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (ت ٤٦٥هـ).

الرِّسالة القشيريَّة. تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشَّريف. القاهرة: دار الكتب الحديثة، بلا تاريخ نشر.

ـ القفطي، الوزير جمال الدِّين علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ).

أخبار العلماء بأخبار الحكماء. مصر: مطبعة السَّعادة ١٣٢٦هـ.

ـ القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري (ت ٤٥٣هـ).

زهر الآداب وثمر الألباب. شرح: زكي مبارك. بيروت: دار الجيل ١٩٧٢م.

ـ القيسي، ناهض عبد الرَّزاق

النُّقود في العِراق. بغداد: بيت الحِكمة ٢٠٠٢م.

ـ القيسي، نوري حمودي

شعر خفاف بن نُدبة السُّلمي (جمع وتحقيق). بغداد: مطبعة المعارف ١٩٦٨م.

ـ الكاسَاني، الإمام علاء الدِّين أبو بكر بن مسعود الحنفي (ت ٥٨٧هـ).

بدائع الصَّنائع في ترتيب الشَّرائع. تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود. بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٣م.

ـ الكُتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ).

فوات الوفيات والدَّليل عليها. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر.

ـ كحالة، عمر رضا (ت ١٩٨١م).

أعلام النِّساء في عالمي العرب والإسلام. دمشق: المطبعة الهاشميَّة ١٩٥٩م.

معجم المؤلفين تراجم مُصنفي الكتب العربية. بيروت: دار إحياء التُّراث العربي، مصور عن الطبعة الأولى ١٩٥٧م.

ـ الكواكبي، عبد الرَّحمن (ت ١٩٠٢م).

الأعمال الكاملة. تحقيق: محمد عمارة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنَّشر ١٩٧٥م، والقاهرة: دار الشُّروق ٢٠٠٧م.

ـ مالك بن أنس الإمام (ت ١٧٩هـ).

كتاب المُوطَّأ. تحقيق: حامد أحمد الطَّاهر. القاهرة: دار الفجر للتُّراث ٢٠٠٥م.

ـ المُبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ).

الكامل في اللُّغة والأدب. تحقيق: أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية ٢٠٠٦م.

مجموعة مؤلفين. قاموس الكتاب المقدس. القاهرة: دار الثَّقافة ١٩٩٤م الطبعة الأولى ١٨٩٤م.

ـ محمد، محمد عبد الجواد

التَّطور التَّشريعي في المملكة العربية السُّعودية. القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي ١٩٧٧م.

ـ المرزباني، محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ).

ـ أخبار شُعراء الشِّيعة. تحقيق: محمد هادي الأميني. بيروت: شركة الكُتبي للطِّباعة والنَّشر١٩٩٣م (الطَّبعة الأولى ١٩٦٨م).

معجم الشُّعراء. تحقيق: عبد السَّتار أحمد فراج. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثَّقافة ٢٠٠٣م.

ـ مرعي، عيد

قوانين بلاد ما بين النهرين (تعريب عن السُّومرية والأكاديَّة). دمشق: دار الينابيع ١٩٩٥م.

ـ المزروعي، فاطمة حمد

تمثيلات الآخر في أدب قبل الإسلام. أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثَّقافة والتُّراث، المجمع الثَّقافي ٢٠٠٧م.

ـ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ).

أخبار الزَّمان ومَن أباده الحدثان وعجائب البلدان. النَّجف: المكتبة الحيدرية ١٩٦٦.

مروُّج الذَّهب ومَعادن الجوهر. تحقيق: شارل بلا. بيروت: منشورات الجامعة اللُّبنانيَّة ١٩٧٣م (عن طبعة بربيه دي مينار وبافيه دي كرتاي).

ـ مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ).

تجارب الأُمم. تحقيق: أبو القاسم إمامي. طهران: دار سروش ١٩٩٧م.

ـ مشكور، محمد جواد.

موسوعة الفرق الإسلامية. تعريب: علي هاشم. بيروت: مجمع البحوث الإسلامية ١٩٩٥م.

ـ المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله (ت ٤٤٩هـ).

اللزُّوميات ديوان لزوم ما لا يلزم. تحقيق: عمر الطَّباع. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، بلا تاريخ نشر.

ـ المقريزي، تقي الدِّين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ).

الإلمام بأخبار مَن بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، أو أخبار الحبشة. مخطوط، الكتبخانة الأزهريَّة، رقم خصوصي: ٢٧٣٤ وعمومي: ٤٢٦٩٠.

رسائل تقي الدِّين المقريزي. الرِّسالة السَّابعة. تحقيق: رمضان البدري وأحمد مصطفى قاسم. القاهرة: دار الحديث ١٩٩٨م.

النُّقود الإسلامية. تحقيق: محمد السَّيد علي بحر العلوم. النَّجف: المكتبة الحيدرية ١٩٦٧م.

ـ مونتسكيو، شارل لويس (ت ١٧٥٥م).

روح الشَّرائع. ترجمة: عادل زعيتر. مصر: دار المعارف ١٩٥٣م.

ـ نادر، كاظم

تمثيلات الآخر صورة السُّود في المتخيل العربي الوسيط. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنَّشر ٢٠٠٤م.

ـ النَّديم، أبو الفرج محمد (ت نحو ٤٣٨هـ).

كتاب الفهرست. تحقيق: رضا تجدد المازندراني. بيروت: دار المسيرة، بلا تاريخ نشر.

ـ النَّشابي، أبو المجد مجد الدِّين أسعد بن إبراهيم الأربلي (ت ٦٥٧هـ).

المذاكرة في ألقاب الشُّعراء. تحقيق: شاكر العاشور. دمشق: رند للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، الطبعة الثَّالثة ٢٠١٠م.

ـ النُّعمان، ابن محمد أبو حنيفة القاضي (ت ٣٦٣هـ).

المجالس المسايرات. تحقيق: الحبيب الفقي وإبراهيم شبُّوخ ومحمد اليغلاوي. بيروت: دار المنتظر ١٩٩٦م.

ـ النَّوبختي، الحسن بن موسى (القرن الثَّالث الهجري).

فرق الشِّيعة. تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم. النجف: المطبعة الحيدرية ١٩٣٦م.

ـ الهندي، العلامة علاء الدِّين علي المتقي البرهان فوري(ت ٩٧٥هـ).

كنز العمَّال في سُنن الأقوال والأفعال. ضبط وتصحيح: الشَّيخ بكري حياني والشَّيخ صفوت السَّقا. حلب: مطبعة الثَّقافة ١٩٧٣م.

ـ الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٩٧هـ).

كتاب المغازي. تحقيق: مارسدن جونس. لندن: مطبعة جامعة أكسفورد ١٩٦٦م.

ـ الوَصابي، وجيه الدِّين الحُبيشي (ت ٧٨٢هـ).

تاريخ وصاب الاعتبار في التَّواريخ والآثار. تحقيق: عبد الله محمد الحُبيشي. صنعاء: مركز الدِّراسات اليمنيَّة ١٩٧٩م.

ـ اليزيدي، عبد الله بن محمد بن المبارك (ت ٣١٠هـ).

كتاب الأمالي. بيروت: عالم الكتب ١٩٨٤م.

ـ اليَسوعي، الأب لويس شيخو (ت ١٩٢٧م).

شعراء النَّصرانيَّة بعد الإسلام. بيروت: دار المشرق ١٩٦٧م.

ـ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٩٢هـ).

تاريخ اليعقوبي. بيروت: دار صادر، بلا تاريخ نشر.

ـ اليمني، نجم الدِّين عمارة بن أبي الحكمي (قُتل ٥٦٩هـ).

تاريخ اليمن المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها. مصر: دار الثَّناء للطِّباعة ١٩٥٧م.

تاريخ اليمن المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها. تحقيق: علي الأكوع الحوالي. صنعاء: مطبعة العِلم ١٩٧٩م.

¿¿¿

ـ ديوان المتنبي بزياداته. تحقيق: شهاب شهاب الدِّين أبو عمرو. أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسِّياحة والثَّقافة، دار الكتب الوطنية ٢٠١٢م.

ـ شريعة حمورابي. ترجمة: عبد المسيح وزير وعبده حسن الزيات (ترجمتان). جمع وتقديم: سالم الآلوسي. بغداد ـ بيروت: دار المدى ٢٠١٤م.

ـ الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)، بيروت: دار المشرق ١٩٨٨م.

ـ المنجد في اللغة والأعلام، بيروت: دار الشُّروق، الطَّبعة: ٢٩.

ـ الكتاب التذكاري، جامعة الملك سعود ـ عمادة البحث العلمي، مركز بحوث كلية الآداب، تقديم وعرض سهيل صابان ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

ـ موسوعة الحديث الشَّريف. الكتب السِّتة. الرِّياض: دار السَّلام للنَّشر والتَّوزيع. الطبعة الثَّالثة ٢٠٠٠م.

ـ مجلة الثَّقافة الجديدة (العراق)، العدد ١٩٨ حزيران ١٩٨٨م السنة ٣٥.

ـ مجلة الدِّراسات السُّودانيَّة، المجلد الأول، العدد الأول، يوليو ١٩٦٨م.

ـ مجلة الرسالة المصرية، لمنشئها الأديب أحمد حسن الزيَّات، صدرت ١٩٣٣ .

ـ مجلة سومر، تبحث في آثار العراق القديمة، تصدرها مديرية الآثار القديمة العامة، بغداد، صدرت العام ١٩٤٥م.

ـ مجلة المنار، لمنشئها الشيخ محمد رشيد رضا، صدرت ١٨٩٨ .

ـ "عهد نامه" نص مخطوط مصور لمعاهدة ملكة بريطانيا وسلطان مسقط تركي بن سعيد (١٨٧٣م) في إبطال تجارة الرَّقيق بيعاً وشراءً داخل السلطنة، جهة التزويد المتحف العسكري لجيش السُّلطان بمسقط.

ـ صحيفة الأهرام المصرية، العدد ٤٥٧٥٧ المؤرخ في ١٧ مارس (آذار) ٢٠١٢م السنة ١٣٦ . تأسست في ٢٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٧٥م.

ـ صحيفة روز اليوسف، العدد المؤرخ في ٢ – ٣ تموز (يوليو) ٢٠١٢م. تأسست ٢٠٠٥م صادرة عن مؤسسة روز اليوسف القاهرة.

- Lewis, Bernard
Race and Color in islam. New York, Evanston, san Francisco, London: Harper Torchbook 1971.
Race and slavery in the middle east an historical enquiry. New York, Oxford: Oxford university press 1990.
- Lovejoy, Paul
- Slavery on the Frontiers of Islam. Markus Wiener Publishers 2004
- Pipes, Daniel
salve solders and Islam the Genessis of military system. New Haven and London. Yale University press 1981.
-Segal, Ronald
Islam's Black Slaves, The other Black Diaspora, New York; Farrar, straus and Giroux 2001.

الفهارس العامة

فهرس الأعلام

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
آمنة أم الرسول صلى الله عليه وسلم	٢٦٥
أبان بن عبدالحميد اللاحقي	٢٧٤ -٢٧٥
أبراهام لينكولن	٣١، ٦٧، ٩٧ -٩٨
إبراهيم آل زياد	٢٥٢- ٢٥٣
إبراهيم بن سيابة	١١٨
إبراهيم بن سيار	٢٣٩
إبراهيم بن عبدالله	٢٧٣ -٢٧٤، ٣٢٩ -٣٣٠
إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب	٢٢٩ -٢٣٠
إبراهيم الكاظمي	٥٧، ٧٧، ٣٨٤ -٣٨٥
إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس	٤٤
إبراهيم بن المهدي بن أبي جعفر المنصور	٢٩، ٥٧، ٣٦٧، ٤٠٢ - ٤٠٧
إبراهيم عليه السلام	١٧٣
إبراهيم يوسف	٤٥
أبرهة الحبشي	١٦٥، ٢٢٣، ٢٦٧، ٣١١
ابن أبي أصيبعة	٥٣، ٢٥٨، ٢٦٠
ابن أبي الحديد	٢٩٤ -٢٩٥
ابن أبي سبرة	١٤٦ - ١٤٧

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
ابن أبي عمرة	٢٠٢
ابن أبي مسلم بن شاذل بن سند الكابلي	٢٠٧
ابن الأثير	١٩٤، ٢٧١، ٢٩٤ -٢٩٥، ٣٠٩
ابن إسحاق	١٩٦، ٢١٦ -٢١٧
ابن الأشعث	٢١٢
ابن الأعرابي	٣٢٥
ابن الأعرف	٣٠٠
ابن أم عبد	١٨٩
ابن بطلان الطبيب	٥٣، ٢٥٩ -٢٦٠
ابن بطوطة	١٦٢
ابن تغرى بردى	٢٥٩
ابن جارود	١٤٥، ٣٠٩
ابن الجوزي	٢٥ -٢٦، ٤٥ -٤٩، ٥٣، ٥٥ -٥٦، ٦٢، ٧٤، ١١٠، ١١٥، ١٦٧ -١٦٨، ١٨٤، ١٩٤ -١٩٥، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢١٣، ٢١٧ -٢١٨، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٦٩ -٢٧١، ٢٨٠، ٢٨٢، ٣٩٨

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
ابن جيفر	٣٠٧
ابن حبيب	١٨٥، ٢٨٨
ابن الحجناء	٣٤٩
ابن خلدون	١١١، ١٢٠
ابن خلكان	٤٥، ٢١٠، ٢٣١، ٢٤٩، ٣٧٧
ابن الربيع	١٤٧-١٤٨
ابن رضوان	٥٣، ٢٥٩-٢٦٠
ابن الرومي، علي بن جريج	١١٢، ١٥٣-١٥٤
ابن الزبير	٢١٣-٢١٤
ابن سعد	١٧٠، ٣٨٧-٣٨٨
ابن سلام محمد الجميحي	٣٠٣
ابن سلامة	٢٤٩
ابن شكلة	٤٠٥
ابن طولون	١٥١
ابن عباس	٢١١، ٢١٤-٢١٥
ابن عبدالبر	١٧٣، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٤، ٢٧٠، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٦
ابن عبدالعزى	١٨٠

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
ابن عساكر	١٨٣ -١٨٤، ٢١٩، ٢٢١، ٢٣٢، ٣٧٠
ابن عمر	١٦٩، ٢١٤
ابن عمران	٣٨٥
ابن قتيبة	٤٩، ٥٩
ابن قيم الجوزية	١١٩
ابن كسرى	٣١١
ابن المتيم	٢٨٢
ابن المرزبان	٢٥، ٤٥، ٤٩، ٥٥، ٦٣
ابن المعتز	٥٩، ٣٣٠، ٣٥٨ -٣٦٠، ٣٦٢
ابن معين	٢٠٢
ابن الملقن	٢٣٤ -٢٣٥
ابن منده	١٩٩
ابن منقذ القسنطيني	٣٨٤
ابن هبيرة	٣٤٩
ابن هشام	١٦٤، ١٨٧، ١٩٤ -١٩٥، ٢١٦
ابن وثيل	٣٠٠
ابن وحشي	١٨١

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
أبو أحمد بن جحش	٢٦٨
أبو أذينة اللخمي	٣٢٧
أبو أمية بن خلف	٣٩٠
أبو أيوب	٢١٦
أبو بردة بن أبي موسى الأشعري	٢١٠
أبو بكر الصديق	١٦٨، ١٧٤ -١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٧، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٦٦، ٢٩٢
أبو بكر محمد بن طغج بن جف الفرغاني	٢٤٤
أبو بكر محمد بن مسلم الزهري	٢٠٥
أبو بكرة، نفيع بن مسروح الحبشي	١٩١ -١٩٣
أبو تمام حبيب بن أوس	٣٠٥ - ٣٠٦، ٣٢١، ٣٦١
أبو جعفر الباقر	٢١٤
أبو جعفر المنصور	٢٥، ٤٤، ١٤٥ -١٤٧، ٢٢٩، ٢٧٣، ٣٣٠، ٣٣٢ -٣٣٥، ٣٣٨، ٣٤٣، ٣٥٢، ٣٥٤ -٣٥٦
أبو الجيش	٢٥٠

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
أبو حاتم عبدالملك الأصمعي	٥٨، ٣٤٣
أبو الحجاج بن نمري	٣٨١
أبو الحجناء	٣١٥، ٣٤٣-٣٤٤
أبو حذيفة	١٩١
أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف	١٩٠
أبو الحسن بن عياش	٣٨٣
أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي	٣٨٩
أبو الحسن المسعودي	٤٠، ١٠٧، ٢٢٢، ٢٣٧
أبو الحسين أحمد	٣٧٤
أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن حماد بن المتيم	٢٨١
أبو الحسين أحمد بن يحيى بن الروندي	٢٣٩
أبو الحسين عبدالرحيم الخياط	٢٣٩
أبو الحسين مسلم بن الحجاج	٧٢
أبو حنيفة	٤٣
أبو حيان التوحيدي	١٤١
أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني	٧٣، ١٥٣
أبو دبوبة الزنجي	٢٦١ -٢٦٢
أبو دلامة	٤٧، ٥٩

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
أبو دلامة الأسدي	٧٥
أبو دلف العجلي	٣٥٧-٣٥٩
أبو رويحة الخشعمي	١٧٦- ١٧٧
أبو سعد أحمد بن محمد الأنصاري الماليني	٢٨٠
أبو سعيد الأندلسي	٣٨٠
أبو سفيان بن الحارث	١٨٧
أبو سلمة	١٩٠
أبو طالب	٢٧١
أبو الطيب المتنبي	١٢٠، ٢٤٧-٢٤٩
أبو عاصم الثقفي	٢١٤
أبو العباس السفاح	٣٢٤، ٣٢٦ ، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٥٣، ٣٥٥-٣٥٦
أبو العباس عبدالله بن محمد الناشئ	٤٤
أبو العباس عبدالله بن محمد الناشئ الأكبر	٢٥
أبو العباس الكورائي	٣٨١، ٣٨٣
أبو العباس المبرد	٢٣٨، ٣٠٨، ٣٢٦، ٣٥٩، ٣٦١
أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي	٧٣

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
أبو عبدالرحمن السلمي	٢٤٢
أبو عبدالله بن محمد بن إسماعيل البخاري	٧٢، ٢١٧
أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة	٧٢، ٢١٨
أبو عبيدالله القاسم بن سلام	١٢٧
أبو عبيد البكري	٣٣٩
أبو عبيدة الجراح	١٩٠
أبو عطاء السندي	٥٨، ٣٤٩-٣٥٣، ٣٥٥-٣٥٦
أبو العلاء المعري	١٥٤
أبو علي التنوخي	٤٠٧
أبو عمر بن العلاء البصري	٢٣٠
أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر	٧٣
أبو عمرو بن الحباب	٢٨٣
أبو عمرو زيد بن واقد	٢٠٥
أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي	٧٣، ٢٠٩
أبو غانم حميد الطوسي	٣٥٦-٣٥٧، ٣٦٠
أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس	٢٨١
أبو الفتح محمود بن قادوس	١٦٦، ٣٧٣
أبو الفتح نصر الدين بن قلامس	١١٧

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
أبو الفداء	٢٣٨
أبو الفرج الأصفهاني	٥٩، ٧٦ – ٧٧، ٢١٩، ٢٢١– ٢٢٢، ٢٧٢، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٤٩، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٢ ، ٣٧٤، ٣٧٦ – ٣٧٧
أبو فرعون الشاشي	٢٢٨
أبو القاسم أنوجور	٢٤٥
أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر	٧٤
أبو القاسم القشيري	٢٤٢
أبو القاسم محمود الزمخشري	٧٦–٧٧، ٢٦٢، ٢٨٥، ٢٩٤– ٢٩٥
أبو قلمس عمرو بن قلع	٢٣٦
أبو قيس	١٤٦
أبو لقيط الحبشي	٢٠٣
أبو لهب	٣٢٤
أبو محذورة	١٧٧
أبو محمد سرور الفاتكي	٢٥٧
أبو المسك كافور الليثي	٣٧٠

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
أبو المعالي المكي البغدادي	٢٤٤
أبو معبد عبدالله المكي الداراني بن كثير	٢٣٠
أبو منصور الثعالبي	٧٦، ٣١٩، ٣٢١
أبو ميسرة بن أبي خشيم الفهري	٢١٣
أبو نباتة جمال الدين المصري	١١٧
أبو نخيلة السعدي	٣٣٩-٣٤٢
أبو الهذيل بن العلاف	٦٠
أبو هريرة	١٩٥، ٢٣٣
أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي داؤد	٣٩-٤٠
أبو يزيد المكي الغريض	٢٢١
أبو يعقوب الخزيمي	٣٦٢
أبو يكسوم	٣١١
أبو يوسف	٤٣
أبي بن كعب	١٨٩-١٩٠
أحمد بن أبي فنن	٣٦٤-٣٦٦، ٣٦٨
أحمد بن حنبل	١٩٢، ٢١٧
أحمد بن علي بن الزبير القاضي الرشيد	٣٧٣-٣٧٤
أحمد بن علي الرشيد	٣٧٢

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
أحمد بن علي العسقلاني بن حجر	٧٣
أحمد بن كيغلغ	٢٤٤
أحمد بن محمد	٥٣
أحمد الحنفي القنائي الأزهري	٥٤، ١٦٨
أحمد راتب باشا	١٠٠
أحمد صالح العلي	١٣٠
أحمد عُلبي	٦٩
أحمد محمد السيد العويل	١٦٤
أحمد محمد شاكر	٢٩٦
أحمد المكرم الصليحي	٢٥٥
الأحنف بن قيس	٢٩٤
الأخطل	٤١، ٢٢٥، ٢٨٥، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٢، ٣٩٤، ٤٠٩
إخوان الصفا	١٠٩ -١١١، ٣٢٧
أرسطو	٩٠ -٩١
الأزهري	٥٣، ١٨٣، ١٩٦، ٢٠٠ -٢٠١، ٢٥٨
أسامة بن زيد	١٦٨ -١٧٤، ١٨٧-١٨٨، ١٩٣-١٩٤، ٢٦٥

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
إسحاق بن إبراهيم الموصلي	٢٢٢ -٣٢٣
إسحاق بن موسى بن المهدي	٤٠٣
أسد بن خزيمة	٣٤٩
أسد الدين شيركوه	٣٧٩
أسلم الأسود	١٩٤ -١٩٥
أسلم الحبشي	١٩٦
أسماء بنت أبي بكر	٣٩٩
أسماء بنت شهاب	٢٥٤ -٢٥٥
إسماعيل باشا البغدادي	٥١
إسماعيل بن علي أبو الفداء	٧٧
إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية	٣١٨
إسماعيل محمود	٦٨
الأسود الحبشي	٢٠٢ -٢٠٣
الأشقر	٢١٩
الأشقر مولى بني ليث	٢٧٥
أعشى بني سليم	٢٧٤
أفراييم بن الزفان	٢٦٠
الأفغاني	٦٥

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
أفلاطون	٩٠
الأقرع بن حابس التميمي	١٨٦
الأقرع بن قيس	٣٩٠
أليكس هيلي	٩٢
أم أيمن	١٧٤، ١٨٧، ٢٦٥ -٢٦٦
أم أيمن بركة	١٧٣
أم بركة	٢٦٧
أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان	١٦٧، ٢٦٧
أم الحجناء	٣١٥
أم حرام بنت ملحان الأنصارية	٣٩٢
أم زفر	٢٧٠
أم سلمة [أم المؤمنين]	٣٩٠
أم الفضل [ابنة المأمون]	٤٠١
أم مكية الزنجية	٢٧٢
أم هانئ بنت أبي طالب	٢٧١
أمية بن خلف	١٧٥ -١٧٧
أميمة بنت عدي بن عبدالله بن دينار بن مالك	٣٨٧
الأمين [ابن هارون الرشيد]	١٤٢

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
أمين توفيق الطيبي	٦٩
أنس بن أبي شيخ الكاتب	٣٠٥
أنس بن مالك	١١٦، ٢٠٦
أنس بن مدرك الخثعمي	٢٨٧
أنيس الفاتكي	٢٥٧
الأوني	٣٥٠
إياس بن قتادة	٢٩٤
إيفيان دو مواران	١١٢
إيليهو كولمان	٩٥
أيمن [بن زيد]	٢٦٥
أيمن بن عبيد الخزرجي	١٨٧- ١٨٨
أيمن بن نابل	٢٠١- ٢٠٢
باتريسيا ديلبيانو	٧٠
بثنية بنت يعار	١٩٠
البخاري	٥٠، ٥٣، ٥٦، ١٧٩، ١٩٣، ٢١٣، ٢٣٢، ٢٥٨، ٢٧٠
بدوي	٥٨- ٦٢
براك أوباما رئيس الولايت المتحدة الأمريكية	٣٢

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
برنارد لويس	٥٧، ٦٦
بريدة بن الحُصيب	١٧٠
بريرة مولاة عائشة	٢٦٧ -٢٦٨
بكير بن وساج الصريمي	٣٩٩
بلال بن جبير	٣٧٤
بلال بن رباح	٤٨، ١١٦، ١٧٤- ١٧٩، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٤، ٢٤٤
بهاء الدولة	٢٦٠
بول بارتي	٦٤
تأبط شراً	٢٨٥
تحية النوبية	٢٨٠
تركي بن سعيد	١٠١
التناتي عباد بن عبدالله	٢٤٣
توفيق الطيبي	١٦١
ثابت بن حسان	٣٩٠
ثابت بن قيس بن شماس	٣٨٩ -٣٩٠
ثقيف الحبشي	٢٤٣
ثوبان بجدد	٢٠٨

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
ثوبان بن إبراهيم الأخميمي	٢٣٢
الجاحظ	٣٩-٤٣، ٤٥-٤٦، ٤٩، ٥٣، ٥٥-٥٦، ٦٢-٦٣، ١١٢-١١٥، ١٦٦، ١٨٤، ٢٠٥، ٢١٠-٢١١، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٣-٢٢٥، ٢٢٩-٢٣٠، ٢٣٥-٢٤٠، ٢٦١-٢٦٢، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٨٥-٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٢، ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٥٧، ٣٦٤، ٣٦٦-٣٦٨، ٣٧٧-٣٧٨، ٣٩٨
جالينوس	٢٦٠
جان جاك روسو	٩٥
جبريل	١٠٨
جبير بن مطعم النوفلي	١٨٠
الجحَّاف بن حكيم	٢٢٥
جرير	١٦٥، ٢٩١، ٣٠٦، ٣٠٨-٣١٣، ٣١٨، ٣٢٠-٣٢١، ٣٩٨، ٤٠٩

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
جرير الخطفي	٢٥، ٢٢٥، ٢٨٥
جرير بن عطية	٤١
جعفر بن سليمان	١٤٧ -١٤٨
جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس	٢٢٧
جعفر بن عقاب	١٠٩
جعفر المتوكل	١٤٣، ٢٥٢
جعفرة	٣٤٤
جعونة بن شعوب الشجعي	٢٣٠
جلان بن عنزة	٣٩٦
الجلندي	٣١١
جليبيب الأنصاري	١٩٦ -١٩٧
جندل بن معبد	٣٠٠
جون كندي	٩٨
جون وولمان	٩٥
جوهر بن عبدالله الرومي	٢٤٧
الجوهري	١٦٤
جياش	٢٥٣
جياش بن نجاح بن الطامي	٢٥٤ -٢٥٧

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
جيميس ديورانت	٧١
الحارث بن الخزرج	١٨٧ -١٨٨
الحارث بن عامر بن نوفل	١٨٠
الحارث بن عبدالله المخزومي	٣٩٠
الحارث بن كلدة	١٩١
الحارث بن هشام	١٧٧
الحاكم بأمر الله	٢٥٩
حام	٤٦، ٤٨، ٦٤، ٧٩- ٨٠، ١٠٧، ١٠٩، ١١١ -١١٢، ١٢١، ٢٤٤
الحب بن زيد	١٧٣
حبش بن توشي بن حام بن نوح	١٦٤
حبيب بن أبي ثابت	٢١٨ -٢١٩
الحجاج	٢١٢ -٢١٣، ٣٠٩
الحجاج بن أيمن	١٨٨
الحجاج بن يوسف الثقفي	١٤٥، ٢١١، ٤٠٠
الحجناء بنت نصيب	٢٧٥، ٢٧٧، ٣٤٩
الحر بن عبدالله القرشي	٣٥٠

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
حرب بن أمية	٣٨٨
الحسن	١٧٩
الحسن البصري	١٩٣
الحسن بن رجاء	٣٦١
الحسن بن سهل	٢٥٠، ٣٦١
الحسن بن علي بن أبي طالب	١٤٨، ٤٠٠
الحسن بن علي بن الزبير	٣٧٢
حسونة النواوي الحنفي	٥٤
الحسين	١٧٩
الحسين بن أحمد	٢٨١
الحسين بن سلامة النوبي	٢٤٩ -٢٥٠، ٢٥٢-٢٥٣، ٢٥٨
الحسين بن علي	٢١١، ٣٢٦-٣٢٧، ٤٠٠
الحسين بن محمد الراغب الأصبهاني	٤٩
حفص بن زياد	١٤٥، ٣٠٩
الحكم بن عبدل الأسدي	٣٣٨-٣٣٩
حكيم بن حزام	١٣٨
حكيم بن عياش الكلبي	٤١ -٤٢، ٢٢٣
حماد الراوية	٣٥١

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
حماد بن عبدالله التينات	٢٤٠
حمادة بنت عيسى	٣٣٣
حمامة	١٧٤
حمزة	١٨١
حمزة بن حبيب الفرضي	٢٣٠
حمزة بن عبدالمطلب	١٧٩ -١٨٠، ١٨٣ -١٨٤، ٣٢٧
حمورابي	٨١، ٨٣- ٨٥، ٩٠
حية، أم الخطاب بن نفيل	٣٨٩
الحيقطان	٢٢٥، ٢٩١، ٣٠٦، ٣١٠ - ٣١٣، ٣٩٨، ٤٠٩
حيي بن هزال	٢٩٨
خالد بن سلمة المخزومي	٣١٣
خالد بن صفوان	٢٩٨
خالد بن عبدالله بن خالد	١٤٤
خالد بن الوليد	١٨٢، ١٩٤، ٣٩٧
خالد بن يزيد الكاتب البغدادي	٤٠٧
خالد الدريوش	٤٠٤
خباب	١٨٦

اسم العلم	الصفحة
خديجة بنت الحسن بن سهل	٣٦١
خديجة بنت خويلد	٢٦٥، ٢٧١
الخديوي إسماعيل	١٠٠
الخرز	٤٦
الخشاب النحوي	٢٦٣
الخطاب بن نفيل	٣٨٩
الخطيب البغدادي	٧٤، ٢٣٦، ٢٨١
خفاف	٥٧
خفاف بن ندبة السلمي	٧٥، ٢٨٣، ٢٨٨-٢٩٢
الخنساء	١٥٥
الخنساء بنت عمرو الشَّريد	٢٨٨
خولة بنت جعفر بن قيس	٣٩٩
خير الدين الزركلي	٢٢٢، ٢٣١، ٢٨١، ٢٩٦
دانيال بيبس	٧١
دبليانو	٩٣
دحمان، (المغني)	٢٧٥
درة بنت أبي لهب	١٧٣
درمويه	١٥٢

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
دعبل الخزاعي	٤٠٥
دعد	٣٦٣
دنانير بنت كعبويه الزنجي	٢٣٠، ٢٧٣ -٢٧٤
الذخيرة	٢٥٣
الذهبي	٧٤، ٢٠٥-٢٠٦، ٢٣١، ٢٥٨
ذو جدن	٢٠١
ذو روجز	٢٠١
ذو العقصين	٢٢٣
ذو القرنين	٢٠٠
ذو الكفل	٢٣٥
ذو مخمر	١٩٩ -٢٠٠
ذو مناحب	٢٠١
ذو مهدم	٢٠٠
ذو النون المصري	٢٣٢، ٢٣٤
الرازي	٢٦٠
الراضي بالله	٢٤٤، ٢٤٦
الراضي بالله العباسي	١١٩
رباح الأسود	٢٠٤

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
رباح شير زنجي	١٤٥
ربيعة بن الحارث	١٨٧
ربيعة بن فروخ التميمي ربيعة الراي	٢٠٥
رجاء بن حيوة	٢٠٧
رشدي علي حسن	٧٥
الرشيد	١٩٨، ٣٤٣، ٣٧٤-٣٧٥، ٣٧٧
رشيد	٢٥٠
الرشيد، القاضي	١٦٦
رضوان مهدي العبود	٧٥
رفاعة الطهطاوي	١١٩
رقية	٣٨٧
رؤبة بن العجاج	٢٢٣
روح بن الطائفية	٣٠٥
روزا باركس	٩٨
رونالد ريغان، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية	٩٨
رياح بن سنيح الزنجي	٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٩
ريحان بن عبدالله أبو نزوح	٢٤٤
ريحان الحبشي	٢٤٣، ٢٤٥

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــــة
الزبرقان الأسدي	٢١١
زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور	٣٤٦
الزبير بن بكار	٣٢٣
زرقان	٢٣٥
زكريا القزويني	١١٠
زكي الدين عبدالعظيم المنذري	٤٤
زلزل	٤٠٥ -٤٠٦
زمعة	١٤٦
زند بن الجون أبو دلامة	٣٣٢ -٣٣٩
الزهري	٢١٤
زهير بن محمد البهاء زهير	١١٨
زياد بن سلامة النوبي	٢٥٧
زياد بن عمرو	١٤٥، ٣٠٧، ٣٠٩
زياد بن هوبز	٣٩٤
زيد بن الحارث	١٨٨
زيد بن حارثة	١٦٨، ١٩١، ٢٦٥
زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب	١٤٨، ٣٢٦ -٣٢٧
زينب [صاحبة نصيب]	٣١٨ - ٣٢٠

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
زينب بنت جحش	١٩١
زينب بنت قسامة الطائية	١٧٣
س . أندريه	٦٤
سالم الخواص	٢٣٣
سالم بن أبي حذيفة	١٩٠- ١٩١
سالم بن معقل	١٨٩ -١٩٠
سالمة	١٠٢
سالمة بنت سعيد آل بوسعيد	١٣١ ، ١٣٦
سام	٤٦، ٧٩، ١٠٧، ١١٠، ١٢١
سبط بن الجوزي	٤٥
سحيم	٥٨، ٣١٥
سحيم عبد بني الحساس	٢٩٩ -٣٠٥، ٣٣٣
السخاوي	٣٦٨
سديف بن إسماعيل	٣٢٤ -٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٩ -٣٣١
سديف بن ميمون	٩، ٢٥، ٧٥، ٣٢٤، ٣٣٣
سراقة بن الحارث	١٨٦
سعد	١٧٩
سعد بن أبي وقاص	١٧٠، ٢٩٣

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
سعد بن زيد مناة	٢٩٤
سعيد بن جبير	٢٠٩- ٢١٣
سعيد بن سلطان	١٠٢
سعيد بن عمرو الحرشي	٣٩٥
سعيد بن مسجح	٢١٩ -٢٢٢
سعيد بن مسروق	٢١٨
سعيد بن نجاح الأحول	٢٥٤ -٢٥٥، ٢٥٧
السفاح	٣٢٥
سفيان الثوري	٢٠٢، ٢١٨
سفيان بن عيينة	٢٣٣
سلامة أم نصيب	٣١٥
سلمى بنت حرملة	٣٩٦
السليك	٥٧
سليك بن سنان بن سلكة	٢٨٣ - ٢٨٧
سليم البشري المالكي	٥٤
سليم بن منصور	٣٩٣
سليمان بن الأشعث أبو داود	١٨٤
سليمان بن سليم	٣٥١

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
سليمان بن عبدالملك	٢٠٧، ٢١٥، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٣
سليمان بن مهران الأعمش	٢١٨
سليمان بن هشام بن عبدالملك	٣٢٩
سمية	١٩١
سنيح بن رباح	٤١، ٢٢٥، ٢٨٥، ٣٠٥، ٣٠٨ -٣١٠، ٣١٢ -٣١٣، ٣٢١
سهل بن سلامة الأنصاري	٤٠٤
سيبويه	٢٨٠
سيف الدولة	٢٤٥
السيوطي	٢٦، ٤٤، ٤٧ -٥١، ٥٥ -٥٦، ٦٣، ١١٥ -١١٧، ١٩٤، ٢٠٠ -٢٠١، ٢١٣، ٢٣٢، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٦٧، ٢٦٩ - ٢٧٠، ٢٧٢
شارل لويس مونتسيكو	٧١، ٨١
شاور بن مجير السعدي	٣٧٩
شبل بن عبدالله	٣٢٦
شبيب بن شيبة	٣٤١
شبيل الزنجي	٢٦٢ - ٢٦٣

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
شذوب الخارجي	٣٩٥
الشريف حسين بن حسن بن أبي نمي بن بركات	٥٠
الشريف الزيدي، صحاب صعدة	٢٥٦
شعوانة الزاهدة	٢٧٨ - ٢٨٠
الشفاء	٣٨٧
شقران	١٧٤، ١٩٨ - ١٩٩
شكلة	٣٦٢
الشماء	١٥٥
الشنفرى	٢٨٥
شهاب الدين الزهري	٣٩٠
شهاب الدين محمد الأبشيهي	٤٩
صاحب الزنج	١٤٨، ١٥٠ -١٥١، ١٥٤
صالح أحمد العلي	٧٠
الصفدي	٣٥٧
صفوان بن أمية	١٧٧
صفوان الجمحي	٣٩٠
صفي السباب	٣٢٩
صلاح الدين الأيوبي	٣٧٩

اسم العلم	الصفحة
صلاح الدين الصفدي	٢٥٨
الصليحي	٢٥٤
الصمعاء	٣٩٤
صهيب	١٨٦
الضحاك بن عبدالله السلمي	٢٩٠
طاوس اليماني	١١٩
الطبري	٧٦، ١٤٦، ١٥٢، ٢٩٦
الطرماح بن حكيم	٣١٣
طعيمة بن عدي	١٨٠
طغج أحمد بن علي بن الإخشيد	٢٤٧
الطفيل بن عبدالله	٢٠٤
طلائع بن زريك	٢٤٣ - ٢٤٤، ٣٧٦ - ٣٧٧
الطيب أبو علي بن سينا	١١١
الطيبي	١٦٢
الظافر بدين الله الفاطمي	٣٧٥ - ٣٧٧
العاص بن وائل	٣٩٦
عاصم بن أبي النجود بن بهدلة	٢٣٠
عاصم بن ثابت بن أبي أفلح	١٨٥

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
عاصم الحبشي	٢٠٣
العاضد بالله	٣٧٦
العاضد الفاطمي	٣٧٩
عامر بن الحضرمي	١٨٥
عامر بن الطفيل	٢٨٤
عامر بن فهيرة	٢٠٤
عائشة بنت أبي بكر الصديق	١١٦، ١٧٢، ٢٦٧-٢٦٩، ٣٩٠
عباد بن الحصين الحبطي	٣٩٨
عبادة بن الصامت	٣٩٢
العباس بن عبدالمطلب	١٧٦، ١٨٧-١٨٨
العباس بن المأمون	٤٠٦
عباس بن مرداس	٢٨٩
العباسة بنت المهدي	٢٧٦-٢٧٧، ٣٤٦
عبدالأعلى بن عبدالله بن عامر بن كريز	٣٩٣
عبدالإله بنمليح	٦٧ - ٦٨
عبد بني جعدة	٣٢٤
عبد بني حساس	٤٧
عبد بني الحسحاس	٣٤٣، ٤٠٦

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
عبدالحميد الثاني	٥٥
عبدالرحمن بن الأشعث	٢١١
عبدالرحمن بن أيمن	٢٠٢
عبدالرحمن بن عمرو دحمان	٢٧٥
عبدالرحمن بن عوف	١٩٨
عبدالرحمن بن محمد بن عمر بن بديع	٧٧
عبدالرحمن الكواكبي	٢٤، ٦٣، ١٣٢، ١٤٠
عبدالسلام الترمانيني	٦٧، ١٢٥
عبدالسلام محمد هارون	٣٩-٤٠، ٢٠٥، ٢٩٦
عبدالصمد بن علي	٣٣٠
عبدالعزيز آل سعود	١٠٤
عبدالعزيز بن الحباب	٣٧٢
عبدالعزيز بن مروان بن الحكم	٣١٤، ٣١٦، ٣٢٣
عبدالقادر بن عمر البغدادي	٧٧
عبدالله المأمون	٢٩، ٢٤٩-٢٥٠، ٢٥٢، ٢٦١، ٣٥٨-٣٥٩، ٣٦١، ٤٠١-٤٠٣، ٤٠٥-٤٠٦

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
عبدالله بن أبي عمرو عمر بن عبدالله المخزومي	٢٠٢
عبدالله بن أحمد بن محمد بن الخشاب	٢٦٢
عبدالله بن الجارود	٣٠٩
عبدالله بن جدعان	١٧٦، ٣٩٦
عبدالله بن خازم السلمي	٣٩٧-٣٩٨
عبدالله بن الربيع الحارثي	١٤٥، ١٤٧
عبدالله بن ربيعة	٣٠١
عبدالله بن الزبير	١٤٣-١٤٤، ٣٩١-٣٩٢، ٣٩٧-٤٠٠
عبدالله بن زرير	٢١٦
عبدالله بن سعيد الحرشي	٣٩٦
عبدالله بن عامر الشامي	٢٣٠
عبدالله بن عامر بن كريز	٣٩٧
عبدالله بن عباس	١١٩، ٢٠٩-٢١٠، ٢١٨، ٢٦٨، ٤٠٠
عبدالله بن عتبة بن مسعود	٢١٠
عبدالله بن علي	٣٢٦
عبدالله بن عمر	١٧٠، ١٨٢، ١٩٧، ٢١٠-٢١١، ٢١٨

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
عبدالله بن مسعود	١٨٥، ١٨٩- ١٩٠
عبدالله بن مسلم الباهلي بن قتيبة	٧٦
عبدالله بن المعتز	٧٦، ٣٤٧
عبدالله بن الياسمين الأشبيلي	٣٧٩، ٣٨١ - ٣٨٤
عبدالله محمد الغزالي	٦٢
عبد شمس	٣٢٦، ٣٢٨
عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف	١٦٤، ٢١٦، ٢٦٧، ٣٣٠، ٣٨٨
عبدالملك بن مروان	١٤٣، ٢١٩- ٢٢١، ٢٦٩، ٢٨٥، ٢٩٧، ٣٠٩، ٣٢٣، ٣٩٤، ٣٩٧، ٣٩٩- ٤٠٠
عبدالهادي	٢٣٥
عبدالواحد بن جياش	٢٥٥
عبدان [أخو بلال]	١٧٨
عبدع بدوي	٣٣، ٥٧، ٢٩٦ -٢٩٧، ٣١٢، ٣٦٣، ٣٧٢، ٣٧٧
عبد شمس بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم	٢٩٣ -٢٩٤
عبدة بن الطبيب	٧٥، ٢٩٣ -٢٩٤، ٢٩٦ -٢٩٩
عبدة بن الطبيبى	٥٨
عبيد بن زيد	١٨٧، ٢٦٥

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
عبيد بن سريح	٢١٩، ٢٢١
عبيدالله بن زياد	٢٥٠
عبيدالله بن عبدالله التميمي	٣٩٢
عبيدة بن الحارث	١٧٦
عتبة بن أبي لهب بن عبدالمطلب	٢٦٧
عتبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي	٢٨٤
عثمان بن عفان	١٧٢، ١٨٧، ٢٦٧، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٩٧
العجاج	٢٢٣
عجلى أم عبدالله بن خازم	٣٩٩
العدملي	٢٠٠
عزالدين علي بن أبي أكرم بن الأثير	٧٣
عزمي سكر	٢٩٦
عطاء بن صفوان بن أبي رباح	٢١٣، ٢١٤- ٢١٥
عطرد المغني	٣٢٦
عكيم الحبشي	٤٢، ٢٢٣- ٢٢٤
علاء الدين محمد بن عبدالباقي البخاري	٥٥
علي بن أبي طالب	٩٤، ١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٧، ١٩٤، ٢١٦، ٤٠١

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
علي بن أحمد الزبير	٣٧٢
علي بن جبلة العكوك	٣٥٦-٣٥٩، ٣٦١-٣٦٣
علي بن حمزة النحوي الكسائي	٢٣٠
علي بن رضوان بن علي	٥٣، ٢٥٨
علي بن سبأ	٣٧٤
علي بن القاضي محمد بن علي الصليحي	٢٥٣
علي بن محمد	٦٩، ١٤٩- ١٥٠، ١٥٢
علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي	١٤٨
علي بن محمد بن عبدالرحيم	١٤٨
علي بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب	١٤٨
علي بن المهدي	٢٥٦
علي بن موسى الرضى	٤٠٢-٤٠٣
علي بن هبة الله بن ماكولا	٧٦
علي الطبيب الإفريقي	٦٠
عمار	١٨٦
عمار بن ياسر	١٨٥، ٣٩٣
عمر بن الخطاب	١١٦، ١٢٧، ١٧٠، ١٧٥،

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
عمر بن الخطاب	١٧٩، ١٨٥ -١٨٧، ١٩٠، ٢٠٣ - ٢٠٤، ٢١١، ٢٦٦، ٢٩٢، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٨٨ - ٣٩١
عمر بن دينار	٢١٤
عمر بن عبدالعزيز	١٤٧، ٢٠٧، ٢٥١، ٢٦٦، ٣١٤، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٩١
عمر بن هبيرة	٣٩٥
عمر رضا كحالة	٥١، ٢٨١
عمران بن مسلم	٢٧٩
عمرو بن أم مكتوم	١٧٧
عمرو بن براق	٢٨٥
عمرو بن رباح	٢٨٨
عمرو بن سعيد بن العاص	٢٠٦، ٢١٧، ٣٩٦
عمرو بن معدي كرب	٢٨٤
عمرو بن يثربي	٢٨٣
عمير بن الحباب	٢٢٥، ٣٩٣
عمير بن يثربي	٢٨٣
عنبر بن سماك بن حصين الأسدي	٣٤٩
عنبر الحبشي، أبو المسك	٢٦٠ - ٢٦١

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
عنترة	٢٨٣، ٣٠٧
عنترة بن شداد العبسي	٤٧، ٥٧، ٦٤، ٢٨٤، ٢٨٨
عنقود	١٤٦
عون الشريف قاسم	٥٥ – ٥٧، ٦٦
عيسى بن أبي الخير	٢٤١
عيسى بن مريم	٣٥٣
عيسى بن موسى	١٤٥، ٣٤٣
عيينة بن حصن الفزاري	١٨٦
غ. ريدر	٨٢
غالب بن عبدالله الليثي	١٧١
الغذاف (صاحب عبيدالله بن الحر)	٢٢٤
غريفورس السادس	٩٧
فاتك بن محمد بن منصور بن فاتك بن جياش بن نجاح	٢٥٥ – ٢٥٧
فاختة [بنت قرظة بن عبد عمرو]	٣٩٢
فاطمة، ابنة محمد	١٧٢
فاطمة بنت الوليد بن عتبة	١٩٠
فاطمة قدورة الشامي	٦٨
فاطمة المخزومية	١٧٢

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
فاطمة المزروعي	٦٤، ١٢٠
الفاكه بن المغيرة	٣٩٦
فانسان مونتاي	١٢٣
الفتح بن خاقان	٣٩، ٣٦٤ - ٣٦٦
فرار الأسدي	٢٨٤
فرج الحجَّام	٢٢٧ - ٢٢٩
الفرزدق	٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٧ - ٣١٨، ٣٢٠
الفضل	٣٤٤
الفضل بن الحسن الطبرسي	٣٨٩
الفضل بن سهل	٢٥٠
الفضل بن العباس	١٧٤، ١٨٧
الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبدالمطلب	٥٩
الفضل بن يحيى البرمكي	٣٤٣، ٣٤٧ - ٣٤٨
فضيل بن عياض	٢٣٣
فكتوريا، ملكة بريطانيا	١٠١
فوزي رشيد	٨٤
الفيروزآبادي	٢٨٣
فيصل السامر	٦٩

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
فيصل بن عبدالعزيز آل سعود	١٠٥
الفيض بن إبراهيم	٢٣٢
القاسم بن عيسى	٣٥٨
القاضي الرشيد	٣٧٨ - ٣٧٩
قالغ بن عابر	١١٠
القائم بأمر الله العباسي	٢٨٢
قتيبة بن سعيد	٢٣٣
قتيبة بن مسلم	٢٢٥
قرظة بن عبد عمرو بن نوفل	٣٩٢ - ٣٩٣
القنائي الأزهري	٥٥ - ٥٦
قيس بن عاصم بن سنان المنقري	٢٩٧، ٢٩٩
قيس بن عمرو بن مالك	٥٩
قيصر	١٦٦
كارل بروكلمان	٢٣٦، ٢٣٩
كاظم نادر	٦٢
كافور الأخشيدي	٢٦، ٤٨، ٩٦، ١٢٠، ٢٤٤- ٢٤٩
كافور بن عبدالله الليثي الصوري	٣٧٠

اسم العلم	الصفحة
كافور التكريتي	٣٦٨
كافور الجلدكي	٣٦٨
كافور الصوري	٤٨
كافور الطواشي	٣٦٨
كافور المحسني	٣٦٨
كافور النبوي	٣٦٨ - ٣٦٩
كاليجار	٢٦١
كباجلا	٢٢٥
كعب بن سعد بن زيد مناة	٢٨٣
كعبويه الزنجي	٢٢٩ - ٢٣٠، ٢٧٣ - ٢٧٤
الكميت الأسدي	٣١٩
كنعان	٧٩ - ٨٠، ١٠٧
الكواكبي	٦٥، ١٣٣ - ١٣٤
كوش بن كنعان بن حام	١١٠
لامنس	١٦٤
لقمان الحكيم	٤١، ١١٦، ١٦٥ -١٦٧، ١٨٥، ٢٤٤، ٣١١، ٣٣٦
لؤلؤ غلام	١٥١

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
لويس الثالث عشر	٨٨
مأجوج	٤٦
مارسيل كاردير	٦٤
مارق	٤٠٥ - ٤٠٦
مالك البانياسي	٣٧٠
مالك بن الأشتر	٩٤
مالك بن أنس	٢٦٩
مالك بن حمار سيد بني شمخ بن فزارة	٢٨٩
مالك بن ضغيم	٢٧٩
المأمون	٢٥٠، ٣٦٨، ٣٩٦
المأمون [ابن هارون الرشيد]	١٤٢
مجاهد	٢٠٢
محمد [صلى الله عليه وسلم]	١٦٧، ١٨٠
محمد الأمين	٤٠١، ٤٠٣
محمد بن إدريس الشافعي	٢١٥
محمد بن إسحاق بن عباس الفاكهي	٢٧١
محمد بن إسماعيل البخاري	١٨٩
محمد بن جرير الطبري	٧٥

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
محمد بن حبيب	٧٥، ١٧٣، ٣٠٢، ٣٢٤، ٣٤٢، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٦، ٣٩٨-٣٩٩
محمد بن الحسن	٤٣
محمد بن الحسن البغدادي	٢٢٨
محمد بن حمدون بن إسماعيل	٣٦٤
محمد بن الحنفية	٣٩٩ - ٤٠٠
محمد بن خلف بن المرزبان	٤٤
محمد بن سبأ	٣٧٤
محمد بن سلمة	١٧٠
محمد بن سيرين	١٩٣، ٢١٢
محمد بن شهاب الزهري	٢٠٧، ٢١٧
محمد بن عبدالباقي البخاري	٤٩، ١٨٤، ١٨٦
محمد بن عبدالله بن الأبار	٣٨٤، ٣٨٦
محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب	٣٢٩
محمد بن عبدالله بن طاهر	٣٦٥
محمد بن عبدالله الزيات	٤٠
محمد بن عبدالله القضاعي بن الأنبار	٧٧

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
محمد بن عبدالله النفس الزكية	١٤٥، ١٤٧، ٢٢٩، ٣٢٩
محمد بن علي	٣٣٠
محمد بن علي بن موسى	٤٠١
محمد بن عمر التونسي	١٢١
محمد بن عمران المرزباني	٣٣٠، ٣٥٠، ٣٥٦
محمد بن عيسى	٣٧٤
محمد بن منصور البيهقي	٣٧١
محمد بن يزيد الحميري	٤٠٠
محمد بن يزيد بن ماجه	١٨٤
محمد الجواد	٤٠١
محمد رشيد رضا	١٣٢، ١٣٥ - ١٣٦
محمد الزيادي	٢٥٠
محمد سعد الواقدي	٧٣
محمد شقرون	٦٥
محمد الغزالي	٥٣
محمد المهدي	٢٥، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٤٣، ٣٥٥
محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور	٦٠، ٣٥٤
محمود إسماعيل	٦٩

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
مخارق	٤٠٥ - ٤٠٦
المختار بن الحسن بن عبدون بن بطلان	٥٢
المختار بن عبيدالله الثقفي	٣٩٩ - ٤٠٠
مربح الأشرم	٢٢٥
مرثد بن عبدالله اليزني	٢١٦
مرجان الحبشي	٢٥٠، ٢٥٢ - ٢٥٣، ٢٥٧ - ٢٥٨
المرداس بن نهيك	١٧٢
مريم أم عيسى	٣٣٦
المستنصر بالله الفاطمي	٢٦٠
مسرف بن عقبة	٢٢٤
المسعودي	١١٩
مسلم	١٧٩، ١٩٣
مسلم بن الحجاج	١٩٧، ٢٣٣
مسلمة بن عبدالملك	٣٤٠
مسيلمة	١٧٩، ١٨١ - ١٨٢، ١٨٤
مصطفى الجداوي	٦٦
مصعب بن الزبير	٦٩، ١٤٤، ٣٠٩، ٣٩٢، ٣٩٨
المطيع	٢٤٦

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
معاذ بن جبل	١٨٩ - ١٩٠، ٢٥١
معاذ بن ماعص	١٩٠
معارك	٢٥٣
معاوية	١٦٨
معاوية بن أبي سفيان	١٩٢، ٣٩٠ - ٣٩٢، ٣٩٧
المعتز بالله	٢٣٦
المعتز بن المتوكل	٢٣٩، ٣٦٤
المعتصم	٤٠٦
المعتضد بالله	١٥٠
المعتمد بالله العباسي	٣٦٨
المعتمد بن المتوكل على الله	١٥٠
المعتمد على الله	١٥٣، ٢٣٦
المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي	٢٤٧
المعز لدين الله	٣٧٦
المعمر أبو عمران الحبشي	٢٠١
المغلول	٢٢٥
مغيث بن جحش	٢٦٨ - ٢٦٩
المغيرة بن شعبة	١٩٢، ١٩٥ - ١٩٦

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
المغيرة بن الفزر	٢٢٩ - ٢٣٠
المغيرة بن مخزوم	٢٦٨
المغيرة بن نوفل بن حارث بن عبدالمطلب	٣٩٤
المفضل بن يعلى بن عامر الضبي	٢٩٤، ٢٩٦
المقتدر على الله	١٢٦
المقداد بن الأسود	١٨٥
المقريزي	٥١ - ٥٤
مكحول الشامي	٢٠٥ - ٢٠٦
المكرم بن علي الصليحي	٢٥٤
ممطور أبو سلام الحبشي	٢٠٨ - ٢٠٩
المنتج بن نبهان	٢٢٣
المنصور	٣٨٠، ٣٨٢
منصور بن فاتك بن جياش بن نجاح	٢٥٥، ٢٥٧
المنصور بن المهدي	٤٠٢ - ٤٠٣
المهتدي بالله بن الواثق بالله	١٥٠، ٢٣٦
مهجع (مولى عمر بن الخطاب)	١٨٤ -١٨٦، ١٨٨
المهدي بن المنصور	٢٣٩، ٢٧٥ -٢٧٦، ٢٧٨، ٣٣٩، ٣٤٣ -٣٤٤، ٣٤٩، ٣٥٦، ٣٩٥ - ٣٩٦، ٤٠٢

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
موسى [عليه السلام]	٢٢٠
موسى، الأمير	٣٤٤
موسى الكاظم	٤٠١
موسى الهادي	٤٠٢
الموفق بالله	١٥٣
الموفق بالله طلحة بن المتوكل على الله	١١٢
الموفق بن المتوكل	١٥٠
مونتجمري وات	١٦٣
مونتسكيو	٩٠ - ٩٢، ٩٥، ١٢٣، ١٢٨
المؤيد نصير الدين	٢٥٣
ميتين	٢٥٣
ميمونة الزاهدة	٢٨٢
النابغة بنت حرملة	٣٩٦
نابل الحبشي	٢٠١
الناشئ	٤٥، ٥٥، ٦٣
الناصر	٣٨٢
الناصر لدين الله	١٥٠
نافع بن الأزرق	٣٩٢

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم المدني	٢٣٠ - ٢٣٢
نبعة الحبشية	٢٧١
نجاح	٢٥٢ - ٢٥٣
نجاح مولى مرجان	٢٥٧
النجاشي	٤٧ - ٤٨، ٥١، ١١٦ - ١١٧، ١٦٥ - ١٦٧، ١٨٥، ٢٢٣، ٣١١ - ٣١٢، ٣٨٨
نجم الدين عمارة الحكمي اليمني	٢٥١
ندبة ابنة قنان	٢٨٨
النشابي	٣١٠
نصر بن سيار	٣٥٢
نصر المقدسي	٣٧٠
نصيب	٣١٧ - ٣٢١، ٣٢٣، ٣٤٤
نصيب الأصغر	٢٧٥ - ٢٧٧، ٣٤٣، ٣٤٧ - ٣٤٩
نصيب الأكبر	٣٠٠، ٣٢٣، ٣٤٣ - ٣٤٤، ٣٤٩، ٣٦٣
نصيب بن رباح الأكبر	٣١٤، ٣٢٠
نصيب بن محجن	٤٧

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
نضلة بن هاشم بن عبد مناف	٣٨٧
النعمان بن المقرن	٢٩٤
نفيس	٢٥٢ -٢٥٣
نفيع بن الحارث الثقفي	١٩٣
نفيل بن براقة	٢٨٥
نفيل بن عبد العزى بن رباح	٣٨٨
نلسون منديلا، رئيس جنوب أفريقيا	٩٨
نوح	٤٦، ٤٨، ٦٤، ٧٩ - ٨٠، ١٠٧ - ١٠٨، ١١٠ - ١١١
نور الدين علي بن إبراهيم الحلبي	٥١
نوري حمودي القيسي	٧٥
نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب	٢١٩
لويس شيخو	٤٥
الهادي	٣٤٤، ٣٤٩
هارون	٢٠٦
هارون الرشيد	١٤٢، ٢٨٠، ٣٣٢، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٥، ٤٠١ -٤٠٢، ٤٠٦
هارون الواثق بن المعتصم	٤٠١

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
هاشم بن عبد مناف	٣٨٧
هاملتون، جب	٧٠
هراسة	٣٠٧
هشام بن عبدالملك	١٤٨، ٢١٥، ٣٢٣
هشام بن عقبة بن معيط	٢٨٣، ٣٩١
هشام بن معاوية بن هشام بن عقبة	٣٩١
هشام الدستوائي	٢١٢
هلال الحبشي	١٩٦
همام بن غالب الفرزدق	٢٥، ٢٧٢، ٣١٦، ٤٠٩
همام بن مطرف التغلبي	٣٩٤
الهميسع	٢٣٥
هند	٢٥٠
هنري لامنس	١٦٣
هود	٢٠٠
هوذة بن خليفة	١٩٢
هوذة القبطي	٣١١
الهيثم بن عدي بن عبدالرحمن الطائي	٣٦٢
الواقدي	١٨٥، ١٩٦

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
وثيق	١٤٦ - ١٤٧
وجيه الدين الحبيشي الوصابي	٧٧
وحديا	١٤٦
وحشي بن إسحاق بن وحشي بن حرب بن وحشي	١٨٣
وحشي بن حرب بن وحشي	١٧٩، ١٨٣ - ١٨٤، ١٩٩
وحشي الحبشي	١٨٢ - ١٨٣
الوليد بن عبدالملك	٢٢٢
الوليد بن مسلم	١٨٣
الوليد بن يزيد	٢٢٢
وليم جيمس ديورانت	٨٩، ١٢٢
وهب بن منبه	١٠٨ - ١٠٩
يأجوج	٤٦
يافث	٤٦، ٤٨، ٧٩، ١١٠
ياقوت الحموي	٤٠، ٧٧، ١٦٤، ٢١٠، ٢٣٦، ٢٤٢، ٣٤١، ٣٧٧، ٣٨٦
يحيى بن بسطام	٢٧٩
يحيى بن مرزق	٢٧٥
يحيى الجبوري	٧٥، ٢٩٦

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
يحيى المكي	٢٧٥، ٣٤٨
يزيد بن أبي حبيب	٢١٦ - ٢١٧
يزيد بن سويد الأسدي	٢١٦
يزيد بن عبدالملك	٢٠٧، ٣٢٣
يزيد بن عمر بن هبيرة	٣٥٤ - ٣٥٦
يزيد بن عمرو	٢٩٣
يزيد بن معاوية	٣٩٧
يسار الأسود	١٩٥ - ١٩٦
يعار الأنصارية	١٩٠
يعقل	١٤٦
يموت بن المزرِّع بن يموت	٢٣٥
يوسف بن الخلال	٣٧٢
يوسف خليف	٣٣٨ - ٣٣٩
يوسف عليه السلام	٣٣٤

الفهارس العامة

فهرس الأعلام

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
آمنة أم الرسول صلى الله عليه وسلم	٢٦٥
أبان بن عبدالحميد اللاحقي	٢٧٤ -٢٧٥
أبراهام لينكولن	٣١، ٦٧، ٩٧ -٩٨
إبراهيم آل زياد	٢٥٢- ٢٥٣
إبراهيم بن سيابة	١١٨
إبراهيم بن سيار	٢٣٩
إبراهيم بن عبدالله	٢٧٣ -٢٧٤، ٣٢٩ -٣٣٠
إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب	٢٢٩ -٢٣٠
إبراهيم الكاظمي	٥٧، ٧٧، ٣٨٤ -٣٨٥
إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس	٤٤
إبراهيم بن المهدي بن أبي جعفر المنصور	٢٩، ٥٧، ٣٦٧، ٤٠٢ - ٤٠٧
إبراهيم عليه السلام	١٧٣
إبراهيم يوسف	٤٥
أبرهة الحبشي	١٦٥، ٢٢٣، ٢٦٧، ٣١١
ابن أبي أصيبعة	٥٣، ٢٥٨، ٢٦٠
ابن أبي الحديد	٢٩٤ -٢٩٥
ابن أبي سبرة	١٤٦ - ١٤٧

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
ابن أبي عمرة	٢٠٢
ابن أبي مسلم بن شاذل بن سند الكابلي	٢٠٧
ابن الأثير	١٩٤، ٢٧١، ٢٩٤ -٢٩٥، ٣٠٩
ابن إسحاق	١٩٦، ٢١٦ -٢١٧
ابن الأشعث	٢١٢
ابن الأعرابي	٣٢٥
ابن الأعرف	٣٠٠
ابن أم عبد	١٨٩
ابن بطلان الطبيب	٥٣، ٢٥٩ -٢٦٠
ابن بطوطة	١٦٢
ابن تغرى بردى	٢٥٩
ابن جارود	١٤٥، ٣٠٩
ابن الجوزي	٢٥ -٢٦، ٤٥ -٤٩، ٥٣، ٥٥ -٥٦، ٦٢، ٧٤، ١١٠، ١١٥، ١٦٧ -١٦٨، ١٨٤، ١٩٤ -١٩٥، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢١٣، ٢١٧ -٢١٨، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٦٩ -٢٧١، ٢٨٠، ٢٨٢، ٣٩٨

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
ابن جيفر	٣٠٧
ابن حبيب	١٨٥، ٢٨٨
ابن الحجناء	٣٤٩
ابن خلدون	١١١، ١٢٠
ابن خلكان	٤٥، ٢١٠، ٢٣١، ٢٤٩، ٣٧٧
ابن الربيع	١٤٧-١٤٨
ابن رضوان	٥٣، ٢٥٩-٢٦٠
ابن الرومي، علي بن جريج	١١٢، ١٥٣-١٥٤
ابن الزبير	٢١٣-٢١٤
ابن سعد	١٧٠، ٣٨٧-٣٨٨
ابن سلام محمد الجميحي	٣٠٣
ابن سلامة	٢٤٩
ابن شكلة	٤٠٥
ابن طولون	١٥١
ابن عباس	٢١١، ٢١٤-٢١٥
ابن عبدالبر	١٧٣، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٤، ٢٧٠، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٦
ابن عبدالعزى	١٨٠

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
ابن عساكر	١٨٣ -١٨٤، ٢١٩، ٢٢١، ٢٣٢، ٣٧٠
ابن عمر	١٦٩، ٢١٤
ابن عمران	٣٨٥
ابن قتيبة	٤٩، ٥٩
ابن قيم الجوزية	١١٩
ابن كسرى	٣١١
ابن المتيم	٢٨٢
ابن المرزبان	٢٥، ٤٥، ٤٩، ٥٥، ٦٣
ابن المعتز	٥٩، ٣٣٠، ٣٥٨ -٣٦٠، ٣٦٢
ابن معين	٢٠٢
ابن الملقن	٢٣٤ -٢٣٥
ابن منده	١٩٩
ابن منقذ القسنطيني	٣٨٤
ابن هبيرة	٣٤٩
ابن هشام	١٦٤، ١٨٧، ١٩٤ -١٩٥، ٢١٦
ابن وثيل	٣٠٠
ابن وحشي	١٨١

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
أبو أحمد بن جحش	٢٦٨
أبو أذينة اللخمي	٣٢٧
أبو أمية بن خلف	٣٩٠
أبو أيوب	٢١٦
أبو بردة بن أبي موسى الأشعري	٢١٠
أبو بكر الصديق	١٦٨، ١٧٤ -١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٧، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٦٦، ٢٩٢
أبو بكر محمد بن طغج بن جف الفرغاني	٢٤٤
أبو بكر محمد بن مسلم الزهري	٢٠٥
أبو بكرة، نفيع بن مسروح الحبشي	١٩١ -١٩٣
أبو تمام حبيب بن أوس	٣٠٥ - ٣٠٦، ٣٢١، ٣٦١
أبو جعفر الباقر	٢١٤
أبو جعفر المنصور	٢٥، ٤٤، ١٤٥ -١٤٧، ٢٢٩، ٢٧٣، ٣٣٠، ٣٣٢ -٣٣٥، ٣٣٨، ٣٤٣، ٣٥٢، ٣٥٤ -٣٥٦
أبو الجيش	٢٥٠

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
أبو حاتم عبدالملك الأصمعي	٥٨، ٣٤٣
أبو الحجاج بن نمري	٣٨١
أبو الحجناء	٣١٥، ٣٤٣-٣٤٤
أبو حذيفة	١٩١
أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف	١٩٠
أبو الحسن بن عياش	٣٨٣
أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي	٣٨٩
أبو الحسن المسعودي	٤٠، ١٠٧، ٢٢٢، ٢٣٧
أبو الحسين أحمد	٣٧٤
أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن حماد بن المتيم	٢٨١
أبو الحسين أحمد بن يحيى بن الروندي	٢٣٩
أبو الحسين عبدالرحيم الخياط	٢٣٩
أبو الحسين مسلم بن الحجاج	٧٢
أبو حنيفة	٤٣
أبو حيان التوحيدي	١٤١
أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني	٧٣، ١٥٣
أبو دبوبة الزنجي	٢٦١ -٢٦٢
أبو دلامة	٤٧، ٥٩

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
أبو دلامة الأسدي	٧٥
أبو دلف العجلي	٣٥٧-٣٥٩
أبو رويحة الخشعمي	١٧٦- ١٧٧
أبو سعد أحمد بن محمد الأنصاري الماليني	٢٨٠
أبو سعيد الأندلسي	٣٨٠
أبو سفيان بن الحارث	١٨٧
أبو سلمة	١٩٠
أبو طالب	٢٧١
أبو الطيب المتنبي	١٢٠، ٢٤٧-٢٤٩
أبو عاصم الثقفي	٢١٤
أبو العباس السفاح	٣٢٤، ٣٢٦ ، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٥٣، ٣٥٥-٣٥٦
أبو العباس عبدالله بن محمد الناشئ	٤٤
أبو العباس عبدالله بن محمد الناشئ الأكبر	٢٥
أبو العباس الكورائي	٣٨١، ٣٨٣
أبو العباس المبرد	٢٣٨، ٣٠٨، ٣٢٦، ٣٥٩، ٣٦١
أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي	٧٣

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
أبو عبدالرحمن السلمي	٢٤٢
أبو عبدالله بن محمد بن إسماعيل البخاري	٧٢، ٢١٧
أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة	٧٢، ٢١٨
أبو عبيدالله القاسم بن سلام	١٢٧
أبو عبيد البكري	٣٣٩
أبو عبيدة الجراح	١٩٠
أبو عطاء السندي	٥٨، ٣٤٩-٣٥٣، ٣٥٥-٣٥٦
أبو العلاء المعري	١٥٤
أبو علي التنوخي	٤٠٧
أبو عمر بن العلاء البصري	٢٣٠
أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر	٧٣
أبو عمرو بن الحباب	٢٨٣
أبو عمرو زيد بن واقد	٢٠٥
أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي	٧٣، ٢٠٩
أبو غانم حميد الطوسي	٣٥٦-٣٥٧، ٣٦٠
أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس	٢٨١
أبو الفتح محمود بن قادوس	١٦٦، ٣٧٣
أبو الفتح نصر الدين بن قلامس	١١٧

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
أبو الفداء	٢٣٨
أبو الفرج الأصفهاني	٥٩، ٧٦ – ٧٧، ٢١٩، ٢٢١– ٢٢٢، ٢٧٢، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٤٩، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٢ ، ٣٧٤، ٣٧٦ – ٣٧٧
أبو فرعون الشاشي	٢٢٨
أبو القاسم أنوجور	٢٤٥
أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر	٧٤
أبو القاسم القشيري	٢٤٢
أبو القاسم محمود الزمخشري	٧٦–٧٧، ٢٦٢، ٢٨٥، ٢٩٤– ٢٩٥
أبو قلمس عمرو بن قلع	٢٣٦
أبو قيس	١٤٦
أبو لقيط الحبشي	٢٠٣
أبو لهب	٣٢٤
أبو محذورة	١٧٧
أبو محمد سرور الفاتكي	٢٥٧
أبو المسك كافور الليثي	٣٧٠

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
أبو المعالي المكي البغدادي	٢٤٤
أبو معبد عبدالله المكي الداراني بن كثير	٢٣٠
أبو منصور الثعالبي	٧٦، ٣١٩، ٣٢١
أبو ميسرة بن أبي خشيم الفهري	٢١٣
أبو نباتة جمال الدين المصري	١١٧
أبو نخيلة السعدي	٣٣٩-٣٤٢
أبو الهذيل بن العلاف	٦٠
أبو هريرة	١٩٥، ٢٣٣
أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي داؤد	٣٩-٤٠
أبو يزيد المكي الغريض	٢٢١
أبو يعقوب الخزيمي	٣٦٢
أبو يكسوم	٣١١
أبو يوسف	٤٣
أبي بن كعب	١٨٩-١٩٠
أحمد بن أبي فنن	٣٦٤-٣٦٦، ٣٦٨
أحمد بن حنبل	١٩٢، ٢١٧
أحمد بن علي بن الزبير القاضي الرشيد	٣٧٣-٣٧٤
أحمد بن علي الرشيد	٣٧٢

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
أحمد بن علي العسقلاني بن حجر	٧٣
أحمد بن كيغلغ	٢٤٤
أحمد بن محمد	٥٣
أحمد الحنفي القنائي الأزهري	٥٤، ١٦٨
أحمد راتب باشا	١٠٠
أحمد صالح العلي	١٣٠
أحمد عُلبي	٦٩
أحمد محمد السيد العويل	١٦٤
أحمد محمد شاكر	٢٩٦
أحمد المكرم الصليحي	٢٥٥
الأحنف بن قيس	٢٩٤
الأخطل	٤١، ٢٢٥، ٢٨٥، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٢، ٣٩٤، ٤٠٩
إخوان الصفا	١٠٩ -١١١، ٣٢٧
أرسطو	٩٠ -٩١
الأزهري	٥٣، ١٨٣، ١٩٦، ٢٠٠ -٢٠١، ٢٥٨
أسامة بن زيد	١٦٨ -١٧٤، ١٨٧-١٨٨، ١٩٣-١٩٤، ٢٦٥

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
إسحاق بن إبراهيم الموصلي	٢٢٢ -٣٢٣
إسحاق بن موسى بن المهدي	٤٠٣
أسد بن خزيمة	٣٤٩
أسد الدين شيركوه	٣٧٩
أسلم الأسود	١٩٤ -١٩٥
أسلم الحبشي	١٩٦
أسماء بنت أبي بكر	٣٩٩
أسماء بنت شهاب	٢٥٤ -٢٥٥
إسماعيل باشا البغدادي	٥١
إسماعيل بن علي أبو الفداء	٧٧
إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية	٣١٨
إسماعيل محمود	٦٨
الأسود الحبشي	٢٠٢ -٢٠٣
الأشقر	٢١٩
الأشقر مولى بني ليث	٢٧٥
أعشى بني سليم	٢٧٤
أفراييم بن الزفان	٢٦٠
الأفغاني	٦٥

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
أفلاطون	٩٠
الأقرع بن حابس التميمي	١٨٦
الأقرع بن قيس	٣٩٠
أليكس هيلي	٩٢
أم أيمن	١٧٤، ١٨٧، ٢٦٥ -٢٦٦
أم أيمن بركة	١٧٣
أم بركة	٢٦٧
أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان	١٦٧، ٢٦٧
أم الحجناء	٣١٥
أم حرام بنت ملحان الأنصارية	٣٩٢
أم زفر	٢٧٠
أم سلمة [أم المؤمنين]	٣٩٠
أم الفضل [ابنة المأمون]	٤٠١
أم مكية الزنجية	٢٧٢
أم هانئ بنت أبي طالب	٢٧١
أمية بن خلف	١٧٥ -١٧٧
أميمة بنت عدي بن عبدالله بن دينار بن مالك	٣٨٧
الأمين [ابن هارون الرشيد]	١٤٢

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
أمين توفيق الطيبي	٦٩
أنس بن أبي شيخ الكاتب	٣٠٥
أنس بن مالك	١١٦، ٢٠٦
أنس بن مدرك الخثعمي	٢٨٧
أنيس الفاتكي	٢٥٧
الأوني	٣٥٠
إياس بن قتادة	٢٩٤
إيفيان دو مواران	١١٢
إيليهو كولمان	٩٥
أيمن [بن زيد]	٢٦٥
أيمن بن عبيد الخزرجي	١٨٧- ١٨٨
أيمن بن نابل	٢٠١- ٢٠٢
باتريسيا ديلبيانو	٧٠
بثنية بنت يعار	١٩٠
البخاري	٥٠، ٥٣، ٥٦، ١٧٩، ١٩٣، ٢١٣، ٢٣٢، ٢٥٨، ٢٧٠
بدوي	٥٨- ٦٢
براك أوباما رئيس الولايت المتحدة الأمريكية	٣٢

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
برنارد لويس	٥٧، ٦٦
بريدة بن الحُصيب	١٧٠
بريرة مولاة عائشة	٢٦٧ -٢٦٨
بكير بن وساج الصريمي	٣٩٩
بلال بن جبير	٣٧٤
بلال بن رباح	٤٨، ١١٦، ١٧٤- ١٧٩، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٤، ٢٤٤
بهاء الدولة	٢٦٠
بول بارتي	٦٤
تأبط شراً	٢٨٥
تحية النوبية	٢٨٠
تركي بن سعيد	١٠١
التناتي عباد بن عبدالله	٢٤٣
توفيق الطيبي	١٦١
ثابت بن حسان	٣٩٠
ثابت بن قيس بن شماس	٣٨٩ -٣٩٠
ثقيف الحبشي	٢٤٣
ثوبان بجدد	٢٠٨

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
ثوبان بن إبراهيم الأخميمي	٢٣٢
الجاحظ	٣٩-٤٣، ٤٥-٤٦، ٤٩، ٥٣، ٥٥-٥٦، ٦٢-٦٣، ١١٢-١١٥، ١٦٦، ١٨٤، ٢٠٥، ٢١٠-٢١١، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٣-٢٢٥، ٢٢٩-٢٣٠، ٢٣٥-٢٤٠، ٢٦١-٢٦٢، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٨٥-٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٢، ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٥٧، ٣٦٤، ٣٦٦-٣٦٨، ٣٧٧-٣٧٨، ٣٩٨
جالينوس	٢٦٠
جان جاك روسو	٩٥
جبريل	١٠٨
جبير بن مطعم النوفلي	١٨٠
الجحَّاف بن حكيم	٢٢٥
جرير	١٦٥، ٢٩١، ٣٠٦، ٣٠٨-٣١٣، ٣١٨، ٣٢٠-٣٢١، ٣٩٨، ٤٠٩

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
جرير الخطفي	٢٥، ٢٢٥، ٢٨٥
جرير بن عطية	٤١
جعفر بن سليمان	١٤٧ -١٤٨
جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس	٢٢٧
جعفر بن عقاب	١٠٩
جعفر المتوكل	١٤٣، ٢٥٢
جعفرة	٣٤٤
جعونة بن شعوب الشجعي	٢٣٠
جلان بن عنزة	٣٩٦
الجلندي	٣١١
جليبيب الأنصاري	١٩٦ -١٩٧
جندل بن معبد	٣٠٠
جون كندي	٩٨
جون وولمان	٩٥
جوهر بن عبدالله الرومي	٢٤٧
الجوهري	١٦٤
جياش	٢٥٣
جياش بن نجاح بن الطامي	٢٥٤ -٢٥٧

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
جيميس ديورانت	٧١
الحارث بن الخزرج	١٨٧ -١٨٨
الحارث بن عامر بن نوفل	١٨٠
الحارث بن عبدالله المخزومي	٣٩٠
الحارث بن كلدة	١٩١
الحارث بن هشام	١٧٧
الحاكم بأمر الله	٢٥٩
حام	٤٦، ٤٨، ٦٤، ٧٩- ٨٠، ١٠٧، ١٠٩، ١١١ -١١٢، ١٢١، ٢٤٤
الحب بن زيد	١٧٣
حبش بن توشي بن حام بن نوح	١٦٤
حبيب بن أبي ثابت	٢١٨ -٢١٩
الحجاج	٢١٢ -٢١٣، ٣٠٩
الحجاج بن أيمن	١٨٨
الحجاج بن يوسف الثقفي	١٤٥، ٢١١، ٤٠٠
الحجناء بنت نصيب	٢٧٥، ٢٧٧، ٣٤٩
الحر بن عبدالله القرشي	٣٥٠

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
حرب بن أمية	٣٨٨
الحسن	١٧٩
الحسن البصري	١٩٣
الحسن بن رجاء	٣٦١
الحسن بن سهل	٢٥٠، ٣٦١
الحسن بن علي بن أبي طالب	١٤٨، ٤٠٠
الحسن بن علي بن الزبير	٣٧٢
حسونة النواوي الحنفي	٥٤
الحسين	١٧٩
الحسين بن أحمد	٢٨١
الحسين بن سلامة النوبي	٢٤٩ -٢٥٠، ٢٥٢-٢٥٣، ٢٥٨
الحسين بن علي	٢١١، ٣٢٦-٣٢٧، ٤٠٠
الحسين بن محمد الراغب الأصبهاني	٤٩
حفص بن زياد	١٤٥، ٣٠٩
الحكم بن عبدل الأسدي	٣٣٨-٣٣٩
حكيم بن حزام	١٣٨
حكيم بن عياش الكلبي	٤١ -٤٢، ٢٢٣
حماد الراوية	٣٥١

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
حماد بن عبدالله التينات	٢٤٠
حمادة بنت عيسى	٣٣٣
حمامة	١٧٤
حمزة	١٨١
حمزة بن حبيب الفرضي	٢٣٠
حمزة بن عبدالمطلب	١٧٩ -١٨٠، ١٨٣ -١٨٤، ٣٢٧
حمورابي	٨١، ٨٣- ٨٥، ٩٠
حية، أم الخطاب بن نفيل	٣٨٩
الحيقطان	٢٢٥، ٢٩١، ٣٠٦، ٣١٠ - ٣١٣، ٣٩٨، ٤٠٩
حيي بن هزال	٢٩٨
خالد بن سلمة المخزومي	٣١٣
خالد بن صفوان	٢٩٨
خالد بن عبدالله بن خالد	١٤٤
خالد بن الوليد	١٨٢، ١٩٤، ٣٩٧
خالد بن يزيد الكاتب البغدادي	٤٠٧
خالد الدريوش	٤٠٤
خباب	١٨٦

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
خديجة بنت الحسن بن سهل	٣٦١
خديجة بنت خويلد	٢٦٥، ٢٧١
الخديوي إسماعيل	١٠٠
الخرز	٤٦
الخشاب النحوي	٢٦٣
الخطاب بن نفيل	٣٨٩
الخطيب البغدادي	٧٤، ٢٣٦، ٢٨١
خفاف	٥٧
خفاف بن ندبة السلمي	٧٥، ٢٨٣، ٢٨٨-٢٩٢
الخنساء	١٥٥
الخنساء بنت عمرو الشَّريد	٢٨٨
خولة بنت جعفر بن قيس	٣٩٩
خير الدين الزركلي	٢٢٢، ٢٣١، ٢٨١، ٢٩٦
دانيال بيبس	٧١
دبليانو	٩٣
دحمان، (المغني)	٢٧٥
درة بنت أبي لهب	١٧٣
درمويه	١٥٢

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
دعبل الخزاعي	٤٠٥
دعد	٣٦٣
دنانير بنت كعبويه الزنجي	٢٣٠، ٢٧٣ -٢٧٤
الذخيرة	٢٥٣
الذهبي	٧٤، ٢٠٥-٢٠٦، ٢٣١، ٢٥٨
ذو جدن	٢٠١
ذو روجز	٢٠١
ذو العقصين	٢٢٣
ذو القرنين	٢٠٠
ذو الكفل	٢٣٥
ذو مخمر	١٩٩ -٢٠٠
ذو مناحب	٢٠١
ذو مهدم	٢٠٠
ذو النون المصري	٢٣٢، ٢٣٤
الرازي	٢٦٠
الراضي بالله	٢٤٤، ٢٤٦
الراضي بالله العباسي	١١٩
رباح الأسود	٢٠٤

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
رباح شير زنجي	١٤٥
ربيعة بن الحارث	١٨٧
ربيعة بن فروخ التميمي ربيعة الراي	٢٠٥
رجاء بن حيوة	٢٠٧
رشدي علي حسن	٧٥
الرشيد	١٩٨، ٣٤٣، ٣٧٤-٣٧٥، ٣٧٧
رشيد	٢٥٠
الرشيد، القاضي	١٦٦
رضوان مهدي العبود	٧٥
رفاعة الطهطاوي	١١٩
رقية	٣٨٧
رؤبة بن العجاج	٢٢٣
روح بن الطائفية	٣٠٥
روزا باركس	٩٨
رونالد ريغان، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية	٩٨
رياح بن سنيح الزنجي	٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٩
ريحان بن عبدالله أبو نزوح	٢٤٤
ريحان الحبشي	٢٤٣، ٢٤٥

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــــة
الزبرقان الأسدي	٢١١
زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور	٣٤٦
الزبير بن بكار	٣٢٣
زرقان	٢٣٥
زكريا القزويني	١١٠
زكي الدين عبدالعظيم المنذري	٤٤
زلزل	٤٠٥ -٤٠٦
زمعة	١٤٦
زند بن الجون أبو دلامة	٣٣٢ -٣٣٩
الزهري	٢١٤
زهير بن محمد البهاء زهير	١١٨
زياد بن سلامة النوبي	٢٥٧
زياد بن عمرو	١٤٥، ٣٠٧، ٣٠٩
زياد بن هوبز	٣٩٤
زيد بن الحارث	١٨٨
زيد بن حارثة	١٦٨، ١٩١، ٢٦٥
زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب	١٤٨، ٣٢٦ -٣٢٧
زينب [صاحبة نصيب]	٣١٨ - ٣٢٠

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
زينب بنت جحش	١٩١
زينب بنت قسامة الطائية	١٧٣
س . أندريه	٦٤
سالم الخواص	٢٣٣
سالم بن أبي حذيفة	١٩٠- ١٩١
سالم بن معقل	١٨٩ -١٩٠
سالمة	١٠٢
سالمة بنت سعيد آل بوسعيد	١٣١ ، ١٣٦
سام	٤٦، ٧٩، ١٠٧، ١١٠، ١٢١
سبط بن الجوزي	٤٥
سحيم	٥٨، ٣١٥
سحيم عبد بني الحساس	٢٩٩ -٣٠٥، ٣٣٣
السخاوي	٣٦٨
سديف بن إسماعيل	٣٢٤ -٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٩ -٣٣١
سديف بن ميمون	٩، ٢٥، ٧٥، ٣٢٤، ٣٣٣
سراقة بن الحارث	١٨٦
سعد	١٧٩
سعد بن أبي وقاص	١٧٠، ٢٩٣

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
سعد بن زيد مناة	٢٩٤
سعيد بن جبير	٢٠٩- ٢١٣
سعيد بن سلطان	١٠٢
سعيد بن عمرو الحرشي	٣٩٥
سعيد بن مسجح	٢١٩ -٢٢٢
سعيد بن مسروق	٢١٨
سعيد بن نجاح الأحول	٢٥٤ -٢٥٥، ٢٥٧
السفاح	٣٢٥
سفيان الثوري	٢٠٢، ٢١٨
سفيان بن عيينة	٢٣٣
سلامة أم نصيب	٣١٥
سلمى بنت حرملة	٣٩٦
السليك	٥٧
سليك بن سنان بن سلكة	٢٨٣ - ٢٨٧
سليم البشري المالكي	٥٤
سليم بن منصور	٣٩٣
سليمان بن الأشعث أبو داود	١٨٤
سليمان بن سليم	٣٥١

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
سليمان بن عبدالملك	٢٠٧، ٢١٥، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٣
سليمان بن مهران الأعمش	٢١٨
سليمان بن هشام بن عبدالملك	٣٢٩
سمية	١٩١
سنيح بن رباح	٤١، ٢٢٥، ٢٨٥، ٣٠٥، ٣٠٨ -٣١٠، ٣١٢ -٣١٣، ٣٢١
سهل بن سلامة الأنصاري	٤٠٤
سيبويه	٢٨٠
سيف الدولة	٢٤٥
السيوطي	٢٦، ٤٤، ٤٧ -٥١، ٥٥ -٥٦، ٦٣، ١١٥ -١١٧، ١٩٤، ٢٠٠ -٢٠١، ٢١٣، ٢٣٢، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٦٧، ٢٦٩ - ٢٧٠، ٢٧٢
شارل لويس مونتسيكو	٧١، ٨١
شاور بن مجير السعدي	٣٧٩
شبل بن عبدالله	٣٢٦
شبيب بن شيبة	٣٤١
شبيل الزنجي	٢٦٢ - ٢٦٣

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
شذوب الخارجي	٣٩٥
الشريف حسين بن حسن بن أبي نمي بن بركات	٥٠
الشريف الزيدي، صحاب صعدة	٢٥٦
شعوانة الزاهدة	٢٧٨ - ٢٨٠
الشفاء	٣٨٧
شقران	١٧٤، ١٩٨ - ١٩٩
شكلة	٣٦٢
الشماء	١٥٥
الشنفرى	٢٨٥
شهاب الدين الزهري	٣٩٠
شهاب الدين محمد الأبشيهي	٤٩
صاحب الزنج	١٤٨، ١٥٠ -١٥١، ١٥٤
صالح أحمد العلي	٧٠
الصفدي	٣٥٧
صفوان بن أمية	١٧٧
صفوان الجمحي	٣٩٠
صفي السباب	٣٢٩
صلاح الدين الأيوبي	٣٧٩

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
صلاح الدين الصفدي	٢٥٨
الصليحي	٢٥٤
الصمعاء	٣٩٤
صهيب	١٨٦
الضحاك بن عبدالله السلمي	٢٩٠
طاوس اليماني	١١٩
الطبري	٧٦، ١٤٦، ١٥٢، ٢٩٦
الطرماح بن حكيم	٣١٣
طعيمة بن عدي	١٨٠
طغج أحمد بن علي بن الإخشيد	٢٤٧
الطفيل بن عبدالله	٢٠٤
طلائع بن زريك	٢٤٣ - ٢٤٤، ٣٧٦ - ٣٧٧
الطيب أبو علي بن سينا	١١١
الطيبي	١٦٢
الظافر بدين الله الفاطمي	٣٧٥ - ٣٧٧
العاص بن وائل	٣٩٦
عاصم بن أبي النجود بن بهدلة	٢٣٠
عاصم بن ثابت بن أبي أفلح	١٨٥

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
عاصم الحبشي	٢٠٣
العاضد بالله	٣٧٦
العاضد الفاطمي	٣٧٩
عامر بن الحضرمي	١٨٥
عامر بن الطفيل	٢٨٤
عامر بن فهيرة	٢٠٤
عائشة بنت أبي بكر الصديق	١١٦، ١٧٢، ٢٦٧-٢٦٩، ٣٩٠
عباد بن الحصين الحبطي	٣٩٨
عبادة بن الصامت	٣٩٢
العباس بن عبدالمطلب	١٧٦، ١٨٧-١٨٨
العباس بن المأمون	٤٠٦
عباس بن مرداس	٢٨٩
العباسة بنت المهدي	٢٧٦-٢٧٧، ٣٤٦
عبدالأعلى بن عبدالله بن عامر بن كريز	٣٩٣
عبدالإله بنمليح	٦٧ - ٦٨
عبد بني جعدة	٣٢٤
عبد بني حساس	٤٧
عبد بني الحسحاس	٣٤٣، ٤٠٦

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
عبدالحميد الثاني	٥٥
عبدالرحمن بن الأشعث	٢١١
عبدالرحمن بن أيمن	٢٠٢
عبدالرحمن بن عمرو دحمان	٢٧٥
عبدالرحمن بن عوف	١٩٨
عبدالرحمن بن محمد بن عمر بن بديع	٧٧
عبدالرحمن الكواكبي	٢٤، ٦٣، ١٣٢، ١٤٠
عبدالسلام الترمانيني	٦٧، ١٢٥
عبدالسلام محمد هارون	٣٩-٤٠، ٢٠٥، ٢٩٦
عبدالصمد بن علي	٣٣٠
عبدالعزيز آل سعود	١٠٤
عبدالعزيز بن الحباب	٣٧٢
عبدالعزيز بن مروان بن الحكم	٣١٤، ٣١٦، ٣٢٣
عبدالقادر بن عمر البغدادي	٧٧
عبدالله المأمون	٢٩، ٢٤٩-٢٥٠، ٢٥٢، ٢٦١، ٣٥٨-٣٥٩، ٣٦١، ٤٠١-٤٠٣، ٤٠٥-٤٠٦

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
عبدالله بن أبي عمرو عمر بن عبدالله المخزومي	٢٠٢
عبدالله بن أحمد بن محمد بن الخشاب	٢٦٢
عبدالله بن الجارود	٣٠٩
عبدالله بن جدعان	١٧٦، ٣٩٦
عبدالله بن خازم السلمي	٣٩٧-٣٩٨
عبدالله بن الربيع الحارثي	١٤٥، ١٤٧
عبدالله بن ربيعة	٣٠١
عبدالله بن الزبير	١٤٣-١٤٤، ٣٩١-٣٩٢، ٣٩٧-٤٠٠
عبدالله بن زرير	٢١٦
عبدالله بن سعيد الحرشي	٣٩٦
عبدالله بن عامر الشامي	٢٣٠
عبدالله بن عامر بن كريز	٣٩٧
عبدالله بن عباس	١١٩، ٢٠٩-٢١٠، ٢١٨، ٢٦٨، ٤٠٠
عبدالله بن عتبة بن مسعود	٢١٠
عبدالله بن علي	٣٢٦
عبدالله بن عمر	١٧٠، ١٨٢، ١٩٧، ٢١٠-٢١١، ٢١٨

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
عبدالله بن مسعود	١٨٥، ١٨٩- ١٩٠
عبدالله بن مسلم الباهلي بن قتيبة	٧٦
عبدالله بن المعتز	٧٦، ٣٤٧
عبدالله بن الياسمين الأشبيلي	٣٧٩، ٣٨١ - ٣٨٤
عبدالله محمد الغزالي	٦٢
عبد شمس	٣٢٦، ٣٢٨
عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف	١٦٤، ٢١٦، ٢٦٧، ٣٣٠، ٣٨٨
عبدالملك بن مروان	١٤٣، ٢١٩- ٢٢١، ٢٦٩، ٢٨٥، ٢٩٧، ٣٠٩، ٣٢٣، ٣٩٤، ٣٩٧، ٣٩٩- ٤٠٠
عبدالهادي	٢٣٥
عبدالواحد بن جياش	٢٥٥
عبدان [أخو بلال]	١٧٨
عبدع بدوي	٣٣، ٥٧، ٢٩٦ -٢٩٧، ٣١٢، ٣٦٣، ٣٧٢، ٣٧٧
عبد شمس بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم	٢٩٣ -٢٩٤
عبدة بن الطبيب	٧٥، ٢٩٣ -٢٩٤، ٢٩٦ -٢٩٩
عبدة بن الطبيبى	٥٨
عبيد بن زيد	١٨٧، ٢٦٥

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
عبيد بن سريح	٢١٩، ٢٢١
عبيدالله بن زياد	٢٥٠
عبيدالله بن عبدالله التميمي	٣٩٢
عبيدة بن الحارث	١٧٦
عتبة بن أبي لهب بن عبدالمطلب	٢٦٧
عتبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي	٢٨٤
عثمان بن عفان	١٧٢، ١٨٧، ٢٦٧، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٩٧
العجاج	٢٢٣
عجلى أم عبدالله بن خازم	٣٩٩
العدملي	٢٠٠
عزالدين علي بن أبي أكرم بن الأثير	٧٣
عزمي سكر	٢٩٦
عطاء بن صفوان بن أبي رباح	٢١٣، ٢١٤- ٢١٥
عطرد المغني	٣٢٦
عكيم الحبشي	٤٢، ٢٢٣- ٢٢٤
علاء الدين محمد بن عبدالباقي البخاري	٥٥
علي بن أبي طالب	٩٤، ١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٧، ١٩٤، ٢١٦، ٤٠١

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
علي بن أحمد الزبير	٣٧٢
علي بن جبلة العكوك	٣٥٦-٣٥٩، ٣٦١-٣٦٣
علي بن حمزة النحوي الكسائي	٢٣٠
علي بن رضوان بن علي	٥٣، ٢٥٨
علي بن سبأ	٣٧٤
علي بن القاضي محمد بن علي الصليحي	٢٥٣
علي بن محمد	٦٩، ١٤٩- ١٥٠، ١٥٢
علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي	١٤٨
علي بن محمد بن عبدالرحيم	١٤٨
علي بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب	١٤٨
علي بن المهدي	٢٥٦
علي بن موسى الرضى	٤٠٢-٤٠٣
علي بن هبة الله بن ماكولا	٧٦
علي الطبيب الإفريقي	٦٠
عمار	١٨٦
عمار بن ياسر	١٨٥، ٣٩٣
عمر بن الخطاب	١١٦، ١٢٧، ١٧٠، ١٧٥،

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
عمر بن الخطاب	١٧٩، ١٨٥ -١٨٧، ١٩٠، ٢٠٣ - ٢٠٤، ٢١١، ٢٦٦، ٢٩٢، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٨٨ - ٣٩١
عمر بن دينار	٢١٤
عمر بن عبدالعزيز	١٤٧، ٢٠٧، ٢٥١، ٢٦٦، ٣١٤، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٩١
عمر بن هبيرة	٣٩٥
عمر رضا كحالة	٥١، ٢٨١
عمران بن مسلم	٢٧٩
عمرو بن أم مكتوم	١٧٧
عمرو بن براق	٢٨٥
عمرو بن رباح	٢٨٨
عمرو بن سعيد بن العاص	٢٠٦، ٢١٧، ٣٩٦
عمرو بن معدي كرب	٢٨٤
عمرو بن يثربي	٢٨٣
عمير بن الحباب	٢٢٥، ٣٩٣
عمير بن يثربي	٢٨٣
عنبر بن سماك بن حصين الأسدي	٣٤٩
عنبر الحبشي، أبو المسك	٢٦٠ - ٢٦١

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
عنترة	٢٨٣، ٣٠٧
عنترة بن شداد العبسي	٤٧، ٥٧، ٦٤، ٢٨٤، ٢٨٨
عنقود	١٤٦
عون الشريف قاسم	٥٥ – ٥٧، ٦٦
عيسى بن أبي الخير	٢٤١
عيسى بن مريم	٣٥٣
عيسى بن موسى	١٤٥، ٣٤٣
عيينة بن حصن الفزاري	١٨٦
غ. ريدر	٨٢
غالب بن عبدالله الليثي	١٧١
الغذاف (صاحب عبيدالله بن الحر)	٢٢٤
غريفورس السادس	٩٧
فاتك بن محمد بن منصور بن فاتك بن جياش بن نجاح	٢٥٥ – ٢٥٧
فاختة [بنت قرظة بن عبد عمرو]	٣٩٢
فاطمة، ابنة محمد	١٧٢
فاطمة بنت الوليد بن عتبة	١٩٠
فاطمة قدورة الشامي	٦٨
فاطمة المخزومية	١٧٢

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
فاطمة المزروعي	٦٤، ١٢٠
الفاكه بن المغيرة	٣٩٦
فانسان مونتاي	١٢٣
الفتح بن خاقان	٣٩، ٣٦٤ - ٣٦٦
فرار الأسدي	٢٨٤
فرج الحجَّام	٢٢٧ - ٢٢٩
الفرزدق	٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٧ - ٣١٨، ٣٢٠
الفضل	٣٤٤
الفضل بن الحسن الطبرسي	٣٨٩
الفضل بن سهل	٢٥٠
الفضل بن العباس	١٧٤، ١٨٧
الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبدالمطلب	٥٩
الفضل بن يحيى البرمكي	٣٤٣، ٣٤٧ - ٣٤٨
فضيل بن عياض	٢٣٣
فكتوريا، ملكة بريطانيا	١٠١
فوزي رشيد	٨٤
الفيروزآبادي	٢٨٣
فيصل السامر	٦٩

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
فيصل بن عبدالعزيز آل سعود	١٠٥
الفيض بن إبراهيم	٢٣٢
القاسم بن عيسى	٣٥٨
القاضي الرشيد	٣٧٨ - ٣٧٩
قالغ بن عابر	١١٠
القائم بأمر الله العباسي	٢٨٢
قتيبة بن سعيد	٢٣٣
قتيبة بن مسلم	٢٢٥
قرظة بن عبد عمرو بن نوفل	٣٩٢ - ٣٩٣
القنائي الأزهري	٥٥ - ٥٦
قيس بن عاصم بن سنان المنقري	٢٩٧، ٢٩٩
قيس بن عمرو بن مالك	٥٩
قيصر	١٦٦
كارل بروكلمان	٢٣٦، ٢٣٩
كاظم نادر	٦٢
كافور الأخشيدي	٢٦، ٤٨، ٩٦، ١٢٠، ٢٤٤- ٢٤٩
كافور بن عبدالله الليثي الصوري	٣٧٠

اسم العلم	الصفحة
كافور التكريتي	٣٦٨
كافور الجلدكي	٣٦٨
كافور الصوري	٤٨
كافور الطواشي	٣٦٨
كافور المحسني	٣٦٨
كافور النبوي	٣٦٨ - ٣٦٩
كاليجار	٢٦١
كباجلا	٢٢٥
كعب بن سعد بن زيد مناة	٢٨٣
كعبويه الزنجي	٢٢٩ - ٢٣٠، ٢٧٣ - ٢٧٤
الكميت الأسدي	٣١٩
كنعان	٧٩ - ٨٠، ١٠٧
الكواكبي	٦٥، ١٣٣ - ١٣٤
كوش بن كنعان بن حام	١١٠
لامنس	١٦٤
لقمان الحكيم	٤١، ١١٦، ١٦٥ -١٦٧، ١٨٥، ٢٤٤، ٣١١، ٣٣٦
لؤلؤ غلام	١٥١

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
لويس الثالث عشر	٨٨
مأجوج	٤٦
مارسيل كاردير	٦٤
مارق	٤٠٥ - ٤٠٦
مالك البانياسي	٣٧٠
مالك بن الأشتر	٩٤
مالك بن أنس	٢٦٩
مالك بن حمار سيد بني شمخ بن فزارة	٢٨٩
مالك بن ضغيم	٢٧٩
المأمون	٢٥٠، ٣٦٨، ٣٩٦
المأمون [ابن هارون الرشيد]	١٤٢
مجاهد	٢٠٢
محمد [صلى الله عليه وسلم]	١٦٧، ١٨٠
محمد الأمين	٤٠١، ٤٠٣
محمد بن إدريس الشافعي	٢١٥
محمد بن إسحاق بن عباس الفاكهي	٢٧١
محمد بن إسماعيل البخاري	١٨٩
محمد بن جرير الطبري	٧٥

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
محمد بن حبيب	٧٥، ١٧٣، ٣٠٢، ٣٢٤، ٣٤٢، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٦، ٣٩٨-٣٩٩
محمد بن الحسن	٤٣
محمد بن الحسن البغدادي	٢٢٨
محمد بن حمدون بن إسماعيل	٣٦٤
محمد بن الحنفية	٣٩٩ - ٤٠٠
محمد بن خلف بن المرزبان	٤٤
محمد بن سبأ	٣٧٤
محمد بن سلمة	١٧٠
محمد بن سيرين	١٩٣، ٢١٢
محمد بن شهاب الزهري	٢٠٧، ٢١٧
محمد بن عبدالباقي البخاري	٤٩، ١٨٤، ١٨٦
محمد بن عبدالله بن الأبار	٣٨٤، ٣٨٦
محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب	٣٢٩
محمد بن عبدالله بن طاهر	٣٦٥
محمد بن عبدالله الزيات	٤٠
محمد بن عبدالله القضاعي بن الأنبار	٧٧

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
محمد بن عبدالله النفس الزكية	١٤٥، ١٤٧، ٢٢٩، ٣٢٩
محمد بن علي	٣٣٠
محمد بن علي بن موسى	٤٠١
محمد بن عمر التونسي	١٢١
محمد بن عمران المرزباني	٣٣٠، ٣٥٠، ٣٥٦
محمد بن عيسى	٣٧٤
محمد بن منصور البيهقي	٣٧١
محمد بن يزيد الحميري	٤٠٠
محمد بن يزيد بن ماجه	١٨٤
محمد الجواد	٤٠١
محمد رشيد رضا	١٣٢، ١٣٥ - ١٣٦
محمد الزيادي	٢٥٠
محمد سعد الواقدي	٧٣
محمد شقرون	٦٥
محمد الغزالي	٥٣
محمد المهدي	٢٥، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٤٣، ٣٥٥
محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور	٦٠، ٣٥٤
محمود إسماعيل	٦٩

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
مخارق	٤٠٥ - ٤٠٦
المختار بن الحسن بن عبدون بن بطلان	٥٢
المختار بن عبيدالله الثقفي	٣٩٩ - ٤٠٠
مربح الأشرم	٢٢٥
مرثد بن عبدالله اليزني	٢١٦
مرجان الحبشي	٢٥٠، ٢٥٢ - ٢٥٣، ٢٥٧ - ٢٥٨
المرداس بن نهيك	١٧٢
مريم أم عيسى	٣٣٦
المستنصر بالله الفاطمي	٢٦٠
مسرف بن عقبة	٢٢٤
المسعودي	١١٩
مسلم	١٧٩، ١٩٣
مسلم بن الحجاج	١٩٧، ٢٣٣
مسلمة بن عبدالملك	٣٤٠
مسيلمة	١٧٩، ١٨١ - ١٨٢، ١٨٤
مصطفى الجداوي	٦٦
مصعب بن الزبير	٦٩، ١٤٤، ٣٠٩، ٣٩٢، ٣٩٨
المطيع	٢٤٦

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
معاذ بن جبل	١٨٩ - ١٩٠، ٢٥١
معاذ بن ماعص	١٩٠
معارك	٢٥٣
معاوية	١٦٨
معاوية بن أبي سفيان	١٩٢، ٣٩٠ - ٣٩٢، ٣٩٧
المعتز بالله	٢٣٦
المعتز بن المتوكل	٢٣٩، ٣٦٤
المعتصم	٤٠٦
المعتضد بالله	١٥٠
المعتمد بالله العباسي	٣٦٨
المعتمد بن المتوكل على الله	١٥٠
المعتمد على الله	١٥٣، ٢٣٦
المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي	٢٤٧
المعز لدين الله	٣٧٦
المعمر أبو عمران الحبشي	٢٠١
المغلول	٢٢٥
مغيث بن جحش	٢٦٨ - ٢٦٩
المغيرة بن شعبة	١٩٢، ١٩٥ - ١٩٦

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
المغيرة بن الفزر	٢٢٩ - ٢٣٠
المغيرة بن مخزوم	٢٦٨
المغيرة بن نوفل بن حارث بن عبدالمطلب	٣٩٤
المفضل بن يعلى بن عامر الضبي	٢٩٤، ٢٩٦
المقتدر على الله	١٢٦
المقداد بن الأسود	١٨٥
المقريزي	٥١ - ٥٤
مكحول الشامي	٢٠٥ - ٢٠٦
المكرم بن علي الصليحي	٢٥٤
ممطور أبو سلام الحبشي	٢٠٨ - ٢٠٩
المنتج بن نبهان	٢٢٣
المنصور	٣٨٠، ٣٨٢
منصور بن فاتك بن جياش بن نجاح	٢٥٥، ٢٥٧
المنصور بن المهدي	٤٠٢ - ٤٠٣
المهتدي بالله بن الواثق بالله	١٥٠، ٢٣٦
مهجع (مولى عمر بن الخطاب)	١٨٤ -١٨٦، ١٨٨
المهدي بن المنصور	٢٣٩، ٢٧٥ -٢٧٦، ٢٧٨، ٣٣٩، ٣٤٣ -٣٤٤، ٣٤٩، ٣٥٦، ٣٩٥ - ٣٩٦، ٤٠٢

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
موسى [عليه السلام]	٢٢٠
موسى، الأمير	٣٤٤
موسى الكاظم	٤٠١
موسى الهادي	٤٠٢
الموفق بالله	١٥٣
الموفق بالله طلحة بن المتوكل على الله	١١٢
الموفق بن المتوكل	١٥٠
مونتجمري وات	١٦٣
مونتسكيو	٩٠ - ٩٢، ٩٥، ١٢٣، ١٢٨
المؤيد نصير الدين	٢٥٣
ميتين	٢٥٣
ميمونة الزاهدة	٢٨٢
النابغة بنت حرملة	٣٩٦
نابل الحبشي	٢٠١
الناشئ	٤٥، ٥٥، ٦٣
الناصر	٣٨٢
الناصر لدين الله	١٥٠
نافع بن الأزرق	٣٩٢

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم المدني	٢٣٠ - ٢٣٢
نبعة الحبشية	٢٧١
نجاح	٢٥٢ - ٢٥٣
نجاح مولى مرجان	٢٥٧
النجاشي	٤٧ - ٤٨، ٥١، ١١٦ - ١١٧، ١٦٥ - ١٦٧، ١٨٥، ٢٢٣، ٣١١ - ٣١٢، ٣٨٨
نجم الدين عمارة الحكمي اليمني	٢٥١
ندبة ابنة قنان	٢٨٨
النشابي	٣١٠
نصر بن سيار	٣٥٢
نصر المقدسي	٣٧٠
نصيب	٣١٧ - ٣٢١، ٣٢٣، ٣٤٤
نصيب الأصغر	٢٧٥ - ٢٧٧، ٣٤٣، ٣٤٧ - ٣٤٩
نصيب الأكبر	٣٠٠، ٣٢٣، ٣٤٣ - ٣٤٤، ٣٤٩، ٣٦٣
نصيب بن رباح الأكبر	٣١٤، ٣٢٠
نصيب بن محجن	٤٧

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
نضلة بن هاشم بن عبد مناف	٣٨٧
النعمان بن المقرن	٢٩٤
نفيس	٢٥٢ -٢٥٣
نفيع بن الحارث الثقفي	١٩٣
نفيل بن براقة	٢٨٥
نفيل بن عبد العزى بن رباح	٣٨٨
نلسون منديلا، رئيس جنوب أفريقيا	٩٨
نوح	٤٦، ٤٨، ٦٤، ٧٩ - ٨٠، ١٠٧ - ١٠٨، ١١٠ - ١١١
نور الدين علي بن إبراهيم الحلبي	٥١
نوري حمودي القيسي	٧٥
نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب	٢١٩
لويس شيخو	٤٥
الهادي	٣٤٤، ٣٤٩
هارون	٢٠٦
هارون الرشيد	١٤٢، ٢٨٠، ٣٣٢، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٥، ٤٠١ -٤٠٢، ٤٠٦
هارون الواثق بن المعتصم	٤٠١

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
هاشم بن عبد مناف	٣٨٧
هاملتون، جب	٧٠
هراسة	٣٠٧
هشام بن عبدالملك	١٤٨، ٢١٥، ٣٢٣
هشام بن عقبة بن معيط	٢٨٣، ٣٩١
هشام بن معاوية بن هشام بن عقبة	٣٩١
هشام الدستوائي	٢١٢
هلال الحبشي	١٩٦
همام بن غالب الفرزدق	٢٥، ٢٧٢، ٣١٦، ٤٠٩
همام بن مطرف التغلبي	٣٩٤
الهميسع	٢٣٥
هند	٢٥٠
هنري لامنس	١٦٣
هود	٢٠٠
هوذة بن خليفة	١٩٢
هوذة القبطي	٣١١
الهيثم بن عدي بن عبدالرحمن الطائي	٣٦٢
الواقدي	١٨٥، ١٩٦

اســـــم الـــعـــلـــم	الـــصـــفـــحـــة
وثيق	١٤٦ - ١٤٧
وجيه الدين الحبيشي الوصابي	٧٧
وحديا	١٤٦
وحشي بن إسحاق بن وحشي بن حرب بن وحشي	١٨٣
وحشي بن حرب بن وحشي	١٧٩، ١٨٣ - ١٨٤، ١٩٩
وحشي الحبشي	١٨٢ - ١٨٣
الوليد بن عبدالملك	٢٢٢
الوليد بن مسلم	١٨٣
الوليد بن يزيد	٢٢٢
وليم جيمس ديورانت	٨٩، ١٢٢
وهب بن منبه	١٠٨ - ١٠٩
يأجوج	٤٦
يافث	٤٦، ٤٨، ٧٩، ١١٠
ياقوت الحموي	٤٠، ٧٧، ١٦٤، ٢١٠، ٢٣٦، ٢٤٢، ٣٤١، ٣٧٧، ٣٨٦
يحيى بن بسطام	٢٧٩
يحيى بن مرزق	٢٧٥
يحيى الجبوري	٧٥، ٢٩٦

اســـم الـعـلـم	الـصـفـحـة
يحيى المكي	٢٧٥، ٣٤٨
يزيد بن أبي حبيب	٢١٦ - ٢١٧
يزيد بن سويد الأسدي	٢١٦
يزيد بن عبدالملك	٢٠٧، ٣٢٣
يزيد بن عمر بن هبيرة	٣٥٤ - ٣٥٦
يزيد بن عمرو	٢٩٣
يزيد بن معاوية	٣٩٧
يسار الأسود	١٩٥ - ١٩٦
يعار الأنصارية	١٩٠
يعقل	١٤٦
يموت بن المزرِّع بن يموت	٢٣٥
يوسف بن الخلال	٣٧٢
يوسف خليف	٣٣٨ - ٣٣٩
يوسف عليه السلام	٣٣٤

فهرس الموضوعات

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــة
الآبار	٢٥١
الآذان والإقامة	١٧٧، ١٧٩
الأبابيل	٢٦٧
الأبطح	٢٦١
أبناء الحبشيات	٣٨٧، ٤٠٧
الأحابيش	١٦١، ١٦٣، ١٦٥
أحابيش قريش	١٦١، ١٦٣- ١٦٤
الأحاديث النبوية	٢٤، ٢٧، ١١٦، ١١٩، ١٣٨، ١٤٠، ١٨٣، ٢١٨، ٢٣٣، ٢٦٥، ٢٦٩- ٢٧٠
الأحباش (الحبشان أو الحبوش)	٢٦، ٤٠، ٤٧، ٤٩- ٥٦، ٥٩، ٦٨- ٦٩، ٧٥، ١٠١، ١١٦، ١٦١- ١٦٢، ١٦٤- ١٦٥، ١٦٨، ١٨٢، ١٩١، ١٩٩- ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٨، ٢٣١، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٦- ٢٥٧، ٢٦٧، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣٣٢، ٣٧٠
أحجار الطير	٢٦٧
الأحوال الاجتماعية	٢٥، ٢٨، ٣٢، ٦٢، ٦٥، ٧٠، ٨١، ٩٣- ٩٤، ٩٦، ١٢٠، ١٤٣، ١٧٤، ٤١١
الأحوال الاقتصادية	٩٦، ٩٩، ١٢٦، ٤١١
الأحوال الثقافية	٦٥، ٩٩

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
الأحوال الدينية	٦١، ١٢٣
الأحوال السياسية	٢٥-٢٦، ٢٨، ٣٢، ٦١، ٦٥، ٧٠، ٩٣، ٩٦، ٩٩، ١٢٣، ١٤٣، ١٤٩، ٢٤٦، ٢٤٩، ٤٠٢، ٤١١
اختلاف ألوان البشر	١٠٨-١٠٩، ١١١
الأخطل بنو تغلب	٤١
الأدب	٢٤، ٣٢، ٣٩، ٥٨، ٦٢-٦٣، ٢٣٥، ٤٠٢
الأدباء السود	٢٣٥، ٣٨٠
الأذواء (الذوين)	١٩٩
الأراجيز	٣٤٢-٣٤٣
الأرمن	١٢٦
الأزارقة	١٤٩، ٣٩٢
الاستعمار الاوروبي	٦٤-٦٥، ٩٣
أسرى الحرب	٢٣، ٧٢، ٨٨، ٩٠، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٧، ١٣١، ١٩٨-١٩٩، ٤١١
الإسماعيلية	٢٥٢-٢٥٣
اسواق العبيد	٢٣، ٢٩، ٨٦، ٩٣، ١٢٢، ١٢٥، ١٣٤، ١٤١، ١٤٣، ١٤٧
أسواق النخاسة	٥٢، ٨٠، ٨٧، ٨٩، ٩٩، ١٢١، ٣٠٣

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
الأسياد	٢٤، ١٧٤
أصحاب الفيل	٢٦٧
الأطباء السود	٥٢، ٢٥٨، ٢٦٠
الأعاجم	٦١، ٣١٢، ٣٥١
اعتناق الإسلام	١٢٧، ١٣٠، ١٩٥
الأعراف والتقاليد والعادات	٢٥، ٣٠، ٨١، ٩٠، ٩٤، ١٠٥، ١٢١، ٤١٠
إلغاء قانون العنصرية بأمريكا (١٩٦٢م)	٣٠
الألقاب الصوفية	٢٣٢
الإماء	٥٢، ٩٦، ١٢٣، ١٢٧
إمارة الجيش	١٦٩
الإمامية	٤٠١
الأمراء السود	٢٤، ٢٦، ١٢٣، ٢٤٧
الأمراء العباسيون	٣٣٣
الأمة الآبقة	٨٣ - ٨٤
الأمويون	٢٥، ٢٤٩- ٢٥٠، ٢٥٢، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٤٠، ٣٥٢- ٣٥٣، ٣٨٦، ٤٠٠
الأندلسيون	٦١
الأنساب والأعراق	٦٣، ١٧٨، ١٨٩- ١٩٠، ١٩٢، ٢٩٤- ٢٩٥، ٣٩٠

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
أهل الذمة	١٢٧، ٢١٥، ٣٢٥
أهل مكة	٢١٥
الأيديولوجيا	١٦٢
الأئمة الاثنى عشر	٤٠١
أئمة المسجد الحرام	٢٣٠
أئمة المسجد النبوي	٢٣٠
الأئمة والخطباء	٥٤
البابليون	٨٦، ٨٩- ٩٠
البادية	٢٢٥، ٢٨٨، ٣١٤
بحر الزنج	٥٦
البدو	٣٣٤
البرامكة	٢٧٥، ٣٤٣- ٣٤٤
البربر	١٢٦
البروتستانت	٩٥
البصريون	٢٧٨
البعثة النبوية	١٦٤
البلالية	١٤٩
البلد الحرام	١٠٨

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
بنو آدم	١٠٩
بنو أرفدة	١١٦، ١٦٨
بنو أسد	٣٣٢
بنو اسرائيل	١٦٦
بنو تغلب	٣٠٨
بنو جمح	٢١٩، ٣٩١
بنو حنيفة	١٨٢
بنو خزيمة	١٦٣
بنو عبشمس بن كعب بن سعد بن تميم	٢٩٣
بنو المصطلق	١٦٣، ١٩٨
بنو نوفل بن الحارث	٢١٩
بنو هاشم	٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٥٢- ٣٥٣، ٣٦٤، ٣٨٧، ٤٠٠، ٤٠٤
بنو هوازن	١٨٧
بنو الهون	١٦٣
بنو يافث	١١٠
بيت النبوة	١٨٧- ١٨٨، ٢٦٦
بيعة العقبة الأولى	٢١٦

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
البيئة الجغرافية	٧٩، ١٠٨- ١٠٩
التاريخ الإسلامي	٦٦، ١٦٥- ١٦٦
التاريخ القديم	٨٠
تجار العرب	١٦٧
تجارة الرقيق	٢٦- ٢٧، ٣٢، ٥٣، ٦٧، ٨٣، ٨٥- ٨٦، ٨٩، ٩٢- ٩٣، ٩٥، ٩٧، ٩٩، ١٠٥، ١٢٢، ١٢٥- ١٢٦، ١٣١- ١٣٢، ١٣٤- ١٣٥، ١٤١، ١٥٢، ٢٥٩، ٣١٤، ٤١٠
تحرير العبيد (إلغاء الرق أو عتق الرقبة أو تحرير الرقيق)	٢٤، ٢٧، ٢٩، ٣١، ٦٣، ٦٧، ٩٣، ٩٥، ١٠١، ١٠٤، ١١٣، ١٢٥، ١٤١، ١٤٣، ١٤٩، ١٥٢، ١٧٥، ١٨٧، ١٩٠- ١٩١، ١٩٨، ٢٠٦، ٢٢١، ٢٢٨، ٢٦٨، ٣١٤، ٣٣٢، ٣٤٤، ٣٥٠، ٤٠٩، ٤١١
التراث العربي	٥٧، ٦٢، ٧٦، ٢٢١، ٢٨٨
التستري	٢٦١
التشيع	٣٣٠
التصوف	٢٨
التعليم	٣٠، ١٢٢
التعليم الديني	٢٧
التمثيل بالجثث	٢٤٩

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
التمييز العنصري	٢٤، ٢٦، ٣٠، ٣٩، ٦٧، ٧٩، ٩٢، ٩٤، ٩٧-٩٨، ١٠٥، ١١٣، ١٢١، ١٢٤، ١٧٨، ٢٠٣، ٣٠٩
التنجيم	٢٥٨
التوراة	٢٦، ٨٧، ٩٥، ١٠٧، ١٠٩، ١١١-١١٢، ١٢٨
الثأر	٣٢٤، ٣٣٣
الثغور	٢١٥
ثورات الزنوج (السود)	٢٧، ٦١، ٦٥، ٦٨-٦٩، ١٠٠، ١١٢، ١٢٣، ١٤٣-١٤٥، ١٤٧، ١٤٩-١٥٠، ١٥٢-١٥٣، ٢٣٦، ٣٠٩، ٣٣١، ٣٩٦، ٤١١
الجرائم	١٠٢
الجزر	١٠٩
الجزليون	٢٥٧
الجزية	١٢٦-١٢٧
جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا	٢٦، ٣٢٧
الجمل الأورق	١٨٠
جنود الحراسة	١٢٤
الجواري	٥٢، ٨٣، ١٢٣، ١٣١، ٢٧١، ٣٤٤
الجيوش	١٥٠، ١٦٨، ٢١٥، ٢٤٧

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
حام	٣٠
الحباشة	١٦٢
الحبة السوداء (الشونيز)	٤٧
الحبشيات	٢٩، ٧٥، ٢٨٨، ٣٨٧، ٤٠٧
الحج	١٠٨، ٢٠٢، ٢١٥، ٢٥٤، ٢٦١، ٣٣٣، ٣٤٦
حرب المدائن	٢٩٣، ٢٩٧
الحرفيون السود	٢٦٢
الحروب	٣٩، ٥١، ٨٧، ١٢٥، ١٢٧، ١٤٩، ١٥٤، ١٧٤، ١٨٢، ١٨٤، ٢٢٩، ٢٤٦- ٢٤٧، ٢٤٩- ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٨٩- ٢٩٠، ٢٩٣، ٣٩٨- ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٤، ٤١١
حروب الردة	١٨٢، ٢٩١- ٢٩٢
الحرورية	١٤٩
الحرية	٢٧، ٢٩، ٩٤، ٩٦، ١٠١، ١٠٥، ١٣٠- ١٣١، ١٤٢، ١٤٥، ١٧٥، ٤١٠- ٤١١
الحضارات	١٢٨، ٤١٢
الحضارة الإسلامية	٢٣، ٢٩، ١٦١، ١٦٥- ١٦٦، ٣٤٣، ٣٨٧، ٤١٢
الحضارة العراقية القديمة	٨١

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
الحضرة النبوية (المدينة المنورة)	٣٦٨- ٣٦٩
حفر الآبار	٢٥١
الحقوق المدنية	٢٤، ٩١، ١٢٢
حكم رام سين	٨٢
الحكمة	١١٣، ١٦٥- ١٦٦
الحكومة السنية	١٠٠، ١٠٤
الخارجية الأمريكية	٣٢
الخدم	٢٤، ١٢٦، ٢٦١
الخدمات العامة	١٠٠
الخدمة العسكرية	١٢٥
الخراج	٣٦٥
الخطباء السود	٣٩٠
الخلافة الراشدة	٢٥، ٢٧، ٧٣، ١٦٥، ١٧٤، ٢١٦
الخلفاء الأمويون	٣٢٣، ٣٥٢، ٣٥٥
الخلفاء العباسيون	٢٣٩، ٢٤٩، ٣٤٩، ٣٥٤، ٤٠٢، ٤٠٥
الخوارج	٦١، ١٤٩، ٣٩٢، ٣٩٥
دار الإمارة	٢٥٥
دار الخلافة (بغداد)	٢٦١

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
الدستور الأمريكي	٣١
الدعوة الإسلامية	٢٣، ٢٧، ١٠٥، ١٧٤، ٣٨٧
الدكاكين (الحوانيت)	٢٦٣، ٣٣٣، ٣٧٥
الدية	٨٥
ذرية حام	٧٩، ١٠٧، ١٠٩، ١١١، ١٢٠- ١٢١
ذرية سام	١٠٧، ١٠٩- ١١٠، ١٢١
ذرية نوح عليه السلام	٤٦، ١١٠
الرأسمالية	٩٩، ١٢٢
الرايات	٤٤، ١٨٢، ١٨٧، ٣٣٥
الرسائل النبوية	١٦٧
رفع المصاحف	٣٩٧
الرق (العبودية)	٢٣- ٢٤، ٢٦- ٢٧، ٢٩- ٣٠، ٣٢، ٦٣، ٦٦- ٦٧، ٧٠- ٧١، ٧٩، ٨٣، ٨٦، ٩٠، ٩٧، ٩٩، ١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٩، ١١١- ١١٢، ١٢٠- ١٢١، ١٢٣- ١٢٤، ١٢٦، ١٢٩، ١٣١، ١٣٤، ١٤٩، ١٥٢- ١٥٣، ١٧٥، ١٧٩، ٣٣٢، ٤٠٩، ٤١١
الرق في الاسلام	٦٣، ٦٧، ٧٠، ١٢٢- ١٢٣، ١٢٥، ١٢٧، ١٤١، ٢٠٣، ٤١٠، ٤١٢
الرقيق الأبيض	٣٠، ٨٠، ٩٦، ١٢٦

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
رمي الحراب	١٨٠- ١٨١
رواة الحديث السود	٢٧، ١٧٩، ١٨٤، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠٨- ٢٠٩، ٢١٧، ٢٣٣
الروايات التاريخية	١٦٧، ١٦٩، ١٧١، ١٧٣، ١٧٦، ١٩١، ١٩٤، ١٩٦، ٢٤١
الرومان	٢٣، ٢٦، ٤٦، ٨١، ٨٨، ٩٠، ١٢٣
رئاسة الأركان الأمريكية المشتركة	٣٢
الزراعة	٢٣- ٢٤، ٩٤، ٩٩، ١٠٢- ١٠٣، ١٢٢، ١٢٦
الزندقة	٣٣٣
الزنوج (الزنج)	٤٠، ٥٢، ٥٦، ٦٣- ٦٤، ٩٢، ٩٤- ٩٥، ١٠٣، ١١٢، ١١٤، ١١٩، ١٢٢، ١٢٦، ١٤٤- ١٤٥، ١٤٩، ١٥١، ٢٢٤، ٢٧٢، ٣٠٩
الزواج	٤٣، ٥٧، ٨٤، ٨٩، ٩٤، ١٢٢- ١٢٣، ١٧٣، ١٧٨، ١٩٧، ٣٤٤
آل زياد	٢٦، ٢٥٠، ٢٥٢- ٢٥٣، ٢٦١- ٢٦٢
الزيادون	٢٥٢
السبايا	٢٦٧، ٣٩٦، ٣٩٩
السرايا	١٧٠- ١٧١
السعدية	١٤٩

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
سقاية الماء	٢٦٦
سقوط بغداد ٦٥٦هـ	٢٥
سلطة البابا	٩٧
السود (الرقيق)	٢٣، ٣٣، ٣٩، ٤٣- ٤٤، ٤٦- ٤٧، ٥٢، ٥٥، ٥٩، ٦٢، ٦٤، ٦٦- ٦٧، ٧٠، ٧٣، ٧٦-٧٧، ٧٩- ٨٠، ٩٢، ٩٤، ٩٦، ٩٩، ١٠٧، ١٠٩، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٨، ١٤٤، ١٤٨، ١٦٣، ١٦٥- ١٦٦، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٤، ١٩١، ٢٠٤، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥٢، ٢٥٧- ٢٥٨، ٢٦١، ٢٧٩، ٢٩١، ٣١٣، ٣١٩، ٣٨٧، ٤١٠، ٤١٢
سوق عكاظ	٣٩٦
السياسة الأمريكية	٣٢
سيد المؤذنين	١٧٨
السيرة النبوية	٢١٧
السيوف	٣٣٥
الشاعرات السود	٢٨، ٢٧٥، ٢٧٨
الشجاعة	١١٣، ٢٣٠، ٢٤٥- ٢٤٦، ٢٨٣- ٢٨٤، ٣٠٩، ٣٩٨- ٣٩٩، ٤٠٩

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
الشراة	١٤٩
الشريعة الإسلامية	١٠٥، ١٢٧، ١٢٩، ١٣١، ١٣٣، ١٣٥، ١٤١
شريعة حمورابي	٢٣، ٨١، ٨٥، ٩٠، ٤١٠
شعر الرثاء	١٥٤، ٣٣٤، ٣٥٤، ٣٧٥- ٣٧٦
شعر الزهد	٢٣٤، ٣٦٦- ٣٦٧، ٣٨٥
الشعر الصوفي	٢٤٢
الشعر العربي	٣٢، ٤٩، ٦١، ٦٨، ١٢٦، ٢٢١، ٢٢٨، ٣٨٣، ٤٠٢
شعر الغزل	٢٩٣، ٣١٩- ٣٢٠، ٣٦٣
الشعر الغنائي	٢٨٦، ٣٠٤، ٣٢٦
شعر الفخر والمديح	١٦٥، ٢٤٨، ٢٧٦، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٥٢، ٣٥٤- ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٦٤، ٣٨٢
شعر الهجاء	١٦٦، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٨٩، ٢٩١، ٣٠٦، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٠- ٣٤١، ٣٥٢- ٣٥٣، ٣٦٨، ٣٧٣، ٣٨١
الشعراء السود	٢٤، ٢٦، ٢٨- ٢٩، ٣٩، ٤٧، ٥٧، ٥٩، ٧٢، ٧٥- ٧٧، ١١٣، ١٤٤، ١٦٥، ٢٣٤، ٢٨٣، ٢٨٨، ٢٩٣- ٢٩٤، ٢٩٩، ٣٠٥، ٣١٠، ٣١٤، ٣٢٤، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٤٩، ٣٥٦، ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٩، ٣٨٤، ٣٨٧، ٤٠٩
الشعوبية	٦٠- ٦١، ٣١٢- ٣١٣

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
الشيعة	٢٥٣، ٣٤٤
الشيعة الخراسانية	٣٥٧
شيوخ العربان	١٠٠، ١٠٤
الصحابة والتابعون	٢٥، ٢٨، ٣٩، ٤٧، ٥١، ٧٣، ٧٥، ١٦٩، ١٧٣، ٢٠١، ٢٣١، ٢٩١، ٣٨٧، ٣٩٣
الصقالبة (السلاف)	١٢٦
الصُلبية	٣٣٨
آل الصليحي	٢٥٣، ٢٥٥
الصناعة	٩٩، ١٢٦
الصوفية	٦٥، ١٢٤، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٤٣
الصوفيون السود	٤٥، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٤٠- ٢٤١، ٢٤٣، ٢٨٠، ٣٨٧
الطب	٢٥٨- ٢٥٩
الطبقات الاجتماعية	٣٩، ٨٠، ١٢٥، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٥٨
الطواف حول الكعبة	١٠٨، ٢١٢، ٤٠٠
عاشوراء	٣٧٥- ٣٧٦
العالمات السود	٤٧
العباسيون	٤٣، ٢٤٩، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٤٩، ٣٥٢- ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٨٦، ٤٠٢- ٤٠٣، ٤٠٥

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
العبد الآبق	٨٣
العبرانيون	٢٤، ٨٧- ٨٨، ٩٠، ١٢٩
العبودية انتهت بأمريكا (١٨٦٥م)	٣٠
العبيد (الرقيق)	٢٣- ٢٤، ٢٦- ٢٧، ٥٠، ٨٠، ٨٣، ٨٩- ٩٠، ٩٤، ٩٦، ١٠٢، ١٠٤، ١٢٢- ١٢٣، ١٢٦، ١٣١، ١٤١- ١٤٢، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٢، ١٧٤، ١٩١، ٢٥٠، ٢٥٦- ٢٥٧، ٣٠٨
العبيديون	٢٤٦- ٢٤٧
العدائون السود	٢٨٣، ٢٨٥
العرب	٥١، ٦٤، ٦٩، ١٠٣، ١٢٧، ١٦٢، ١٦٤، ١٧٨، ٢٨٨، ٢٩٣، ٣١٢- ٣١٣، ٣٢٢
العصر الأموي	٢٥، ٢٨، ٧٣، ٢١٦- ٢١٧، ٢٧٣، ٣١٣، ٣٢٥، ٣٤٩، ٣٥٢- ٣٥٣، ٣٨٨، ٣٩٧
العصر البابلي (عصر بابل)	٢٦
عصر صدر الإسلام	٢٤- ٢٥، ٦٤، ٧٣، ١١٣، ١١٩، ١٢٦، ١٨٥، ٤١٠
العصر العباسي	٢٥، ٢٨- ٢٩، ٧٦، ٢٢٧- ٢٢٨، ٢٧٤- ٢٧٥، ٣٥٢، ٣٨٨، ٣٩٥
العصر العثماني	٥٣، ٩٩
عصر النبوة	٢٥، ٢٧، ٧٣، ١٦٥، ٢٧٠، ٣٩٣

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
العقوبات	٨٢، ٨٥، ٨٧، ٨٩
العلماء السود	٢٧- ٢٨، ٤١، ٤٥، ٤٧، ٧٤، ١٦١، ١٦٥، ١٦٨، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٦٥، ٢٨٢، ٣٧٣- ٣٧٤، ٣٨٤
العلويون	١٤٨، ٣٣٠، ٤٠٣، ٤٠٥
العمل بالسخرة	٩٢
العهد القديم	١٠٧، ٤١٠
غربان العرب في الإسلام	٣٩٨
غزو الروم	١٦٩- ١٧٠
الغزوات الإسلامية	٢٧، ١٢٧، ١٧٠، ١٧٨، ١٩٤، ١٩٧
غزوة أحد	١٧٩
غزوة بدر	١٧٧، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٠- ١٩١، ١٩٨- ١٩٩، ٢٠٤، ٣٩٠- ٣٩١
غزوة حنين	١٧٠، ١٨٧- ١٨٨، ٢٦٥- ٢٦٦، ٢٩١، ٣٩١
غزوة الخندق	٢١٧
غزوة خيبر	١٨٧، ١٩٥، ٢٦٦
غزوة ذات السلاسل	٣٩٧
غزوة قبرس	٣٩٢
غزوة المريسيع	١٩٨- ١٩٩

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
آل غسان	٣٢٨
الغناء	٢٨، ١٢٦، ٢١٩، ٢٢١، ٢٨٦، ٤٠٢
الغنائم	١٩٨- ١٩٩
فارس	٤٦
الفاطمية	٣٧٤- ٣٧٥
الفاطميون	٣٧٦، ٣٧٩
الفتاوى الشرعية	١٣٤- ١٣٥، ٢١١
فتح الطائف	٢٩١، ٣٩١
فتح العراق	٢٩٣، ٢٩٩
فتح مصر	٣٩٦- ٣٩٧
فتح مكة	١٦٤، ١٧٧، ١٨١، ٢٩١، ٣٩٠- ٣٩١
فتوح الشام	١٦٨، ١٨٣
الفتوحات الإسلامية	٢٧، ١٢٦- ١٢٧، ١٧٤، ١٨٣
الفدية	١٢٥، ١٢٧
الفراتية	١٥٠
الفرس	٦١
الفروسية	٦٨، ٣٩٤
الفقه الإسلامي	٢٤، ٢٧، ٣١، ٣٩

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
الفقهاء السود	٢٥- ٢٩، ٣٩، ١٤٤، ٢٠٥، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٨، ٢٣٣، ٢٤٣، ٣٨٧
الفلاسفة السود	٢٥٨- ٢٥٩
الفلكيون	١٠٨
الفنانون السود	٢٦١- ٢٦٢
الفنون	٤٢، ١٢٦، ٢٢١، ٢٦١، ٤٠٢، ٤٠٥
فيلم «١٢ عاما من العبودية»	٣١
القادة العسكريون السود	٢٩، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٢، ٤٠٩
قانون الاسترقاق (كارولينا، ١٦٣٨م)	٩٢
قانون إلغاء الرق	٣١
القانون الروماني	٢٤، ٩٣
قانون العتق الجماعي الأمريكي	٣١
القانون اليوناني	٢٤
القبائل العربية	٧٢، ٩٩، ١٠٤، ١٦٣
قبل الإسلام	٧٩
قبيلة بني أسد	٣٣٨
قبيلة حبشت	١٦١- ١٦٢
قبيلة سليم	٢٩٢

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
قبيلة هوازن	٢٩٢
القتل	١٣١، ١٨٠- ١٨١، ١٩٦، ٢٣٠، ٣٢٩
القحط	٢٤٦، ٢٥٩
القراء	٧٥، ١٨٩، ٢١٣، ٢٣٠- ٢٣١
القراءات السبع	٢٣٠
القرامطة	٢٥٢
القرآن الكريم	٢٤، ٢٧، ٤٧، ١٦٧
القرماطيون	١٥٠
قريش	١٦٣- ١٦٤، ١٦٧، ١٧٦، ٣٩١، ٤٠١، ٤١٠
القصاص	٨٣، ١٩٦
القصاصون	١١١
قصص السود	٦٣
قصيدة الحيقطان	٤١، ٢٩١، ٣١٢، ٣٩٩
قصيدة المنصورية	٣٨٢
القضاء	١٠٣، ١٤٧
القضاة السود	١٤٧، ٣٧٤
قطاع الطرق	٢٢٤
القلانس	٣٣٥

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
القوانين والتشريعات	٩٠، ٩٢، ٩٤، ٩٦- ٩٧، ٩٩، ١٠١، ١٠٣، ١٣٤، ١٥٢
كتب الأدب	٧٢، ٧٦- ٧٧، ١٦٦
كتب التراجم	٧٢- ٧٥
كتب الحديث	٧٢- ٧٣
الكتب المناهضة للعبودية	٩٥
الكرج	١٢٦
الكعبة المشرفة	١٧٧، ٢١٣، ٢٦١، ٢٧٠
الكنائس	٩٥
الكيسانية (فرقة سياسية)	٤٠٠
اللباس	٤٤، ٣٣٥
اللغة	٤٢، ١٢٣
لغة الحبشة	٤٨
اللغة الفارسية	٢٢١
اللغويون السود	٣٧٠
المتصوفون السود	٢٥
المجاورة (الجوار بمكة)	٢٦١
المحاكاة	٢٦١- ٢٦٢

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
المحدثون السود	٢٠٥، ٢١٣- ٢١٤، ٢١٨، ٢٣٣، ٢٨١
محنة الزنج	١٥١، ١٥٣
مدح السود	٣٢، ١١٤- ١١٥، ١١٧، ١٢٠، ١٢٢
المذاهب الإسلامية	٤٣، ٥١، ١١٩، ١٢٤، ١٢٩، ١٣٣، ١٦٢
المربيات السود	٢٨
مرض الجدري	٣٥٧
المساواة والمؤاخاة	٢٤، ٦١، ٩٤، ١٣٠، ١٧٦، ٣٨٩
المسيح عليه السلام	٨٨
المعارك الإسلامية	١٧٠، ١٧٢، ١٧٤
معاملة المسلمين للسود	٥٧
المعاهدات الدولية (الاتفاقيات الدولية)	١٠١- ١٠٢، ١٠٤
المعتزلة	٦٠، ٢٣٧، ٢٣٩
معركة الجمل	١٧١، ١٩٣، ٣٩١، ٣٩٩
معركة دير الجماجم	٢١١- ٢١٢
معركة صفين	١٤٩، ٣٩٦- ٣٩٧، ٣٩٩- ٤٠٠
معركة كربلاء	٤٠٠
معركة مؤتة	١٦٨
معركة اليمامة	١٧٠، ١٧٩، ١٨٢، ١٩١، ٣٩٩

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــة
المغنون السود	٢٨، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٧٥، ٣٨٧، ٤٠٦
المكارون	٢٦٢
الملاحة البحرية	١٢٦
الملحنون السود	٢٨، ٢٢١- ٢٢٢
ملوك أكسوم	١٦١
ملوك آل نجاح	٢٥٦- ٢٥٧
ملوك الحبشة	١٦٧
ملوك الروم	٤٠٠
ملوك قحطان	٢٥٤
الملوك اللخميين	٣٢٧
الملوك والحكام	٢٦، ٢٨، ٧٥، ١٢٣، ١٢٥، ٢٤٤، ٢٤٦- ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٦١، ٣٥٥، ٣٩٥، ٣٩٧
المماليك	١٢٥- ١٢٦، ٤٠٩
المنجمون	١٠٨
المهاجرون والأنصار	١٧٠، ١٨١، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٧، ٢٠٤
الموالي	٧٢، ١٧٤، ١٨٨، ١٩١، ١٩٤- ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٣- ٢٠٤، ٢٠٨، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٧، ٢٢٩- ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٤٤، ٢٤٩- ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٦١- ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٦٧- ٢٦٨، ٣٠٥، ٣١٣، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٤٣، ٣٦٤، ٤١٠

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
المؤذنون	١٧٧، ١٧٩
المؤرخون	١٠٧، ١٠٩
الموسيقى	٢٨، ٤٠٢
الميراث	٧٢، ٨٤
نبش القبور	٢٤٩
النبط	٦١
آل نجاح (اليمن)	٢٦، ٦٦، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٦- ٢٥٧
النجمي	٢٦١
النخاسون	٥٢
النصرانية (المسيحية)	٨٦، ٨٨، ٩٥، ١٢٢
النوبيون	٤٠، ٥٢، ١١٧، ١٥٠، ٢٠٥- ٢٠٦، ٢١٦، ٤٠١
الهجرة إلى الحبشة	٤٨، ١٦٧- ١٦٨
الهجرة النبوية	٤٩، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٦
وأد البنات	٣٣٢
الوزراء السود	٢٨، ٢٥١- ٢٥٢، ٢٥٧
الوسم (الوشم)	٨٥- ٨٦
الولاء	٢٦٧- ٢٦٨، ٣٣٨
ولاية المرأة	١٩٣

اســـــم الموضوع	الـــصـــفـــحـــــة
اليهود	١٩٤
يهود خيبر	١٩٤
اليهودية	٢٤، ٨٦
اليوبيل	١٢٨- ١٢٩
يوم بئر معونة	٢٠٤
اليونانيون	٢٣، ٢٦، ٨٨، ٩٠

فهرس عناوين الكتب والمجلات والمقالات

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــة
رسالة : الحجاب/ للجاحظ	٣٦٤، ٣٦٦- ٣٦٧
رسالة : في الجد والهزل/ للجاحظ	٤٠
رسالة : المعاش والمعاد	٣٩
رسالة : مناقب الترك	٣٩
رسالة ماجستير : الشعر في السودان/ لبدوي	٦١
رسائل : اخوان الصفا	١٠٩- ١١٠
الكتاب المقدس، العهد القديم	٧٩، ١٢٩
كتاب : Race and slavery in the middl east an historical enquiry/ للويس	٦٦
كتاب : آثار البلاد وأخبار العباد/ للقزويني	١١٠- ١١١، ١٦٨
كتاب : الأبرار في نصوص الأخيار/ للزمخشري	٧٦
كتاب : الأحابيش ودورهم في العصر الجاهلي وصدر الإسلام/ لأحمد العويل	١٦٤
كتاب : أخبار الزمان/ للمسعودي	١٠٧- ١٠٨
كتاب : أخبار سعيد بن مسجح/ لإسحاق الموصلي	٢٢٢
كتاب : أخبار شعراء الشيعة/ للمرزباني	٣٣٠
كتاب : أخبار الغريض/ لإسحاق الموصلي	٢٢٢
كتاب : أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه/ للفاكهي	٢٧١

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: أخبار نصيب/ لإسحاق الموصلي	٣٢٣
كتاب: أخبار نصيب/ للزبير بكار	٣٢٣
كتاب: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب = معجم الأدباء/ لياقوت الحموي	٧٧
كتاب: إرواء الغليل/ للألباني	١٩٩
كتاب: أزهار العروش في أخبار الحبوش/ للسيوطي	٤٧-٤٨، ٥٠، ٥٥-٥٦، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١
كتاب: أساس البلاغة/ للزمخشري	٣٠٦
كتاب: أسباب النزول/ للواحدي	١٨٦، ١٩١، ٣٨٩
كتاب: الاستيعاب في معرفة الأصحاب	٧٣، ١٦٩، ١٧٤، ١٧٦-١٧٧، ١٨٠-١٨١، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٧، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٨٩، ٢٩٧، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٦-٣٩٧
كتاب: أسد الغابة في معرفة الصحابة	٧٣، ١٨٥، ١٨٧، ١٩١، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٦٨، ٢٧١-٢٧٢، ٣٩٠-٣٩١، ٣٩٧
كتاب: الإسلام الأسود/ فانساي مونتاي	١٢٣

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: الإسلام الأسود/ لشقرون	٦٤- ٦٥، ١٢٤
كتاب: الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة/ لابن بشكوال	٢٦٨
كتاب: أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء من قتل من الشعراء/ لابن حبيب	٣٠٢- ٣٠٣، ٣٢٤، ٣٣٠
كتاب: الاشتقاق/ لابن دريد	٢٢٥، ٣٩٤
كتاب: الإصابة في تمييز الصحابة	٧٣، ١٨٠، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٩٦، ٣٩١، ٣٩٣
كتاب: الأصول في الطب/ لابن رضوان	٢٦٠
كتاب: الأعلام/ للزركلي	١٨٤، ٢٠٥، ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٧٤، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٧- ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٦، ٢٩٩- ٣٠٠، ٣٠٥، ٣١٣، ٣١٦، ٣٣١، ٣٣٨، ٣٤٣، ٣٤٩، ٣٥١- ٣٥٢، ٣٥٥- ٣٥٦، ٣٩٥، ٣٩٨
كتاب: أعلام النساء/ لكحالة	٢٧٥، ٢٨١
كتاب: الأعمال الكاملة/ للكواكبي	١٣٤، ١٤١
كتاب: أعيان الشيعة/ للأمين	٤٠١

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: الأغاني/ لأبي الفرج الأصفهاني	٥٩، ٧٦، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٤٥، ٢٧٢- ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٨٢، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦- ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٤، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٥- ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٣، ٤٠٠
كتاب: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب/ لابن ماكولا	٧٦، ١٠٩
كتاب: الألفاظ الفارسية المعربة/ لشبير	٢٢٨
كتاب: الإلمام بأخبار من بالحبشة من ملوك الإسلام/ للمقريزي	٥١- ٥٢، ٥٤- ٥٥
كتاب: الأمالي/ لليزيدي	٣١٩- ٣٢٠، ٣٣٩، ٣٤٢
كتاب: الأموال/ لأبي عبيد الله القاسم بن سلام	١٢٧
كتاب: الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد/ للخياط	٢٣٩
كتاب: أنساب الأشراف/ للبلاذري	٣٩٣
كتاب: إنسان العيون في سيرة المأمون	٥١
كتاب: الأوائل/ للعسكري	٣٣٥
كتاب: الأوراق شعراء أولاد الخلفاء/ للصولي	٣٢٨

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: البدء والتاريخ/ للبلخي	٢١٢
كتاب: البداية والنهاية/ لابن كثير	٢١٧
كتاب: بعض الاعتبارات بشأن الاحتفاظ بالزنوج/ لوولمان	٩٥
كتاب: البغال/ للجاحظ	٣٣٦-٣٣٧
كتاب: بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد/ لابن الديبع	٧٧، ٢٥٣، ٢٥٧
كتاب: البيان والتبيين/ للجاحظ	٢٢٣، ٢٦٢، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠١، ٣١٠، ٣١٣
كتاب: تاريخ الأدب العربي/ لبروكلمان	٢٣٦، ٢٣٩
كتاب: تاريخ الإسلام/ للذهبي	٣٨١، ٣٨٣
كتاب: تاريخ الأمم والملوك/ لابن جرير الطبري	٧٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٢، ١٧٠، ١٧٢، ١٨٥، ١٨٧-١٨٨، ٢١١، ٢١٦-٢١٧، ٢٣٦، ٢٦٧، ٢٩٢، ٢٩٤، ٣٣٥، ٣٤٢، ٣٤٩، ٣٥٤، ٣٩٢-٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٨-٣٩٩، ٤٠٣، ٤٠٥
كتاب: تاريخ بغداد، أو، مدينة السلام/ لابن الخطيب البغدادي	٧٤، ٢٣٥-٢٣٦، ٢٤٠، ٢٨١-٢٨٢، ٣٢٦، ٣٣٢-

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: تاريخ بغداد، أو، مدينة السلام/ لابن الخطيب البغدادي	٣٣٣، ٣٣٦- ٣٣٧، ٣٥٦، ٣٦٢، ٣٦٤- ٣٦٥، ٣٦٧، ٤٠٢- ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٧
كتاب: تاريخ الخلفاء/ للسيوطي	٣٣٤
كتاب: تاريخ خليفة بن خياط/ لابن الخياط	٣٩٩
كتاب: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري/ الدوري	١٢٥- ١٢٦
كتاب: التاريخ الكبير/ البخاري	١٧٤، ٢١٢
كتاب: تاريخ مدينة دمشق/ لابن عساكر	٧٤، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٤، ٢١٣- ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٤٠- ٢٤٣، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٢- ٣٢٣، ٣٧٠
كتاب: تاريخ وصاب الاعتبار في التواريخ والآثار/ للحبيشي الوصابي	٧٧
كتاب: تاريخ اليعقوبي/ اليعقوبي	١٧٣، ٢١٢، ٢٩٧، ٣٢٩، ٣٩٦- ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠١
كتاب: تاريخ اليمن، المسمى، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد/ لليمني	٢٥٠، ٢٥٧، ٣٧٤
كتاب: تتبع مسائل حنين/ لابن رضوان	٢٦٠
كتاب: تجارب الأمم/ لمسكويه	٣٩٧- ٣٩٨

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب : التحفة الأبية / للفيروزآبادي	٢٨٤
كتاب : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة/ للسخاوي	٣٦٨- ٣٦٩
كتاب : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان/ التونسي	١١٨، ١٢١- ١٢٢
كتاب : التعريفات/ للجرجاني	٢٣٢
كتاب : تفسير الجلالين/ للمحلي والسيوطي	٣٤٦
كتاب : تفضيل السود على البيض/ للناشئ الأكبر	٢٥، ٤٤- ٤٥، ٥٥، ٦٣
كتاب : تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب	٤٤- ٤٥
كتاب : تخليص الإبريز في تلخيص باريز/ الطهطاوي	١١٩
كتاب : تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط/ لنادر	٦٢- ٦٣
كتاب : تمثيلات الآخر في أدب ما قبل الإسلام/ للمزروعي	٦٤، ١٢١، ١٤٠
كتاب : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري/ لصالح أحمد العلي	٧٠، ١٢٦، ١٣٠- ١٣١
كتاب : تنوير الغبش في فضل السودان والحبش/ لابن الجوزي	٢٥، ٤٥- ٤٩، ٥٣، ٥٥- ٥٦، ٦٢، ٧٤، ١١٠، ١١٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٣- ١٧٤، ١٧٦، ١٨٤- ١٨٥، ١٩١، ١٩٤- ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٩، ٢٣١- ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٠-

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: تنوير الغبش في فضل السودان والحبش/ لابن الجوزي	٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٨، ٣٠١، ٣١٩- ٣٢٠، ٣٣٢، ٣٩٨
كتاب: تنوير الغبش في فضل السودان والغبش/ لابن الجوزي	٢٦
كتاب: تهذيب التهذيب/ للذهبي	٢٠٦
كتاب: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم/ للدمشقي	١٠٩
كتاب: التيجان في ملوك حمير/ رواية وهب بن منبه	١٠٨- ١٠٩
كتاب: ثمرات القلوب في المضاف والمنسوب/ للثعالبي	٢٨٨، ٢٩١، ٣١٤، ٣١٩، ٣٢٢
كتاب: ثورة الزنج/ لفيصل السامر	٦٩، ١٥٣، ٢٣٦
كتاب: ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد/ لعلبي	٦٩، ١٥٢
كتاب: ثورة العبيد في الإسلام/ لعلبي	٦٩
كتاب: الجامع الصغير/ للسيوطي	١٨٥، ٢٦٥
كتاب: الجامع المختصر من السنن/ للترمذي	٧٣
كتاب: الجامع المسند الصحيح/ للبخاري	٧٢
كتاب: الجذور/ لهيلي	٩٢
كتاب: جمل من أنساب الأشراف/ البلاذري	١٨٩
كتاب: جنات الجنان ورياض الأذهان	٣٧٩

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: الجنود الرقيق في الإسلام ونشأة النظام العسكري/ لبيبس	٧١
كتاب: جواب مسائل في النبض/ لابن رضوان	٢٦٠
كتاب: الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان/ للأزهري	٥٤، ٥٦، ١٦٨، ١٧٢، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٥- ١٨٦، ١٨٨، ١٩٢، ١٩٦، ٢٠٠- ٢٠١، ٢٠٣، ٢١٣، ٢٣٢، ٢٥٨، ٢٦٥
كتاب: الحبشة عربية الأصول والثقافة/ للطيبي	٦٩، ١٦١، ١٦٣
كتاب: حلية الأولياء/ لأبي نعيم	٢٠٣
كتاب: حياة الشعر في الكوفة/ لخليف	٣٣٨- ٣٣٩
كتاب: الحيوان/ للجاحظ	٤٠، ١١٢، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٧- ٢٣٨، ٢٧٤، ٢٩٨- ٢٩٩، ٣٠٥- ٣٠٦، ٣٢١، ٣٤٠- ٣٤١، ٣٥١
كتاب: خريدة القصر وجريدة العصر/ للراغب الأصفهاني	٧٧، ٣٦٨- ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٧، ٣٧٩
كتاب: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب/ للبغدادي	٧٧، ٢٨٣- ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٨- ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٤٣
كتاب: دراسة جديدة عن الرق في التاريخ والإسلام/ للجداوي	٦٦- ٦٧، ١٢٩
كتاب: دفاع عادل عن الحرية الطبيعية للعبيد/ ايفيان دو موارن	١١٢

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: الديارات/ للشابشتي	٣٦٥
كتاب: ديوان ابن الرومي/ ابن الرومي	١٥٣- ١٥٤
كتاب: ديوان أبي دلامة الأسدي/ لرشدي علي حسن	٧٥
كتاب: ديوان الديوان/ للأخطل	٣٩٤
كتاب: ذم الثقلاء/ للمرزبان	٤٤
كتاب: ذيل على اليتيمة	٣٧٩
كتاب: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار/ للزمخشري	٧٧، ٢١٤، ٢٦٢، ٢٧٣- ٢٧٤، ٢٨٥- ٢٨٦، ٢٩٤، ٢٩٧، ٣١١، ٣٤٧، ٣٥٢- ٣٥٣، ٣٦٤
كتاب: رحلة ابن بطوطة	١٦٣
كتاب: الرسالة البغدادية/ للتوحيدي	٢٢٨
كتاب: رسالة جامعة لفنون نافعة في شري الرقيق وتقليب العبيد/ لابن بطلان	٥٢، ٢٥٩
كتاب: رسالة في التعلم من الكتب أوفق من المعلمين/ لابن بطلان	٢٥٩
كتاب: الرسالة القشيرية/ للقشيري	٢٤٠، ٢٤٢
كتاب: رفع شأن الحبشان/ للسيوطي	٢٦، ٤٧، ٥٠، ٥٥- ٥٦، ١١٦- ١١٧، ١٦٦- ١٦٧، ١٦٩، ١٧٥، ١٧٩- ١٨٠،

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: رفع شأن الحبشان/ للسيوطي	١٨٢، ١٨٥- ١٨٦، ١٩١، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢١٣- ٢١٤، ٢٣١، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٦- ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٢، ٣٧٠، ٣٧٢
كتاب: الرق في بلاد المغرب والأندلس/ لبنمليح	٦٧- ٦٨، ١٢٤- ١٢٥
كتاب: الرق ـ ماضيه وحاضره/ للترمانيني	٦٧، ١٢٥- ١٢٦، ١٢٩- ١٣٠، ٤١١
كتاب: الرق والرقيق في العصور القديمة والجاهلية وصدر الإسلام/ للشامي	٦٨
كتاب: روح الشرائع/ لمونتسيكو	٧١، ١٢٨
كتاب: زهر الآداب وثمر الألباب/ للقيرواني	٣٠٠، ٣٢٢، ٣٤٠
كتاب: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون/ لابن نباتة	٣٧٨
كتاب: سلسلة الأحاديث الضعيفة/ للألباني	١٨٥، ٢٦٥
كتاب: سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي/ للأوني	٣١٤، ٣٣٩، ٣٤٩، ٣٥٢
كتاب: السنن/ لابن ماجة	٧٢
كتاب: السنن/ لأبي داود	٧٣، ١٥٣
كتاب: السود والحضارة العربية/ لعبده بدوي	٦٠-٦١

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: سودان الحبشة/ لبنمليح	٦٨
كتاب: السودان وفضلهم على البيضان/ لابن المرزبان	٢٥، ٤٤، ٤٩، ٥٥، ٦٣
كتاب: سير أعلام النبلاء/ للذهبي	٧٤، ١٤٦- ١٤٧، ١٥٣، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٩، ١٩١، ١٩٣، ٢٠١- ٢٠٢، ٢٠٥- ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤٠- ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٨- ٢٥٩، ٣١٤، ٣٦٢، ٣٩٠- ٣٩١، ٣٩٣
كتاب: السيرة النبوية/ لابن هشام	١٦٤، ١٨٦- ١٨٧، ١٩٤- ١٩٥، ٢١٦- ٢١٧
كتاب: السيل والذيل/ للعماد الأصفهاني	٣٧٣
كتاب: شرح كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس/ لابن رضوان	٢٦٠
كتاب: شرح كتاب العرق لجالينوس/ لابن رضوان	٢٦٠
كتاب: شرح نهج البلاغة/ لابن أبي الحديد	١٦٩، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٢٥
كتاب: شعر خفاف بن ندبة السلمي/ جمعه نوري القيسي	٧٥
كتاب: شعر سديف بن ميمون/ جمعه رضوان مهدي العبود	٧٥

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: شعر عبدة بن الطبيب/ جمعه يحيى الجبوري	٧٥، ٢٩٦
كتاب: الشعر في السودان/ لبدوي	٦٢
كتاب: الشعر في السودان/ لقاسم	٦٢
كتاب: الشعر والشعراء/ لابن قتيبة	٥٩، ٧٦، ٢٨٣، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣١٤- ٣١٥، ٣١٧، ٣٢٥، ٣٤٣، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٣- ٣٥٤
كتاب: الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي/ لبدوي	٥٧، ٥٩- ٦٠، ٢٩٦- ٢٩٧، ٣١٢، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٧٢، ٣٧٧، ٣٨٣
كتاب: شعراء النصرانية بعد الإسلام	٣٩٤
كتاب: الشكوى والعتاب/ لأبي منصور الثعالبي	٧٦
كتاب: شهادة ضد ممارسة الاستعباد المخالفة للتعاليم المسيحية/ لإيليهو كولمان العام	٩٥
كتاب: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ للجوهري	١٦٢، ١٦٤، ١٩٥، ٢٨٤، ٣٠٠، ٣١٣، ٣٢٥، ٣٤٩، ٣٥٦، ٣٧٩
كتاب: صحيح البخاري	٢٧٠
كتاب: الصداقة والصديق/ للتوحيدي	١٤١
كتاب: صفوة الصفوة/ لابن الجوزي	٤٥، ٧٤، ٢٧٨، ٢٨٠

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: الصناعة الصغيرة/ لابن رضوان	٢٦٠
كتاب: الضعفاء الكبير/ للعقيلي	٢٧٠
كتاب: ضعيف الجامع الصغير	١٨٥
كتاب: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد	١٣٤
كتاب: طبقات الأطباء/ لابن أصيبعة	٥٣
كتاب: طبقات الأولياء/ لابن الملقن	٢٣٤
كتاب: طبقات الحنابلة/ الحنبلي	١٥٣
كتاب: طبقات الشعراء/ لابن سلام	٣٠٣- ٣٠٤
كتاب: طبقات الشعراء/ لابن المعتز	٥٩، ٧٦، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٤- ٣٣٥، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٧- ٣٤٨، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٢- ٣٦٣، ٣٦٥
كتاب: طبقات الصوفية/ للسلمي	٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤٢
كتاب: الطبقات الكبرى/ لابن سعد	٧٣، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٩، ١٨٤، ١٨٧، ١٨٩، ١٩١، ١٩٤، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٦، ٢١٥، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٨٨، ٣٨٧- ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩٤، ٣٩٧
كتاب: الطبيخ/ لمحمد البغدادي	٢٢٨

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: الطراز المنقوش في محاسن الحبوش/ للبخاري	٥٠- ٥١، ٥٥- ٥٦، ١٧٨، ١٨٤- ١٨٥، ٢٠١، ٢٠٣، ٢١٣، ٢٣٢، ٢٥٨، ٢٦٥
كتاب: العبودية في العصر الحديث/ لديلبيانو	٧٠، ١١٢
كتاب: العبيد في شريعة حمورابي/ لريدر	٨٢
كتاب: العرق واللون في الإسلام/ لبرناد لويس	٥٧، ٦٦
كتاب: العقد الاجتماعي/ لروسو	٩٥
كتاب: علاج الجزام/ لابن رضوان	٢٦٠
كتاب: العمدة في صناعة الشعر ونقده/ لابن رشيق	٢٨٦
كتاب: العنوان في القراءات السبع/ للأندلسي	٢٣٠
كتاب: عيون الأخبار/ لابن قتيبة	٤٩
كتاب: عيون الانباء في طبقات الأطباء/ لابن أبي أصيبعة	٢٥٨، ٢٦٠
كتاب: الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة/ للأندلسي	٣٨٠
كتاب: فحول الشعراء/ للأصمعي	٥٨
كتاب: فخر السودان على البيضان/ للجاحظ	٢٥، ٣٩- ٤٠، ٤٥، ٤٩، ٥٣، ٥٥- ٥٦، ٦٢- ٦٣، ١١٣، ١١٥، ١٦٥- ١٦٦، ١٧٥، ١٧٨، ١٨٤، ١٩٨، ٢٠٤-

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: فخر السودان على البيضان/ للجاحظ	٢٠٥، ٢١٠- ٢١١، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٩١، ٣٠٥- ٣٠٦، ٣١١- ٣١٢، ٣٢٤، ٣٩٨
كتاب: الفخري في الآداب السلطانية/ لابن الطقطقي	١٥١، ٢٨٢
كتاب: الفرج بعد الشدة/ للتنوخي	٣٣٩
كتاب: فرق الشيعة/ للنوبختي	٤٠٠
كتاب: فضل السودان على البيضان/ للجاحظ	٢٣٥، ٢٤٠، ٢٨٥، ٣١٠
كتاب: فضيحة المعتزلة/ للروندي	٢٣٩
كتاب: فضيلة المعتزلة/ للجاحظ	٢٣٩
كتاب: الفهرست/ لابن النديم	٢٢٢، ٢٢٨، ٢٣٠- ٢٣١
كتاب: فوات الوفيات/ لابن شاكر	٣٦٤، ٣٦٨
كتاب: قاموس الكتاب المقدس	٧٩، ١٢٩
كتاب: القاموس المحيط/ للفيروز آبادي	١٨٥، ٢٣٥، ٢٦٢، ٢٧٣، ٣١١، ٤٠٥
كتاب: قصة الحضارة/ لديورانت	١٢٢- ١٢٣
كتاب: الكامل في التاريخ/ لابن الأثير	١٤٤، ١٤٨، ٢٠٨، ٢١٨- ٢١٩، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٤٧، ٣٠٩، ٣٧٥، ٣٩٥، ٣٩٨

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: الكامل في الضعفاء/ لابن عدي	٢٧٠
كتاب: الكامل في اللغة والأدب/ لابن المبرد	٣٠٥- ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٨- ٣١٩، ٣٢٦- ٣٢٧، ٣٣٣، ٣٦١، ٣٦٣
كتاب: كتاب في حل شكوك الرازي/ لابن رضوان	٢٦٠
كتاب: كلام ابن بطلان من الهذيان/ لابن رضوان	٢٥٩
كتاب: الكنى والأسماء/ للدولابي	٣٥٦
كتاب: اللباب في تهذيب الأنساب/ لابن الأثير	٢٩٤
كتاب: لزوم ما لا يلزم/ المعري	١٥٥
كتاب: لسان الميزان/ لابن حجر العسقلاني	٧٣، ٢٣١، ٢٤٣، ٣٩٢
كتاب: لطائف المعارف/ للثعالبي	٣٣٤
كتاب: المتعلم من أفواه الرجال أفضل من المتعلم من الصحف إذا كان قولهما واحد/ لابن بطلان	٢٦٠
كتاب: المجالس والمسايرات/ للقاضي النعمان	٣٧٦
كتاب: المجتبى من السنن/ للنسائي	٧٣
كتاب: المجروحين/ لابن حبان	٢٠٣
كتاب: مجمع البيان في تفسير القرآن/ للطبرسي	٣٨٩
كتاب: مجمع الزوائد/ للهيثمي	٢٦٨

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء/ للأصفهاني	٤٩، ٢٥٤، ٣٢٨
كتاب: المحبر/ لمحمد بن حبيب	٧٥، ١٧٣، ١٧٦، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٠، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠١
كتاب: مختصر التاريخ/ لابن الكازروني	٢٤٦، ٣٦٤، ٣٦٨
كتاب: مختصر تاريخ دمشق/ لابن منظور	١٥٣، ٢٠٧، ٢٢١
كتاب: المختصر في أخبار البشر/ لأبي الفداء	٧٧، ٢٣٩، ٢٤٩- ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٦، ٣٢٨، ٤٠١
كتاب: مذكرات أميرة عربية/ لسالمة بنت سعيد بن سلطان	١٠٢- ١٠٣، ١٣١
كتاب: المذاكرة في ألقاب الشعراء/ للنشابي	٣٠٥، ٣١٠، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٥
كتاب: مرآة الزمان/ لسبط ابن الجوزي	٤٥
كتاب: مروج الذهب ومعادن الجوهر/ للمسعودي	١٠٧، ١١٩، ١٤٢، ١٤٨- ١٤٩، ١٥١- ١٥٢، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٣٧، ٣٤٠، ٣٥٦
كتاب: المستشرقون/ العقيقي	١٦٣
كتاب: المسند الصحيح المختصر من السنن/ لمسلم	٧٢
كتاب: المشتبه في الرجال: أسمائهم وأنسابهم/ للذهبي	٣٣٩
كتاب: معتزلة البصرة وبغداد/ لرشيد الخيون	٢٣٩

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: معجم الأدباء/ لياقوت الحموي	٢١٠، ٢١٢، ٢٢٢- ٢٢٣، ٢٣٥- ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٦٣، ٢٨٩، ٢٩٨، ٣١٤، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٣٢- ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٦٢، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧٣- ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٧٩
كتاب: معجم ألقاب أرباب السلطان/ للشهابي	٢٤٥
كتاب: معجم البلدان/ لياقوت الحموي	١٦٣، ١٦٨، ٢١٣، ٢٢٩، ٢٤٢- ٢٤٣، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٦٦، ٣١٦، ٣٢٧، ٣٨٥- ٣٨٦، ٣٩١
كتاب: معجم الشعراء/ للمرزباني	٢٣٦، ٣٣٣، ٣٤٩- ٣٥٠، ٣٥٤
كتاب: معجم الشعراء في تاريخ الطبري/ لعزمي سكر	٢٩٦
كتاب: معجم المؤلفين/ لكحالة	٥١، ٢٠٥
كتاب: معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار/ للذهبي	٧٥، ٢٣١
كتاب: المغازي/ للواقدي	١٨٥، ١٨٧
كتاب: المفضليات/ للضبي	٢٩٥- ٢٩٦
كتاب: مقاتل الطالبيين/ لأبي فرج الأصفهاني	٧٦، ٢٢٩، ٢٧٣، ٣٢٩، ٤٠١
كتاب: المقتضب في كتاب تحفة القادم/ لابن الأبار	٧٧، ٣٨٤- ٣٨٥

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: المقدمة/ لابن خلدون	١١١
كتاب: المنار المنيف في الصحيح والضعيف/ لابن قيم الجوزية	١١٩
كتاب: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك/ لابن الجوزي	٧٤، ١٨٤، ١٨٦، ٢٠٥- ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٦١، ٢٨٠، ٢٩٤، ٣١٦، ٣٢١، ٣٥٧، ٣٧٠، ٣٩٢، ٣٩٥، ٤٠٠، ٤٠٢
كتاب: المهمشون في التاريخ الإسلامي/ لمحمود	٦٨- ٦٩
كتاب: موسوعة الفرق الإسلامية/ لمشكور	١٤٩
كتاب: موسوعة المستشرقين/ لبدوي	١٦٣
كتاب: الموطأ	٣٩٣
كتاب: ميزان الاعتدال/ للذهبي	٧٥
كتاب: النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة/ لابن تغري بردي	٢٣٢، ٢٤٤- ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٩، ٣١٤، ٣٢٣، ٣٧٣، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٩٨
كتاب: نزهة الألباء في طبقات الأدباء/ للأنباري	٢٣٦، ٢٣٩، ٢٨٠
كتاب: نزهة العمر في التفضيل بين البيض والسمر/ للسيوطي	٤٥، ٤٩، ١١٧- ١١٨
كتاب: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة/ للتنوخي	١٥٠، ٤٠٧
كتاب: نقائض جرير والأخطل/ لأبي تمام	٣٠٦، ٣٠٩

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
كتاب: نقائض جرير والفرزدق/ لمعمر بن المثنى	٣٠٥، ٣٠٧
كتاب: النقود الإسلامية/ للمقريزي	٣٣٤
كتاب: النقود في العراق/ للقيسي	٣٣٤
كتاب: نكت الهميان في نكت العميان/ للصفدي	٢١٣، ٣٥٦- ٣٥٧
كتاب: النوادر في اللغة/ للأنصاري	٢٩٣
كتاب: هداية المريد في تقليب العبيد/ لمحمد الغزالي	٥٣
كتاب: هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين/ للبغدادي	٥١
كتاب: الوافي بالوفيات/ للصفدي	٢١٩، ٢٢١، ٢٤٣، ٢٤٨، ٢٥٨، ٢٦١، ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٧١، ٣٨٠
كتاب: الوفيات/ لابن منقذ	٣٨٠، ٣٨٤
كتاب: وفيات الأعيان/ لابن خلكان	١٦٦، ١٦٩، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٣، ٢٣٠- ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٤٩، ٣٥٦- ٣٥٧، ٣٦٣، ٣٧٣، ٣٧٩، ٤٠٢، ٤٠٥- ٤٠٦
مجلة: حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية	٦٢
مجلة: دراسات سودانية	٥٥، ٦٦
مجلة: المشرق (بيروت)	٤٥

اســـــم الكتاب أو المجلة أو المقال	الـــصـــفـــحـــــة
مجلة المنار	١٣٢، ١٣٥
مقال: ابن بطلان لا يعرف كلام نفسه فضلا عن كلام غيره/ لابن رضوان	٢٦٠
مقال: الأحابيش والتنظيم العسكري في مكة/ لهنري لامنس	١٦٣
مقال: أصول أسماء الأمكنة العراقية/ لفرنسيس وعواد	٣٣٩
مقال: السودان في حياة العرب وأدبهم	٥٦
مقال: فتوى الأزهر في أسباب الرق وأحكامه/ لمحمد عبداللطيف الغمام	١٣٥

فهرس الأبيات الشعرية

بيت الشعر		الصفحة
أبا خراشة إما كنت ذا نفر	فإن قومي لم تأكلهم الضبع	٢٨٩
أبعد الخيل أركبها وراداً	وشقراً في الرعيل إلى القتال	٣٣٧
أبلج ذو عرف وذو منكر	مقسم المعروف رحب الفناء	٢٩٢
ابلغ الفتيان أني خائض	غمرة الضرب فمن أشاء أقام	٢٨٦
أبناء كل نجيبة لنجيبة	أسد تربت عندها الأشبالا	٣٠٧
أبني حُسين إنني	أصبحت في كنف الأمير	٣٦٥
أتسلو سلو الطير تلقط حبها	وفي الأرض أشراك وفي الجو عقبان	٣٨٥
أتيت نساء الحارثين غدوة	بوجه براه الله غير جميل	٣٠٤
أتيتك لا من قربة هي بيننا	ولا نعمة قدمتها أستثيبها	٣٥٠
آتيناك يا عباسة الخير والحيا	وقد عجفت أدم المهاري وكلت	٢٧٦
أجد بكاءً حين جد التفرق	وأرقه طيف الخيال المؤرق	٣٦٤
أحجناء أسباب المنايا بمرصد	فإلا يعاجل غدوها فمساؤها	٢٧٧
أحجناء إن أضحى أبوك ودلوه	تعرت عراً منها ورث رشاؤها	٢٧٨
أحجناء إن أفلت من السجن تلقني	حتوف منايا لا يرد قضاؤها	٢٧٧
أحجناء أن يصبح أبوك ونفسه	قليل تمنها قصير عزاؤها	٢٧٨
أحجناء صبراً، كل نفس رهينة	بموت ومكتوب عليها بلاؤها	٢٧٧
أخوكم ومولى مالكم وحلفيكم	ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرا	٣٠٣

بيت الشعر		الصفحة
أدميت باللحظات وجنته	فاقتص ناظره من القلب	٣٦٧
إذا استوضحوا ناراً يقولون: ليتها	وقد خصرت أيديهم نار غالب	٣١٧
إذا ترك الإنسان أهلا وراءه	ويمم كافورا فما يتغرب	٢٤٨
إذا غدت سعد على شبيبها	على فتاها وعلى خطيبها	٣٤١
إذا قلت ظلتني سماؤك يا منت	شآبيبها أو ياسرت عن شماليا	٣٤٧
إذا قلت من نارٍ خلقتَ	وفقت كل الناس فهما	٣٧٣
إذا لبس العمامة كان قرداً	وخنزيراً إذا وضع العمامة	٣٣٧
أذكر هداك الله ذحل الألى	يُسرى بهم في مصمتات الكبول	٣٢٩
أراني إذا استمطرت منك سحابةً	لترويني كان عجاجاً وسافيا	٣٤٧
أرضي الصديق وأحمي الظعن معترضاً	صدر القناة وأكنى كنه السرق	٣٢٤
إست الحبارى ورأس النسر بينهما	لون الغراب وأنفاس من الجعل	٣٨١
اسمع مقالة حق	وكن بحقك عوني	١١٨
أسيدنا قد وردتم بنا	موارد كنا عليها نحوم	٣٨٢
أشاب الرأس أني كل يوم	أرى لي خالة وسط الرجال	٢٨٦
أشعار عبد بني الحساس قمن له	عن الفخار مقام الأصل والورق	٣٠٠، ٤٠٦
أشواقاً ولما تمضي لي غير ليلة	فكيف إذا سار المطي بنا شهرا	٣٠٣
أصبح الملك ثابت الأساس	بالبهاليل من بني العباس	٣٢٥

بيت الشعر		الصفحة
أعباس إما كرهت الحروب	فقد ذقت من عضها ما كفى	٢٩٠
اعدد عدياً فلو مد البقاء له	ما عمر الناس لم ينقص ولم يزد	٣٦٢
أعطيتني يا ولي الحق مبتدئاً	عطية كافأت مدحي ولم ترني	٣٦١
اعوزتني الرواة يا ابن سليم	وأبى أن يقيم شعري لساني	٣٥١
أعيب التي أهوى وأطري جواريا	يرين لها فضلا عليهن بينا	٣٣١
أعيني جوادا بالدموع على الصدر	ولا تسأما أسقيتما سبل القطر	١٦٤
اغثني بسجل من نداك يكفني	وقاك الردى مرد الرجال وشيبها	٣٥٠
أغرك منها أدمة عربية	علت لونها إن البجادي أحمر	٢٧٣
أغشى الحروب وسربالي مضاعفة	تغشى البنان وسيفي صارم ذكر	٢٨٨
أغنيتني يا ابنة المهدي أي غنى	بأعجرين كثير فيهما الورق	٢٧٧
أفعاله في الونج والعبيد	وفي الرصاص بعد والحديد	١٠٨
أفكر بلاءُ بالعراق	وكربلاء بمصر أخرى	٣٧٥
أقاد إلى السجون بغير ذنب	كأني بعض عمال الخراج	٣٣٦
أقام على الفرات يزيد حولاً	فقال الناس أيهما الفراتي	٣٥٥
أقعب مثل القدح الخلنجي	يزداد طيبا عند طول الهرج	٢٧٢
أقول لركبٍ صادرٍ لقيتهم	قفا ذات أوشال ومولاك قارب	٣١٧
أقول للسقم عد إلى بدني	حباً لشيء يكون من سببك	٤٠٧

بيت الشعر		الصفحة
أقول له والرمح يأطر متنه	تأمل خفاقا إنني أنا ذلكا	٢٨٩
ألا أبلغ لديك أبا دلامة	فلست من الكرام ولا كرامة	٣٣٥، ٣٣٧
ألا إن عيناً لم تجد يوم واسط	عليك يجاري دمعها لجمود	٣٥٤
ألا تنهاك واضحةٌ	تلوح كأنها العطب	٣٥٤
ألا طرقت أروى الرحال وصحبتي	بأرض يناصبني الحزن منها سهولها	٣٩٤
ألست دليل الركب إن هم تحيروا	ومنقذ من أشفى على جرف هاري	٢٣٤
ألست كليباً وأمك نعجةٌ	لكم في سمان الضان عارٌ ومفخر	٣١٢
ألشقوتي أخرت بعدك للذي	يدع السمين من العيال هزيلا	٣٣٤
ألقحت حربا لها درة	زبوناً تُسعرها باللظى	٢٩٠
ألكني إليها عمرك الله يا فتى	بآية ما جاءت إلينا تهديا	٣٠١
ألم تر أن الحبل أصبح واهناً	وأخلف من ليلى الذي كنت آمل	٣٤٨
ألم تر أني كرهت الحروب	وإني ندمت على ما مضى	٢٨٩
ألمم على طلل عفا متقاه	بين الكيك وبين غيب الناعم	٢٢١
أم هل على فتكات الشوق من عضد	يجيرني من يد الضرغامة الضاري	٣٧١
أما ترى المسك حق العاج يخبؤه	والجص مطروح فوق القراميد	٣٨٥
أما الحسود فقد أمسى تغيظه	غما وكاد يرجع الريق يختنق	٢٧٧
أما الدعاة إلى الجنان فهاشم	وبنو أمية من دعاة النار	٣٥٣

بيت الشعر		الصفحة
أما القوافي فقد حصنت عذرتها	فما يصاب دم منها ولا سلب	٣٢٢
أمسلم إني يا ابن كل خليفة	ويا فارس الهيجاء ويا جبل الأرض	٣٤٠
أمسيت بالأنبار يا بن محمد	لا تستطيع إلى البلاد حويلا	٣٣٤
أمن أجل آيات ورسمٍ كأنه	بقية وحي أو رداءٌ مسلسل	٣٤٥
أمن صهباء صافية المزاج	كأن شعاعها لهب السراج	٣٣٦
أموت وماتت إليك صبابتي	ولا قضيت من صدق حبك أو طاري	٢٣٤
إن امراً جعل المراغة وابنها	مثل الفرزدق جائر قد فالا	٣٠٦
إن تضحكي مني فيا رب ليلة	تركتك فيها كالقباء المفرج	٣٠٢
إن تعف عنهم يقول الناس كلهم	لم يعف حلماً ولكن عفوه رهبا	٣٢٨
إن تك خيلي قد أصيب صميمها	فعداً على عيني تيممت مالكا	٢٨٩
إن الحوادث يختررمن وإنما	عمر الفتى في أهله مستودع	٢٩٥
إن الخيار من البرية هاشم	وبنو أمية أرذل الأشرار	٣٥٣
إن العروق إذا استسر بها الثرى	أشر النبات بها وطاب المزرع	٣٤٧
إن الفرزدق صخرة ملموسةً	طالت فليس تنالها الأوعالا	٣٠٨
إن كان إبراهيم مضطلعاً بها	فلتصلحن من بعده لمخارق	٤٠٥
إن كان شرٌ كان غيرهم له	أو كان خيرٌ فهو فيهم أجمع	٣٤٧
إن كان عندك يا زمان بقية	مما تهين به الكرام فهاتها	٣٧٩

بيت الشعر		الصفحة
إن كان لوني فيه دعجة كلف	حزن الإهاب فإني أبيض الخلق	٣٢٤
إن كنت تطلب فضلا	إذا ذكرت ومجدا	١٤١
إن كنت عبداً حرةٌ كرما	أو أسود الخلق إني أبيض الخلق	٤٠٦
إن كنت عبداً فنفسي حرة كرماً	أو أسود اللون إني أبيض الخلق	٣٠٠
إن المطايا تشتكيك لأنها	قطعت عليك سباسبا ورملا	٣١٨
إن المليح مليح	يحب في كل لون	١١٨
الآن مس المنبر القرارا		٣٤٢
وطابت الدنيا وصارت دارا		
إذ نزل الخليفة الأنبارا		
إن هذا من الأمور لأمر	كاد أن يقوم في الأوهام	١٥٤
إن يك لوني حائلا في الناس	فذاك في قومي وفي أجناسي	٣١٠
إن يكن للسواد فيك نصيب	فبياض الأخلاق منك نصيبي	٤٠٦
إنا انتظرنا قبلها أباكا	ثم انتظرنا بعدها أخاكا	٣٤١
أنا مولاكم وأرجو عفوكم	فاعف عني اليوم من قبل العطب	٣٣٠
أنت أقبح خلق الله ما لم تتكلم	بشذور باهرت ساحرٍ لو تُجسم	٣٨١ -٣٨٢
أصبحت في كل جيد حسن عقداً منظم		
أنت الذي تنزل الأيام منزلها	وتنقل الدهر من حال إلى حالٍ	٣٥٩

بيت الشعر		الصفحة
أنت الزمان وقد يجري تصرفه	على الأنام بتشديد وتليين	٣٦٠
انتظرن قليلاً ريث غفلتهم	أم تعدوان فإن الريح للعادي	٢٨٧
أنحل الحب قلبه والحنين	ومحاه الهوى فما يستبين	٢٤٢
أنرت الهدى للمهتدين ولم يكن	من النور في أيديهم عشر معشاري	٢٣٤
انزلوها بحيث أنزلها الله	بدار الإتعاس والإنكاس	٣٢٦
أنعت غيثاً حسناً نباته	كالحبشي حوله بناته	٣٠٤
إنك يا معاوي المفضل	إن زلزل الأقوام لم تزلزل	٢٢٠
إنما الدنيا أبو دلف	ولت الدنيا على أثره	٣٥٧
إنما الدنيا حميد/ وأياديه السلام	فإذا ولى حُميد/ فعلى الدنيا السلام	٣٥٧
إنما هذه المذاهب أسباب	لجذب الدنيا إلى الرؤساء	١٥٥
أنى يكون وليس ذاك بكائن	يرث الخلافة فاسق عن فاسق	٤٠٥
إني أعوذ بداود وحفرته	من أن أكلف حجاً يا ابن داود	٣٣٣
إني سألت الناس بعدك كلهم	فوجدت أسمح من رأيت بخيلا	٣٣٤
إني لتارك هامات بمجزرة	لا يزدهيني سواد الليل والقمر	٢٨٧
إني ليحسدني الرفيع بناؤه	من فضل ذاك وليس بي من شامت	٣٢١
إني ليقنعني تهد شكله	إن حال دون لقاء شكلةَ حائلُ	٣٦٢
إني وقتلي سليكاً يوم أعقله	كالثور يضرب لما عافت البقر	٢٨٧

بيت الشعر		الصفحة
أهيم بدعدٍ ما حييت وإن متُ	فوا حزناً من ذا يهيم بها بعدي	٣٦٣
أهين لقصد ربه وهو خادم	إذا علا فوقي بمجذاف قارب	٣٨١
أي نوم بعد ما حل بالبصرة	من تلكم الهنات العظام	١٥٤
أي نوم من بعد ما انتهك الزنج	جهارا محارم الإسلام	١٥٤
أيام أضحى النكر معرفا	وأمس العرف نكرا	٣٧٦
إيه أبا إسحاق مليتها	في صحة منك وعمر طويل	٣٢٩
أيها اللابس لون الليل ثوباً حين أظلم	والذي يضمر داءً منه يوماً ما تألم	٣٨١ -٣٨٢
أيها المنصور يا خير العرب	خير من ينميه عبدالمطلب	٣٣٠
باء بخارى أبداً زائدة	والألف الأخرى بلا فائدة	٣٧١
بأن تمسي مهجور الفناء فربما	أقام به بعد الوفود وفود	٣٥٤
بحميد يا قاسم الدنيا بنائله	وسيفه بين أهل النكث والدين	٣٦٠
برغمي أطيل الصد عنها إذا بدت	أحاذر آذاناً عليها وأعينا	٣٣١
بالزنج حر غير الأجساد	حتى كسا جلودها سوادا	١١١
بزينب ألم قبل أن يرحل الركب	وقل إن تمل ينا فما ملك القلب	٣١٨ - ٣١٩
بسط الله فيه أبهى بساط	من بهار زاهر الحوذان	٢٧٥
بطاعة الله طلت الناس كلهم	ونصح هاد أمين الملك مأمون	٣٦٠
بطن البعض في القديم وأضحى	ثاوياً في قلوبهم مطويا	٣٢٧

بيت الشعر		الصفحة
بكل لونٍ ينال الحر سؤدده	مهما تجرد من أخلاقه السود	٣٨٤
بل ضاقت الأرض على صابر	أصبح يشكو جفوة الصاحب	٣٦٧
بنفسي كل مهضوم حشاها	إذا ظلت فليس له انتصار	٣٢٢
بنو هاشم زين البرية كلها	وأم ولي العهد زين لهاشم	٣٤٦
بني هاشمٍ عودوا إلى نخلاتكم	فقد قام سعر التمر صاعا بدرهم	٣٥٣
بياض الرأس أقبح من سوادي	وشيب الحاجبين هو الفضوح	٢٧٤
البين يا ليلى جمالك ترحل	ليقطع منا البين ما كان يوصل	٣٤٨
تأبى الجلندي وابن كسرى وحارث	وهوذة القبطي والشيخ قيصر	٣١١
تأوبني ثقل من الهم موجع	فأرق عيني والخليون هجع	٣٤٥
تجمعن من شتى ثلاثاً وأربعاً	وواحدة حتى كملن ثمانيا	٣٠٤
تحمل قلبي فيك ما لا أبثه	وإن طال فيك أو طال إضراري	٢٣٤
تخضب كفاً بتكت من زندها	فتخضبت الحناء من مسودها	٢٧٣
تدعو بنيك عباداً وحذيمةً	ففأرة شجها في الحجر محفار	٢٩٨
تراه على ما لاحه من سواده	ولو كان مظلوماً له وجه ظالم	٣١٥
تراها على هام الرجال كأنها	دنان يهود جللت بالبرانس	٣٣٥
تساقوا جميعا كؤوس المنون	فمات الصديق ومات العدو	٢٣٨
تسمع مقالي يا ابن الرشيد	فأنت حقيقٌ بأن تسمعه	٣٧٢

بيت الشعر		الصفحة
تسمى ابن عبدالله حراً لوصفه	وتلك العلا يعنى بها م يصيبها	٣٥٠
تعللنا بالوعد ثمت تلتوي	بموعودها حتى يموت المعلل	٣٤٨
تقوم فما تريم إذا استحثت	وترمح باليمين وبالشمال	٣٣٧
تهش لها القلوب وتشتهيها	إذا برزت ترقوق في الزجاج	٣٣٦
توسدني كفاً وتثني بمعصمٍ	علي ونحوي رجلها من ورائيا	٣٠٢
ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم	إلى السماء فأنتم أطهر الناس	٣٣٨
ثم انتظرناك لها إياكا	فكنت أنت للرجاء ذاكا	٣٤١
ثم من ناظر من العشب الأخضر	يزهو شقائق النعمان	٢٧٥
ثمت قمنا إلى جرد مسومة	أعرافهن لأيدينا مناديل	٢٩٨
جاء الربيع وهذي/ ألى البشائرُ منه	كأنما هو ثغر/ قد جاء يضحك عنه زهر	٣٨٣
لنارنج دوحٍ / انظر إليه وصنه	أليس حياك عرف/ الذي جفا من لدنه	
جارى الملوك إلى العلا	لكنهم ناموا وأسرى	٣٧٦
جرحت خديه بلحظي فما	برحت حتى اقتص من قلبي	٣٦٨
جرد السيف وارفع السوط حتى	لا ترى ظهرها أمويا	٣٢٧
جمعت دمامة وجمعت لؤماً	كذاك اللؤم تتبعه الدمامة	٣٣٥
حتام همك في حلٍ وترحال	تبغي العلاء والمعالي مهرها غالي	٣٦٩
حتى غدا ملقاً ذبيحاً حاكياً	للناس رقدته إذا هجرَ الوسنُ	٣٨٣

بيت الشعر		الصفحة
حثيثا يروى أصول الفسيل	فعاش الفسيل ومات والرجل	٢٨٠
حلن خويلة في حي عهدتهم	دون المدائن فيها الديك والفيل	٢٩٣
حي الغداة برامة الأطلالا	رسماً تحمل أهله فأحالا	٣٠٦
خذها إليك بحكِ الوزن أربعةً	كالنعت والعطف والتوكيد والبدل	٣٨١
خضت فيها إلى الخليفة بالرقة	بحرى ظهيرة وظلام	١١٢
خلو الطريق زوجتي أمامي	أنا حميم فرج الحجام	٢٢٨
خليلي إني ما يزال يشوقني	قطين الحمى والضاعن المتحمل	٣٤٥
خليلي من كعب ألما هديتما بزينب	لا يفقد كما أبداً كعب	٣٢٠
دجلة تسقي وأبو غانم	يطعم من تسقي من الناس	٣٦٠
دعاك الشوق الأدب	ومات بقلبك الطرب	٣٥٤
ذاد عن مقلتي لذيذ المنام	شغلها عنه بالدموع السجام	١٥٤
ذاكم ما كنت ذا محمية بدارمي أمه ضبية صمحمح يكنى أبا مكية		٢٧٣
ذكر إذا ذكر الكرام يزينكم	ووراثة الحسب المقدم	٢٩٥
ذلها أظهر التودد منها	وبها منكم كحز المواس	٣٢٦
رأيت أبا الحجناء في الناس جائزاً	ولون أبي الحجناء لون البهائم	٣١٥

بيت الشعر		الصفحة
رأيت عيوبها كثرت وعالت	ولو أفنيت مجتهداً مقالي	٣٣٧
رب سوداء وهي بيضاء معنى	نافس المسك عندها الكافورا	١١٧
رب عيشٍ ولذةٍ ونعيم	وبهاء بمشرق الميدان	٢٧٥
رجعن وما أفأن ليس شيئاً	سوى أني وعدت الترهات	٣٥٥
رحلوا فلا خلت المنازل منهم	ونأوا فلا سلت الجوانح عنهم	٣٧٨
رزقت بغيلة فيها وكالٌ	وخير خصالها فرط الوكال	٣٣٧
رفعت له ما جر إذ جر موته	لأبني مجداً أو لأثأر هالكا	٢٨٩
سائل به عصب النفاق	غداة كان الأمر إمرا	٣٧٦
ستعلم أن لؤم بني تميم	سيظهر منه للناس الخفي	٣٦٨
سروا يركبون الريح وهي تلفهم	إلى شعب الأكوار ذات الحقائب	٣١٧
سرى الهم تثنيني إليك طلاعه	بمصر وبالحوف اعترتني روائه	٣١٦
سل ابن جيفر حين رام بلادنا	فرأى بغزوتهم عليه خبالا	٣٠٧
سلخت أشعار الورى كلها	فصرت تدعي الأسود السالخا	٣٧٣
سيستبشر البيت الحرام وزمزم	بأم ولي العهد زين المواسم	٣٤٦
شاب الغراب وما أراك تشيب	وطلابك البيض الحسان عجيب	٣٤٦
شجيت خلاخلها بساقٍ خدلةٍ	وشجيت عمداً بالذي هو قائل	٣٦٣
شدوا وثاق العبد لا يفلتكم	إن الحياة من الممات قريب	٣٠٣

بيت الشعر		الصفحة
شعاره إن دنت دارٌ وإن بعدت	الله يبقى أبا سعد ابن منصور	٣٧١
شكرتك إن الشكر حبل من التقى	وما كل من أوليته نعمة يقضي	٣٤٠
صبٌ بحبِ متيمٍ صب	حبيه فوق نهاية الحب	٣٦٧
صمٌ عن المعروف حتى يسمعوا	هجر الكلام فيقدموا ويقدموا	٣٧٨
طويت كل حشاً منها على أمل	إلى قرينة خوفٌ منك مقرون	٣٦٠
عجب لمن يراك هذا	يحاول أن يرى ملكاً سواك	٣٨٢
عشية قام النائحات وشققت	جيوب بأيدي مأتم وخدود	٣٥٤
علام وفيم تترك عبد شمس	لها في كل راعية ثغاء	٣٢٨
على أني ولو لاقيت شراً	لخيرك بعد ذاك الشر راجي	٣٣٦
على عهد ذي القرنين كانت سيوفنا	صوارم يفلقن الحديد المدكرا	٢٠٠
عليك ابنة المهدي عوذي ببابها	فإن محل الخير في حيث حلت	٢٧٦
عميرة ودع أن تجهزت غادياً	كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا	٣٠١
عن دين موسى والكتاب المنزل	تقيم أصداغ القرون الميل	٢٢٠
عند الملوك مضرةٌ ومنافع	وأرى البرامك لا تضر وتنفع	٣٤٧
غادٍ علي ورائحٍ	يصلُ الرواح إلى البكور	٣٦٦
غرض القوم متعتة لا يرقون	لدمع الشماء والخنساء	١٥٥
غزا الأسود السودان في رونق الضحى	فلما ألتقى الجمعان أظلمت الأرض	٢٤٧

بيت الشعر		الصفحة
غزاكم أبو يكسوم في أم داركم	وأنتم كقبض الرمل أو هو أكثر	٣١١
غشيتك من نصر الإله سحابة	نالت حواشيها وليك زيركا	١٥٣
فأبدلني يا رب بغلاً	يرين جمال مركبه جمالي	٣٣٧
فأحييت من ذكرى وما كان خاملاً	ولكن بعض الذكر أنبه من بعض	٣٤٠
فإذا بدا لي وجهه	أخرجت صغراً من سروري	٣٦٦
فإذا وردن بنا وردن مخفة	وإذا رجعن بنا رجعن ثقالا	٣١٨
فاذكروا مصرع الحسين وزيد	وقتيلا بجانب المهراس	٣٢٦
فارغب إلى الله وإحسانه	لا تطلب الرزق من الطالب	٣٦٧
فأصبحت تبكي على زلةٍ	وماذا يرد عليك البكى	٢٩٠
فأقسمت لا أنسى ليالى منعج	ولا مأسل إذ منزل الحي مأسل	٣٤٥
فالله يغني عنهم ويزيد في	زهدي لهم ويفك أسري منهم	٣٧٩
فالليل عون والنهار	له على الأمر المروم	١١٢
فألهب حرباً بأصبارها	فلم أك فيها ضعيف القوى	٢٩٠
فإن زدتني براً تزيدت جفوة	فلا نلتقي طول الحياة إلى الحشر	٣٦٠
فإن عاش همام لنا فهو رحمة	من الله لم تنفس علينا فصولها	٣٩٤
فإن قلتم رهط النبي وقومه	فإن النصارى رهط عيسى ابن مريم	٣٥٣
فإن كنت أخطأت في حربنا	فلسنا مقيليك ذاك الخطا	٢٩٠

بيت الشعر		الصفحة
فإن كنت تبغي في غير نكهه	فرهط النجاشي منك في الناس أفخر	٣١١
فانفرد ما استطعت فالقاتل الصادق	يضحي ثقلا على الجلساء	١٥٥
فإنك قد قلتني كل منة	ملكت لها شكري لدى كل موقف	٣٧٥
فإنك لم تبعد على متعهد	بلى كل من تحت التراب بعيد	٣٥٥
فبقصر السلام من سلم الله	وأبقى خليفة الرحمن	٢٧٦
فبكى بناتي شجوهن وزوجتي	والأقربون إلي، ثم تصدعوا	٢٩٥
فتاة من بني حام بن نوح	سبتها الخيل غصب والركاب	١٠٩
فجاءت بنا إنسان عين زمانه	وخلت بياضا خلفها ومآقيا	٢٤٨
فجعوا زياداً بابنه وتنازلوا	لما دعوا لنوال ثم نزالا	٣٠٧
فخرتم علينا بالقيافة والشعر	وبالنسب المحفوظ في سالف الدهري	٣٠٥
فسائل مسرف المري عنهم	غداة أباح الجند العذاري	٢٢٤
فسبحان الذي أعطاك ملكاً	على مقدار ما أعلى علاكا	٣٨٢
فسل ابن عمرو حين رام رماحهم	أرأي رماح الزنج ثم طولا	٣٠٧
فسما إلى الزنج الأخابث سموة	كانت لجمعهم هلاكا مهلكا	١٥٣
فسوف أعدوا لسحيم قائلا	إن سحيماً لم يثبني طائلا	٣١٥
فشبهني كلباً ولست بفوقه	ولا دونه إن كان غير قليل	٣٠٤
فضربت الأمور ظهراً لبطن	كيف أحتال حيلة للساني	٣٥٢

بيت الشعر		الصفحة
فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله	ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب	٣١٧ - ٣١٨، ٣٢١
فقال لنا من ينصح الرأي نفسه	وقد ولت الأموال عنا فقلت	٢٧٦
فقلت لهم دعوني لا تلوموا	فإن السود سادوا بالسواد	١١٩
فكأنني في نعمتي	رب الخورنق والسدير	٣٦٥
فكل ما قد قلت في سواكاً	زورٌ وقد كفر هذا وذاكا	٣٤١
فكن لعبدك خلا	وكن لخلك عبدا	١٤١
فكيف يلام معشوق على من	يراها كأنها في العين خالا	١١٨
فلا الحبل من ليلى يواتيك وصله	ولا أنت تنهي القلب عنها فيذهل	٣٤٨
فلا ترج مني أتال مودتي	إذا كنت عني بالكرامة جافيا	٣٤٨
فلقد تحدر من جبين فتاتكم	عرق على ظهر الفراش رطيب	٣٠٣
فلك ينكس ذكره في براسي ولي لسان وحجابي آسِ لكل ما أعيا على النطاس		٣١٠، ٣١١
فلم أوقد الحرب حتى رمى	خفاق بأسهمه من رمى	٢٩٠
فلما تبدى للقوابل وجهه	نكصنى على أعقابهن من الندم	٢٥٩
فلما ترقيت في غيها	دحضت وزل بك المرتقى	٢٩٠
فلنحن أنجب من كليب خؤولة	ولأنت الأم منهم أخوالا	٣٠٨

بيت الشعر		الصفحة
فلني بعفومنك أحيا بقربه	أغثني بيسر منك يطرد إعساري	٢٣٤
فلو معهم حيست لكان ذاكم	ولكني حبست مع الدجاج	٣٣٦
فلئن هلكت لقد بنيت مساعياً	تبقى لكم منها مآثر أربع	٢٩٥
فم الآن لا أتيك إلا مسلماً	أزورك في الشهرين يوماً أو الشهر	٣٥٩
فما زال بردي طيبا من ثيابها	إلى الحول حتى أنهج البرد باليا	٣٠٢
فمما زجكم على حنق زنوج	وفز الشام كالأسد الضواري	٢٢٤
فمما زلت لكمال الهدى	وإحياء دارس درس العلوم	٣٨٢
فما في القبر في حران منهم	ولو قتلت بأجمعها فداء	٣٢٨
فما كان قائلهم دغفل	ولا الحيقطان ولا ذو الشفة	٣١٣
فما كان قيس هلكه هلك واحد	ولكنه بنيان قوم تهدما	٢٩٧
فما ولدتك مريم أم عيسى	ولا رباك لقمان الحكيم	٣٣٦
فمثلك من أحبوشة الزنج قطعت	وسائل أسباب بها يتوسل	٣٤٥
فمن شان أم الصرم أو قال ظالما	لصاحبه ذنب وليس له ذنب	٣٢٠
فمن كان يعمي عن أبيه فأننا	وجدنا أبانا العدملي المذكرا	٢٠٠
فهل الأمير بفضله	من قبح طلعته مجيري	٣٦٦
فهي خرا بحتٌ وسكانها	آبدةٌ ما مثلها آبدة	٣٧١
فيا أيها الزنجي ما لك والصبا	أفق عن طلاب البيض إن كنت تعقل	٣٤٥

بيت الشعر		الصفحة
فيا عجباً لبحرٍ بات يُسقي	جميع الخلق لم يبلل لهاتي	٣٥٥
فيا معشر الكُتاب أوصيكم به	وصية من يُعنى بحاجة صاحبي	٣٨١
فيحزن الكتاب ما قد غاله	وأخص بينهم الفقد أبو الحسن	٣٨٣
فيض الدموع ونيران الضلوع معاً	يا قوم كيف اجتماع الماء والنار	٣٧١
قد عاب لوني أقوام فقلت لهم	ما عاب لوني إلا مفرط الحُمقِ	٣٢٤
قد قست شعرك يا جرير بشعره	فقصرت عنه يا جرير وطالا	٣٠٨
قرب النحام واعجل يا غلام	واطرح السرج عليه واللجام	٢٨٦
قسماً بمن طاف الحجيج	بيته شعثاً وغبرا	٣٧٧
قصائد حكتهن ليوم فخر	رجعن إلي صفراً خاليات	٣٥٥
قصدنا أمير المؤمنين ودونه	مهامه موقاة من الأرض مجهل	٣٤٦
قفوا خبروني عن سليمان أنني	لمعروفه من أهل ودان طالب	٣١٧
قلنا صدقت في الذي	أطفاك حتى صرت فحما	٣٧٤
قواصد كافور توارك غيره	ومن قصد البحر استقل السواقيا	٢٤٨
قوم إذا دمس الظلام عليهم	حجدوا قنافذ بالنميمية تمزع	٢٩٨
كالذي قام يجمع الزنج بالبصرة	والقرمطي بالأحساء	١٥٥
كان ابن ندبة فيكم من نجلنا	وخفاف المتحمل الأثقالا	٢٩١، ٣٠٧
كانت بنات نصيبٍ حين ضن بها	عن الموالي ولم تحفل بها العرب	٣٢٣

بيت الشعر		الصفحة
كأنه لما بدا للناس أسود في بيض من اللباس أير حمار لف في قرطاس		٣١٠
كأنه لما بدا للناس	أير حمار لف في قرطاس	٣١٠
كأنها والكحل في مرودها	تكحل عينها ببعض جلدها	٢٧٣
كريماً حين ينسب والده	إلى كرم المناسب في البغال	٣٣٧
كسيت قميصا ذا سواد وتحته	قميص من القوهي بيض بنائقه	٣٠٠
كُسيت ولم أكفر من الله نعمة	سواداً إلى لوني ودناً ملهوجا	٣٥٢
كسيت ولم أملك سواداً وتحته	قميصٌ من القوهي بيضٌ بنائقه	٣٢٢
كل من في الأرض من عرب	بين باديه إلى حضره	٣٥٨
كلانا يسوده قومه	على ذلك النسب المظلم	٢٨٩
كم سائل لم لا تهجو فقلت له	لأنني لا أرى من خاف من هاجي	٣٨٥
لا تشهدن لغربيب ولا يقق	حتى تشاهد فضلاً غير مردود	٣٨٤
لا تطلبن خؤولة في تغلب	فالزنج أكرم منهم أخوالا	٤١، ٢٨٥، ٢٩١، ٣٠٦، ٣٩٨
لا تطلبن خؤولة في تغلب	فالكلب أكرم منهم أخوالا	٢٨٥
لا تفخرن بخال من بني أسد	فإن أكرم منها الزنج والنوب	٤٢، ٢٢٣

بيت الشعر		الصفحة
لا تقطعن ذنب الأفعى وتتركها	إن كنت شهما فاتبع رأسها الذنبا	٢٥٤، ٣٢٨
لا تقلين عبد شمس عثاراً	وقطعن كل رقلة وغراس	٣٢٦
لا دينهم ديني ولا أنا منهم	حتى يصير إلى الصراة شمام	٢٩٢
لا يغرنك ما ترى من رجال	إن تحت الضلوع داء دويا	٣٢٧
لا يكره الذم إلا كل ذي أنف	وليس لؤم لئام الخلق منهاجي	٣٨٥
لأنك قد حذرتني كل صاحب	وأعلمتني أن ليس في الأرض من يفي	٣٧٥
لزوار ليلى منكم آل برثن	على الهول أمضى من سليك المقانب	٢٨٤
لقد أصبحت حجناء تبكي لوالد	بدرة عين قل عنه غناؤها	٢٧٧
لقد أوفى بمورق شعب رضوى	تراجعه الملائكة الكلاما	٤٠٠
لقد كان في دنيا تفيأ ظلها	عليه ومجلوب إليه بهاؤها	٢٧٨
لقد كان يدلي في رجال كثيرة	فيمتح ملأى وهي صفر دلاؤها	٢٧٨
لقد كنت أسعى في هواك وابتغي	رضاك وأرجو منك ما لست لاقيا	٣٤٨
للمجد في منزله بادياً	حوض رفيع لم يخنه الإزاء	٢٩٢
للهيثم بن عديٍ نسبة جمعت	آباءه فأراحتنا من العدد	٣٦٢
لم يأخذون سلاحه لقتاله	ولذاك عند الإله إثام	٢٩٢
لما استقل بك الطريق إلى العدا	لا زلت تسلك نحو رئد مسلك	١٥٣
لما رأينا استمسكت يداكا	كنا أناساً نرهب الأملاكا	٣٤٠

بيت الشعر		الصفحة
لما نزلنا نصبنا ظل أخبية	وفار للقوم باللحم المراجيل	٢٩٨
لهف نفسي عليك أيتها البصرة	لهفا كمثل لهب الضرام	١٥٤
لهف نفسي عليك يا معدن الخيرات	لهفا يعضني إبهامي	١٥٤
لهفي على دعدٍ وما خلقت	إلا لطول تلهفي دعدُ	٣٦٣
لو أن حياً من الأبناء إذ فرغوا	رأوا سبيلا إلى طيرورةٍ طاروا	٢٩٤
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم	قومٌ لقيل اقعدوا يا آل عباس	٣٣٨
لو لم تكن كانت الأيام قد فنيت	بالمكرمات ومات المجد مذ حين	٣٦٠
لولا تردد حاشر	كالكلب في اليوم المطير	٣٦٦
لولا الحياء وأن رأسي قد عثا	فيه المشيب لزرت أم القاسم	٢٢١
لولا طلائع لم نكن	نرجو لميت الدين نشرا	٣٧٧
ليس السواد بنا بناقصي ما دام لي	هذا اللسان إلى فؤاد ثابت	٣٢١
ليس يزري السواد بالرجل الشهم	ولا بالفتى الأديب الأريب	٤٠٦
لئن حسبت سواد الليل غيرني	فإن قلبي في حسني أبي دلف	٣٦٤
لئن خاب ظني في رجائك بعدما	ظننت بأني قد ظفرت بمنصب	٣٧٤
لئن كنت جعد الرأس والجلد فاحم	فإني لبسط الكف والعرض أزهر	٤١، ٣١١
ما بال دارك حين تدخل جنة	وباب دارك منكر ونكير	٣٦٤
ما بال كلب من كليب سبنا	أن لم يوازن حاجبا وعقالا	٤١

بيت الشعر		الصفحة
ما تراه الظنون إلا ظنونا	وهو أخفى من أن تراه الظنون	٢٤٢
ما شمت برقك حتى نلت ريقه	كأنما كنت بالجدوى تبادرني	٣٦١
ما ضاقت الأرض على راغبٍ	يطلب الرزق ولا ذاهبِ	٣٦٦
ما كان يوم ينال المرء ما طلبا	ولا يسوغه المقدار ما وهبا	٣٢٨
ما لقينا من جود فضل بن يحيى	ترك الناس كلهم شعراء	٣٤٨
ما للرياض تميل سكراً	هل سقيت بالمزن خمرا	٣٧٥
ما للغصون تميد سكرا	هل سقيت بالمزن خمرا	٣٧٦
مات الندى إذ مت يا بن محمد	فجعلته لك في التراب عديلا	٣٣٤
مالي أقيم على ذل الحجاب كأن	قد ملني وطن أوضاق بي بلد	٣٦٧
مثل حب العيون يحسبه الناس	سوادا وإنما هو نورا	١١٧
مده الله بالتحاسين حتى	قصرت دون طوله العينان	٢٧٥
مستعير منك مكرمة	يكتسيها يوم مفتخره	٣٥٨
مستقبل الريح يهفو وهو مبترك	لسانه عن شمال الشدق معدول	٢٩٩
من أين ما أمتحنت محاسن وجهها	بهر العيون بها هلال مائل	٣٦٢
من بعد تمشاي وتطواحي يدي	ومشيتي تحت الغُداف الأسود	٣٤٢
من شتم الحاجب في ذنبه	فإنما أقصد للصاحب	٣٦٧
من ضرب تسع وتسعين محككة	مثل المصابيح في الظلماء تأتلق	٢٧٧

بيت الشعر		الصفحة
من علم الأسود المخصي مكرمة	أقومه البيض أم آباؤه الصيد	٢٤٨
من كان ترفع منابت أصله	فبيوت أشعاري جعلن منابتي	٣٢١
من كل بيضاء ولها كعثبٌ	مثل سنام الربع الماثر	٣٠٢
من مطلع الشمس إلى مغيبها	عجبت من كثرتها وطيبها	٣٤١
من الهوذ كدراء السراة ولونها	خصيف كالون الحيقطان المسيح	٣١٣
من يسع كي يدرك أيامه	يجتهد الشد بأرض فضاء	٢٩٢
منا النجاشي وذو العقصين صهركم	وجد أبرهة الحامي أبي الطلب	٢٢٣
مناى المنى كل المنى أنت لي المنى	وأنت الغنى كل الغنى عند قتاري	٢٣٤
منعت إلا من الأكفاء منكحها	وكان منك عليها العطف والحدب	٣٢٣
الموت أهون من طول الوقوف على	بابٍ علي لبوابٍ عليه يد	٣٦٧
الناس جسم وإمام الهدى	رأس وأنت العين في الرأس	٣٦١
نبذتم مقالة هذا وذاك	فزل المرء وقل الخصوم	٣٨٢
ندامة زارٍ على نفسه	لتلك التي عارها يُتقى	٢٩٠
نست إعمالي لك الرواجلا	وقرعي الأبواب فيك سائلا	٣١٥
نصرنا رسول الله في الحرب سبعة	وقد فر من قد فر عنه وأقشع	١٨٨
نصرنا رسول الله في الدين سبعة	وقد فر من فر عنه فاقشعوا	١٨٨
نعر ابن شكلة بالعراق وأهله	فهفا كل أطلس مائق	٤٠٥

بيت الشعر		الصفحة
هبني غفرت لعدنان تهكمكم	فما الحمير والمقوال في النسب	٢٢٣
هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة	وهل يرجى نيل الزيادة بالكفر	٣٥٩
هذا ابن حجاج تفاقم أمره	وجرى وجر لحد غايته الرسنُ	٣٨٣
هذا ابن خازم ابن عجلى منهم	غلب القبائل نجدةٍ ونوالا	٣٠٧، ٣٩٩
هل حبل خولة بعد البين موصول	أم أنت عنها بعيد الدار مشغول	٢٩٣
هل لواعج هذا البين من جار	لمستهامٍ عميدٍ دمعه جار	٣٧١
هل من قرىً يا أبا سعد ابن منصور	لخادمٍ قادمٍ وافاك من صور	٣٧١
هم جردوا السيف فاجعلهم له جزراً	وأوقد النار فاجعلهم لها حطبا	٣٢٨
همومٌ توالت لوأ طاف يسيرها	بسلمى لظلت شُممها تتصدع	٣٤٥
هنيئا زادك الرحمن خيرا	فقد أدركت ثأرك يا بلال	١٧٧
وابنا زبيبة عنتر وهراسة	ما أن نرى فيكم لهم أمثالا	٣٠٧
واثبتم قول من لفظه	هو الشرع والحق منه يقوم	٣٨٢
وأحزم الناس من إن فرصة عرضت	لم يجعل السبب الموصول منقضا	٣٢٨
وأخلاق كافور إذا شئت مدحه	وإن لم أشأ تملي علي فأكتب	٢٤٨
وأدلوت دلوي في دلاء كثيرة	فأبن ملاء غير دلوي كما هي	٣٤٨
وإذا تكلم عاذلٌ في حبها	أغرى الفؤاد بها وزق العذلُ	٣٦٢
وإذا جهلت من امرىء أعراقه	وقديمه فانظر إلى ما يصنع	٣٤٧

بيت الشعر		الصفحة
وإذا حضرت فناءه	وشربتُ من حلب العصير	٣٦٥
وأزدرتني العيون إذ كان لوني	حالكاً مجتوى من الألوان	٣٥١
وأسمر في الحبشي علقته	وليس من الخطأ لي في حساب	١١٧
وأقبح من لوني سواد عجانه	على بشرٍ كالقلب أو هو أنصعُ	٢٧٤
وأقبلن من أقصى الخيام يعدنني	بقية ما أبقين نصلاً يمانيا	٣٠٥
والزنج لو لاقيتم في صفهم	لاقيت ثم جحا جحاً أبطالا	٣٠٧
والشيخ منها زحل العلوي	شيخ كبير ملك قوي	١٠٨
والصقلب اكتسب البياضا	حتى غدت جلودها بضباضا	١١١
والقتيل الذي بحران أضحى	رهن رمسٍ وغربةٍ وتناس	٣٢٦
والله لا يدرك أيامه	ذو مئزرٍ حافٍ ولا ذو رداء	٢٩٢
والله ما في من أجر فتطلبه	ولا الثناء على ديني بحمود	٣٣٣
وإن ذا الأسود المثقوب مشفره	تطيعه ذي الغضاريط الرعاديد	١٢٠
وإن سواد اللون ليس بضائري	إذا كنت يوم الروع بالسيف أخطر	٣١١
وإن كنت تطمع في سلمنا	فزاول ثبيراً وركني حرى	٢٩٠
وإن مات لم تستبدل الأرض مثله	لأخذ نصيبٍ أولأمرٍ يعولها	٣٩٤
وأنت مدى سؤلي وغاية رغبتي	وموضع آمالي ومكنون أضماري	٢٣٤
وأنتم كطير الماء لما هوى لها	ببلقعة حجن المخالب أكدر	٣١١

بيت الشعر		الصفحة
وأنصف الناس في كل المواطن من	سقى المعادين بالكأس الذي شربا	٣٢٨
وبات وسادي ساعد قل لحمه	عن العظم حتى كاد تبدو اشاجعه	٣١٧
وبايعت كرهاً بيعة بعد بيعة	مبهرجة إن كان أمرٌ مبهرجا	٣٥٢
وبتنا وسادانا إلى علجانة	وحقفً تهاداه الرياح تهاديا	٣٠٢
وبنو أمية عودهم من خروع	ولهاشم في المجد عود نضار	٣٥٣
وبنو الخباب مطاعن ومطاعم	عند الشتاء إذا تهب شمالا	٢٢٥، ٣٠٨
وبهاشم زكت البلاد وأعشبت	وبنو أمية كالسراب الجاري	٣٥٤
وتبدلوا أرض العقيق عن الحمى	روت جفوني أي أرض يمموا	٣٧٨
وتركت في غبراء يكره وردها	تسفي علي الريح ثم أودع	٢٩٥
وتسمى بغير حق إماما	لا هدى الله سعيه من إمام	١٥٤
والتغلبي إذا تنحنح للقرى	حك إستــه وتمثل الأمثالا	٢٨٦
وتقول مية ما لمثلك والصبا	واللون أسود حالكٌ غربيب	٣٤٦
وثامننا لاقي الحمام بسيفه	بما مسه في الله لا يتوجع	١٨٨
وخير الشعر أكرمه رجالاً	وشر الشعر ما قال العبيد	٣١٧
وذاك أن الفحول البيض عاجزة	عن الجميل، فكيف الخصية السود	١٢٠
وذو روادف لا يلفى الإزار بها	يلوي ولو كان يسعى حين يأتزر	٣١٩
وذو الصداقة مسرور بنا فرح	بادي البشارة ضاح وجهه شرق	٢٧٧

بيت الشعر		الصفحة
ورد البيضَ والبيضَ	إلى الأغمادِ والحجبِ	٣٦١
ورد وأشقر ما يؤنيه طابخه	ما غير الغلي منه فهو مأكول	٢٩٨
وسابعنا لاقى الحمام بنفسه	بما مسه في الدين لا يتوجع	١٨٨
وسروا وقد كتموا العداة مسيرهم	وضياء نور الشمس ما لا يكتم	٣٧٨
وسليك الليث الهزبر إذا عدا	والقرم عباس علوك فعالا	٢٨٥، ٣٠٧
وسيرى حتى قال في القوم قائل	عليك أبا ثور سليك المقانب	٢٨٤
وضمنتي العقاب إلى حشاها	وخير الطير قد علموا العقاب	١٠٩
وطبعه السواد والبرودة	أسود لون النفس في كموده	١٠٨
وعادت بلاد الله ظلماء حندساً	فخلت دجى ظلمائها لا تقشع	٣٤٥
وعبد بني الحسحاس والشيخ مورق	وذي الركبة العوجاء والسابل المثري	٣٠٥
وغلى بالذي أجمجم صدري	وجفاني لعجمتي سلطاني	٣٥١
وفاز بها دون الملوك سعادة	فدام له الملك المنيع الموفر	١٦٥، ٣١١
وفلاة كأنما أشتمل الليل	على ركبها بأبناء حام	١١٢
وقد جمع الإله لديك ما قد	تفرق في البرية من حلاكا	٣٨٢
وقد علتني ذرأةٌ بادي بدى	ورثية تنهض في تشددي	٣٤٢
وقد غابت الشعرى العبور وقاربت	لتنزل والشعرى بطي نزولها	٣٩٤
وقلن وأخفين الكلام تسترا	ألا ليتنا كنا تركناه في الرحم	٢٥٩

بيت الشعر		الصفحة
وقولا لها ما في البعاد لذي الهوى	يعاد وما فيه لصدع النوى شعب	٣٢٠
وكان لنا أصدقاء مضوا	تفانوا جميعا فما خلدوا	٢٣٨
وكنا نرتجي من إمام زيادة	فجاد بطول زاده في القلانس	٣٣٥
ولا مرتع للعين أو متقنص	ولكن تجراً والتجارة تحقر	٣١٢
ولتصلحن من بعد ذلك لزلزل	ولتصلحن من بعده لمارق	٤٠٥
ولديه الغزلان بل هن أبهى	عنده من شوادن الغزلان	٢٧٦
ولقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة	إلى الله فيها المشتكى والمعول	٢٢٥
ولقد رأيت بباب دارك جفوةً	فيها لحسن صنيعة تكدير	٣٦٤
ولقد ساءني وساء سوائي	قريهم من منابر وكراس	٣٢٦
ولقد علمت بأن قصري حفرةٌ	غراء يحملني إليها شرجع	٢٩٥
ولقمان منهم وابنه وابن أمه	وأبرهة الملك الذي ليس ينكر	١٦٥، ٣١١
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا	بكاها فقلت الفضل للمتقدم	٣٢١
ولكن مع الراجين إن كنت مروراً	إليه بغاة الدين تهفوا قلوبها	٣٥٠
ولكنك الدنيا إلي حبيبة	فما عنك لي إلا إليك ذهاب	٢٤٨
ولكنني لما أتيتك زائراً	وأفرطت في بري عجزت عن الشكر	٣٥٩
ولكنها نيطت فناء بحملها	جهير المنايا حائن النفس مجزع	٣٤٥
وللأحبة أيام تذكرها	وللنوى قبل يوم البين تأويل	٢٩٣

بيت الشعر		الصفحة
ولليالي صروفٌ قلما انجذبت	إلى مراد امرىءٍ يسعى لآمال	٣٦٩
ولم يبال ابن عمران بأدمته	حين اصطفاه كليماً خير معبود	٣٨٥
ولما غزا كافور دنقلة غدا	بجيش كطول الأرض في مثله عرض	٢٤٧
ولنا معاشيٌ في قطيعته	على الماء النمير	٣٦٥
ولو عضلت عن الأكفاء أيمها	ولم يكن لك في إطارها أرب	٣٢٣
ولو قبل مبكاها بكيت صبابة	بسعدى شفيت النفس قبل التندم	٣٢١
ولولا أن يقال صبا نصيب	لقلب بنفسي النشأ الصغار	٣٢٢
وليتني منك القفا والكاهلا	أخلقا شكساً ولونا حائلا	٣١٥
وليلة الفيل إذ طارت قلوبكم	وكلهم هارب مسوف على قتب	٢٢٣
وما إن ذاك أنك من تميم	ولكن ربما جر الدعي	٣٦٨
وما بال كلب من كليب سبنا	إن لم يوازن حاجباً وعقالا	٣٠٦
وما تركت منا السنون بقية	سوى رمة منا من الجهد رمت	٢٧٦
وما ذاق ابن خولة طعم موت	ولا وارت له أرض عظاما	٤٠٠
وما ضر أثوابي سوادي وإنني	لكالمسك لا يسلوعن المسك ذائقه	٣٠٠
وما كان قيس هلكه هلك واحد	ولكنه بنيان قوم تهدما	٩
وما كنت أخشى مالكاً أن يبيعني	بشيء ولو أمست أنامله صفرا	٣٠٣
وما كنت لولا أنت إلا مهاجرا	له كل يوم بلدة وصحاب	٢٤٨

بيت الشعر		الصفحة
وما مددت مدى طرف إلى أحد	إلا قضيت بأرزاقٍ وآجالٍ	٣٥٩
ومثلك عن طلاب اللهو	إن فكرت منقلب	٣٥٤
والمرء ساع لأمرٍ ليس يدركه	والعيش شح وإشفاق وتأميل	٢٩٩
ومربطين خيولهم بفنائهم	وربطت حولك شيهاً وسخالا	٣٠٧
ومضمر الكشح يطويها الضجيع به	طي الحمالة لا جاف ولا قصر	٣١٩
ومهما أنس من شيء تولى	فإني ذاكر دار الرقيق	١٤٢
والناس لفظٌ كلفظِ العود مشتركٌ	لكن يرجح بين العود والعود	٣٨٥
ونركب الأعجاز والأوراكا	من كل شيء ما خلا الأشراكا	٣٤١
وهبت شمال آخر الليل قرةٌ	ولا ثوب إلا بردها ورداءيا	٣٠٢
وهم جمعوا حلف الأحابيش كلها	وهم نكلوا عن غواة بني بكر	١٦٥
وهم يغفرون الذنب ينقم دونه	ويعفون عن قول السفاهة والهجر	١٦٥
وهود أبونا سيد الناس كلهم	وفي زمن الأحقاف عزا ومفخرا	٢٠٠
ووزنت فخرك يا جرير وفخره	فخفت عنه حين قلت وقالا	٣٠٨
ويزدني كلفاً بها هجرانها	ويسرني عنها الحديث الباطل	٣٦٢
ويعلم من وافى المحصب أنها	ستحمل ثقل الغرم عن كل غارم	٣٤٦
ويلي عليك وويل أهلي كلهم	ويلاً يكون إلى الممات طويلا	٣٣٤
ويوم غمدان كنا الأسد قد علموا	ويوم يثرب كنا فحلة العرب	٢٢٣، ٤٢

بيت الشعر		الصفحة
الواهب الخيل تعدو في أعنتها	مع القيان وفيها ألف دينار	٣٥٣
يا ذكرة مالك في الحاضر	تذكرها أنت في الصادر	٣٠٢
يا رب خود من بنات الزنج	تمشي بتنور شديد الوهج	٢٧٢
يا شبه لقمان بلا حكمة	وخاسرا في العلم راسخا	١٦٦، ٣٧٣
يا صاحبي ألا لا حي بالوادي	إلا عبد وآم بين أذواد	٢٨٧
يا طالب الجود إما كنت تطلبه	فطلب على نأيه نصر بن سيار	٣٥٢
يا طالب المجد دون المجد ملحمة	في طيها تلفٌ بالنفس والمال	٣٦٩
يا قوم لا تسودا شبيباً		٣٤١
الخبيثن ابن الخبائن الكذوبا		
هل تلد الذئبة إلا الذيبا		
يا له منظراً ويوم سرور	شهدت لذتيه كل حصان	٢٧٦
يا ليت جور بني مروان عاد لنا	وأن عدل بني العباس في النار	٣٥٣
يا من لقلب صيغ من صخرة	في جسدٍ من لؤلؤٍ رطبِ	٣٦٧
يزورونها ولا أزور نساءهم	ألهفي لأولاد الإماء الحواطب	٢٨٤
يعدن مريضا هن قد هجن داءه	ألا إنما بعض العوائد دائيا	٣٠٥
يعز علي أن يلقين ضيماً	ويعجز عن تخلصهن مالي	٢٨٦
يعيبون حبي للسواد جهالة	وما علموا مالي فيه من مآرب	٣٨١

بيت الشعر		الصفحة
يغزو العدا في ليل	زنج حالك ونهار روم	١١٢
يقارعون رؤوس العجم ضاحيةً	منهم فوارس لا عزل ولا ميل	٢٩٣
يقولون قس بين هذا وذا	وكيف يقاس خطأ مع صواب	١١٧
يكون الخال في وجه قبيح	فيكسوه الملاحة والجمالا	١١٨
يلومونني على حبي بأسود	وما علموا السيادة في السواد	١١٨
يؤمل دنيا لتبقى له	فوافى المنية قبل الأمل	٢٧٩